بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية أصول الدين

قسم العقيدة والفلسفة الإسلامية

خوارق العادات بين اليهودية والنصرانية والإسلام

دراسة موضوعية مقارنة

Super natural beliefs between the Judaism and Christianity and Islam

comparative objective study .

إعداد

سند فضيل أحمد أبو الرُّب

اشراف

الأستاذ الدكتور سعدون محمود الساموك

حقل التخصص – العقيدة والفلسفة الإسلامية

٢٣ ذو الحجة ١٤٣٠ هـ

١٠/١٢/٢٠٠٩م .

قرار لجنة المناقشة

خوارق العادات بين اليهودية والنصرانية والإسلام

دراسة موضوعية مقارنة

إعداد: سند فضيل أحمد أبو الرُّب

بكالوريوس شريعة، الجامعة الأردنية ١٩٩٤م

ماجستير العقيدة الإسلامية، جامعة آل البيت ١٩٩٨م

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص العقيدة الإسلامية في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن .

وافق عليها :

١- سعدون محمود الساموك.. رئيساً

أستاذ في العقيدة والفلسفة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

٢- حبيب الله حسن أحمد.. مناقشا

أستاذ في العقيدة والفلسفة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

٣- محمد صلاح عبده محمد.. مناقشا

أستاذ في العقيدة والفلسفة،ورئيس قسم العقيدة والفلسفة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

٤- قحطان عبد الرحمن الدوري.. مناقشا خارجيا

أستاذ في الفقه وأصوله، جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

٥- عزمي طه السيد.. مناقشا خارجيا

أستاذ في العقيدة والفلسفة الإسلامية، جامعة آل البيت .

تاريخ تقديم الرسالة يوم الخميس ٢٣/ ذو الحجة/١٤٣٠هـ - الموافق ١٠ /١٢/ ٢٠٠٩م .

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المفدى حفظه الله تعالى ورعاه، وسدد خطاه على طريق الحق، وكمال التقوى .

اللهم آمـــــــــــــــــــــــين .

شكر وتقدير

أتـــوجهُ بجميلِ الشكرِ والعرفانِ للأساتذةِ الأفاضلِ الذين مهدوا السبلَ أمامَ هذه الدراسةِ العلميةِ الموضوعيةِ المقارنةِ المتخصصةِ في خوارقِ العاداتِ بين اليهوديةِ والنصرانيةِ والإسلامِ، والذين هم :

١- الأستاذُ الدكتورُ عبدُ المقصود حامد عبد المقصود، نائبُ رئيسِ جامعةِ العلوم الإسلامية العالمية، وعميدُ كليةِ أصول الدين.

٢- الأستاذُ الدكتورُ محمد أحمد ملكاوي أستاذُ العقيدةِ في جامعة اليرموك .

٣- الأستاذُ الدكتورُ محمد حسن مهدي، أستاذُ العقيدةِ في جامعةِ العلوم الإسلامية العالمية، وهو أولُ من أشرف على هذه الرسالة

٤- الأستاذُ الدكتورُ حبيب الله حسن أحمد، أستاذُ العقيدةِ في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، وهو الذي شارك في اختيار عنوان هذه الرسالة .

فجزاهم الله تعالى جميعا خيرا .

وشكري وتقديري وعرفاني الموصول لأستاذي الجليل:

الأستاذُ الدكتورُ سعدون محمود الساموك المشرفُ على هذه الرسالةِ .

الذي وهب علمَهُ، ومكتبَهُ، ومكتبتَهُ، وبيتَهُ، ووقتَهُ الثمينَ لقطفِ هذه الثمرةِ العلميةِ المباركةِ بإذن الله تعالى،

فجزاهُ اللهُ تعالى عني وعن الإسلام كلَّ خيرٍ وبركةٍ، ومتعَهُ وذريتَهُ بوافر الصحة، اللهم آمين .

وأزف الـــشكر والتقديـــر لجميعِ الموظفين، والعاملين في مكتبات: جامعةِ العلوم الإسلامية العالمية، والجامعةِ الأردنية، وجامعةِ اليرموك، وجامعةِ آل البيت، فجزاهم الله تعالى كلَّ خيرٍ على حسنِ تعاونهم .

وشـــكري وتقديـــري وامتناني للدعواتِ الصادقةِ التي كانت عَوْنا خفيا لهذهِ الرسالةِ من والديَّ حفظهما الله تعالى، ووقاهما من شر حاسدٍ إذا حسد، ورزقهما أداءَ فريضةِ الحج اللهم آمين .

وشـــكري وتقديري لزوجتي المحتسبةِ أجْرَها على الله تعالى أم عبدِ الله الوفيةِ، ولأبنائي عبد الله، هبه، حذيفة، ومحمد، الذين تحولت طفولتهم لميدانِ رجولةٍ إحساساً منهم بواجبِ المسؤوليةِ تُجاهَ قدسيةِ وقتي الموهوبِ لإنجازِ رسالتي هذهِ، فلهم من الله تعالى كلُّ عونٍ وسندٍ لحسنِ صبرِهم على أبيهِم السندِ .

وأتوجهُ بجميلِ الشكرِ والعرفانِ للأستاذِ الدكتور عبدُ الناصر أبو البصل رئيسُ جامعة العلوم الإسلامية العالمية على جهودهِ المميزةِ في استقطابه لجهابذةِ الأساتذةِ العلماءِ الأوفياءِ الأجلاءِ الذين كان لهم الفضلُ الكبيرُ الرائدُ في كلِّ إنجاز علميٍّ مُميزٍ في هذه الجامعةِ الغراء .

كما أنني أتوجَهُ بجزيلِ الشكرِ ووافرِ العرفانِ للأساتذةِ الأفاضلِ أعضاءِ لجنةِ المناقشةِ الأبرارِ والذين هم:

١- الأستاذُ الدكتورُ سعدون محمود الساموك. رئيساً ومشرفا

أُستاذ العقيدةِ والفلسفةِ، في جامعةِ العلوم الإسلامية العالمية .

٢- الأستاذُ الدكتورُ حبيبُ الله حسن أحمد. مناقشا

أُستاذ العقيدةِ والفلسفةِ ، في جامعةِ العلوم الإسلامية العالمية .

٣- الأستاذُ المشارك الدكتورُ محمد صلاح عبده. مناقشا

رئيس قسم العقيدةِ والفلسفةِ ، في جامعةِ العلومِ الإسلاميةِ العالمية .

٤- الأستاذُ الدكتورُ قحطان عبد الرحمن الدوري. مناقشا خارجيا

أُستاذ الفقهِ وأصولهِ، في جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

٥- الأستاذُ الدكتورُ عزمي طه السيد. مناقشا خارجيا

أُستاذ العقيدةِ والفلسفةِ الإسلاميةِ، في جامعةِ آل البيت .

فجزاهم اللهُ تعالى كلَّ خيرٍ ويسرَ لهم أسبابَ سعادةِ الدارين، اللهم آمين

وشكري وتقديري للحضورِ الكرامِ ولكل مَنْ رفدَ أو سيرفدُ هذه الرسالةَ بكلِ نَفَسٍ معطاءٍ صادقٍ مخلصٍ بنَّاءٍ، فَلَهُ من اللهِ تعالى خيرُ جزاءٍ وبركةٍ ورحمةٍ . . . .

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين أولاً وآخراً والسلامُ عليكم ورحمةُ الله تعالى وبركاتُه .

الباحث: سند فضيل أحمد أبو الرب / الخميس/ الثانية عشرة صباحا /١٠ /١٢/ ٢٠٠٩م

الفهرس

الفصل الثاني

الملخص باللغة العربية

الحمـــد لله رب العـــالمين الذي بحمده وكرمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى إخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تعـــد دراســـة خوارق العادات من الدراسات ذات الصلة الوطيدة بمبحثي الألوهية والنبوة، وكي يستقيم المعتقد الصحيح في أذهان بني البشر تأخذ الدراسة الموضوعية المقارنة بين اليهودية والنصرانية والإسلام دورها في تجلية الحقائق بما يمهد السبل لتصويب الأخطاء العقدية التي علقت في كثير من الأذهان البشرية التي جعلت من القصور العقلي حكماً علـــى عالم الغيب، وفرطت بحفظ الوحي الإلهي المناط بها حفظه حتى تنضم تحت لواء النبي الخاتم نبينا محمد صلى الله علـــيه وســـلم الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وأيده بالقرآن الكريم الذي هو وحي معجز متلو تكفل بحفظه رب العالمين إلى يوم الدين .

وهذه الدراسة سعت بفضل الله تعالى لتمهد السبل الممكنة أمام الوصول إلى الميزان الدقيق لفهم خوارق العادات في الـــيهودية والنصرانية والإسلام في ظل البحث المحايد عن حقيقة خوارق العادات، وكيفية المقارنة بين أنواعها، وإقامة الحد الفاصل بين كل نوع من أنواع الخوارق كي لا يلتبس مفهوم بمفهوم آخر لكل ما يسمى بخارق للعادة .

كما سعت الدراسة لإقامة المنهجية السليمة للاستدلال بخوارق العادات على وحدانية الله تعالى، وكدليل على صدق النـــبوة، وضرورة اتباع الوحي الإلهي المعصوم، وتنزيهه عن كل اعتبارات البشر التي لا تقوم على دليل منضبط يستند إلى الـــشرع القـــويم ، وفي ذلـــك نبذ وتنحية لثمار الإفراط والتفريط الحاصل من فهم خوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام .

حيث أسهمت الدراسة بشكل فاعل برفع الحصانة عن قدرات البشر الخرافية والأسطورية التي تمادى كثير من الخلق في الغلو بالحديث عن نسبة الخوارق لها بلا أدنى بينة واضحة المعالم بغية السيطرة على عقول لاهية غافلة عن ذكر الله تعالى، وعن اتباع دين الله تعالى القويم، وعن ضرورة الأخذ بالأسباب التي شرعها الله تعالى، وحسن التوكل على الله تعـــالى، وفي ذلك تحصين للفكر البشري المتزن من كل شوائب الانحراف العقدي الذي تسلل إلى العقول التي ضعف إيمانها بخالقها فخرجت عن دائرة التسليم القويم لأمر الشرع المتين.

لقد اتخذت هذه الرسالة ميزان الدراسة الموضوعية المقارنة من خلال المقابلة بين نصوص التوراة(العهد القديم) وبين نصوص الإنجيل(العهد الجديد)، وبين الآيات الكريمة في القرآن الكريم المتعلقة بخوارق العادات كلما اقتضى المقام ذلك، ونقد ما استوجب النقد البناء من نصوص العهدين، مع عدم التوسع في بسط كثير من الروايات التي لا طائل من وراء بحثها كونها لا ترتقي لمستوى أن تذكر مع خوارق العادات .

فجاء المبحث الأول عن مفهوم النبوة في الفصل الأول الذي هو بعنوان بحوث ممهدة ونوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام حيث تم الوقوف على أبرز معالم النبوة في اليهودية والنصرانية والإسلام، وتأكد أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي قدم الصورة الحقيقية للنبوة والأنبياء عليهم السلام، وأن غيره من أتباع اليهودية والنصرانية غرق في متاهات التشويش والتحريف لفقدانهم أصل نص الوحي المعصوم عن الخطأ، وتأكد الحال كذلك مع ضرورة عصمة الأنبياء عليهم السلام في المبحث الثاني حيث كان عن مفهوم العصمة، فالله سبحانه وتعالى اصطفى من عباده رسلا واختارهم لتبليغ أوامره، واجتناب نواهيه لمن بعثوا فيهم، ونزههم عن فعل السيئات، وعصمهم عن المعاصي صغيرها وكبيرها، وحلاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق، والأمانة، والتفاني في الحق وحسن أدائه، وهم إن تفاوتوا في الفضل والمنزلة إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي، والصلة بالله تعالى .

وكان المبحث الثالث عن نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام وتبين أن علماء اليهود تحدثوا عن ذلك بارتباط ضروري بينهما، وأن العلة الأولى أو علة العلل تطلق على الألوهية باعتبارها السبب الأول في وجود كل شيء في الكون عند اليهودية .

وفي نوع الارتباط بين العلة والمعلول في النصرانية حيث تبين فيه أن جلّ حديث النصارى عن تلازم الاتحاد بين الخالق والمخلوق مع الخلاف الواسع بينهم في بيان معنى الاتحاد ووهن الحجة في إثبات ذلك .

أما عن نوع الارتباط بين العلة والمعلول في الإسلام فقد تبين أن الله سبحانه وتعالى لا يقال له علة؛ لأن معنى العلة في الظاهر تنفي الاختيار، مثل كون النار علة الاحتراق في العادة، فالنار لا اختيار لها في التأثير بالاحتراق فيما يحرق، ومع ذلك تسمى علة في احتراق الشيء، والله عز وجل موجد وخالق للأشياء بالاختيار، إن شاء فعل وإن شاء ترك؛ ولأنه لا يجوز لنا أن نطلق عليه عز وجل اسماً غير وارد نصاً .

والمبحث الرابع في أقسام الحكم العقلي وأقسام الحكم العادي .

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان مفهوم الخوارق للعادات وأنواعها بين اليهودية والنصرانية والإسلام حيث تضمن ما يلـــي : المـــبحث الأول توطئة عن مفهوم الخوارق، المبحث الثاني عن البشارات التي هيئت الأمم لاستقبال صاحب المعجـــزة الخالـــدة، المبحث الثالث عن الإرهاص، المبحث الرابع عن المعجزة، المبحث الخامس عن الكرامة، المبحث الســـادس عـــن المعونة، المبحث السابع عن الإهانة المبحث الثامن عن الاستدراج، والمبحث التاسع كان عن السحر والشعوذة، وكلاهما يستند لأسباب طبيعية معروفة لأهل الإختصاص، ولكن بضدها تتميز الأشياء، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أن لا حديث عند اليهود والنصارى عن الإرهاص، والكرامة، والمعونة، والإهانة، والاستدراج كما هو الحال عند علماء الكلام في الإسلام، والله تعالى أعلى وأعلم .

وتم الحـــديث في الفـــصل الثالث عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها حيث جاء المبحث الأول عن مصدر خـــوارق العـــادات وخصوصيتها عند المسلمين، وتبين أن الخوارق تجري بأمر الله تعالى وبإذنه، وهي مختصة بما هو إرهاص يؤسس لقرب مبعث نبي، أو معجزة تبين صدق مبعث نبي، أو كرامة لولي متابع للنبي صلى الله عليه وسلم، أو معونة لعوام الناس تخليصا لهم من محن أو شدائد ألمت بهم، أو إهانة لكذاب في دعواه النبوة، أو بما هو إملاء واستدراج لمن ادعى الألوهية .

والمـــبحث الـــثاني عن مصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود حيث ظهر توسع في حديثهم عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها في اليهودية بلا قيود معتبرة، وشاركهم في نظرتهم هذه وزيادة عليها النصارى، وهو ما ظهر في المـــبحث الثالث الذي كان عن مصدر العجائب وخصوصيتها عند النصارى حيث تَبيَّنَ زيف وكذب كل زعم يمنح القدرة الذاتية لشيء من خلق الله تعالى على قدرة فعل خوارق العادات أو أنه يستطيع منحها لغيره من الخلق .

لقـــد ركزت هذه الدراسة على إنصاف جهد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في أمر الدعوة إلى الله تعالى، ومدى جـــدهم وحرصـــهم علـــى هداية أقوامهم حتى لا يقع محذور الاستئصال لأقوامهم الذي غالبا ما كان يعقب الكفر بالمعجزات المادية حتى كانت الرسالة الخاتمة التي تممت مكارم الدعوات الخاصة بدعوة عامة للخلق كافة مستخلصة من معجزة خالدة تهدي للتي هي أقوم بإذن الله تعالى ورحمته .

فجاء الفصل الرابع بعنوان معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية والنصرانية والإسلام حيث تضمن الحديث عن المباحث التالية: المبحث الأول عن دلالة الخوارق على صدق النبي في اليهودية والنصرانية والإسلام، والمبحث الثاني

عن آية خلق آدم عليه السلام، والمبحث الثالث عن التناول القرآني لمعجزات الأنبياء عليهم السلام، والمبحث الرابع عن معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية، والمبحث الخامس عن معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في النصرانية، والمبحث السادس عن أثر خوارق العادات على دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أمـــا الفــــصل الخامس والأخير فقد كان بعنوان تقييم وموازنات حيث تم فيه تسليط الضوء على تقييم ما يقتضي التقيـــيم والمقارنة إن كان له قدر من اشتراك ذكر بين اليهودية والنصرانية والإسلام ليكون للدراسة إسهام حقيقي في رســـم المحـــاور الأساسية التي سُلكت حيال فهم خوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام مما يساعد ذلك في بلورة السبل الكفيلة لضرورة مراجعة القيود والضوابط التي تحدد المعالم الحقيقية لكل نوع من أنواع خوارق العادات فـــلا يلتبس فهم خارقة بغيرها من الخوارق، وبالأخص في اليهودية والنصرانية لقصور الجهود الممحصة في هذا الميدان من أهل كلا الديانتين،فلهم بعلماء الإسلام قدوة تساند هممهم إن هم صدقوا في طلب بحث محايد يعيد تقييم النصوص التي تتحدث عن خوارق العادات في العهدين القديم والجديد بما يدفع الغلو الحاصل في الفهم لدى النصارى، ويقطف الثمرة الحقيقية من خوارق العادات التي تواترت على أيدي أنبياء بني إسرائيل لعلهم يسيرون على منهجية متزنة توصد الأبـــواب أمـــام كثير من التحريفات والتغييرات التي نسجها وحي خيال من دون نصوص الوحي من وحي الذاكرة المتأثرة بما عايشت من معتقدات وثنية التي امتزجت ببقايا الحق المذكور في عقول بعض كُتّاب بَعُدَ عهدهم عن عصر نزول الوحي، ولم يتواتر لهم نقل تلك النصوص بالسند المتصل لأنبيائهم عليهم الصلاة السلام .

لقد أسست المعجزة الخالدة معجزة القرآن الكريم ذات الأثر العملي لكل أسباب بقاء العبر من الدعوات الخيرة التي تناثـــرت في مسيرة الدعوات الصادقة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم عليه السلام حتى ختم النبوة بسيد الأولـــين والآخـــرين نبيـــنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهي دعوات أجمعت على الإخلاص في الدعوة إلى التوحيد، وجمعـــت ما بين الترغيب والترهيب، وهي تعلي من قدر الأخلاق الحميدة، وهي توجه الأنظار لضرورة الاعتبار من مصير الأمم السابقة التي كذبت بآيات الله تعالى البينات.

الباحث: سند فضيل احمد أبو الرب/ ٢٠٠٩م

Super natural beliefs between the Judaism and Christianity and Islam comparative objective study .

Thanks God Lord of all human kind and peace be upon His Prophet, master of the old and the new, and all his brother prophets, and on all who follow them to the end of time:

The study of supernaturals is one of the most related studies with prophecy and goodness. To obtain a correct and pure belief in the mind and heart of human beings, the current study adopts the objective comparative design between Judaism, Christianity and Islam and their role in clarifying the different life events to correct the religious beliefs that is rooted in many of human minds, particularly those related with intellectual deficiencies judging the unknown world. These beliefs have forgotten that God will preserve the Holy Qura'n to infinite date and urging them to be under the umbrella of His prophet- Mohammed- who was the messenger of God and was supported by the Holy Qura'n, the one that god Has promised to preserve till the Hereafter.

The current study is an attempt to provide humans with the appropriate means to reach an accurate balance to understand supernaturals in Jewish, Christianity and Islam in an unbiased attempt to investigate the nature of supernaturals, comparing between them and identifying a threshold between each type of supernaturals to prevent any misconceptions between them and other forms of daily events.

The current study sought to delineate the appropriate mythology to infer the singleness of God using the supernaturals, to reach a convection that prophets are sincere and the necessity to follow Al Wahi (God's Word), and eliminating any human judgments that are mainly based on a controlled accurate evidence and the true religion. Thus, there is a clear tendency to reject the supernaturals related misconceptions in Judaism, Christianity and Islam.

The study is a main contribution in lifting munity from the mythic and superstitious that most humans have over estimated when talking about the supernaturals without any clear evidence in an attempt to dominate the minds and hearts of others forgetting at the same time the existence of God and ignoring the fact that they must follow the right Goddess religion and the necessity to take reasons provided by him, relying on Him, thus protecting the balanced human mind from any religious deviance that has sneaked to the weaken minds and that has strayed from the right way.

The current paper is an objective comparative study based on contrasting between The Old Testimony and The Bible and the verses of the Holy Qura'n related to supernaturals as needed. The study criticized what is needed points needing that in the content of the Old Testimony and The Bible without any unneeded redundancy.

The first subject of the study addressed the relation between the cause and what is behind it in Judaism, Christianity and Islam. The subject focused on the most significant features for prophecy in Judaism, Christianity and Islam.. it was evident that Islam is the only religion providing an honest and accurate picture for all prophets . in contrast, followers of Judaism and Christianity have drowned in distortions and misconceptions as they lost the roots of the undistorted original scripts. This was also evident in the fact that all prophets are inerrant in the second subject where this concept was described briefly. God has selected from his creatures some prophets to deliver his word to their nations. Prophets are inerrant and they do not make sins. Furthermore,

they always tell truth, sincere, honest, and dedicated in truth. Nonetheless, prophets have different ranks, but they all reached a kind of spiritual highness and a sincere connection with God.

The third subject addressed the connection between the cause and what is behind it in Judaism. It was clear that Jewish scholars have talked about the necessity of this bond between the cause and the causative. The cause of all causes is Goddess as it is the main reason for the existence of every thing according to Judaism.

In the fourth subject, the study addressed the nature of the bond between the cause and the causative in Christianity. As it was evident, Christians believe that there is a strong bond between the creator and creatures with a huge gap in the definition of this bond and the weak argument supporting it.

The fifth subject addressed the nature of bond between the cause and the causative in Islam. It was evident that God is not described as a cause, as the term cause implies the negligence of all that indicates selection "e.g. fire is the cause of the firing process". Here, the fire has no choice in causing the burning of any thing being burnt. By contrast, God is the Creator of everything, and this creation was all by His Own Choice, if He wishes, He creates these things, and if He wishes, He will leave everything as it is. Furthermore, we cannot call God any name that was not indicated in the holy Qura'n.

The second chapter focused on the nature of supernaturals and their types in Judaism, Christianity and Islam. The first subject in the chapter was a preface for the concept of supernaturals. The second subject was concerned with the good omens that prepared nations to welcome the owner of the immortal miracle. The study focused in the third subject on Irhas, the fourth on miracle, the fifth on blessing, the sixth on god's assistance, the seventh on insult, the eighth on dictation, the ninth on magic and saucery and both rely on natural causes known for some specialists in the field, but by apposing them, things become more clear, taking into consideration that both jews and Christians do not mention Irhas, blessing, insult, dictation as it is the case in Discourse scholars in Islam.

In the third chapter, the study addressed sources of supernaturals and their unique nature. In the first subject, the study talked about supernaturals and their unique nature in Judaism. It was evident that Jews over talked about the source of supernaturals and their unique nature without any controllers. This was more evident among Christians as was indicated in the second subject, which addressed the source and unique nature of supernaturals. As shown in the current study, all claims reported in both Judaism and Christianity are false and mere lies as these claims are based on the belief that their prophets had the ability of doing supernatural events without the assistance of god and these claims are pure lies. Some of their claims indicated that some of their prophets had the power to grant other persons to perform some supernaturals. The third subject addressed the source of supernaturals and their uniqueness in Islam and it was found that they are done in the name of God and under his well only. Supernaturals in Islam are Irhas establishing the coming of a new prophet, a miracle indicating that a certain prophet is a messenger from God , a blessing for a dignified person, an assistance for average people to save them from an agony or insulting a person claiming that he is a prophet.

The study focused on appreciating prophets' efforts to deliver the message of God. They were very sincere in their efforts to put their nations on the right path to prevent god's punishment on them and protecting them from destruction that mainly follows unbelieving the prophet until the final and most cohesive message- that is

Islam- came and has completed all good manners in a general message based on a true miracle to end all heavenly messages.

The fourth chapter addressed the miracles of prophets- in Judaism , Christianity and Islam. The first subject addressed that supernaturals in the three religions addressed in the current study are indicators that the prophet is a true messenger of God. The second subject focused on the miracle of creating Adam. The third focused on the miracles of all prophets in Judaism. The fourth focused on miracles of all prophets in Christianity while the fifth addressed the miracles of prophets in Islam. The sixth subject was dedicated to the miracle of the Holy Qura'n, while the seventh addressed the effect of supernaturals in the message of all prophets.

The last chapter was dedicated to assessing and contrasting the results obtained in the current study ordered according to the content of the paper. The main dimensions used to understand the nature of supernaturals in Judaism, Christianity and Islam were delineated. This helped in forming the appropriate means to review the controllers and definers that determine the true features of each type of supernaturals, leading to a clear understanding about the nature of each individual supernatural, making sure that no misconceptions are formed with this respect. This point is particularly true for Judaism and Christianity as lack of well established studies is observed in this field of study from scholars in both religions. Islamic scholars may assume the role models for them to demand an unbiased research reassessing the transcripts talking about supernaturals in the Old Testimony and in The Bible, making sure that no misconceptions have been established in these tow religions. The true fruit from supernaturals that has come from the prophets of the Jews to reach the true right path preventing many of the distortions and changes drawn from pure imagination and the human memory affected by different distorted religions from the past.

The immortal miracle of the holy Qura'n has put the cornerstones for any good calls that have been evident in the course of history from the creation of Adam till the closure of all heavenly messages delivered by his prophet Mohammed- master of the old and the new-. These calls have agreed on loyalty in delivering god's message and in His singleness. It combined between seduction and warning. It promotes the value of good manners and directs the eyes of humans to reconsider the experiences of past nations indicated in the Holy Qura'n.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه تعالى، ونستعينُ به، ونستهديه، ونستغفرُهُ، ونتوب إليه، ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذُ بالله تعالى مِن شُرُورِ أنفُسِنا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وبعد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غافر: ٧٨ .

إن الله تعالى جلت حكمته وعلت قدرته لم يبعث الرسل إلى أقوامهم بلا حجة أو برهان يدل على صدقهم، فقد جرت سنة الله تعالى مع عباده المرسلين أن يؤيدهم بالمعجزات التي تقطع بصدقهم، وأنهم لم يفتروا الكذب على الله تعالى، فهم يتحدون من بعثوا إليهم بأن يأتوا بمثلها، فلمَّا تتجلى لأقوامهم حقيقة المعجزات، وأنها خارقة للعادة، ولما هو من مألوف البشر لا بد حينئذ من الإذعان لأمر الله تعالى؛ لأن الحجة ظهرت بينة ولا عذر للمكذبين بعدها .

ولذا تعد دراسة خوارق العادات من الدراسات ذات الصلة الوطيدة بمبحثي الألوهية والنبوة، وكي يستقيم المعتقد الصحيح في أذهان بني البشر تأخذ الدراسة الموضوعية المقارنة بين اليهودية والنصرانية والإسلام دورها في تجلية الحقائق بما يمهد السبل لتصويب الأخطاء العقدية التي علقت في كثير من الأذهان البشرية لقصور نظرها على ما يملى عليها من مُسلمات توارثتها عن بني دينها في ظل غياب أصل نص الوحي في اليهودية والنصرانية بلا إعمال للفكر أو اتباع لهدى تَبرهَن لهم صدقه ببقايا بشارات محفوظة لديهم، وبمعجزة خالدة متلوة إلى قيام الساعة، وربما تسلل الانحراف للمحاكاة في الأفعال أيضا التي أخلت بالأسس والمفاهيم التي تحكم ضوابط خوارق العادات والآثار المترتبة عليها ليلتبس قليل الحق المتبقي بالباطل العاتي المتسلط .

ولما كانت الرسالة الخاتمة وحيا محفوظا معصوما خارقا للعادة متلوا إلى قيام الساعة فقد وضع كتاب الله تعالى العزيز الحد الفاصل لطغيان فلسفة العقل البشري الذي تمادى كثيرا في تشويه معالم الحقيقة الإيمانية فيما يتعلق بخوارق العادات

المادية، والتي غالبا ما تختص الآثار المترتبة عليها في قلة ممن شاهدوها ثم ينقطع سند نقلها فيما بعد ثم يصار إلى الوهم والظن الذي لا يغني من الحق شيئا ٠

وهـذه الدراسـة بفضل الله تعالى ستمهد السبل الممكنة أمام الوصول إلى الميزان الدقيق لفهم خوارق العادات في الـيهودية والنصرانية والإسلام في ظل البحث المحايد عن حقيقة خوارق العادات، وكيفية المقارنة بين أنواع الخوارق، وإقامة الحد الفاصل بين كل نوع من أنواع الخوارق فلا يلتبس مفهوم بمفهوم آخر لكل ما يسمى بخارق للعادة ٠

ومـن هـنا يبرز أثر التصور الصحيح لحقيقة الخوارق في اليهودية والنصرانية والإسلام في إقامة المنهجية السليمة للاسـتدلال علـى وحدانـية الله تعالى، وكدليل على صدق النبوة، وضرورة اتباع الوحي الإلهي، وتنزيهه عن كل اعتبارات البشر التي لا تقوم على دليل منضبط يستند إلى الشرع القويم ٠

كما أن أثر التصور الصحيح لحقيقة الخوارق في اليهودية والنصرانية والإسلام يسهم بشكل فاعل برفع الحصانة عن قدرات البشر الخرافية التي تمادى كثير من الخلق في الغلو في الحديث عن نسبة الخوارق لها بلا أدنى بينة واضحة المعالم مـن أجـل السيطرة على عقول لاهية غافلة عن ضرورة الأخذ بالأسباب التي شرعها الله تعالى، وعن ضرورة حسن التوكل على الله تعالى ٠

فهـذه الدراسـة تعين-بإذن الله تعالى- في تنقية الفكر البشري من كل شوائب الانحراف العقدي الذي تسلل إلى العقول التي ضعف إيمانها بخالقها فخرجت عن دائرة التسليم القويم لأمر الشرع المتين٠

وبالتالي تدفع هذه الدراسة نحو ضرورة العمل والانقياد لأمر الله تعالى وحسن التوكل عليه سبحانه وتعالى، والرغبة بما عند الله تعالى، وتساعد في القضاء على الأوهام والأباطيل والخرافات التي نسجت بكل تأكيد بوسوسة من شياطين الإنس والجن حول موضوع خوارق العادات فيذهب الزبد بلا رجعة، ويبقى ما ينفع الناس بإذن الله تعالى ٠

إن سـرعة وسـائل الاتصال بين البشر في هذا الزمان لهي من النعم التي سخرها الله عز وجل لتساعد على سرعة كشف خبايا كثير من المعتقدات التي لا صلة لها بالأديان التي تتخذ من خوارق العادات وسيلة لتحقيق مكاسب ذاتية وضيعة أو غيرها بلا سعي لطلب سبب من أسباب الكسب المشروع، فيمكن إرغام الجاحد، وتحرير العقل الغافل أو الجاهـل من أسر كثير من الأساطير والخرافات التي تزعم أنها ذات صلة بالأديان من خلال سهولة تزويده بالضوابط الحقيقـية الـتي تخضع لها مباحث خوارق العادات التي استخلصها العلماء الأجلاء من مرجعية الوحي المحفوظ، وبهذا

نتخلص من أبرز معالم الانحراف العقدي المتطفل على خوارق العادات، ونبقي على المعتقد الوسطي المتزن المستند إلى الدليل القويم المدعم بالحجة والبرهان .

-مشكلة الدراسة وأهميتها:

١- الحاجة لبيان المعتقد الصحيح لخوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام، وبيان سبل التخلص من المعتقدات الخاطئة التي علقت ببعض الأذهان فيما يختص بمباحث خوارق العادات.

٢- الحاجة لإبراز القيود المعتبرة التي تظهر الفروق بين أنواع خوارق العادات من ما هو: بشارات أو إرهاص أو معجزة أو كرامة أو معونة أو استدراج أو إهانة أو سحر وشعوذة .

٣-تسهم الدراسة بنشر الفكر الوسطي المستند إلى الحجة والبرهان الذي يُسلم للشرع .

٤-الحد من تفشي الفكر المنحرف الذي يتخذ من خوارق العادات وسيلة لتشويه مفهوم وحدانية الله ومفهوم قضية النبوة .

٥- تنظيم المباحث المتعلقة بخوارق العادات بطريقة علمية معاصرة.

٦- افتقار المكتبة الإسلامية لدراسة علمية مقارنة بشأن خوارق العادات بين اليهودية والنصرانية والإسلام.

- أهداف الدراسة ومبرراتها:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي :

١- تجميع مادة علمية متفرقة تتعلق بموضوع خوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام.

٢- الموازنة بين الآراء حيال خوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام وترجيح المعتقد المستند إلى الدليل.

٣- رفد المكتبة الإسلامية بدراسة علمية عن خوارق العادات ليتسنى الوقوف على حقائقها.

٤- تنقية خوارق العادات من الشوائب التي علقت بها، وتقديم تفسير صحيح مقنع لخوارق العادات.

٥- الرد على المزاعم التي جانبت الصواب فيما هو متعلق بخوارق العادات، وكبح جماح الغلو العقلي .

٦- التمييز بين ما هو ثناء وتبريك من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لأتباعهم،وبين الزعم بالامتلاك الذاتي للقوة الخارقة، وقدرة منحها للآخرين .

-الدراسات السابقة:

١- خوارق العادات بين المعتزلة والأشاعرة دراسة عقائدية مقارنة

نور عرفان بن حاج زينل، ماجستير آل البيت ٢٠٠٢م ،

فهي دراسة مقارنة في خوارق العادات بين المعتزلة والأشاعرة كمدارس إسلامية ،

٢- الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية

محمد خير حسن محمد العمري، ماجستير آل البيت ١٩٩٩م ،

وهذه الدراسة تناولت الولاية والكرامة في العقيدة الإسلامية ،

٣- المعجزة دراسة عقائدية

سند فضيل أحمد أبو الرب، ماجستير آل البيت ١٩٩٧م ،

وهذه الدراسة تناولت المعجزة دراسة عقائدية في الإسلام

٤- خوارق العادات وحقيقة الولاية والفرق بينهما وبين الأحوال الشيطانية

وليد محمد السعد، ماجستير جامعة محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ،

وهي تناولت الخوارق، والأئمة، والأولياء والسحر،والكرامات في الإسلام

٥- خوارق العادات في المسيحية

محمد علي أحمد، ماجستير- معهد الدراسات والبحوث الآسيوية- جامعة الزقازيق — قسم دراسات وبحوث الديانات -مصر ،

فهي تناولت خوارق العادات في المسيحية ،

وهـــذه الدراسة لها منهجيتها المختلفة عن الدراسات السابقة، لاسيما أنه لم تكن هناك دراسة مقارنة بين اليهودية والنـــصرانية والإســـلام لموضـــوع خوارق العادات في الدراسات السابقة، كهذه الدراسة الموضوعية المقارنة لخوارق العادات بين اليهودية والنصرانية والإسلام، والله تعالى أعلى وأعلم ،

- منهجية البحث:

ستقوم منهجية البحث بإذن الله تعالى على المنهج المقارن الذي يستخلص مباحث خوارق العادات من النصوص بعد تجمـــيع المـــادة العلمية الممكنة لما يخص مبحث خوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام، ومن ثم الموازنة بين الآراء والوقـــوف علـــى جوانب الاتفاق وجوانب الاختلاف والحرص على بيان المعتقد القويم من بينها المؤيد بالحجة والبرهان ،

كمـــا سيتم بإذن الله تعالى إتباع المنهج النقدي وذلك من خلال مناقشة الأدلة وبيان جوانب القوة والضعف فيها للوقـــوف علـــى جوانب القرب وجوانب البعد من المعتقد الصحيح لخوارق العادات، ومن ثم تنحية كل دخيل على خوارق العادات ،

وكذلك الارتكاز على المقابلة بين نصوص التوراة(العهد القديم) وبين نصوص الإنجيل(العهد الجديد)، وبين الآيات الكـــريمة في القـــرآن الكـــريم المتعلقة بخوارق العادات كلما اقتضى المقام ذلك، ونقد ما استوجب النقد من نصوص العهدين، مع عدم التوسع في بسط كثير من الروايات التي لا طائل من وراء بحثها لكونها لا ترتقي لمستوى أن تذكر مع الخـــوارق حيث إنها تنسب بشكل أسطوري لقادة إجرام وغيرهم في العهد القديم، ونكتفي بالإشارة إلى بعضها كلما اقتـــضى الأمـــر ذلك، مع العلم بأن توثيق نصوص العهدين يأتي قبل النص من العهد القديم أو العهد الجديد في متن الرسالة، وتوثيق الآيات القرآنية يأتي بعد الآية الكريمة في متن الرسالة .

وقـــد احتوت هذه الرسالة على مقدمة وخمسة فصول حيث جاء عنوان الفصل الأول بحوث ممهدة ونوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام، واشتمل على **خمسة مباحث هي** :

المبحث الأول: مفهوم النبوة.

المبحث الثاني: مفهوم العصمة.

المبحث الثالث: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية و النصرانية و الإسلام .

المبحث الرابع: في أقسام الحكم العقلي وأقسام الحكم العادي .

والفصل الثاني جاء تحت عنوان مفهوم الخوارق للعادات وأنواعها بين اليهودية والنصرانية والإسلام، واشتمل على توطئة في مفهوم الخوارق، وثمانية مباحث هي:

المبحث الأول: البشارات

المبحث الثاني:الإرهاص

المبحث الثالث: المعجزة

المبحث الرابع: الكرامة

المبحث الخامس: المعونة

المبحث السادس: الإهانة

المبحث السابع: الاستدراج

المبحث الثامن :السحر والشعوذة

وجاء الفصل الثالث تحت عنوان مصدر خوارق العادات وخصوصيتها، واحتوى على ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول:مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند المسلمين

المبحث الثاني: مصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود

المبحث الثالث: مصدر العجائب وخصوصيتها عند النصارى

أما الفصل الرابع فقد عنون بمعجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية والنصرانية والإسلام، وضم ستة مباحث هي:

المبحث الأول: دلالة الخوارق على صدق النبي في اليهودية والنصرانية والإسلام

المبحث الثاني: آية خلق آدم عليه السلام

المبحث الثالث: التناول القرآني لمعجزات الأنبياء عليهم السلام

المبحث الرابع: معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية

المبحث الخامس: معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في النصرانية

المبحث السادس: أثر خوارق العادات على دعوة الأنبياء عليهم السلام.

والفصل الخامس تضمن تقييما وموازنات ومقارنات بين اليهودية والنصرانية والإسلام فيما يتعلق بخوارق العادات، فما أصبت فبفضل الله تعالى ورحمته عز وجل، وما أخطأت فيه فمن نفسي ومن وسوسة الخناس، واستغفر الله العظيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ غافر: ٣ .

والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

بحوث ممهدة ونوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام

المبحث الأول: مفهوم النبوة

المطلب الأول: النبوة في الإسلام

المطلب الثاني: النبوة عند اليهود

المطلب الثالث: النبوة في النصرانية

المبحث الثاني: مفهوم العصمة.

المطلب الأول: العصمة عند المسلمين

المطلب الثاني: العصمة عند اليهود

المطلب الثالث: العصمة عند النصارى

المبحث الثالث: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام

المطلب الأول: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في الإسلام

المطلب الثاني: مفهوم العلة في اليهودية

المطلب الثالث: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في النصرانية

المبحث الرابع: في أقسام الحكم العقلي و أقسام الحكم العادي

المطلب الأول: أقسام الحكم العقلي

المطلب الثاني: أقسام الحكم العادي

تمهيد:

بمـــا أن موضوع هذه الدراسة هو خوارق العادات بين اليهودية والنصرانية والإسلام أجد أنه من المناسب قبل بدء الحـديث عـن نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام أن أقدم للحديث عن مفهوم النبوة والعـصمة في اليهودية والنصرانية والإسلام كبحوث ممهدة لهذه الدراسة -بإذن الله تعالى-؛ لنجلي الحقيقة في مفهوم النبوة في الإسلام من حيث اللغة والاصطلاح، والحكمة من بعثة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وحكم بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام،و موقف أهل الكتاب والمسلمين من الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونقدم الدليل على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ونقـــف -بـــإذن الله تعالى- على مفهوم النبوة في اليهودية ووظيفة النبي، والمقصود بالنبي الحقيقي عند أهل الكتاب، وفوائد بعثته ومراتب النبوة والصفات التي أسندها اليهود للأنبياء في عهدهم القديم .

ثم نتبين مفهوم النبوة في النصرانية والغاية من إتمام النبوة كما يتصورها أتباع الديانة النصرانية .

وكذلك الحال بالنسبة لمفهوم العصمة في اليهودية والنصرانية والإسلام، حيث نتبين مفهوم العصمة عند المسلمين في اللغـــة والاصطلاح، وأدلتها، والمقصود بالعصمة من الذنوب عند علماء الإسلام، ومن ثم نطوف- بإذن الله تعالى- بالمقصود بمفهوم العصمة عند اليهود والنصارى .

وبذلك ننطلق من تصور حقيقي لحقيقة المعتقد في النبوة والعصمة في اليهودية والنصرانية والإسلام فتتضح بدايات معالم المعتقد في خوارق العادات وصفات من تظهر على أيديهم في اليهودية والنصرانية والإسلام .

ومن ثم نتحدث عن نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام؛ ليتضح لنا-بإذن الله تعالى- حقيقة النظر لما هو خارق للعادة من خلال السعي لفقه حقيقي لنوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام حتى لا يتصادم النظر العقلي مع السمعيات، والتي منها المعجزات التي تخرق العادة المشاهدة .

وفي المبحث الرابع نبين أقسام الحكم العقلي وأقسام الحكم العادي .

والله تعالى المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المبحث الأول: مفهوم النبوة

المطلب الأول: النبوة في الإسلام*

المقصد الأول: النبي والرسول في اللغة

النَّبيّ في أصل اللغة: وردت بلا همز ومهموزة فهي[1] :

١- إن كانت بلا همز(النَّبيّ) فهي مشتقة من :

أ- النَّبْوَة أو النَّباوة : وهو ما ارتفع من الأرض، كناية عن علو شأن النبي، وإنه أشْرفَ علـــى سائر الـــخَـــلْق ، وعن اشتهار مكانه، ويقال نبا الشيء إذا ارتفع.

ب- وإما أن تكون همزتها مخففة .

٢- إن كانت مهموزة(النَّبِيء) فهي مشتقة من:

أ- النَّبِيء : بمعنى الطريق الواضح؛ لكون النبي وسيلة الخلق إلى الحق سبحانه وتعالى .

ب- النبأ: وهو الخبر لإنباء النبي عن الله تعالى فالنبي بزنة فعيل يأتي بمعنى اسم الفاعل أي المُنْبِيء (المُخْبِرُ) عن الله تعالى، أو فعيل بمعنى اسم مفعول أي المُنَبّأ (المُخبَرُ)؛ لأن الملك ينبئه عن الله تعالى بالوحي .

والرسول في اللغة: من رسل اللبن إذا تتابع دره؛ لأن الرسول هو الذي يتتابع عليه الوحي أو أخذاً من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً أي متتابعة، فالرسول هو الذي يُتابع أخبار الذي بعثه[2] .

---

* الإســـلام هو الدين الذي أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، ويرى المسلمون أن جميع الأنبياء إنما بعثوا بالإسلام لقوله تعالى :﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ الحـــج: ٧٨ ؛ ولأن جوهر الديانات واحد، هو توحيد الخالق قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤ . والمختلف فيه هو الشرائع التي جاءت كل منها لتتلائم مع زمنها، وأن النبوات ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم، والديانات الـــسماوية بالإسلام، وكتاب المسلمين الذي أنزله الله تعالى على قلب رسوله بوساطة جبريل هو القرآن الكريم، وهو يتضمن آيات كريمة تدعـــو إلى الإســـلام، وإلى الإيمان بالله تعالى، والتفكر في خلق السموات والأرض، والمخلوقات كافة، وأخذ العبرة من قصص الأولين، وآيات تنظم علاقة الإنسان بخالقه، وبغيره من البشر، وتنظم الأسرة، والمجتمع، من دون الدخول في التفصيلات الدقيقة، وذلك سر صلاح الإسلام لكل زمان ومكان . عرموش ، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)، بيروت-لبنان،دار النفائس، ط٣ ،١٤٢٦هـــ-٢٠٠٥م، ص ٨٠-٨١ .

[1]- انظـــر ابن منظور،محمد بن كرم،لسان العرب،بيروت-لبنان،دار صادر،ط١ ،سنة النشر غير معروفة ، ج١/ص١٦٣، والرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر،بيروت – لبنان، مكتبة لبنان ناشرون،طبعة جديدة،١٤١٥هـــ-١٩٩٥م، ج١/ص٢٦٨، ومـــصطفى،إبراهيم،وآخرون،المعجم الوسيط، استانبول-تركيا،دار الدعوه،ط غير معروفة،١٩٨٩م، ج٢/ص ٨٩٦، والدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٠٤، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها، عمان- الأردن، دار العلوم، ط١ ، ٢٠٠٧م، ص٣٣١ .

[2]- انظـــر ابن منظور، لسان العرب، ج١١/ص٢٨٤، ومصطفى،إبراهيم، المعجم الوسيط،ج١/ص٣٤٤ ، والدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٣١ .

المقصد الثاني: النبي والرسول في الاصطلاح

النبي في الاصطلاح:وهو كون الإنسان مبعوثا من الحق إلى الخلق[3] .

وفي التعريفات : النبي من أوحي إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة[4] .

ومن الملاحظ على هذا التعريف أنه ارتكز على بعض أنواع الوحي، وقد أغفل ذكر من وراء حجاب .

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١

أما الرسول في الاصطلاح : فهو إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام الشرعية .

وقيل الرسول: هو النبي الذي معه كتاب، كموسى وعيسى عليهما السلام .

والنبي : هو الذي ينبئ عن الله تعالى وإن لم يكن معه كتاب، مثل يوسف عليه الصلاة والسلام .

وقيل الرسول:هو الشخص الذي يظهر على يده الخارق للعادة المقارن بطلب المعارضة [5] .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر هاتين الكلمتين معاً في قوله تَعَالَىٰ:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢

---

[3]- الجويني،عبد الملك بن عبدالله بن يوسف، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد،تحقيق أسعد تيم،مؤسسة الكتب الثقافية،ط١ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٢٩٧ .

[4]- الجرجاني،علي بن محمد ت ٨١٦هـ، التعريفات،تحقيق وزيادة د.محمد عبد الرحمن المرعشي،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط٢ ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص٣٢٨ .

[5]- الجرجاني، التعريفات، ص١٨٠ .

وقد اختلف العلماء في بيان معنى النبي والرسول على أقوال أهمها* :

الأول: بينها فرق من حيث الأمر بالتبليغ وعدمه .

فالنبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونَزَلَ عليه الملك بالوحي، والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله[7] .

وكل رسول لله عز وجل نبي وليس كل نبي رسولا له، فالنبي أعم من الرسول ، فالرسول أفضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة؛ لأن الرسول هو من أوحي إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله [8].

الثاني: هما بمعنى واحد

فالنبي أو الرسول هو: إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوحى إليه .

وقد اعترض على هذا القول لورود عطفهما في قوله تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢ والعطف يقتضي المغايرة، كما أن بيان عددهما في بعض الأحاديث النبوية الشريفة يقتضي أن الرسل هم غير الأنبياء والله تعالى أعلم[9] .

---

*- ورد في كتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ج١/ص٣٣ القول:" ومن جعل النبوة من الإنباء التي هي الإخبار لم يفرِّق بين النبوة والرسالة" . وهذا الكلام عند التمحيص نجده غير دقيق؛ لأن الفرق بين النبوة والرسالة يستند إلى وجود شرع(أي أحكام) من عدمه فالنبي الرسول حسب هذا الرأي هو مبلغ لشرع جديد، ومن لم يؤمر بتبليغ شرع جديد فهو نبي فقط، ومن سوى بين النبي والرسول حصر الأمر بمهمة تبليغ الوحي فالنبي: إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوحاه الله تعالى إليه، وكذا الرسول، وقد رد هذا القول الأخير لورود عطف النبي على الرسول في القرآن الكريم وهذا يقتضي المغايرة في معنى النبوة والرسالة والله تعالى أعلم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ الحج: ٥٢ . انظر الدوري، قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٣٢-٣٣٣ .

7- البغدادي،عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط٣ ،١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص ١٥٤،وانظر الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء،عالم الكتب،ط١ ،١٩٨٥م، ص١٤،و الأشقر،د.عمر سليمان،الرسل والرسالات،الكويت،مكتبة الفلاح،ط٣ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،ص١٤-١٥ .

8- الجرجاني، التعريفات، ص٣٢٨ .

9- انظر الدوري قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٠٥-٢٠٦، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٣٢-٣٣٣ .

المقصد الثالث: الحكمة من بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام

لبعثة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام حكم ومصالح جليلة ذكرها أهل العلم والتي منها ما يلي:

١-مساندة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الباري ، وعلمه ، وقدرته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾

النساء: ١٦٥

٢ -استفادة الحكم من النبي فيما لا يستقل به العقل مثل الكلام، والرؤية، والمعاد الجسماني .

٣- إزالـــة الخوف الحاصل عند الإتيان بالحسنات لكونه تصرفا في ملك الله تعالى بغير إذنه، وعند تركها لكونه ترك طاعة .

٤-بيان حال الأفعال التي تحسن تارة وتقبح تارة أخرى من غير اهتداء العقل إلى مواقعها.

٥- بيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة إلا بعد أدوار وأطوار مع ما فيها من الأخطار.

٦- تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتهم المختلفة في العلميات والعمليات.

٧- تعليم الصنائع الخفية من الخاصيات والضروريات .

٨- تعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص والسياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات من المنازل والمدن.

٩- الإخبار بتفاصيل ثواب المطيع، وعقاب العاصي، ترغيبا في الحسنات، وتحذيرا من السيئات[10] .

[10]- انظر التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله ، شرح المقاصد،تحقيق وتعليق مع مقدمه في علم الكلام للدكتور عبد الرحمن عميره تصدير فضيلة الشيخ صالح موسى شرف، بيروت-لبنان،ط١ ،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ج٥/ص٦ .

المقصد الرابع: حُكم بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام

لقد تعددت الأقوال في حكم بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام من بين أصحاب المذاهب وأهل الفلسفة، وفيما يلي يمكن الوقوف على أبرز أقوالهم وهي :

١-ذهبت المعتزلة إلى القول بوجوب بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام على الله تعالى، لكونه لطفا وصلاحا للعباد .

٢-وذهبت الفلاسفة إلى القول بلزومها، لحفظ نظام العالم، وكونها سببا للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الإلهية .

٣-والذي رجحه التفتازاني :أن البعثة لطف من الله تعالى ورحمة يحسن فعلها ولا يقبح تركها على ما هو المذهب في سائر الألطاف ولا تبتني على استحقاق من المبعوث واجتماع أسباب وشروط فيه بل الله تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٤

إنكار النبوات ومناقشة شبه المنكرين :

المنكرون للنبوة منهم من قال: باستحالتها ولا اعتداد بهم ومنهم من قال: بعدم الاحتياج إليها، كالبراهمة- جمع من الهند أصحاب برهام- ومنهم من لزم ذلك من عقائدهم، كالفلاسفة النافين لاختيار الباري وعلمه بالجزئيات وظهور الملك على البشر ونزوله من السموات، ومنهم من لاح ذلك على أفعاله وأقواله، كالمصرين على الخلاعة وعدم المبالاة ونفي التكاليف ودلالة المعجزات، وهؤلاء آحاد وأوباش من الطوائف لا طائفة معينة يكون لها ملة ونحلة[11] .

وكما جحد البراهمة البعثة للرسل عليهم السلام، فقد أثبتوا التكليف من جهة العقول والخواطر، وأبطلوا الفرائض السمعية وزعموا أن قلب كل عاقل لا يخلو من خاطرين:

أحدهما: من قبل الله تعالى ينبهه ويدعوه به إلى النظر والاستدلال ومعرفة الإله وتوحيده على ما يوجبه عقله .

والآخر: من جهة الشيطان يدعوه إلى معصية الخاطر الأول .

---

[11] - انظر التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج٥/ص٩ ، والجويني، الإرشاد، ص ٢٥٧ ، والدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٢٦-٣٣٠ .

وقالوا إنما مكّن الله تعالى الشيطان من إلقاء الخاطر الداعي إلى الشر في قلب العاقل ليعتدل به دواعيه ويصح منه اختيار الخاطرين، ولو أفرده بالخاطر الأول لكان مُلْجأ إلى ما يدعوه إليه؛ لأنه ليس في مقابلته ما يدعوه إلى ضده ولا تكليف مع الإلجاء .

وزعموا أيضا أن الرسل قد جاءوا بإباحة ما حظره العقل من ذبح البهائم وإيلام الحيوان بلا ذنب وتحميل العاقلة الدية وكذّبوهم لأجل ذلك[12] .

ويمكن الرد على من جحد بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام بما يلي:

أن دلـيل ثبوت النبوات هو المعجزات، وليس تحسين العقل وتقبيحه، كما أن الشرائع أمور لا استحالة فيها، ومبناها على السمع، وهي ممكنة عقلا، فلا مجال لجحدها[13] .

الرد على شبهات من أنكر النبوة وهي:

١-أن البعثة تتوقف على علم المبعوث بأن الباعث هو الله تعالى ولا سبيل إلى ذلك.

والجواب المنع لجواز أن ينصب دليلا له أو يخلق علما ضروريا فيه.

٢-أن ما جاء به النبي إما أن يكون موافقا للعقل حسنا عنده فيقبل ويفعل وإن لم يكن نبيا أو مخالفا له قبيحا عنده فيرد ويترك وإن جاء به النبي وأيا ما كان لا حاجة إليه فإن قيل لعله لا يكون حسنا عند العقل ولا قبيحا، قلنا*: فيفعل عند الحاجة؛ لأن مجرد الاحتمال لا يعارض تنجز الاحتياج ويترك عند عدمها للاحتياط .

والجـواب أن ما يوافق العقل قد يستقل بمعرفته فيعاضده النبي ويؤكده بمنزلة الأدلة العقلية على مدلول واحد، وقد لا يستقل فيدل عليه ويرشده، وما يخالف العقل قد لا يكون مع الجزم فيدفعه النبي أو يرفع عنه الاحتمال، وما لا يدرك حـسنه ولا قـبحه قد يكون حسنا يجب فعله أو قبيحا يجب تركه هذا مع أن العقول متفاوتة فالتفويض إليها مظنة التنازع والتقاتل ومفض إلى اختلال النظام وأن فوائد البعثة لا تنحصر في بيان حسن الأشياء وقبحها .

---

[12]- البغدادي ، أصول الدين، ص١٥٤-١٥٥ بتصرف .

[13]- انظر الجويني ،عبد الملك ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية،تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري،القاهرة-مصر،المكتبة الأزهرية للتراث،ط غير معروفة،١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٦١-٦٢ .

* التفتازاني، شرح المقاصد، ج٥/ ص٩ .

٣-أن العمـــدة في باب البعثة هو التكليف، وهو عبث لا يليق بالحكيم إذ لا يشتمل على فائدة للعبد؛ لكونه في حقه مــضرة ناجــزة ومـــشقة ظاهرة، ولا للمعبود لتعاليه عن الاستفادة والانتفاع، وأيضا منه شغل للقلب عما هو غاية الأعمال ونهاية الكمال، كالاستغراق في معرفته والفناء في عظمته.

والجـــواب أن مـــضاره الناجزة قليلة جدا بالنسبة إلى منافعها الدنيوية والأخروية الظاهرة لدى الواقفين على ظواهر الشريعة النبوية فضلا عن الكاشفين عن أسرارها الخفية وإذا تأملتم فالتكليف صرف إلى ما ذكرتم لا شغل عنه على ما توهمتم.

٤-الزعم بأن الشرائع مشتملة على أفعال وهيئات لا نشك في أن الصانع الحكيم لا يعتبرها ولا يأمر بها، كما نشاهد في الحج والصلاة، وكغسل بعض الأعضاء لتلوث بعض آخر إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن قانون العقل.

والجواب أنها أمور تعبدية اعتبرها الشارع ابتلاء للمكلفين، وتطويعا لنفوسهم، وتأكيدا لملكة امتثالهم الأوامر والنواهي، ولعـــل فـــيها حكمـــا ومصالح لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وقد أشار إليها بعض الخائضين في بحار أسرار الشريعة[14].

[14]- انظر التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد، ج٥/ص٨-٩.

المقصد الخامس: موقف أهل الكتاب من الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام

١-أقر اليهود بنبوة تسعة عشرا نبيا بعد موسى عليه السلام ،وبمن قبله من الأنبياء ، وأنكروا نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام ،وأقر السامرة* بنبوة موسى وهارون ويوشع ومن قبلهم من الأنبياء وانكروا من كان منهم بعد ذلك .

٢-أنكر النصارى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام، كما أجمع المسلمون وأهل الكتاب على صحة نبوة موسى وهارون عليهما السلام[15] .

هذا وقد أنكرت اليهود نبوة عيسى عليه السلام مع تواتر الأخبار في معجزاته عليه السلام التي تدل على نبوته، كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص .

كما أنه استشرى الخلاف في عيسى عليه السلام بين النصارى أنفسهم الذين رفعوا عيسى عليه السلام عن درجة النبوة فادعوا أنه إله أو ابن الإله أو ثالث ثلاثة الآب والابن وروح القدس .

وفي المحصلة أنكرت اليهود والنصارى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[16] .

على خلاف قول من زعم من العيسوية** : إنه مبعوث إلى العرب خاصة دون بني إسرائيل[17] .

---

*السامرية: وهم يقولون إن مدينة القدس هي نابلس ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع عليه السلام فيكذبون بنبوة شمعون وداود وسليمان وأشعياء واليسع وإلياس وعاموص وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم ولا يقرون بالبعث البتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها. ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١/ص١٢١،وانظر فتاح،د.عرفان ،اليهودية، ص١١٢-١١٤ .

[15]- البغدادي ، أصول الدين، ص١٥٨-١٦٠ .

[16]- البغدادي ، أصول الدين ص١٦١ بتصرف،وانظر الغزالي،الاقتصاد في الاعتقاد،بيروت-لبنان،دار ومكتبة الهلال،ط١ ،١٩٩٣م، ص٢٢٤ .

** العيسوية: وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني، رجل من اليهود كان بأصبهان اسمه محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون: إن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل وإنه أحد أنبياء بني إسرائيل ويقولون: إن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليهم السلام والى سائر العرب كما كان أيوب نبيا في بني عيص وكما كان "بلعام" نبيا في" بني مؤاب" باقرار من جميع فرق اليهود. ابن حزم علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١/ص١٢٢ .

[17]- انظر الجرجاني، علي بن محمد،شرح المواقف،ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ج٨/ص٢٨٦، والبغدادي، أصول الدين، ص١٦٤ .

ومهما يكن من أمر فإن أهل الكتاب على الرغم من نزاعهم الطويل الظاهر والمبطن للإسلام وأهله[18] فقد لزمتهم الحجة ضمنا في باطنهم على ثبوت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم قد أنكروها ظاهرا ومن الأدلة على ذلك ما يلي :

١- رفض اليهود تمني الموت لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ولو تمنوا الموت لماتوا جميعا لا محالة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ البقرة: ٩٤ – ٩٥

٢- امتناع النصارى عن مباهلة النبي صلى الله عليه وسلم حينما طلبها منهم، وهذا الامتناع اعتراف ضمني من النصارى بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[19] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾ آل عمران: ٦١ – ٦٢

وذلك خوفا من النّكال وأليم العقاب، وأن يترل بهم ما توعدهم به النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد عدل القرآن الكريم في حكمه بالحق على أهل الكتاب فقد خص من آمن منهم بصفات حميدة، ومن تنطبق عليه تلك الصفات الجليلة فله الثواب الكامل يوم القيامة[20] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ آل عمران: ١١٣ – ١١٥ .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ۚ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ النساء: ١٦٢

---

[18]-انظر ولفنسون،د.إسرائيل،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ، ٢٠٠٦م، ص١٤٦ وما بعدها .

[19]- الباقلاني،محمد بن الطيب،تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر،مؤسسة الكتب الثقافية، ط غير معروفة، سنة النشر غير معروفة، ص١٨٦ .

[20]-انظر طنطاوي، د.محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الناشر المؤلف وساعدت جامعة البصرة على نشره، طبع على نفقة جامعة الأزهر الطبعة الأولى،١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م، ج١/ص١٥٦- ١٦٠ .

المقصد السادس: الدليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

إن الدليل على صدق نبوة نبينا محمد- صلى الله عليه وسلم- وعلى صدق ما جاء به أنه قد ادعى النبوة وظهر على يديه المعجزات عقيب دعواه النبوة، والتي من جملتها القرآن الكريم الذي أنصف الأنبياء بما يستحقون من مكارم، وأنه قد تحدى بمعارضته العرب مع أنهم كانوا هم الغاية في الفصاحة، والمشار إليهم في الطلاقة والذلاقة، وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يعارضوه وعدلوا عنه، لا لوجه سوى عجزهم عن الإتيان بمثله، وآيات الكتاب العزيز شاهدة على ذلك .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يونس: ٣٨ - ٣٩

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، وهي متلوة ومسموعة إلى قيام الساعة، ولذلك عدل العرب عن المعارضة إلى المقاتلة لما أحسوا من أنفسهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن أو بسورة منه، والعاقل إذا أمكنه ردع خصمه بأيسر الأمرين لا يعدل عنه إلى أصعبهما، كيف والحال أن المعارضة كانت عادتهم في النثر والأشعار أيضا؟![21] .

وإذ قد ثبت إعجاز القرآن الكريم- وهو أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وأخلدها- إذ لا تندرس معجزة القرآن الكريم على مرور الأيام وهو أظهر من سائر المعجزات، ولا يمكن لمخالف إنكاره بوجه من الوجوه.

ولما جعل الله عز وجل القرآن الكريم المعجزة الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد جعله أيضا دليلا لنا على الأحكام، وأوجب علينا الرجوع إليه في الحلال والحرام[22] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩

---

[21]- انظر قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة،تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان، القاهرة-مصر، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م ، ص ٥٨٥-٥٨٨،والتفتازاني،سعد الدين مسعود بن عمر،شرح العقائد النسفية، تحقيق وتعليق محمد عدنان درويش راجعه فضيلة الشيخ أديب الكلاس، دار النشر غير معروفة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة،ص٢١٠ ، و الرازي، محمد بن عمر،معالم أصول الدين،ضبط وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح ود.سامي عفيفي حجازي،القاهرة-مصر،مركز التراث للنشر،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ،ص٦٧، وعبده،محمد،الأعمال الكاملة،تحقيق وتعليق د. محمد عمارة،بيروت-لبنان،دار الشروق،ط١ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م،ج٣/ص٤١٦-٤١٧ .

[22]- قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، ص ٥٩٤-٥٩٧ بتصرف .

المطلب الثاني: النبوة عند اليهود*

توطئة:

تعــد النبوة مسؤولية كبرى لا يقوم بأعبائها إلا الصفوة المختارة من البشر يختارهم الله تعالى، ويصطفيهم لهداية الناس إلى الصراط المستقيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥

ولذا نجد القرآن الكريم حينما يتحدث عن الأنبياء عليهم السلام ينزلهم أسمى المنازل، ويثني عليهم أحسن ثناء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٣

إلا أننا نجد أن اليهود قد تحدثوا عن الأنبياء عليهم السلام بطريقة لا تليق بهم وبالأوصاف اللازمة لهم من الصدق، والأمانــة، والتبليغ، والفطانة، والسلامة من العيوب المنفرة، والعصمة من الوقوع في الخطأ والآثام؛ لأنهم هم القدوة الحسنة لاتباعهم[23] .

فمن الأمور التي تؤسس لفهم دقيق لمباحث خوارق العادات في اليهودية مفهوم النبوة عند اليهودية، وبيان المقصود بالــنبي الحقيقــي عند أهل الكتاب، والنظر في فوائد البعثة عند اليهود، والوقوف على أبرز مواقف أهل الكتاب من النبوة، وما هي مراتب النبوة عند اليهود، وما هي صفات الأنبياء عند اليهود على ضوء ما ورد في عهدهم القديم .

والله تعالى الموفق وهو الهادي لسواء السبيل.

---

* اليهود: شعب سام سكن الجزيرة العربية، ومن ثم انتقل إلى أرض مصر فسيناء ففلسطين حيث استقر وانشأ مملكة بلغت أوج عزها أيام الملــك الــنبي سليمان عليه السلام، وقد اختلف في شأن تسميتهم،فقيل:هم الذين هادوا،أي مالوا عن دين موسى، وقيل من الهوادة أي المودة،وقيل لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب عليه السلام، واليهودية أقدم الأديان السماوية الثلاثة نبيهم موسى عليه السلام تفرقت إلى عــدة فــرق، ومــن معتقداتهم: إلههم (يهوه) غير المعصوم، والثواب والعقاب في الدنيا إما بالنصر أو الذل، أنهم شعب الله المختار، وتقــديس السبت، واعتبار غير اليهودي كالبهائم . انظر حمد، د. حسين علي، قاموس المذاهب والأديان،بيروت-لبنان،دار الجيل،ط١ ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٢٢٧-٢٣١ .

23-انظر صالح د. سعد الدين السيد،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص٣١٩-٣٢١ .

المقصد الأول: مفهوم النبوة عند اليهود ٠

إن لفظـــة نبي في العبراني هي:"نبى" (Nabhi) ولا أصل لاشتقاقها في اللغة العبرية، وهناك أكثر من رأي لمحاولة إثبات أصل اشتقاقها منها ما يلي :

١-أنها مشتقة من كلمتين هما "نون"(nun) ،و"بيت"(beth) ويكون المعنى ينبع أو يتفجر، وبذلك يكون النبي هو الذي اندفق فيه الروح حسب هذا الرأي، وهو لا سند له ٠

٢- أنهـــا مـــشتقة من اللغة العربية، فكلمة نبا تعني: أعلن وأخبر ولكن الصعوبة في تفسير تنبأ بمعنى :أعلن وتخصيصه كذلك بمن يعلن رسالة الله تعالى ٠

٣- أنها مشتقة من اللغة الآشورية وأن الفعل "نابو"(nabu) يعني ينادي،ويعلن ٠

٤- أن اشـــتقاقها خاص من اللغة الآشورية،وهو يرتبط باسم الإله نبو(nebo) فالبعض يرى أن الإله نبو، يحمل هذا الاسم،كرسول الآلهة، والمتكلم بلسانهم ، ولكن هذا الرأي يعوزه الدليل ٠

٥-هـــناك من يعتقد بوجود صلة بين"نبأ" (maba'a) و"نعم" (na'am) ومن الكلمة الأخيرة تأتي عبارة "نعوم" يهوه(ne'um) أو المتكلم بوحي الله ، وعلى أساسها يصبح النبي هو المتكلم بالوحي الإلهي ٠

٦-هناك من يرى صلة بين"نبى"وبين الفعل "بو" ومعناه "يدخل في"، بمعنى أن النبي هو الإنسان الذي يدخل في معاملة مع الله أو في صلة بالألوهية، ولكن على أساس هذه النظرية فإن أهم جزء من مفهوم الكلمة يبقى دون تفسير، فهذا التفسير يكتنفه الغموض٠

٧-أن كلمـــة نـــبي يقصد بها المتكلم الدائم نيابة عن كائن إلهي أسمى، والذي يحمل كلامه سلطان هذا الإله، وهذا استنتاج من محاولة لفهم نصوص الكتاب المقدس، وهو بعيد عن موضوع أصل اشتقاق كلمة نبي في اللغة العبرية[24] ٠

ومن الألفاظ التي تستخدم للتعبير عن الأنبياء في العبرية ما يلي:

١-رؤى-وخوذي(Re'eh-CIozh) وهاتان الكلمتان تترجمان إلى "رائي" أو "ناظر" ٠

٢-"متزابح" (metzappeh)، ويقصد بها الحارس ٠

٣-"ملاخ يهوه" (mal'akh Jahoeh) أي رسول يهوه ٠

---

[24]- فوس، جرهاردوش، علم اللاهوت الكتابي،ترجمة عزت زكي، القاهرة-مصر،دار الثقافة، ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص٢٩٧-٢٩٩ بتصرف ٠

٤-"رويع"(ro'eh) أي الراعي .

٥-"إيسن هارواش" ('ish haruash) أي رجل الروح .

٦-"إيش ها إلوهيم" ('ish ha'elohim) أي"رجل الله"[25] .

٧-"نـــافيء" مــن يتحدث باسم الإله أومن يتكلم بما يوحى به الإله أو من يدعوه الإله، وصيغة الجمع لكلمة"نافيء" هي"نفيئيم"[26] .

والـــبعض يخلـــص مـــن الـــيهودية إلى أن مفهـــوم النـــبوة في العبرية يتمحور حول الحدس بالأحداث التي تقع في المستقبل،كالمتنبئ الجوي[27] .

وفي حقـــيقة الأمر نجد أن لفظة نبي لها مدلولها الذي يرتبط بالوحي من عند الله تعالى ضمن قيود محددة تفردها عن غيرهـــا من الألفاظ، وهي قد أخذت صبغة متميزة عن صناعة البشر؛ إذ إنها اصطفاء رباني كما هو مقرر في القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥

ولكـــن النبوة في الفكر اليهودي لفظة متأخرة الظهور[28] حسب ما جاء في سفر صموئيل الأول٩:٩ "٩سابِقًا في إِســـرائيلَ هكـــذا كانَ يقولُ الرَّجُلُ عِندَ ذَهابِهِ لِيَسألَ اللهَ:"هَلُمَّ نَذهَبْ إِلَى الرَّائي". لأنَّ النَّبِيَّ اليومَ كانَ يُدعَى سابِقًا الرَّائيَ".

فهذا النص يظهر جليا أن لفظة الرائي هي التي تطلق عند اليهود في القديم لتدل على النبي الموحى إليه من الله تعالى، ولعل ذلك من جملة التحريفات التي لحقت بالتوراة، وأن ذلك اللفظ هو مبلغ كاتب التوراة من العلم، كما يظهر

---

[25]- انظر: فُوس، جرهاردوش، علم اللاهوت الكتابي، ص٣٠٥-٣٠٦ .

[26]- انظـــر المسيري، عبد الوهاب محمد،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، القاهرة-مصر،دار الشروق،ط١ ، ١٩٩٩م، ص١١٠ .

[27]-عـــبد المجـــيد، د.محمد بدر،اليهودية،كلية الآداب-جامعة عين شمس،سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية يصدرها مركز الدراسات الـــشرقية-جامعـــة القاهرة تحت اشراف أ.د محمد خليفه حسن ورعاية أ.د نجيب الهلالي جوهر رئيس جامعة القاهرة ورئيس مجلس إدارة المركز وأ.د أمير إمام ناصف نائب رئيس الجامعة ونائب رئيس مجلس إدارة المركز، ص٢٥ .

[28]-هـــناك من يرى أن اليهود تعلموا النبوة الإلهية بلفظها ومعناها من شعوب العرب . انظر الباش، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة-دمشق، الطبعة الثانية،٢٠٠٢م،ج١/ص١٤٥ .

الخلط ما بين لفظ الألوهية والنبوة ففي سفر الخروج ٧: ١" ١فقالَ الربُّ لموسَى:"انظُرْ! أنا جَعَلتُكَ إلَهًا* لفِرعَونَ. وهارونُ أخوكَ يكونُ نَبِـيَّكَ" ٠

وكذلك التعبير برجل الله كمدلول آخر على لفظ النبي ففي تثنية٣٣: ١ "١وهذِهِ هي البَرَكَةُ الّتي بارَكَ بها موسَى، رَجُلُ اللهِ، بَني إسرائيلَ قَبلَ موتِهِ" ٠

فالنبوة بالمعنى الصحيح على الوجه الذي جاء في القرآن الكريم هو الذي وصف به موسى عليه الصلاة والسلام، وكان سائدا في زمنه ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ مريم: ٥١

وفي عامـوس ٣: ٧-٨"٧إنَّ الـسَّيِّدَ الربَّ لا يَصنَعُ أمرًا إلا وهو يُعلِنُ سِرَّهُ لعَبيدِهِ الأنبياءِ.٨الأسَدُ قد زَمجَرَ، فمَنْ لا يَخافُ؟ السَّيِّدُ الربُّ قد تكلَّمَ، فمَنْ لا يتنَبّأُ؟٩" أي تحدث كنبي٠

وفي قاموس الكتاب المقدس** :"النبي هو يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجية عنه، قوة الله عند المسيحيين واليهود والمسلمين، وقوة الآلهة المتعددة عند عباد الأصنام الوثنيين،كما يقصد بالنبوة عند اليهود: الإخبار عن الله وخفايا مقاصده، وعن الأمور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن والأقدار، بوحي خاص منزل من الله على فم أنبيائه المصطفين[29] ٠

* -هناك بعض المحاولات اليائسة التي سعت من أجل تأويل ظاهر هذا النص بما يدفع الحرج الحاصل من ظاهره لأهل الكتاب، والتي منها: أن هارون كان مفسرا لكلام موسى إلى فرعون بدوره كنبي، وموسى يقوم بدور الله ! فهذا عذر أقبح من ذنب ٠ انظر سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة، ص١٢٣ ٠

** - تطلـق في العـربية عـبارة "الكـتاب المقدس" اختصارا،كترجمة لما يسمى في الإنكليزية والفرنسية Bible أي الكتاب المسيحي المقدس(يعني البشرى)،وهو يشتمل-من ضمن أمور عديدة أخرى- على أسس العقيدة المسيحية،وينقسم إلى قسمين رئيسين:
القـسم الأول يسمى العهد القديم Old Testament وهو الكتاب اليهودي المقدس الذي قبلته المسيحية جزءا من كتابها المقدس ، والقـسم الـثاني يسمى العهد الجديدNew Testament ويشار إليه أحيانا بالكتاب المسيحي المقدس-خاصّة-ويشتمل على رسائل القـديس بولس والأسفار القصصية الأربعة عن حياة عيسى المسيح عليه السلام مدونة ضمن إطار عقيدة بولس،بالإضافة لرسائل وأسفار أخرى ٠ الزين،محمد فاروق،المسيحية والإسلام والاستشراق،دمشق-سوريا،دار الفكر،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٤٣ ٠

[29] - عبد الملك، د٠ بطرس وآخرون،قاموس الكتاب المقدس ،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط٩ ،سنة النشر غير معروفة، ص٣٤٩ ٠

المقصد الثاني: وظيفة النبي في اليهودية

في البدء قبل التحدث عن وظيفة النبي في اليهودية لا بد من الإشارة إلى أن النبوة في اليهودية ينظر إليها بحسب حجم نبوءات الأنبياء في العهد القديم وليس على أساس أنها اصطفاء إلهي؛ ولذا نجد أن اليهود يقسمون أنبيائهم إلى قسمين هما:

١-الأنبياء الكبار وهم: أشعيا، وأرميا، ودانيال، وحزقيال.

٢-الأنبياء الصغار مثل: هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان...

وهذا التقسيم يستند إلى حجم نبوءاتهم وليس إلى كيفها، فهو تقسيم لا مغزى له؛ لأن أعمال الأنبياء الكبار لا تشكل وحدة، ولأنها تنسب إلى أكثر من مؤلف[30].

وفي الوقت ذاته يدعون أن النبوة في اليهودية بدأت بموسى عليه السلام وانتهت بملاخي أما من كان قبل موسى عليه السلام من أمثال إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، فيسمونهم الآباء أو البطارقة، وهذا يعني أن النبوة في اليهودية أمرها مرتبط بالعرق وليس بالوحي، فكلمة أباء تعني الارتباط بالقدسية الخاصة بالنسل؛ وبهذا تكون النبوة ميراثاً عند اليهود، وبالتالي تفقد الرسالة عالميتها* وتقتصر على نسل شعب إسرائيل وحدهم دون غيرهم.

ولا شك أن هذا التقسيم لا أساس له من الصحة فليس هناك نبي صغير ونبي كبير أو آباء أو بطارقة،بل الأنبياء عليهم السلام في النبوة سواء قد يفضل بعضهم على بعض، كأولي العزم من الرسل، وغير ذلك يحتاج مدعيه إلى دليل[31].

كما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٣

30- انظر المسيري، عبد الوهاب محمد،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، ص١١٣.

* المقصود بعالمية الرسالة هنا عدم اقتصار النبوة على بني إسرائيل وحدهم، بل وجودها في كل الأمم، كما قال تعالى:﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ فاطر: ٢٤، وقوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ الرعد: ٧، أما كون رسالة رسول عالمية لكل الأمم فهذه رسالة نبي الإسلام لا تشاركها فيها رسالة قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ" رواه البخاري ج١/ص١٦٨ /رقم الحديث٤٢٧.

31- صالح، د. سعد الدين السيد،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص٣٢٢-٣٢٣ بتصرف.

وأما بالنسبة للحديث عن وظيفة النبي في اليهودية فيمكن تلخيصها فيما يلي[32]:

١-التكلم نيابة عن الرب(يهوه)أمام الشعب، والتكلم نيابة عن الشعب أمام الله.

كمـــا في خروج ١٦: ١١-١٢ "١١فكلَّمَ الربُّ موسَى قائلاً:١٢"سمعتُ تذمُّرَ بَني إسرائيلَ. كلِّمهُمْ قائلاً: في العَشيَّةِ تأكُلونَ لَحمًا، وفي الصَّباحِ تشبَعونَ خُبزًا، وتعلَمونَ أنِّي أنا الربُّ إلهُكُمْ".

٢-الصلاة والتضرع من أجل الأفراد والجماعات اليهودية.

كما في خروج ٩: ٢٧- ٢٨ "٢٧فأرسَلَ فِرعَونُ ودَعا موسَى وهارونَ وقالَ لهُما:"أخطأتُ هذهِ المَرَّةَ. الربُّ هو البارُّ وأنا وشَعبي الأشرارُ.٢٨صَلِّيا إلَى الربِّ، وكفَى حُدوثُ رُعودِ اللهِ والبَرَدُ، فأُطلِقَكُمْ ولا تعودوا تلبَثونَ".

٣-الإقامة حول المعابد،والارتباط بها، وتلقي الوحي فيها.

كما في صموئيل الثاني ٧ :١٨-٢١ " ١٨فدَخَلَ المَلِكُ داوُدُ وجَلَسَ أمامَ الربِّ وقالَ:"مَنْ أنا يا سيِّدي الربَّ؟ وما هو بَـيتي حتَّـى أوصَـلتَني إلَى ههنا؟ ٢٠وبماذا يَعودُ داوُدُ يُكلِّمُكَ وأنتَ قد عَرَفتَ عَبدَكَ يا سيِّدي الربَّ؟ ٢١فمِنْ أجلِ كلِمَتِكَ وحَسَبَ قَلبِكَ فعَلتَ هذهِ العَظائمَ كُلَّها لتُعَرِّفَ عَبدَكَ" .

٤-إمامـة المـصلين وإلقـاء نبؤاتهم ومواعظهم على الشعب، والإجابة عن استفسارات الوافدين في الأعياد، وأوائل الشهور، وأيام السبت.

كما في عدد ١٤ :٥ -٨ "٥فسَقَطَ موسَى وهارونُ علَى وجهَيهِما أمامَ كُلِّ مَعشَرِ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ.٦ويَشوعُ بنُ نـونَ وكالِبُ بنُ يَفُنَّةَ، مِنَ الذينَ تجَسَّسوا الأرضَ، مَزَّقا ثيابَهُما٧وكلَّما كُلَّ جَماعَةِ بَني إسرائيلَ قائلَينِ:"الأرضُ التي مَرَرنا فيها لنَتَجَسَّسَها الأرضُ جَيِّدَةٌ جِدًّا جِدًّا.٨إنْ سُرَّ بنا الربُّ يُدخِلنا إلَى هذهِ الأرضِ ويُعطينا إيّاها، أرضًا تفيضُ لَبَنًا وعَسَلاً" .

٥-الإنشاد والموسيقى والرقص،فالتغني بالأناشيد بمصاحبة آلات الموسيقى والرقص كان من عمل الأنبياء عند اليهود في عهدهم القديم،ففي أخبار الأيام الأول٢٥: ١-٦ "١وأفرَزَ داوُدُ ورؤَساءُ الجَيشِ للخِدمَةِ بَني آسافَ وهَيمانَ ويَدوثونَ المُتَنَبِّئينَ بالعيدانِ والرَّبابِ والصُّنوجِ. وكانَ عَدَدُهُمْ مِنْ رِجالِ العَمَلِ حَسَبَ خِدمَتِهِمْ.٢مِنْ بَني آسافَ: زَكّورُ ويوسُفُ ونَثَنيا وأشَرئيلَةُ. بَنو آسافَ تحتَ يَدِ آسافَ المُتَنَبِّئِ بَينَ يَدَيِ المَلِكِ.٣مِنْ يَدوثونَ، بَنو يَدوثونَ: جَدَليا وصَرِي ويشعيا

[32]- انظـر المهدي د. حسين محمود أحمد،الأنبياء والملأ دراسة مقارنة من خلال القرآن الكريم والعهدين الجديد والقديم،مراجعة وتقديم أ.د محمد حافظ الشريدة، طولكرم-فلسطين،شركة ابن خلدون للطباعة والنشر، ط١ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٥٠ .

وحَـــشَبيا ومَتَّثـــيا، سِتَّةٌ. تحتَ يَدِ أبيهِمْ يَدوثونَ المُتَنَبِّئِ بالعودِ لأجلِ الحَمدِ والتَّسبيحِ للربِّ.٤مِنْ هَيمانَ: بُقِّيَا ومَتَّنيا وعُـــزِّيئيلُ وشَبوئيلُ ويَريموثُ وحَنَنيا وحَنَاني وإيلياثَةُ وجِدَّلتي ورومَمتي عَزَرُ ويُشبَقاشَةُ ومَلوثي وهوثيرُ ومَحزيوثُ.٥ جميعُ هؤلاءِ بَنو هَيمانَ رائي المَلِكِ بكَلامِ اللهِ لرَفعِ القَرنِ. ورَزَقَ الربُّ هَيمانَ أربَعَةَ عشَرَ ابنًا وثَلاثَ بَنات.٦كُلُّ هؤلاءِ تحتَ يَدِ أبيهِمْ لأجلِ غِناءِ بَيتِ الربِّ بالصُّنوجِ والربابِ والعيدانِ لخِدمَةِ بَيتِ اللهِ، تحتَ يَدِ المَلِكِ ".

مع ضرورة الانتباه إلى تجاوب النبي مع ضمير جيله فهو ينذر ويحذر من الكوارث التي ستقع نتيجة لأعمال اليهود التي تستجلب نقمة الدول الكبرى في زمانهم، وهم وسيلة بيد الساسة اليهود لتخليص الدولة والشعب من الفوضى والتبلبل والتردي والانحلال السياسي والأخلاقي، ولعل هذا يفسر سر كثرة التنبوات عند اليهود في عهدهم القديم[33] .

[33]–انظـــر عبد المجيد، د. محمد بدر،اليهودية، ص٢٥،والسامرك،سعدون محمود،في مقارنة الأديان المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن دراسة أكاديمية،عمان–الأردن،دار وائل للنشر،ط١، ٢٠٠٦م ،ص١٢١، وموسوعة الأديان والمعتقدات القديمة الجزء الثاني العقائد، عمان– الأردن، دار المناهج، ط١ ،٢٠٠٢م، ص١٩٢ .

المقصد الثالث: النبي الحقيقي عند أهل الكتاب

العلامة الحقيقية للنبي عند أهل الكتاب أنه يتكلم كلمة الرب، مهما كانت قاسية على الآذان،لشعوره بالمسؤولية[34].

والتعريف الكامل لكلمة نبي يجب أن يكون:" الشخص الذي يتلقى الإيحاءات أو الرسائل من الله تعالى ويبلغها بأمانة إلى الـــشخص أو الناس المقصودين"، وبالتالي فإن النبوة عند أهل الكتاب تعني تلقي وحي جديد ثم تبليغه بغض النظر عن طبيعته وخصائصه ولا تعني بالضرورة الكشف عن الأحداث الماضية أو المستقبلية[35] .

والنبوة عند أهل الكتاب تكون للصالحين من الرجال والنساء، ومن الأدلة على ذلك ما جاء في أعمال الرسل ١١:٧ " ٧وسمِعتُ صوتًا قائلاً لي: قُم يا بُطرُسُ، اذبَحْ وكُلْ " .
وأعمـــال الرسل ٢١: ٩-١٠" ٩وكانَ لهذا أربَعُ بَناتٍ عَذارَى كُنَّ يتنبَّأنَ. ١٠وبَينَما نَحنُ مُقيمونَ أيّامًا كثيرَةً، انحَدَرَ مِنَ اليَهوديَّةِ نَبيٌّ اسمُهُ أغابوسُ".

ويذهب عبد الأحد داود* بشأن تحديد خصائص ووظيفة النبي الحقيقي إلى ما نصه:"إن دين السلام –أي الإسلام وحده– هو القادر على تحديد خصائص ووظيفة النبي الحقيقي أو الإمام أو أي قائم** بأمر الله في الأرض، إن الله تعالى واحـــد، ودينه واحد، ولا يوجد دين آخر في العالم كالإسلام يتبنى ويدافع عن هذه الوحدانية المطلقة لله تعالى، لذلك

---

[34]– انظر عزيز، الدكتور القس فهايم،علم التفسير،القاهرة–مصر،دار الثقافة المسيحية،ط غير معروفه،سنة نشر غير معروفه، ص٣٩٥ .

[35]– داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شمّا،مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق ،من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص١٢٦ بتصرف.

*عبد الأحد داود هو الكاهن: "بنجامين كلداني" الأستاذ في علم اللاهوت،وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدانيين الموحدة،ولدفي عام ١٨٦٧م في "أورمـــيا" من بلاد فارس وتلقى في صباه تعليمه الابتدائي في تلك المدينة،ومن١٨٨٦–١٨٨٩م كان أحد موظفي التعليم في إرســالية رئـــيس أســـاقفة "كانتسربوري"المبعوثة إلى النصارى الأشوريين"النسطوريين" في أورميا "urmia"،وفي عام ١٨٩٢م أرسله الكاردينال "فوهان"إلى روما حيث تلقى تدريبا منتظما في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية "برو بو غاندا فيد" وفي عام ١٨٩٥م تم ترسيمه كاهنا،وفي عام ١٩٠٠م قام بإلقاء موعظة بعنوان"عصر جديد ورجال جدد" في كاتدرائية "سانت جورج" في "سالماس" فلم يرض عنها أسياد الإرساليات؛ لأنها لم تكن في صالحهم ،فحضر المندوب البابوي "ليزيه" إلى "سالماس" على إثرها لتلطيف الأجواء.
وفي صـــيف ١٩٠٠م عـــزل الكاهن نفسه في منزله الصغير عن الدنيا،ومكث شهرا كاملا يتأمل ويعيد قراءة الكتب المقدسة مرة بعد مرة حـــتى انتهت الأزمة بتقديم استقالته فتخلى عن وظيفته الكهنوتية على الرغم من المحاولات العديدة التي قامت بها السلطات الكنسية لكي تثنـــيه عـــن قـــراره ولكن دون جدوى، ثم زار بريطانيا في عام ١٩٠٣م،وفي عام ١٩٠٤م أرسلته جمعية الموحدين البريطانية الأجنبية إلى فارس؛كي يقوم بمهمة التعليم والتوعية بين مواطنيه و أهله،وفي طريق عودته إلى بلاد فارس،زار مدينة استنبول،وبعد مواجهات عديدة مع الـــشيخ جمـــال الدين أفندي وعلماء آخرين مَنَّ الله تعالى عليه بالدخول في الإسلام حتى أصبح يعرف بعد ذلك بعبد الأحد داود وكتب كتاب محمد في الكتاب المقدس ليبرهن على صحة ورود البشارة به عليه الصلاة والسلام في الكتاب المقدس بالاسم والوصف وينبه القارئ على مواطن تلك الأدلة الجلية والخفية،وسيأتي مزيد بيان ذلك عند الحديث عن البشارات بإذن الله تعالى. انظر ترجمته في داود عبد الأحد . محمـــد في الكـــتاب المقدس. ص٢٥–٢٨،ترجمة فهمي شما،مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق،من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر،الطبعة الأولى، ١٩٨٥م،و داود،الأب عبد الأحد الأشوري العراقي،الإنجيل والصليب،قدم له وعلق عليه محمد علي سلامة،القاهرة–مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٤م، ص١٣–١٤ .

** مرتبة عند الإسماعيلية ويجب التعامل معها بحذر!!

فإن من يضحي بكل مصلحة أخرى ويحب قضية هذا الدين المقدس ويجله*، فإنه هو النبي الحق والمبعوث من قبل الله تعالى بلا مراء، ولكن ثمة شيئا آخر جدير باهتمامنا وهو ما يلي: إذا لم يكن دين الإسلام معيارا ومقياسا نقيس به صدق رسول الله أو القائم بأمره، فإنه ليس هناك من مقياس آخر يفي بذلك الغرض، والمعجزة ليست دائما بالبرهان الكافي؛ لأن المشعوذين أيضا يفعلون العجائب،كما أن تحقق النبوءة أيضا ليس بالبرهان الكافي في حد ذاته؛ لأنه كما أن الروح القدس يكشف عن حادث مستقبلي لنبي صادق، فإن الروح الشريرة تفعل الشيء نفسه بالنسبة للدجال.

ومـــن هنا يتضح أن النبي الذي يتنبأ حول السلام – أي للإسلام باعتباره اسما للعقيدة ومنهجا للحياة–،فور تلقيه الرســـالة مـــن الله تعالى هو الذي أرسله، هكذا الحجة التي اعتمد عليها أرميا، والتي حاول عن طريقها إقناع سامعيه بكذب حنانينا، لكن الملك الشرير وحاشيته لم يستمعوا لكلمة الله و لم ينصاعوا"[36] .

جاء في أرميا٣٨ :١٧-٢٠ما نصه:"١٧فقالَ إرميا لصدقيّا:"هكذا قالَ الربُّ إلَهُ الجُنودِ إلَهُ إسرائيلَ: إنْ كُنتَ تخرُجُ خُـــروجًا إلَى رؤَساءِ مَلِكِ بابِلَ، تحيا نَفسُكَ ولا تُحرَقُ هذه المدينةُ بالنّارِ، بل تحيا أنتَ وبَيتُكَ.١٨ولكن إنْ كُنتَ لا تخـــرُجُ إلَى رؤَساءِ مَلِكِ بابِلَ، تُدفَعُ هذه المدينةُ ليَدِ الكلدانيِّينَ فيُحرِقونَها بالنّارِ، وأنتَ لا تُفلِتُ مِنْ يَدِهِمْ".١٩فقالَ صِـــدقيّا المَلِـــكُ لإرميا:"إنّي أخافُ مِنَ اليَهودِ الّذينَ قد سقَطوا للكلدانيِّينَ لئلا يَدفَعوني ليَدِهِمْ فيَزدَروا بي".٢٠فقالَ إرميا:"لا يَدفَعونَكَ. اسمَعْ لصوتِ الربِّ في ما أُكلِّمُكَ أنا بهِ، فيُحسَنَ إلَيكَ وتَحيا نَفسُكَ" .

ثم يعقـــب عـــبد الأحد داود على ما تقدم بقوله:"يجب أن نلاحظ أنه لا تحقُّق النبوة ولا اجتراح المعجزة كان كافيا لإثبات صدق أي نبي، وأن الولاء والتمسك الشديد بالدين** هو البرهان الأفضل والحاسم في ذلك"[37] .

كما يقرر أن النبي إرميا هو النبي الوحيد قبل المسيح الذي استخدم كلمة "شالوم" بمعنى الدين وليس السلام، وهو النبي الوحيد الذي يستخدم هذه الكلمة بهدف إثبات صدق أحد رسل الله تعالى[38] .

ويـــذهب كذلك إلى أن اسم النبي يعطي الانطباع بأن النبي شخص يتنبأ بأحداث المستقبل والماضي عن طريق الوحي الإلهي،وهذا التعريف لا يصلح إلا بصورة جزئية.

وهناك من سوى بين لفظ النبوة والوحي في المدلول بأنهما:المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما[39] .

---

* تلازم غير دقيق فكثير من الناس يضحي بكل مصلحة أخرى ويحب قضية هذا الدين المقدس ويجله، ومع ذلك فليسوا بأنبياء !!

[36]– داود، عبد الأحد،محمد في الكتاب المقدس، ص ١٣٠-١٣١ .

** فهم خاص به .

[37]– داود، عبد الأحد،محمد في الكتاب المقدس، ص ١٣١ .

[38]– داود، عبد الأحد،محمد في الكتاب المقدس، ص١٢٩ .

[39]– سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة،ترجمة وتقديم د.حسن حنفي،القاهرة–مصر،مكتبة النافذة،ط٣ ،٢٠٠٥م ،ص١٢٣ .

المقصد الرابع: فوائد بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام في اليهودية

ذكر ابن كمونة* في تنقيح الأبحاث خمس عشرة فائدة لبعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام في اليهودية وهي ما يلي:

١-ليبين النبي لنا ما يراد منّا من العبادات، ما هي وكم هي ...

٢-أن الإنسان قد رُكب تركيب سهو وغفلة وسلط عليه الهوى والشهوات، فالبعثة إمداد له بمن إذا سهى نبهه وإذا مال به الهوى منعه، ولو ترك مع نفسه وهواه، لكان ذلك إغراء له على تلك القبائح.

٣-إنا وإن كنّا بعقولنا نعلم حسن الإيمان وعمل الصالحات وقبح الكفر وعمل الفواحش، لكنّا لا نعلم بعقولنا استحقاق العقاب العظيم في الآخرة على المستقبح، والثواب على المستحسن، ولا سيما ونحن نعلم أن لنا في فعل القبح لذة عاجلة وليس لله فيه مضرة، وبالبعثة تندفع هذه الأعذار.

٤-إنّا لا نعلم بعقولنا من صفات الله تعالى إلا الصفات التي نستدل عليها من أفعاله أما سائر صفاته فلا طرق إلى معرفتها إلا بخبر النبوة.

٥-أنه لولا البعثة لبقي المكلّف خائفا وعند البعثة يزول الخوف.

٦-أنه قد يكون الشيء مستقبحا عندنا، ولا يكون مستقبحا في نفس الأمر. فبالبعثة يفرق بين الأمرين.

٧-أن الأشياء المخلوقة منها غذاء ومنها دواء، ومنها سمّ، والتجربة لا تفي بمعرفتها إلا بعد الأدوار العظيمة، ومع ذلك ففعلها خطر على الأكثر وفي البعثة فائدة معرفة طبائعها ومنافعها من غير ضرر ولا خطر.

٨-أن من الأحكام النجومية ما لا يقع إلا في مدد متطاولة، والتجربة يعتبر فيها التكرار والأعمار البشرية لا تفي بضبط أدوار الكواكب-فلا بد من بعثة الأنبياء عليه السلام لرفع الحرج عن البشر- .

٩-الهداية إلى الصناعات النافعة التي لا يُهتدي إليها بمجرد العقل، وكل واحد يتعلمها من الآخر، وفي أول الأمر عُلمت من طريق النبوة**.

---

* ابن كمونة: سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله ابن كمونة: كيميائي، له اشتغال بالمنطق والحكمة، من أهل بغداد وفاته بالحلة ١٢٨٤م، من كتبه (تذكرة في الكيمياء) و (شرح تلويحات السهروردي) (الجديد في الحكمة) و (تنقيح الأبحاث في البحث عن الملل الثلاث). انظر الزركلي، خير الدين،الأعلام،بيروت-لبنان،دار العلم للملايين،ط١٠ ،١٩٩٢م، ج٣ ص١٠٢-١٠٣ .

** ولعل من تلك الصناعات ما أشارت إليه الآية الكريمة بحق داود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ الأنبياء: ٨٠ .

١٠-أنه لابد في حسن المعيشة من علم الأخلاق والسياسات المترلية والمدنية، فلا بد من البعثة لتعليمها.

١١-أن الإنسان مدني بالطبع، واحتياج بعضهم إلى بعض مظنة التنازع المفضي إلى التقاتل، فلا بد من شريعة يفرضها شارع هو النبي*.

١٢-لو فوض كيفية التشريع إلى الخلق فربما أتت كلُّ طائفة بوضع خاص فلا يكاد يتطابق أهل مدينة واحدة على شرع،فربما أفضى ذلك إلى الفتن، ووضع شريعة واحدة للأمة يقضي على ذلك التنازع.

١٣- ما يفعله الإنسان بمقتضى عقله يكون كالفعل المعتاد، والعادة لاتكون عبادة .

وأما الذي يأمر به من كان معظما في قلبه، ولا يكون واقفا على سببه،كان إتيانه على محض العبادة، ولعل ذلك من جملة فوائد الأمر بالأفعال الغريبة في العبادات.

١٤-أن العقول متفاوتة والكامل نادر، والأسرار الإلهية عزيزة جدا، فلا بد من بعثة الأنبياء** وإنزال الكتب ليصير كل مستعد إلى منتهى كماله الممكن بحسب شخصه.

١٥-أن كـــل جنس تحته أنواع،ومن بين تلك الأنواع نوع واحد هو أكملها، وكذا الأنواع بالنسبة إلى الأصناف، والأصناف بالنسبة للأشخاص، والأشخاص بالنسبة إلى الأعضاء فاشرف الأعضاء ورئيسها القلب، وخليفته الدماغ، ومـــنه تنـــبث القوى على جميع جوانب البدن،فكذا الإنسان لا بد فيه من رئيس، والرئيس إما أن يكون حكمه على الظاهر فقط،وهو السلطان، أو على الباطن فحسب وهو العالم، أو عليهما معا وهو النبي أو من يقوم في زمانه أو بعده، فالنبي يكون كالقلب والعالم وخليفته كالدماغ، وكما أن القوى المدركة إنما تفيض من الدماغ على الأعضاء، فكذلك قوة البيان والتعليم إنما تفيض بواسطة خليقته على جميع أهل العلم[40] .

ويـــذهب ابـــن كمـــونه إلى أن النبوة طور آخر وراء العقل تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المـــستقبل وما قد كان في الماضي وأمورا أُخر العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن مدركات العقل وعزل قوى

* هـــذا تضليل من ابن كمونة فالنبي مبلغ للوحي الذي يوحيه له الله عز وجل وليس مشرعا من ذاته . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾ النجم: ٣ - ٤ .

** هذا القول من ابن كمونة مشعر بوجوب النبوة على الله تعالى !!

40- ابـــن كمونة، سعد بن منصور ت ٦٨٣هـــ، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام،القاهرة- مصر،توزيع دار الأنصار،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص١٥-١٨بتصرف .

الإحساس عن مدركات التمييز، ولهذا يأبى بعض العقلاء مدركات النبوة ويستبعدها وما ذاك إلا طور لم يبلغه و لم يوجد في حقه فظن أنه غير موجود في نفس الأمر.

وللنبوة عند ابن كمونة خواص ثلاثة هي:

الأولى: خاصية قوة النفس وجوهرها لتؤثر في مادة العالم وفي نفوس أخرى بإزالة صورة وإيجاد غيرها وتبديل عرض بآخر.

الثانية: في القوة النظرية بأن تصفو نفسه صفاء بحيث تكون شديدة الاستعداد لقبول العلوم من مفضيها وواهبها فتنكشف له المعقولات في زمان قصير من غير تعلم من أبناء نوعه.

الثالثة: أن يطلع على المغيبات في حالتي النوم واليقظة اطلاعا لا يشك فيه بوجه، ولا يخالطه في الحكم بصحة وقوع ما أدركه ظن أو وهم وحتى لوكان ادراكه له في حالة النوم، بخلاف حال غيره في مناماته الصادقة فإنه لا يتقن ما رآه أو ما عبر ما رآه به[41] .

ويضيف ابن كمونه بأن من الأنبياء من يجتمع له هذه الثلاث، ومنهم من لا يوجد له خاصيتان منها، ومنهم من تكون له واحدة فقط، وقد لاتكون تلك الواحدة إلا مجرد رؤيا، وقد يكون له من كل واحدة شيء ضعيف، وقد تتفاوت مراتبهم في ذلك تفاوتا لا ينحصر لنا، فهذا هو حقيقة النبوة وماهيتها.

ويقال نبي ورسول لمن يؤدي أخبارا عن الله تعالى من غير أن يكون بينه وبينه واسطة آدمي، وقد تطلق لفظة النبي وكذا الرسول على معنى هو أخص من ذلك وهو أنه المخاطب من جهة الله تعالى لإصلاح نوع البشر، وهذا إنما يصدق على نبي مبعوث بشريعة عامة، وما كل نبي كذلك[42] .

---

[41]- ابن كمونة سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث ص٢-٣،وانظر ابن سينا، الإشارات والتنبيهات،القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ،سنة النشر غير معروفة،القسم الثالث،ص٩٠٠ ، والشهرستاني،محمد عبد الكريم، الملل والنحل،بيروت-لبنان،دار الفكر،ط غير معروفة، سنة النشر غير معروفة،ص٤٨٥ .

[42]- ابن كمونة سعد بن منصور، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص ٣ .

وينقل ابن ميمون* آراء الناس في النبوة ويلخصها في ثلاثة أراء هي[43]:

الرأي الأول: وهو رأي جمهور الجاهلية ممن يصدق بالنبوة ويعتقده بعض عوام اليهود أيضا، وهو أن الله تعالى يختار من يشاء من الناس فينبئه ويبعثه. لا فرق أن يكون ذلك الشخص عندهم عالما أو جاهلا،كبير السن أو صغير السن، لكـــنهم يـــشترطون فـــيه أيضا خيرية ما، وصلاحية أخلاق؛ لأن الناس إلى هذه الغاية ما قالوا إنه قد ينبئ الله رجلا شريرا،إلا بأن يَرُدَّه خيّرا أولا بحسب هذا الرأي .

الرأي الثاني: رأي الفلاسفة وهو أن النبوة كمال ما في طبيعة الإنسان.

وذلك الكمال لا يحصل للشخص من الناس إلا بعد ارتياض يخرج ما في قوة النوع إلى الفعل إن لم يعق عن ذلك عائق مزاجـــي،أو سبب ما من خارج كحكم كل كمال يمكن وجوده في نوع ما، فإنه لا يصح وجود ذلك الكمال على غايته ونهايته في كل شخص من اشخاص ذلك النوع بل في شخص ما.

ولا بـــد ضرورة وإن كان ذلك الكمال مما يحتاج في حصوله لِمُخرج، فلا بد من مُخرج، وبحسب هذا الرأي لا يمكن أن يتنبأ الجاهل ولا يكون الإنسان غير نبي ويصبح نبيا كمن يجد وجده، بل يكون الأمر هكذا ذلك أن الشخص الفاضل الكامل في نطقياته وخلقياته، إذا كانت قوته المتخيلة على أكمل ما تكون وتهيأ التهيؤ الذي ستسمعه، فإنه يتنبأ ضرورة، إذ هذا كمال هو لنا بالطبع ولا يصح بحسب هذا الرأي أن يكون شخص يصلح للنبوة، ويتهيأ لها ولا يتنبأ إلا ما يصح أن يغتذي شخص صحيح المزاج بغذاء محمود، فلا يتولد من ذلك الغذاء دم جيد، وما أشبه هذا .

وبحسب هذا المذهب؛ أن من أخذ بأسباب النبوة من التهيوء والإرتياض فلا بد أن يتنبأ ضرورة، فعلى هذا الرأي تكون النبوة مكتسبة وليست اصطفاءً ربانيا، وهذا ظاهر البطلان .

---

*هـــو موسى بن ميمون بن يوسف الأندلسي ولد في عام١١٣٥م بقرطبة وهو طبيب فيلسوف يهودي، ولد وتعلم في قرطبة، وتنقل مع أبيه في مدن الأندلس، وتظاهر بالإسلام ودخل مصر، فعاد إلى يهوديته، وأقام في القاهرة ٣٧ عاما كان فيها رئيسا روحيا لليهود ،توفي في عـــام ١٢٠٤م بالقاهـــرة،ثم نقـــل رفاته إلى طبرية بعد ذلك،وهو يعتبر أكبر فيلسوف يهودي ظهر في القرون الوسطى له تصانيف كثيرة بالعربية والعبرية،وقد حاول التوفيق بين الدين وأحكامه،وبين الفلسفة اليونانية وتقريراتها فإذا اختلف الدين والعقل عنده وجب تأويل النص تأويلا مجازيا،وفي نظره أن روايات الكتاب المقدس تدل على معاني رمزية بخلاف سبينوزا الذي عارضه بتفسيره الموضوعي التاريخي النقدي للكـــتاب المقدس في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة. انظر كتابه دلالة الحائرين،ص٢٣،والزركلي خير الدين،الأعلام ج٧ ص٣٢٩-٣٣٠، فـــتاح،د.عـــرفان عبد الحميد،اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عمان-الأردن،دار عمار،ط١ ،١٤١٧هـــ-١٩٩٧م،ص٦٥-٦٦ ، سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة،ص١٣٠ هامش رقم١٤ .

[43]- انظـــر ابن ميمون، موسى ١١٣٥-١٢٠٥م، دلالة الحائرين،تقديم حسين آتاي، القاهرة-مصر،مكتبة الثقافة الدينية،سنة النشر غير معروفة، ص٣٨٩ .

الـــرأي الـــثالث: وهو رأي ابن ميمون الذي يمثل وجهة نظر شريعته وقاعدة مذهب اليهود، وهو مثل هذا الرأي الفلـــسفي الـــسابق بعينه إلا في شيء واحد وذلك أنه يعتقد أن الذي يصلح للنبوة وهو المتهيئ لها قد لا يتنبأ، وذلك مرتبط بحسب المشيئة الإلهية، وهذا عند ابن ميمون هو شبه المعجزات كلها وجار في نسقها، فإن الأمر الطبيعي أن كل ما يصلح بحسب جبلته وارتاض بحسب تربيته وتعليمه، أنه سيتنبأ[44] .

وينتهـــي ابن ميمون إلى قاعدة في النبوة : أنه لا بد من التهيؤ والكمال في الخلقيات والنطقيات فالنبوة تستند على الحكـــيم والقـــوي والغـــني وأن الله ينبئ من يشاء متى شاء لكن للكامل الفاضل في الغاية وأنه لا بد من الارتياض والكمال، وحينئذ يكون الإمكان الذي تتعلق به قدرة الإله فلا يحصل على درجة النبوة إلا من يصلح لها والنبوة على مراتب أيضا فهارون دون موسى في النبوة [45] .

وحقيقة النبوة وماهيتها عند ابن ميمون هي فيض يفيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعال على القوة الناطقة أولا ثم على القوة المتخيلة بعد ذلك، وهذه أعلى مرتبة الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه وتلك الحالة هي غاية القوى المتخيلة ،وهذا أمر لا يمكن في كل إنسان بوجه ،ولا هو أمر يصل إليه بالكمال في العلوم النظرية، وتحسين الأخلاق حتى تكون كلها على أحسن ما يكون وأجمله دون أن ينضاف إلى ذلك كمال القوة المتخيلة في أصل الجبلة على غاية ما يمكن، وأعظم فعل للقوة المتخيلة عند سكون الحواس وتعطلها عن أفعالها، حينئذ يفيض عليها فيض* ما بحسب التهيؤ هو السبب الكافي في المنامات الصادقة، وهو بعينه سبب النبوة وإنما يختلف بالأكثر والأقل لا بالنوع[46] .

ويخلـــص ابن ميمون إلى أن :فعل القوة المتخيلة في حال النوم هو فعلها في حال النبوة، إلا أن فيها تقصيرا و لم تصل غايـــتها،فلا بد من كمال القوة الناطقة بالتعلم، وكمال القوة الناطقة بالجبلة، وكمال الخُلق بتعطيل الفكرة في جميع اللذات البدنية، وإزالة الشوق لأنواع التعظيمات الجاهلية الشريرة وبهذا يكون تفاضل درجات الأنبياء كلهم، ويرى أن الأنبياء تعطلت نبوتهم عند الحزن أو الغضب ونحوهما واستدل على ذلك بأن يعقوب عليه السلام لم يأته وحي طوال

---

[44] انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٣٨٩ .

[45] - انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٣٩٠-٣٩٢ .

*انظـــر الـــزيبي، د محمـــد عبد الرحيم،مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام: الفصل السادس النبوة والفيض،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،سنة النشر غير معروفة، ص٢٧٧-٣١٨ .

[46] - انظر ابن ميمون موسى، دلالة الحائرين، ص٤٠٠-٤٠١ .

أيام حزنه لاشتغال قوته المتخيلة بفقد يوسف عليه السلام، فالنبوة ترتفع وتتعطل في حالة الكسل أو الحزن[47] واستدل علـى ذلك ما جاء في عاموس ٨: ١٢ :" ١٢فَيَجولونَ مِنْ بحرٍ إِلَى بحرٍ، ومِنَ الشّمالِ إِلَى المَشرِقِ، يتطَوَّحونَ لِيَطلُبوا كلِمَةَ الربِّ فلا يَجِدونَها."

ويذهب ابن ميمون إلى أنه :"لابد من ارتفاع النبوة من سائر النبيين قبل موته إما بمده يسيرة أو كبيرة"، واستدل على ذلك بما ورد في صموئيل الثاني ٢٣: ١ "١فهذِهِ هي كلِماتُ داوُدَ الأخيرَةُ"

وعقب على ذلك بقوله:" وهو القياس في الكل"[48] .

وكذلك استدل على أن النبوة ترتفع قبل موت النبي بما ورد في إرميا بقوله:"لكي يتم ما تكلم به الرب من فم إرميا" وهو في عزرا، ١:١، بنص"في السَّنةِ الأُولى لِكُورُشَ مَلِكِ الفُرسِ شاءَ الرّبُّ أنْ يَتمَّ ما تكلّمَ بهِ على لِسانِ إرمِيا،"

ومهما يكن من أمر فإن من الأمور البارزة في معالم النبوة في اليهودية دورانها في فلك الملك والملوك ولو كان ذلك على حساب التوحيد وتبليغ الدين، فالسجود للبشر ومصانعتهم سمة أنبياء بني إسرائيل الظاهرة في توراتهم.

ففـي الملوك الأول ١ :٢٣- ٢٤ "٢٣فأخبَروا المَلِكَ قائلينَ:"هوذا ناثانُ النَّبيُّ". فدَخَلَ إلى أمامِ المَلِكِ وسجَدَ للمَلِكِ علَـى وجهِـهِ إلَـى الأرضِ.٢٤وقالَ ناثانُ:"يا سيِّدي المَلِكَ، أأنتَ قُلتَ: إنَّ أدونيّا يَملِكُ بَعدي وهو يَجلِسُ علَى كُرسيِّي؟" ، ومن معالم النبوة عند اليهود التعري من أجل التنبؤ فلا مقام للعصمة عند اليهود لأنبيائهم .

ففي صموئيل الأول١٩: ٢٤" ٢٤فخَلَعَ هو أيضًا ثيابَهُ وتنَبّأَ هو أيضًا أمامَ صَموئيلَ، وانطَرَحَ عُريانًا ذلكَ النَّهارَ كُلَّهُ وكُلَّ اللّيلِ. لذلكَ يقولونَ: "أشاوُلُ أيضًا بَينَ الأنبياءِ؟". فهذا الاستفهام يشعر باحتقار وظيفة النبي عندهم[49] .

وكذلك تقرير التوراة عن ظهور من تنبأ من النساء الكذبة اللواتي يخفن رجال الملك في بني إسرائيل ففي نحميا ٦ :١٤" ١٤اذكُرْ يا إلَهي طوبيّا وسَنبَلّطَ حَسَبَ أعمالِهِما هذِهِ، ونوعَدْيَةَ النَّبيَّةَ وباقيَ الأنبياءِ الذينَ يُخيفونَني" .

ومـن الملاحظ أن فكرة النبوة في بني إسرائيل قد بدأت تتأثر بالملك بشكل واضح في زمن صموئيل حيث ظهرت صـفات جديدة للنبي عند اليهود، وهي صفات زعامة سياسية ودينية، وإن كانت لا تسعى إلى تسلم مقاليد الحكم رسميا، بل تبقى لتدير هذا الحكم من وراء الستار، بينما الحاكم ملك يجلس على عرشه، ويبايعه رعاياه بأمر من ذلك

---

[47]- ابن ميمون موسى، دلالة الحائرين، ص٤٠١-٤٠٥ بتصرف .

[48]- - ابن ميمون موسى، دلالة الحائرين، ص٤٣٣ .

[49]- انظر: فوس جرهاردوش، علم اللاهوت الكتابي، ص٣١٨-٣١٩ .

النبي عند اليهود، فصموئيل لم يكن من سبط اللاويين المختص بالسلطة الدينية عند اليهود بل كان من إفرايم، وبناء على ذلك فإنه وجد طريق الزعامة الدينية التقليدية موصدة في وجهه، وأما الملك فإنه يحتاج إلى بطولة في الحرب والقتال، وإلى عشيرة كثيرة العدد كثيرة المال مرهوبة الجانب، وكل ذلك لم يكن ميسورا لصموئيل أيضا، ولذلك كان المنطلق الوحيد لطموحه ولمواهبه القيادية هو الانتفاع بأفكار سامية قديمة تدور حول مفهوم النبي، فقد طوّر هو هذا المفهوم، وخط لنفسه في النبوة مسلكا مبتكرا بلغ به ما يريده لنفسه ولقومه، وأصبح تقليدا من بعده عند بني إسرائيل فانتقل من صفة القاضي إلى صفة النبي واختار شاؤل ليكون ملكا على بني إسرائيل والذي يعتبره اليهود مخلصا نبيا وبذلك تكون قد ارتدّت مملكة الرب عند اليهود شكلا جديدا باعتبار شاؤل على صورة المسيح المخلص[50] .

---

[50]- ظاظا،د.حسن ،الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه،دمشق-دار القلم،بيروت-دار العلوم،ط٢ ،١٩٨٧م، ص٣٥-٣٦ بتصرف. وانظر الغندور، نبيل أنسي،(نقله عن العبرية)،المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية،القاهرة -مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٧م، ص٦٠ ، وهي في الأصل مقالة بعنوان شاؤل على صورة المسيح المخلص، بقلم يهودا كيل،سفر صموئيل الأول،خواطر في المقرا والتعليم،وزارة التعليم،إدارة التعليم الديني،١٩٩٦م .

المقصد الخامس: مراتب النبوة في اليهودية

للنبوة مراتب كثيرة في الديانة اليهودية يمكن أن نجملها فيما يلي[51] :

المرتبة الأولى:أن تصحب الشخص معونة إلهية تحركه وتنشطه لعمل صالح عظيم ذي قدرة، ولذلك تحرك موسى عليه السلام لقتل المصري ولردع الخاطئ من المتشاجرين*، ومن شدة هذه القوة فيه حتى أنه بعد خوفه وهربه عند وصوله مدين، وهو غريب خائف لما رأى شيئا من الظلم لم يتمالك عن إزالته، ولا وسعه الصبر عليه كما جاء في الخروج٢: ١٧ " ١٧فأتى الرُّعاةُ وطَرَدوهُنَّ. فنَهَضَ موسَى وأنجَدَهُنَّ وسقَى غَنَمَهُنَّ" .

المرتبة الثانية:هي أن يجد الشخص كأن أمرا ما حلّ فيه وقوة أخرى طرأت عليه فتنطقه، فيتكلم بحكم أو بتسبيح، أو بأقاويل عظيمة نافعة، أو بأمور تدبيرية أو إلهية.

وهذا كله في حال اليقظة وتصرف الحواس على معتادها، وهذا هو الذي يقال عنه مدبر بروح القدس، وبهذا النحو من الروح القدس ألف داود المزامير**، وألف سليمان الأمثال ...

المرتبة الثالثة:وهي أول مراتب من يقول:إن كلام الرب صار إليّ وما نحا من العبارات نحو هذا المعنى هو أن يرى النبي مـــثالا في الحلـــم وفي نفس ذلك الحلم للنبوة يبين له معنى ذلك المثل أي شيء أريد به مثل أكثر أمثال زكريا كلها، ومعظم نبوة الأنبياء بالأمثال[52] .

المرتبة الرابعة:أن يسمع كلاما في الحلم للنبوة مشروحا مبيّنا ولا يرى قائله، كما اعترى صموئيل في أول وحيه .

المرتبة الخامسة:هي أن يكلمه شخص في الحلم،كما قال في بعض نبوات حزقيال٤٠: ٤

"٤فقـــالَ لي الرَّجُلُ:"يا ابنَ آدَمَ، انظُرْ بعَينَيكَ واسمَعْ بأُذُنَيكَ واجعَلْ قَلبَكَ إلَى كُلِّ ما أُريكَهُ، لأنَّهُ لأجلِ إراءَتِكَ أُتيَ بكَ إلَى هنا. أخبِرْ بَيتَ إسرائيلَ بكُلِّ ما ترَى".

---

[51]- انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٣٣-٤٤١ .

* موسى عليه السلام لم يكلف بالنبوة حينها، و لم يتعمد القتل ،فهذا استدلال غير صحيح من ابن ميمون!!

**في الإسلام يقول الله تعالى في كتابه العزيز :﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ الإسراء: ٥٥، فالزبور ليس من تأليف داود عليه السلام وإنما تلقاه بوحي من الله تعالى، وكذلك الأمر بالنسبة لنبي الله تعالى سليمان فإن ما يتلقاه من الله وحي بكل تأكيد، وليس من تأليفه كما زعمت يهود .

[52]- انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٤٨ .

المرتبة السادسة: أن يكلمه ملاك في الحلم، وهذه حالة أكثر النبيين، كقوله في تكوين٣١: ١١، : "١١وقالَ لي مَلاكُ اللهِ في الحُلمِ: يا يعقوب. فقُلتُ: هأنذا.."

المـــرتبة الـــسابعة:أن يـــرى في الحلم للنبوة كأنه تعالى يكلمه، كما في اشعياء٦:٨-١٠ "٨ثُمَّ سمِعتُ صوتَ السَّيِّدِ قائلاً:"مَنْ أُرسِلُ؟ ومَنْ يَذهَبُ مِنْ أجلِنا؟" فقُلتُ: "هَأنَذا أرسِلني".٩فقالَ:"اذهَبْ وقُلْ لهذا الشَّعبِ: اسمَعوا سمعًا ولا تفهَمـــوا، وأبصِروا إبصارًا ولا تعرِفوا.١٠غَلِّظْ قَلبَ هذا الشَّعبِ وثَقِّلْ أُذُنَيهِ واطمُسْ عَينَيهِ، لِئلا يُبصِرَ بعَينَيهِ ويَسمَعَ بأُذُنَيهِ ويَفهَمَ بقَلبِهِ، ويَرجِعَ فيُشفَى".

المـــرتبة الثامنة: أن يأتيه وحي بمرأى النبوة ويرى أمثالا،كإبراهيم بمرأى بيّن القطع لأن تلك الأمثال كانت في الرؤيا نهـــارا وذلـــك في تكوين ١٥: ٧-٨ "٧وقالَ لهُ:"أنا الرّبُّ الّذي أخرَجَكَ مِنْ أورِ الكَلدانيِّينَ ليُعطيَكَ هذِهِ الأرضَ لتَرِثَها".٨فقالَ:"أيُّها السَّيِّدُ الرّبُّ، بماذا أعلَمُ أنّي أرِثُها؟".

وهذه المرتبة يميل لتفسيرها ابن ميمون "بسبات النبوة" الذي ينجم عنه اتصالات عقلية(رؤيا) يحصل من خلالها أمور علمية شبه التي تحصل عن النظر[53] .

المسرتبة التاسعة:أن يسمع كلاما في الرؤيا،كما جاء في تكوين ١٥: ١- ٤ "١بَعدَ هذِهِ الأُمورِ صارَ كلامُ الرّبِّ إلى أبـــرامَ في الرّؤيا قائلاً: "لا تخَفْ يا أبرامُ. أنا تُرسٌ لكَ. أجرُكَ كثيرٌ جِدًّا".٢فقالَ أبرامُ:"أيُّها السَّيِّدُ الرّبُّ، ماذا تُعطيني وأنا ماضٍ عَقيمًا، ومالِكُ بَيتي هو أليعازَرُ الدِّمَشقيُّ؟".٣وقالَ أبرامُ أيضًا:"إنَّكَ لم تُعطِني نَسلاً، وهوذا ابنُ بَيتي وارِثٌ لي".٤فإذا كلامُ الرّبِّ إليهِ قائلاً:"لا يَرِثُكَ هذا، بل الّذي يَخرُجُ مِنْ أحشائكَ هو يَرِثُكَ".

في عهد إبراهيم مع الله في الرؤيا على حسب استشهاد ابن ميمون بما تحته خط من النص السابق[54] .

---

[53]-انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٤٢ .

[54]- انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٤١ .

المرتبة العاشرة: أن يرى شخصا يكلمه في مرأى النبوة، كإبراهيم أيضا في بطم ممرا.

و لم يذكـــر ابن ميمون نصه، وهو في تكوين ١٨: ١-٢ "١وظَهَرَ لهُ الربُّ* عندَ بَلّوطاتِ مَمرا وهو جالسٌ في بابِ الخَيمَةِ وقتَ حَرِّ النَّهارِ٢فرَفَعَ عَينَيهِ ونَظَرَ وإذا ثَلاثَةُ رِجالٍ واقِفونَ لَدَيهِ. فلَمّا نَظَرَ رَكَضَ لاستِقبالِهِمْ مِنْ بابِ الخَيمَةِ وسجَدَ إلَى الأرضِ".
فهذه المرتبة لا تعليق لابن ميمون عليها[55] .

المـــرتبة الحادية عشرة:أن يرى ملكا يكلمه في الرؤيا، كإبراهيم في وقت إعطاء الميثاق، وهذه عند ابن ميمون أعلى مراتب النبيين الذين شددت الكتب بما لهم بعد تقرير ما تقرر من كمال نطقيات الشخص على ما يوجبه النظر، وبعد الاستثناء بسيدنا موسى عليه السلام[56] .

ومع هذه المراتب للنبي إلا أن ابن ميمون له منحى آخر مع موسى عليه السلام، فوصف النبوة عنده إنما هو مقول على موسى عليه السلام، وعلى غيره بتشكيك، وكذلك الحال عنده في معجزاته، ومعجزات من سواه، فإن معجزاته ليست من قبيل معجزات سائر النبيين .

حيث ذكر ابن ميمون ما نصه:" إن اسم نبي إنما هو عندي مقول على موسى وعلى من سواه بتشكيك، وكذلك أيضا الحال عندي في معجزاته، ومعجزات من سواه، فإن معجزاته ليست من قبيل معجزات سائر النبيين"[57] .

وذكر الدليل على ذلك من سفر الخروج ٦: ٣ " ٣وأنا ظَهَرتُ لإبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ بأنّي الإلَهُ القادِرُ علَى كُلِّ شَـــيءٍ. وأمّا باسمي "يَهوهْ" فلم أُعرَفْ عِندَهُمْ."، وعند ابن ميمون النص " فلم أعلنه لهم"وعقب عليه :فقد أعلمنا أن ادراكه ليس كإدراك الآباء بل أعظم. ناهيك إدراك غيرهم ممن تقدم.

---

*هـــذا مخالف لما جاء به صريح القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى:﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٣ ، ولقد غالى اليهود حتى في ظهور وتجلي وإتيان الله تعالى لغير الأنبياء بلا وساطة الوحي – سبحانه وتعالى علوا كبيرا عما يفترون–، ففي عدد٢٢ :٩"٩فأتَى اللهُ إلَى بَلعامَ وقالَ:"مَنْ هُم هؤلاءِ الرِّجالُ الذينَ عِندَكَ؟".انظر خبر حبير العرافة بلعام في عدد٢٢ :٢١ –٣٥ ، وتفاصيل أخباره في، نعيم،القس محسن،نبوات ورؤى النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسة في النصوص النبوية والرؤية في الكتاب المقدس،القاهرة–مصر،دار الثقافة،ط١ ،٢٠٠٥م،ص١٣٤–١٣٨ .

[55]– انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٤١ .

[56]– انظر ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٣٣–٤٤١ .

[57]– ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٣٩٨ .

أما مباينتها–أي مغايرتها– لنبوة كل من يتأخر فهو قوله على جهة الإخبار في سفر التثنية٣٤ :١٠ "١٠ولم يَقُمْ بَعدُ نَبيٌّ في إسرائيلَ مِثلُ موسَى الذي عَرَفَهُ الربُّ وجهًا لوَجهٍ" .

فقد بين أن إدراكه* مباين لإدراك كل من يتأخر بعده في إسرائيل الذين هم مملكة الأحبار والشعب المقدس ناهيك في سائر الملل.

أما مباينة معجزاته على العموم لمعجزات كل نبي على العموم، فإن جميع المعجزات التي فعلتها الأنبياء** أو فعلت لها، أخبر بها آحاد من الناس مثل آيات إيلياهو واليشاع ألا ترى ملك إسرائيل يستفتيهم عنها ويسأل جيحزى أن يخبره بها كمـــا قال في الملوك الثاني ٨: ٤–٥ " ٤وكلَّمَ المَلِكُ جيحزيَ غُلامَ رَجُلِ اللهِ قائلاً:"قُصَّ عليَّ جميعَ العَظائمِ التي فعَلَها أليـــشَعُ".٥وفـــيما هو يَقُصُّ علَى المَلِكِ كيفَ أنَّهُ أحيا المَيتَ، إذا بالمَرأةِ التي أحيا ابنَها تصرُخُ إلَى المَلِكِ لأجلِ بَيتِها ولأجلِ حَقلِها. فقالَ جيحزي: "ياسيِّدي المَلِكَ، هذِهِ هي المَرأةُ وهذا هو ابنُها الذي أحياهُ أليشَعُ".

وهكـــذا آيـــات كل نبي إلا موسى،ولذلك بين الكتاب فيه على جهة الإخبار أيضا، أنه لا يقوم نبي أبدا يعمل آيات بالاشهار أمام المؤالف له والمخالف عليه، كما صنع موسى وهو قوله في سفر التثنية٣٤ : ١٠–١٢ "١٠ولم يَقُمْ بَعدُ نَبيٌّ في إسرائيلَ مِثلُ موسَى الذي عَرَفَهُ الربُّ وجهًا لوَجهٍ ،١١في جميعِ الآياتِ والعَجائبِ التي أرسَلَهُ الربُّ ليَعمَلها في أرضِ مِـــصرَ بفِرعَونَ وبجميعِ عَبيدِهِ وكُلِّ أرضِهِ،١٢وفي كُلِّ اليَدِ الشَّديدَةِ وكُلِّ المَخاوِفِ العظيمَةِ التي صَنَعَها موسَى أمامَ أعيُنِ جميعِ إسرائيلَ" .

لأنـــه ربط هنا وقيَّد المعنيين جميعا، أنه لا يقوم من يدرك كإدراكه، ولا من يعمل كأعماله. ثم بين أن تلك الآيات كانت أمام فرعون وأمام كل عبيده، وكل بلاده المخالفين عليه،وكانت أيضا بمحضر كل بني إسرائيل التابعين له على عيون جميع بني إسرائيل، وهذا شيء ما وجد لنبي قبله، وقد تقدم إخباره الصادق أنه لا يكون لغيره ذلك، ويخلص ابن مـــيمون إلى أن غـــرابة إدراك المعجزات،كغـــرابة تلك الأفعال التي حصلت لموسى عليه السلام، ومراتب الأنبياء في المعجزات والنبوة بعد رتبة موسى عليه السلام فيها[58] .

* النبوة لا تحصل بقوة الإدراك فهي اصطفاء رباني، وليست اكتسابا بشريا .

** المعجزة تظهر بإذن الله تعالى على أيدي الأنبياء والمرسلين لا كما زعم ابن ميمون .

[58]– ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٣٩٨–٤٠٠ بتصرف .

وقد ذكر ابن كمونه عشر مراتب للنبوة بترتيب غير ترتيب ابن ميمون **وهي**:

المرتبة الأولى:هي أن يرى النبي مثالا في المنام، ويتبين له معناه وأي شيء أريد به في نفس ذلك المثال.

المرتبة الثانية:أن يسمع كلاما في المنام، مشروحا، بينا، ولا يرى قائله .

المرتبة الثالثة:أن يكلمه إنسان في المنام كذلك.

المرتبة الرابعة: أن يكلمه ملك في المنام.

المرتبة الخامسة:أن يرى في المنام كأن الله يخاطبه .

المرتبة السادسة: أن يأتيه وحي في اليقظة ويرى أمثالا.

المرتبة السابعة:أن يسمع كلاما في اليقظة .

المرتبة الثامنة:أن يرى في اليقظة كأن إنسانا يخاطبه .

المرتبة التاسعة:أن يرى ملكا يخاطبه في اليقظة.

المرتبة العاشرة:أن يرى أن الله تعالى يخاطبه في حال اليقظة[59] .

و ابن كمونة قد سار إلى تنقيح مراتب النبوة التي ذكرها ابن ميمون ،فعمل على إخراجها بحلة جديدة تحد من الأثر الفلسفي عند سلفه ابن ميمون ويظهر ذلك جليا من إسقاطه للمرتبة الأولى التي ذكرها ابن ميمون ألا وهي:

أن تصحب الشخص معونة إلهية تحركه وتنشطه لعمل صالح عظيم ذي قدرة .

ويستبعد ابن ميمون أن تصل قوة فعل متخيلة النبي في مرأى النبوة كأن الله تعالى يخاطبه،ولهذا بين في التوراة في عدد ١٢: ٦ " ٦فقالَ: "اسمَعا كلامي. إنْ كانَ مِنكُمْ نَبيٌّ للربِّ، فبالرّؤيا أستَعلنُ لهُ. في الحُلمِ أُكلِّمُهُ".

وهذا النص عند ابن ميمون" فبالرؤيا أتعرف له في حلم أخاطبه" الذي عقب عليه بقوله:"جعل الكلام في حلم فقط وجعل للمرأي اتصال العقل وفيضه وهو قوله:أتعرف له،و لم يصرح بأن في المرأي سماع كلام من الله تعالى"[60]

---

[59]- ابن كمونه، سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص ٦-٧ .

[60]- ابن ميمون، موسى، دلالة الحائرين، ص٤٤١-٤٤٢ .

والقاعدة العامة في اليهودية أن كل نبي إنما يسمع الخطاب بوساطة ملك إلا سيدنا موسى عليه السلام الذي قيل فيه ما نصه في عدد١٢: ٧-٨ " ٧وأمّا عَبدي موسَى فليس هكذا، بل هو أمينٌ في كُلِّ بَيتِي.٨فمًا إلَى فمٍ وعَيانًا أتكلّمُ معهُ، لا بالألغازِ" .

ويصور ابن كمونه نجاة بني إسرائيل من قبضة فرعون في قوله:"وخرج بنو إسرائيل بأمر الله في تلك الليلة من عبودية فرعون وصاروا إلى ناحية بحر القلزم، وقائدهم عمود غمام،وعمود نار سائر أمامهم، وموسى وهارون يدّبرانهم، فتبعهم فرعون بجنوده فلم يلتجئوا إلى سلاح، ولا كانوا ممن يدري الحرب، فشق لهم البحر وجاوزوه، وغرق فرعون وحشرُه، وقذف بهم البحر أمواتا إلى بني إسرائيل حتى رأوهم عيانا، ثم حصل بنو إسرائيل في البّر حيث لازرع؛ فأنزل عليهم المن يوما فيوما سوى يوم السبت، فأكلوه طوال أربعين عاما، إلى أن مات موسى عليه السلام موتا اختياريا من غير مرض ولاهرم، وقد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة شمسية،كمن يصعد إلى فراشه لينام في يوم معلوم وساعة معلومة، و لم يعلم أحد قبره، وهذه رتبة مفارقة في الجوهر لرُتب سائر البشر"[61] .

فمن الملاحظ أن الكتاب اليهود قد استقوا فكرهم من نصوص توراتهم التي تحاول إثارة الشفقة على بني إسرائيل،الضعفة الجوعى العجزة عن حمل السلاح الذين يطاردهم شبح الموت، والذين يستفيضون في الحديث عن الخوارق التي تعود عليهم بالنفع الخاص حيث عمود غمام وعمود نار، ومنّ وسلوى، ولكن البحر يشق لهم نتيجة ريح شرقية بلا أدنى إشارة لمعجزة ضرب البحر بالعصا التي أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يضرب بها البحر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشعراء: ٦٣

ثم إن موسى عليه السلام لم يضعف أمام الموت، ولكنه يبلغ الثمانين حين بعثته لفرعون، ويحتاج لآفات-معجزات- حتى يصمد في مواجهته مع فرعون، ولا ذكر لجانب واحد من جوانب الدعوة إلى توحيد الله تعالى في محاورته لفرعون عند اليهود، وإنما ينصب جهده على إطلاق الشعب، فأين هذا مما قصه الكتاب العزيز عن موسى وأخيه عليهما الصلاة والسلام فجلى الصورة بشقيها دعوة للتوحيد وإرسال بني إسرائيل .

---

[61]-ابن كمونة، سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٢٣ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨) ﴾ طه: ٤٢ - ٤٨

ثم تظهــر المغــالاة بشكل جلي بشأن تأهب جموع بني إسرائيل لخطاب الرب !!!؛فموسى يأمرهم بالتأهب لسماع خطــاب الله تعالى جهرة من خلال الطهارة الظاهرة والباطنة،واعتزال النساء، وكان ذلك بعد ثلاثة أيام من تأهبهم الــذي صحبه هول عظيم من بروق ورعود وزلازل ونيران حفت بطور سينين، وبقيت النار طوال أربعين يوما على الجــبل يــراها القوم،ويرون موسى داخلا إليها وخارجا عنها،وسمع القوم الخطاب فصيحا،بعشر كلمات هي أمهات الشرائع وأصولها ورسم هذه الكلمات في لوحين من حجر رفيع، ودفعهما إلى موسى فرأوها كتابا إلهيا،كما سمعوها خطابــا إلهيا، وعمل لهم موسى بأمر الله تابوتا،وأقام لهم عليه القبة المشهورة وبقي ذلك بين بني إسرائيل نحو تسعمائة سنة حتى اختفى التابوت لعصيانهم وظفر بهم بختنصر وأجلاهم[62] .

فليس بعد هذا الغلو من غلو في زعمهم سماع جميع القوم خطاب الرب فصيحا وما حف ذلك من تهويل نسجه خيالهم المغالي في الأسطورة التي يراد منها أسر أفئدة الذين لا يعلمون حقيقتهم الوثنية التي تجسدت مع عبادتهم لعجلهم الذهبي الــذي عبدوه في وقت مناجاة موسى عليه السلام لربه، ثم إن الذين اختارهم موسى عليه السلام لميقات الله تعالى هم سبعون رجلا فقط لا كل بني إسرائيل والذي يبلغهم الوحي هو موسى عليه السلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤) وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) ﴾ الأعراف: ١٥٤ - ١٥٥

---

[62]– ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٢٤ .

ومـــع كل ما تقدم نجد أن الحرص ينصب فقط على سرد المعجزات دون التعرض لذكر أثر الهداية المترتب على تلك المعجزات والتي منها: انقلاب العصا ثعبانا، و صيرورة يد موسى الكريمة بيضاء من غير سوء، وإخراج الماء من الصخرة الصماء حتى شرب جميع بني إسرائيل، وإحضار شيء كثير من الطائر المسمى بالسلوى واطعامهم إياه، والتظليل عليهم بالغمام وما ظهر من النور على وجهه بحيث لم يستطع أحد ينظر إليه فاحتاج أن يستر وجهه ليكلمهم-وهذا يتناقض مـــع محاورته لهارون عليه السلام بلا ستر لوجهه في أول ظهور له من بعد الميقات-، وغير ذلك الذي يشتهر نقله في تـــوراقم بالإضـــافة إلى اعتـــبار كل معجزة لنبي جاء بعد موسى عليه السلام وهو على دين موسى ويدعو إليه فهي كمعجـــزة لموســـى،كما فعله يوشع بن نون وصيّه عليه السلام حين أمر الشمس فتأخرت و لم تغب حتى نُصر على أعدائه،وييس له نهر الأردن وحبس جريان الماء حتى أجاز تابوت السكينة وجميع بني إسرائيل، وكما فعله إيليا النبي من إحياء ابن الأرملة، وإفاضة خابية الزيت، وحبس الأمطار ثلاث سنين ونصف، وأمر الأرض أن لا تنبت شيئا، ثم قرب قـــربانا ودعا الله تعالى ففتح له أبواب السماء وقبل قربانه فأمطرت الأرض، وتسلم أعداءه عباد الأوثان وذبحهم على جبل كرمل، ثم إن الله تعالى رفعه بكرامته، وكما أحيا اليشع النبي ميتا حال وفاته وآخر بعد وفاته عند مقاربته لقبره، فمعجزات الأنبياء المتبعين لشريعة موسى عليه السلام مثيرة، مشهورة في كتبهم ويطول استقصاؤها كما يزعم كتاب اليهود .

ومن جملة ما يُعد من معجزات موسى عليه السلام أنه وعد بني إسرائيل في التوراة بأنهم إن أطاعوا اختصهم بالرعاية والكرامات ويدوم بقاؤهم في الأرض المقدسة التي وعدوا بها ويتعلق خصبها وجدها وخيرها وشرها بأمر إلهي بحسب أعمالهم، فيشاهدون مع حلول السكينة بينهم من خصب بلادهم وانتظام أمطارهم، وأنها لا تتعدى أوقاتها المحتاج إليها، وكـــذلك ظفرهم بعدوهم دون اعتداد ما يدرون به أن أمرهم لا يجري على قانون طبيعي ولكن إرادي؛ كما سيرون مـــن الجدب والقحط والموت والحيوان المهلك، وغيرهم في سعة ما يعلمون به أن أمرهم يدبره ما هو أرفع من الأمر الطبيعي، فجريان الأمر معهم على وفق وعده ووعيده هو من المعجزات العظيمة له[63] .

وهـــناك محاولـــة من ابن كمونة للانتقاص من قدر المعجزات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام بالمقارنة مع التي حصلت لموسى عليه السلام، وكذلك بالمفاضلة بين المعجزات التي ظهرت لموسى عليه السلام، فهو يرى:

---

[63]- ابن كمونة، سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٢٤-٢٥ .

" أن أكثر المعجزات غير محتمل أن تكون وقعت بحيلة أو تواطؤ؛ لأنها عمت صقعا كبيرا من الأرض وخلقا كثيرا من البشر، ومنها ما استمر حدود أربعين سنة، والذي منها ليس كذا فهو قليل،مثل قلبه العصا حية تسعى، ومثل إخراج يده بيضاء، ومثل النور على وجهه، فإن هذه لو وقع الاقتصار عليها وعلى أمثالها، لجاز أن يقال إنما بتحيل، وأما تلك الأخرى فغير محتملة لذلك"[64] .

ومـــا أعظم تلك الضلالة التي أتت على قلب وعقل ابن كمونة حتى جعلته يهذي بمثل هذا الكلام فمن قال إن من شروط حصول المعجزة الانتشار في الأصقاع الكبيرة من الأرض وأن تعم خلقا كثيرا من البشر، ثم كيف يطبق مقياسه هذا على معجزات موسى عليه السلام، وما هي المعجزات التي تفوق في نظره معجزتي العصا واليد البيضاء في الدلالة علـــى خرق العادة وحد الشهرة، ثم ماذا عن إيمان السحرة في يوم الزينة الذي اجتمع فيه الكثير من الحشود وإعلانهم أمام الجميع بأن لا مقام للحيلة والتواطؤ في أمر عصا موسى عليه السلام حتى مع وجود الدواعي من الإغراء الفرعوني الـــذي يحفـــزهم على الغلبة، إلا أنهم لم يملكوا أمام تلك الخارقة إلا السجود لرب العالمين وإظهار الحقيقة للملأ دون مكابرة ولاسيما أنهم هم أصحاب الاختصاص والمرجع الفصل بهذا الشأن، وهذا ما بينه القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

الشعراء: ٤١ — ٤٧ .

[64]- ابن كمونة، سعد بن منصور، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٢٥ .

المقصد السادس: صفات الأنبياء عند اليهود

إن الاستقراء لأحوال أنبياء بني إسرائيل، كما هي مدونة في عهدهم القديم لا يمكن أن يعطي الدارس لها وصفا كليا ينطبق على كل الأنبياء عليهم السلام إلا على نحو قاصر؛لأن ما ورد من صفات هي مجرد تلخيص للأعمال الخارجية دون الوصول إلى الأعماق الحقيقية لصفات الأنبياء عليهم السلام قط[65] .

وزيادة على ذلك نظرة اليهود إلى الأنبياء عليهم السلام أنهم كسائر البشر، وأن كل ما يجوز على البشر من الوقوع في المعاصي وعدم العصمة من الخطأ يجوز عليهم، ومن هنا نسبوا إليهم ما لا يليق بهم من المعاصي والذنوب سواء أكانت من الكبائر أو من الصغائر[66].

لقد نسب اليهود في توراتهم كذبا إلى الأنبياء عليهم السلام كثير من الأمور التي هي مما يستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام، ومنها : الكذب،شرب الخمر، الزنا، زنا المحارم في أكثر من سبعة مواضع من التوراة، عبادة الأوثان، البله(الخبل)وعدم الفطنة، وغير ذلك مما لا يجوز عليهم، وجعلت التوراة من الأنبياء أبطالا للجريمة وقادة للمعصية، فهم ينسبون للأنبياء أكبر الكبائر دون أدنى ذرة من حرج أو حياء[67] .

ومن تلك القبائح التي نسبتها التوراة للأنبياء الأطهار عليهم الصلاة والسلام ولا سيما الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم : لوط ويعقوب وإسحاق وموسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام ما هو آت [68] :

فلوط عليه السلام نسبت التوراة إليه وحاشاه عليه الصلاة والسلام شرب الخمر والزنا بابنتيه فقد جاء من ذلك الخزي في سفر التكوين١٩: ٣١-٣٨ ما نصه:" ٣١وقالَتِ البِكرُ للصَّغيرَةِ:"أبونا قد شاخَ، وليس في الأرضِ رَجُلٌ لِيَدخُلَ علَينا كعادَةِ كُلِّ الأرضِ.٣٢هَلُمَّ نَسقي أبانا خمرًا ونَضطَجِعُ معهُ، فنُحيي مِنْ أبينا نَسلاً".٣٣فسَقَتا أباهُما خمرًا في تلكَ اللَّيلَةِ، ودَخَلَتِ البِكرُ واضطَجَعَتْ مع أبيها، ولم يَعلَمْ باضطِجاعِها ولا بقيامِها.٣٤وحَدَثَ في الغَدِ أنَّ البِكرَ قالَتْ للصَّغيرَةِ:"إنِّي قد اضطَجَعتُ البارِحَةَ مع أبي. نَسقيهِ خمرًا اللَّيلَةَ أيضًا فادخُلي اضطَجِعي معهُ، فنُحييَ مِنْ أبينا نَسلاً". ٣٥فسَقَتا أباهُما خمرًا في تلكَ اللَّيلَةِ أيضًا، وقامَتِ الصَّغيرَةُ واضطَجَعَتْ معهُ، ولم يَعلَمْ باضطِجاعِها ولا بقيامِها،٣٦

[65]- دي بور،الأستاذ ت.ج، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ،القاهرة-مصر،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط٤ ،١٩٥٧م، ص٦٧ بتصرف .

[66]-انظر السقار،د.منقذ،هل العهد القديم كلمة الله،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ،ص٩١-١٠١ .

[67]- انظر صالح ،د.سعد الدين السيد،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص٣٢٣-٣٢٤ .

[68]- انظر السحمراني،أ.د،أسعد،اليهودية عقيدة وشريعة،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط١ ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ،ص٤٥-٥١ ، والجبوري، حامد عيدان حمد،التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،٢٠٠٧م، ص١٩٨-٢٠٢ .

فحَبِلَتِ ابنتا لوطٍ مِنْ أبيهما.٣٧فوَلَدَتِ البِكرُ ابنًا ودَعَت اسمَهُ "موآبَ"، وهو أبو الموآبيِّينَ إلَى اليومِ.٣٨والصَّغيرَةُ أيضًا وَلَدَتِ ابنًا ودَعَتِ اسمَهُ "بنَ عَمّي"، وهو أبو بَني عَمّونَ إلَى اليومِ" .

وقـــد علق ابن حزم على نص التوراة* السابق بقوله:" بأن هذه فضائح وسوءات تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام ثم إن الواقع يكذب هذه الفرية حيث إن المسافة بين لوط عليه السلام وبين إبراهيم عليه السلام لا تزيد على ثلاثة أميال فقط ،وكيف يرد عليه إبراهيم عليه السلام ما سلب منه ولا يرد عن عرض بناته،ثم ما موقف نبي الله تعالى لوط من هذه الفاحشة التي لم يفعلها حتى قوم لوط؟!"[69] .

وأمـــا عن يعقوب عليه السلام فقد نسبت التوراة له صفات خسيسة كثيرة منها: الظلم، وانتهاز الفرص، وأخذ ما لـــيس لـــه بـــدون وجه حق، والمكر والاحتيال والكذب، وهو مع ذلك يبارك في التوراة ويصبح اسمه إسرائيل بعد مصارعته للرب من المساء حتى الصباح والعياذ بالله تعالى من إفكهم .

فمن ذلك في تكوين ٢٥: ٢٩ –٣٤ " ٢٩وطَبَخَ يعقوبُ طَبيخًا، فأتَى عيسو مِنَ الحَقلِ وهو قد أعيا.٣٠فقالَ عيسو ليعقوبَ:"أطعِمني مِنْ هذا الأحمَرِ لأنّي قد أعيَيتُ". لذلكَ دُعيَ اسمُهُ "أدومَ".٣١فقالَ يعقوبُ:"بعني اليومَ بَكوريَّتكَ". ٣٢فقـــالَ عيسو:"ها أنا ماضٍ إلَى الموتِ، فلماذا لي بَكوريَّةٌ؟".٣٣فقالَ يعقوبُ: "احلِفْ ليَ اليومَ". فحَلَفَ لهُ، فباعَ بَكوريَّتَهُ ليعقوبَ.٣٤فأعطَى يعقوبُ عيسوَ خُبزًا وطَبيخَ عَدَسٍ، فأكَلَ وشَرِبَ وقامَ ومَضَى. فاحتَقَرَ عيسو البَكوريَّةَ" .

وفي هـــذا جـــرم مركب حيث نسبت الخداع والكذب والمداهنة والتآمر إلى يعقوب عليه السلام، ونسبت السذاجة لعيسو حيث يبيع حقه في بكورية المولد بأكلة عدس، كما سبق وأن سلبت منه التوراة بركة النبوة بالخداع لتمنحها ليعقوب أيضا مع أن النبوة اصطفاء من رب العالمين ،ولكن جعلها كتاب التوراة تكتسب بالخداع والاستغلال، وهذا هو مسلك أهل الإجرام قديما وحديثا؛ فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ولو على حساب نسبة القبائح للمصطفين الأخيار .

أما عن موسى عليه السلام فقد نسبت إليه التوراة القتل ففي خروج ٢: ١٢" ١٢فالتَفَتَ إلَى هنا وهناكَ ورأى أنْ ليس أحَدٌ، فقَتَلَ المِصريَّ وطَمَرَهُ في الرَّمل" .

فالتوراة لا تتورع عن نسبة القتل العمد لنبي الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام فلا عصمة للأنبياء فيها .

---

*–لا يوجد الآن في نسخ الكتاب المقدس الموجود عند اليهود والنصارى ما هو معنون بالتوراة،انظر الجبوري،حامد عيدان حمد،التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود،بيروت–لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،٢٠٠٧م،ص٩٢ .

[69]– ابن حزم،علي بن أحمد، الفصل في الملل والنحل،تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي، ،القاهرة–مصر،المكتبة التوقيفية، ط غير معروفة، ٢٠٠٣م، ج١/ص١٦٠-١٦١ .

ومـــن ذلك أيضا الزعم أنه أمر بسرقة ونهب وسلب أموال وذهب المصريين قبل خروجهم من أرض مصر، وكذلك تنسب التوراة العيوب المنفرة له عليه الصلاة والسلام .

إن أصدق من تكلم عن نبي الله تعالى موسى عليه السلام هو كتاب رب العالمين القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾
الأحزاب: ٦٩

أمـــا هـــارون عليه السلام فقد نسبت إليه الأيدي الخبيثة الشرك بالله تعالى وعبادته للأوثان وسجوده لها من دون الله،ودعوة اليهود للسجود للعجل الذهبي–والعياذ بالله تعالى– .

فقد ورد في سفر الخروج ٣٢: ٢-٦ " ٢فقالَ لَهُم هارونُ:"انزِعوا أقراطَ الذَّهَبِ التي في آذانِ نسائكُمْ وبَنيكُمْ وبَناتِكُمْ واتــوني بها".٣فنَزَعَ كُلُّ الشَّعبِ أقراطَ الذَّهَبِ التي في آذانِهِمْ وأتَوْا بها إلَى هارونَ.٤فأخَذَ ذلكَ مِنْ أيديهِمْ وصَوَّرَهُ بالإزميل، وصَنَعَهُ عِجلاً مَسبوكًا. فقالوا:"هذهِ آلِهَتُكَ يا إسرائيلُ التي أصعَدَتك مِنْ أرضِ مِصرَ".٥فلَمّا نَظَرَ هارونُ بَنَى مَـــذبَحًا أمامَـــهُ، ونادَى هارونُ وقالَ:"غَدًا عيدٌ للرَّبِّ".٦فبَكَّروا في الغَدِ وأصعَدوا مُحرَقاتٍ وقَدَّموا ذَبائحَ سلامَةٍ. وجَلَسَ الشَّعبُ للأكلِ والشُّربِ ثُمَّ قاموا للَّعِبِ".

والقـــرآن الكريم ينزه هارون من هذه الفرية ويكشف النقاب عن الفاعل الحقيقي وهو موسى السامري، وأن هارون علـــيه السلام استضعفه بنو إسرائيل وأنه قد قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو لم يقاتلهم حرصا منه على وحدة بني إسرائيل، وانتظارا لمجيء موسى عليه السلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ طه: ٩٠ – ٩٦

وأما عن سيدنا داود عليه السلام فقد نسبت إليه التوراة أنه رأى امرأة جميلة فأغرم بها وأمر بإحضارها، فضاجعها وحملـــت منه ، ثم دبر مكيدة لزوجها وتخلص منه بالقتل؛ لكي يضمها لنفسه، مع الحرص على إظهار مثالية الجندي ليرتقي لأفضل من مرتبة صفات الأنبياء في مقياس كُتّاب العهد القديم . ففي صموئيل الثاني ١١:٣- ١٨ " ٣فأرسَلَ داوُدُ وسأَلَ عن المَرأةِ، فقالَ واحِدٌ:"أليسَتْ هذهِ بَتشَبَعَ بنتَ أليعامَ امرأةَ أوريّا الحِثّيِّ؟".٤فأرسَلَ داوُدُ رُسُلاً وأخَذَها، فدَخَلَتْ إليهِ، فاضطَجَعَ معها وهي مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمثِها. ثُمَّ رَجَعَتْ إلَى بَيتِها.٥وحَبِلَتِ المَرأةُ، فأرسَلَتْ وأخبَرَتْ داوُدَ وقالَـــتْ:"إنّي حُبلَى".٦فأرسَلَ داوُدُ إلَى يوآبَ يقولُ:"أرسِلْ إلَيَّ أوريّا الحِثّيَّ". فأرسَلَ يوآبُ أوريّا إلَى داوُدَ.٧فأتَى أوريّا إليهِ، فسألَ داوُدُ عن سلامَةِ يوآبَ وسلامَةِ الشَّعبِ ونَجاحِ الحَربِ.٨وقالَ داوُدُ لأوريّا:"انزِلْ إلَى بَيتِكَ واغسِلْ رِجلَـــيكَ". فخرجَ أوريّا مِنْ بَيتِ المَلِكِ، وخرجَتْ وراءَهُ حِصَّةٌ مِنْ عِندِ المَلِكِ.٩ونامَ أوريّا علَى بابِ بَيتِ المَلِكِ مع جميعِ عَبيدِ سيِّدِهِ، و لم يَنزِلْ إلَى بَيتِهِ.١٠فأخبَروا داوُدَ قائلينَ:" لم يَنزِلْ أوريّا إلَى بَيتِهِ". فقالَ داوُدُ لأوريّا:"أما جِئتَ مِنَ الـــسَّفَرِ؟ فلماذا لم تنزِلْ إلَى بَيتِكَ؟".١١فقالَ أوريّا لداوُدَ:"إنَّ التّابوتَ وإسرائيلَ ويَهوذا ساكِنونَ في الخيامِ، وسيِّدي يوآبُ وعَبيدُ سيِّدي نازِلونَ علَى وجهِ الصَّحراءِ، وأنا آتي إلَى بَيتي لآكُلَ وأشرَبَ وأضطَجِعَ مع امرأتي؟ وحَياتِكَ وحياةِ نَفـــسِكَ، لا أفعَلُ هذا الأمرَ".١٢فقالَ داوُدُ لأوريّا:"أقِمْ هنا اليومَ أيضًا، وغَدًا أُطلِقُكَ". فأقامَ أوريّا في أورُشَليمَ ذلكَ الـــيومَ وغَدَهُ.١٣ودَعاهُ داوُدُ فأكلَ أمامَهُ وشَرِبَ وأسكَرَهُ. وخرجَ عِندَ المساءِ ليَضطَجِعَ في مَضجَعِهِ مع عَبيدِ سيِّدِهِ، وإلَـــى بَيـــتِهِ لم يَـــنزِلْ.١٤وفي الـــصّباحِ كـــتَبَ داوُدُ مَكتوبًا إلَى يوآبَ وأرسَلَهُ بيَدِ أوريّا.١٥وكتَبَ في المَكتوبِ يقـــولُ:"اجعَلـــوا أوريّا في وجهِ الحَربِ الشَّديدَةِ، وارجِعوا مِنْ ورائهِ فيُضرَبَ ويَموتَ".١٦وكانَ في مُحاصَرَةِ يوآبَ المدينـــةَ أنَّـــهُ جَعَلَ أوريّا في المَوضِعِ الذي عَلِمَ أنَّ رِجالَ البأسِ فيهِ.فخرجَ رِجالُ المدينةِ وحارَبوا يوآبَ، فسَقَطَ بَعضُ الشَّعبِ مِنْ عَبيدِ داوُدَ، وماتَ أوريّا الحِثّيُّ أيضًا.١٨فأرسَلَ يوآبُ وأخبَرَ داوُدَ بجميعِ أُمورِ الحَربِ" .

والقرآن الكريم يسمو بنبي الله تعالى عن كل هذا الهراء[70] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ

70-انظر ابن حمير، علي بن أحمد السبتي، تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، تحقيق د.أحمد عبد الجليل الزّبيبي، بيروت-لبنان، دار ابن حزم،ط١ ،١٤٢٤هـــ-٢٠٠٣م ،ص٥٨-٦٣ .

وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ

عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾

فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا

تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾

ص: ٢١ - ٢٦

فطبيعة الفتنة التي تحدث عنها القرآن الكريم تتعلق في أمر الحكم بين الناس بالعدل، وعدم اتباع الهوى، وهو السير مع الانفعال الأول وعدم التريث والتثبت مما يدفع بركب الضلال فتنبه داود لذلك وحظي بالمغفرة والخلافة في الأرض. فأين هذا مما زعمته التوراة؟![71] .

وأما عن سليمان عليه السلام الموحد الذي بنى المحاريب لإقامة الصلاة لا الهياكل المزعومة[72] ،فنسب له العهد القديم أنــه قتل أخاه، وقائدَ جيشه، وقتَّله جميع منافسيه ليستريح منهم،وأنه يسجد للأوثان من أجل النساء اللاتي أغرم بهن وغير ذلك، ففي الملوك الأول ١١ : ٦-١١ "٦وعَمِلَ سُلَيمانُ الشَّرَّ في عَيْنَيِ الربِّ، و لم يتبَعِ الربَّ تمامًا كداوُدَ أبيه.٧ حينئذٍ بَنَى سُلَيمانُ مُرتَفَعَةً لكَموشَ رِجسِ الموآبيِّينَ علَى الجَبَلِ الذي تُجاهَ أورُشَليمَ، ولمولكَ رِجسِ بَني عَمّونَ.٨وهكذا فعَلَ لجميعِ نِسائهِ الغَريباتِ اللواتي كُنَّ يوقِدنَ ويَذبَحنَ لآلِهَتِهِنَّ.٩فغَضِبَ الربُّ علَى سُلَيمانَ لأنَّ قَلبَهُ مالَ عن الربِّ إلَهِ إسرائيلَ الذي تراءَى لهُ مَرَّتَينِ،١٠وأوصاهُ في هذا الأمرِ أنْ لا يتَّبِعَ آلِهَةً أُخرَى، فلم يَحفَظْ ما أوصَى بهِ الربُّ.١١ فقالَ الربُّ لسُلَيمانَ:"مِنْ أجلِ أنَّ ذلكَ عِندَكَ، و لم تحفَظْ عَهدي وفَرائضيَ التي أوصَيتُكَ بها، فإنّي أُمَزِّقُ المَملكَةَ عنكَ تمزيقًا وأُعطيها لعَبدِكَ."

وكذلك هيامه بألف امرأة من مختلف الأجناس والألوان. . .

والقرآن الكريم ذكر ذلك القائد النبي الملك المبتسم الضاحك من قول النملة؛ وبذلك أسمى صفات الرحمة والوفاء .

---

[71]- قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي،ط٥ ،١٩٦٧ ، ج٥/ص٣٠١٨ .

[72]-انظر الباش، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، ج١/ص٣١٢-٣١٣ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٩

وهـو الذي آتاه الله تعالى حكما وعلما، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٩

فعقيدة الإيمان بصفات الأنبياء عليهم السلام عند اليهود بما تحمله من نقائص لهي أكبر دليل على جرم تحريف كتبة التوراة للتوراة التي أنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام لتصبح طورا جديدا لردة اليهود المادية وتبنيهم للزنا الذي يتناسب مع شهواتهم الشيطانية ليتسنى لهم بذلك تسهيل سبل المعصية أمام بني جنسهم والتي صاروا إليها في البرتوكولات* من خلال الإعلان عن تبنيهم للفكر المادي[73] .

إن عقيدة اليهود في الأنبياء عليهم السلام بالمحصلة تعتبر عقيدة فاسدة لما نسبوه للأنبياء عليهم السلام من قبائح تتصادم مع ما يجب أن يعتقد في الأنبياء المصطفين عليهم الصلاة والسلام، فمن كبرى الجرائم محاكمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على ضوء نصوص العهد القديم أو الجديد التي لا يطمئن لسلامة نقلها مع ما فيها من المثالب[74] .

* - عبارة عن مؤامرة شريرة ضد البشرية ظهرت كردة فعل على معاناة اليهود خلال ق١٩م في أوروبا تبلورت ملامحها بعد مؤتمر بال ١٨٩٧م، وتهدف تلك البرتوكولات أي القرارات والجلسات السرية إلى إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومه يهودية خفية . شلبي،د. أحمد،اليهودية، القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٩٧م،ص٢٧٦-٢٧٨ بتصرف .

[73]- انظر صالح د. سعد الدين السيد،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص٣٤١ .

[74]-انظر الساموك،أ.دسعدون محمود،موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة الجزء الثاني العقائد،عمان -الأردن،دار المناهج،ط١ ،٢٠٠٢م،ص١٩٢ .

المطلب الثالث: النبوة في النصرانية*

المقصد الأول: مفهوم النبوة في النصرانية

يـــأتي مـــا يقابـــل كلمـــة نبي العربية في النصرانية ما يذكره النصارى من أنها ترجع للأصل اليوناني، وهو كلمة (prophetos) وهي من مقطعين: كلمة (pro) ثم كلمة (pheml)، وتعني: ينطق- يعلن (speak forth)، وقد استعملها اليونانيون للتعبير عن الشخص الذي يعلن ويفسر ما تقوله الآلهة ويعلن عن رغبتها، ولكنهم أطلقوه أيضا على الشاعر الذي يصنع الكلام ويفسره، وهي أقرب الكلمات إلى كلمة يكرز أو يعلن عند النصارى[75] .

ويقصد من إطلاق لفظ نبي على المسيح في النصرانية :

"أن المسيح هو المتكلم عن الله، يبلغ أفكار الله وإرادته للبشر."[76]

وفي هذا الكلام إغفال للوحي، ووصف الإله حسب زعمهم بأوصاف البشر -أفكار الله- وكفى بذلك جهلا؛ لأن البشر هو من يحتاج إلى الفكر، وليس الغني الأول والآخِرُ والظاهر والباطن الذي يعلم السر وأخفى.

ويذهب النصارى إلى أن مِن جملة أهداف ظهور المسيح على الأرض أن يتكلم بكلام الله، ويستدلون على ذلك بما جاء في يوحنا١٤: ٢٤"٢٤الّذي لا يُحِبُّني لا يَحفَظُ كلامي. والكَلامُ الّذي تسمَعونَهُ ليس لي بل للآبِ الّذي أرسَلَني" وكذلك بما جاء في لوقا ٢٤: ١٩" ١٩فقالَ لَهُما: "وما هيَ؟". فقالا: "المُختَصَّةُ بيَسوعَ النّاصِريِّ، الّذي كانَ إنسانًا نَبيًّا مُقتَدِرًا في الفِعلِ والقَولِ أمامَ اللهِ وجميعِ الشَّعبِ" .

---

* - النصارى سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقيل: إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يُقال لها الناصرة في فلسطين . عرموش، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)، بيروت-لبنان،دار النفائس، ط٣ ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ١١٦ .

75 -عزيـــز الدكـــتور القس فهيم،علم التفسير ص٣٩٢،وانظر نعيم،القس محسن،نبوات ورؤى النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسة في النصوص النبوية والرؤوية في الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط١ ،٢٠٠٥م،ج١/ص١٩-٢١ .

76 - أنس، القس جيمس،علم اللاهوت النظامي،راجعه ونقحه وأضاف إليه الدكتور القس منيس عبد النور،القاهرة- مصر،الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص٤٦٠ .

وقد مارس المسيح وظيفته كنبي في معتقد بعض النصارى من خلال ما يلي[77]:

١- أنـــه كلمة الله الأزلي ومصدر كل معرفة الخلائق العاقلة ولاسيما البشر[78]، وفيه كل كنوز الحكمة والعلم، ومنه يـــصدر كل ما ينوّر البشر في حقائق الخلاص ومستندهم في ذلك ما ورد في يوحنا ١:١-٥"١في البَدءِ كانَ الكَلِمَةُ، والكَلِمَـــةُ كانَ عِندَ اللهِ، وكانَ الكَلِمَةُ اللهَ.٢هذا كانَ في البَدءِ عِندَ اللهِ.٣كُلُّ شَيءٍ بهِ كانَ، وبغَيرِهِ لم يَكُنْ شَيءٌ مِمّا كانَ.٤فيهِ كانَتِ الحياةُ، والحياةُ كانَتْ نورَ النّاسِ،٥والنّورُ يُضيءُ في الظُّلمَةِ، والظُّلمَةُ لم تُدرِكهُ" .

٢- في مجيـــئه إلى هذه الأرض معلماً، قام بوظيفته النبوية وعلّم البشر بواسطة الوعظ والأمثال، وفسّر شريعة موسى وإعلانات الأنبياء، وأعلن إرادة الله وماهية ملكوته وغاية عمله.

كما أنه ألهم الأنبياء والرسل بواسطة الروح القدس في العهدين القديم والجديد في معتقد النصارى.

٣- في إنـــه لم يـــزل مـــنذ صعوده إلى الآن يمارس هذه الوظيفة نفسها، فألهم الرسل الأطهار، ورسم خدمة التبشير بالمسيحية، وأرسل الروح القدس. وهكذا مارس المسيح وظيفة نبي قبل مجيئه في الجسد وبعده، فأعلن مشيئة الله بواسطة كلمته وروحه.

ومن النصارى من يرى أن المسيح شغل ثلاث وظائف معا هي:

النبوة والكهنوت والمُلك؛ وبذلك يكون المسيح من وجهة نظر النصارى قد حقق إعلان العهد القديم بعد فشل اليهود من تحقيق مقاصد الله من اختيارهم، إلا أنهم تنبأوا لمجيء المسيح الذي سيكون ملكا وكاهنا ونبيا في آن واحد[79] .

ومع أن النصارى يؤمنون بأنبياء بني إسرائيل وإنجيلهم يذكر بعض العبر من سيرتهم ولم يسردها سردا تاريخيا كما هو الحال في التوراة إلا أنهم جعلوا من أقوالهم في التوراة ما يخدم التنبؤات بشأن المسيح عليه السلام، وأنه سيأتي بصفتيه الإلهية والبشرية، وهم ينسبون المسيح بنسب بشري ينتهي لإبراهيم عليه السلام، فالتوراة تعتبر في نظرهم امتدادا سابقا للمسيح عليه السلام، ولذلك تشكل مفهوما مشوشا للنبوة في النصرانية[80] .

77- أنس، القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٤٦٠-٤٦١ .

78-انظر الطهطاوي، محمد عزت إسماعيل،النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة،الناشر غير معروف،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص١٧٥-١٨٣ .

79- نعيم،القس محسن،نبوات ورؤى النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسة في النصوص النبوية والرؤوية في الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط١ ،٢٠٠٥م،ج١/ص٢٨ بتصرف .

80-انظر الباش،حسن،العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل،دمشق سوريا،دار قتيبة،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠١م،ج٢/ص٧٢-٧٤ .

المقصد الثاني: الغاية من إتمام النبوة في النصرانية

يرى النصارى أن المسيح قد تمّم وظيفته النبوية لغايتين حسب معتقدهم وهما[81] :

أ-إصلاح أحوال اليهود الروحية.

واستدلوا على هذه الغاية بما يلي:

١- بما ذكره المسيح عليه السلام في متى ١٥: ٢٤ ".٢٤فأجابَ وقالَ: "لم أُرسَلْ إلاَّ إلى خِرافِ بَيتِ إسرائيلَ الضّالَّة"، فهو بهذا المعنى كان نبياً بين أنبياء العهد القديم وخاتم السلسلة النبوية.

٢-وبقول بولس في روميه١٥: ٨ "٨وأقولُ: إنَّ يَسوعَ المَسيحَ قد صارَ خادِمَ الخِتانِ، مِنْ أجلِ صِدقِ اللهِ، حتَّى يُثَبِّتَ مَواعيدَ الآباءِ".

و يعتقدون أنه كان هو ذلك النبي الذي قيل إنه مثل موسى ولكن أعظم منه، وثبّت المسيح الشريعة القديمة وأكرمها وتمم مطالبها، غير أنه بذلك أبطلها وجاء بشريعةٍ جديدة (هي الإنجيل المقدس).

وفي معتقدهم أنه تمم وأبطل تناقض ظاهر لا يحتاج إلى كثير بيان في هذا المقام.

٣-وبالموعظة التي على الجبل، فقد جمع فيها غايات الشريعة القديمة الروحية. وأعلن نبوات شتى عن مستقبل ملكوته وهي في متى ٥: ١-١٢" ١ولَمّا رأى الجُموعَ صَعِدَ إلى الجَبَلِ، فلَمّا جَلَسَ تقَدَّمَ إليهِ تلاميذُهُ.٢ففتحَ فاهُ وعَلَّمَهُمْ قائلاً: ٣"طوبَى للمَساكينِ بالرُّوحِ، لأنَّ لهم ملكوتَ السَّماواتِ.٤طوبَى للحَزانَى، لأنَّهُمْ يتعَزَّوْنَ.٥طوبَى للوُدَعاءِ، لأنَّهُمْ يَرِثونَ الأرضَ.٦طوبَى للجياعِ والعِطاشِ إلى البِرِّ، لأنَّهُمْ يُشبَعونَ.٧طوبَى للرُّحَماءِ، لأنَّهُمْ يُرحَمونَ.٨ طوبَى للأنقياءِ القَلبِ، لأنَّهُمْ يُعايِنونَ اللهَ.٩طوبَى لِصانِعي السَّلامِ، لأنَّهُمْ أبناءَ اللهِ يُدعَوْنَ.١٠طوبَى للمَطرودينَ مِنْ أجلِ البِرِّ، لأنَّ لهُم ملكوتَ السَّماواتِ.١١طوبَى لكُم إذا عَيَّروكُمْ وطَرَدوكُمْ وقالوا علَيكُمْ كُلَّ كلِمَةٍ شِرّيرَةٍ، مِنْ أجلي، كاذِبينَ.١٢اِفرَحوا وتهَلَّلوا، لأنَّ أجرَكُمْ عظيمٌ في السَّماواتِ، فإنَّهُمْ هكذا طَرَدوا الأنبياءَ الّذينَ قَبلكُمْ".

غير أن اليهود رفضوا تعاليمه كما رفضوا شخصه، ولم يؤمن برسالته إلا قسم منهم حسب معتقد النصارى.

ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في مرقس ٦: ٤ على لسان المسيح : "٤فقالَ لهُم يَسوعُ: "ليس نَبيٌّ بلا كرامَةٍ إلاَّ في وطَنِهِ وبَينَ أقرِبائهِ وفي بَيتِه".

[81]- انظر أنس،القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٤٦١ .

ب-إعلان الحق للأمم.

ويعتقد النصارى بأن هذه الغاية قد تمت من خلال ما يلي[82]:

١-إعلانـــه أنـــه هـــو الطريق والحق والحياة للعالم أجمع. ولا يزال كذلك أنه مصدر كل نورٍ للبشر يُعلن مشيئة الله ويفسرها ويستدل النصارى بما في يوحنا ٧: ١٦-١٨ " ١٦أجابَهُمْ يَسوعُ وقالَ: "تعليمي ليس لي بل للّذي أرسَلَني. ١٧إنْ شاءَ أحَدٌ أنْ يَعمَلَ مَشيئَتَهُ يَعرِفُ التَّعليمَ، هل هو مِنَ اللهِ، أمْ أتَكَلَّمُ أنا مِنْ نَفسي.١٨مَنْ يتكَلَّمُ مِنْ نَفسِهِ يَطلُبُ مَجدَ نَفسِهِ، وأمّا مَنْ يَطلُبُ مَجدَ الَّذي أرسَلَهُ فهو صادِقٌ وليس فيهِ ظُلمٌ" .

وكـــذلك بمـــا ذكر في يوحنا ٨: ٢٨ " ٢٨فقالَ لهُم يَسوعُ: "مَتَى رَفَعتُمُ ابنَ الإنسانِ، فحينَئذٍ تفهَمونَ أنّي أنا هو، ولَستُ أفعَلُ شَيئًا مِنْ نَفسي، بل أتَكَلَّمُ بهذا كما عَلَّمَني أبي" .

ولـــيس في نـــصي يوحنا السابقين ما يبرهن على زعم النصارى على أن عيسى للعالم أجمع،بل هي عند التدقيق أدلة مفحمـــه وحجج ظاهرة على النصارى على نبوة المسيح، وأنه مرسل كبقية المرسلين، وهذا ظاهر من النصوص التي أسفلها خط، ولا سيما أن القرآن الكريم قد صرح بمبعث عيسى بوصفه رسولا من الله تعالى إلى بني إسرائيل وحدهم دون غيرهم من الأمم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ آل عمران: ٤٩

٢-وأن المسيح أثبت تعاليمه بالمعجزات، وكان هو نفسه أعظمها، وهو من وجهة نظر النصارى .

وهـــذا أيضا ملزم للنصارى بأن من جاء بالتعليم إنما هو مكلف كبقية البشر ممن اصطفاهم الله عز وجل لتبليغ الدين والمعجزات لا ترتقي بهم خارج حدود البشرية فهي دليل صدق على النبوة، وليس على ألوهية البشر.

٣-وأنه كان دائماً يعلّم بسلطان، وتعليمه كما ورد في الإنجيل هو الإعلان الأخير للعالم، فانتهت الوظيفة النبوية فيه حسب زعم النصارى.

وأمـــا الرســـل* الذين جاءوا بعده فكانوا ملهَمين ليوضحوا الإعلان الذي أتى هو به. وكان المسيح نبياً بتعليمه وبمـــثاله، وبذلك علّم البشر كيف يعيشون، وبأي روح ينبغي أن يمجدوا الله ويعاملوا البشر. فكان بذلك نوراً للعالم وأعظم الأنبياء، ووجب على النصارى أن تسمع أقواله وتطيع أوامره بذلك .

---

[82]-انظر أنس،القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٤٦١ .

*-للمسيح عليه السلام حواريون(أي بمعنى أصحاب)وهم : سمعان المسمى بطرس(صفا أي صخرا)، أندرواس شقيق بطرس، يعقوب ويوحنا أبناء صياد السمك زبيدي، فيليب، بارثولوميو،متى،توما،يعقوب بن ألفاوس،تاديوس،سمعان(شمعون)المشهور بالمتحمس،و يهوذا الاسخريوطي . الزين،محمد فاروق،المسيحية والإسلام والاستشراق،دمشق-سوريا،دار الفكر،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص٦١ .

ولم تشغل نبوة المسيح فكر الكنيسة كثيرا؛ لأنها ترفعه عن مقام النبوة وغلت فيه حتى جعلته مصدر الوحي لا متلقيا عنه، فيسوع في نظرهم هو يجمع ما بين اللاهوت والناسوت وروح القدس على اختلاف بينهم في تفسير ذلك [83] .

ومـــن أهم الأفكار التي تتمحور حولها عقيدة النصارى في النبوة فكرة الميثاق أو العهد الجديد الذي سيحل محل العهد القـــديم والـــذي سيكون أساسه القلب لا القرابين والطقوس، وهو عهد عالمي لكل الأمم وليس مقصورا على اليهود وحـــدهم فهو في نظر المسيحية لها وحدها وهي تمثل هذا العهد الجديد بين الإله والشعب، وأن الشعب هو كل من يـــؤمن بالمسيح لا اليهود وحسب بعد أن صارت رسالته عالمية -حسب أقوال الأناجيل القانونية-، أي تمثل المسيحية استمرار رسالة الأنبياء بأخلاقها وعالميتها[84] .

[83]- انظر المهدي، د.حسين محمود أحمد، الأنبياء والملأ، ص٥٢-٥٤ .

[84]-المسيري، عبد الوهاب محمد،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، ص١١٥ بتصرف .

المبحث الثاني: مفهوم العصمة.

المطلب الأول: العصمة عند المسلمين

المقصد الأول: العصمة في اللغة

مادتها :عَصَمَ [85]

والعِصْمَةُ فـي كلام العرب: المنع يقال عَصَمَهُ الطعام أي منعه من الجوع،

وفـي قولهتَعَالَى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ هود: ٤٣ ؛أي يمنعُنـي من الـماء،

و العِصْمَةُ أيضا مطلق الحفظ وقد عَصَمَهُ يَعْصِمه بالكسر عِصْمةً فانْعَصَمَ واعْتَصَمَ بالله أي امتنع بلطفه من المعصية[86] .

و عِصْمةُ الله عَبْدَه: أن يَعْصِمَه مـما يُوبِقُه . عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً: مَنَعَه ووَقاه .

وفي التزيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾

هود: ٤٣ ؛ أي لا مَعْصومَ إلا الـمَرْحُومُ ،

واستعصم طلب العصمة، والاسمُ العِصْمةُ[87] .

85- ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/ ص٤٠٣

86- الرازي، مختار الصحاح، ج١/ص١٨٣ ،

87- ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/ص٤٠٣ ،

المقصد الثاني: العصمة في الاصطلاح

ذكر أهل العلم أكثر من تعريف للعصمة في الاصطلاح نذكر منها ما يلي:

١-حفظ الله تعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه، وهذا المعنى لا يجوز أن نسألها، أما إن أريد معناها اللغوي فجائز[88] .

٢- تخصيص القدرة بالطاعة، فلا يخلق له قدرة المعصية[89] .

٣- هي القدرة على اجتناب المعاصي والتحكم في نزوات النفس وكبحها، أي الاحتماء بذاته العلية والامتناع عن فعل المعصية[90] .

٤- وهي :أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا[91] .

٥- هي لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ويزجره عن الشر، مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء[92] .

٦- وعند الحكماء: ملكة تمنع عن الفجور وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، وتتأكد بتتابع الوحي بالأوامر والنواهي، ولا اعتراض على ما يصدر عنهم من الصغائر، وترك الأولى، فإن الصفات النفسانية تكون أحوالا ثم تصير ملكات بالتدريج[93] .

88- الباجوري، إبراهيم،شرح جوهرة التوحيد،نسقه وخرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتّان،راجعه وقدم له فضيلة الأستاذ عبد الكريم الرفاعي،المدخل والتقسيم والتعليق والتصحيح د.محمد سمير الشاوي وعلاء الدين الحموي وأ. ندى الصباغ،سوريا،دار العصماء،ط -جديدة منقحة،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٢٦٨ .

89- القدسي ،كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن أبي شريف، ت ٩٠٦هـ . المسامرة بشرح المسايرة وعليه شرحان جليلان أحدهما تأليف الشيخ قاسم بن قطلوبغا، ت ٨٧٩هـ،والآخر"نتائج المذاكرة،بتحقيق مباحث المسايرة"تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد مفتش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر، مطبعة السعادة مصر،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة،ص٢٢٧-٢٢٨ .

90- دائرة المعارف الإسلامية للناشئين،القاهرة-مصر،القاهرة للصحافة والترجمة والنشر،ط غير معروفة،١٩٨٢م، ص٣٥٤ .

91- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام،القاهرة-مصر،مطبعة السعادة،ط١ ،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م، ص٣٦٦ .

92- القدسي، ابن أبي شريف، المسامرة بشرح المسايرة، ص٢٢٩ .

93- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد،المواقف في علم الكلام، ص٣٦٦ .

ثم إن هؤلاء الحكماء زعموا أن أسباب العصمة أمور أربعة هي:

١- أن يكون لنفسه أو لبدنه خاصية تقتضي ملكة مانعة من الفجور، والفرق بين الفعل والملكة معلوم[94].

٢- أن يحصل له العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

٣- تأكيد تلك العلوم بتتابع الوحي والبيان من الله تعالى.

٤- أنه متى صدر عنه أمر من الأمور من باب ترك الأولى أو النسيان لم يترك مهملا بل يعاتب وينبه عليه، ويضيق الأمر فيه عليه.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان الشخص معصوما عن المعاصي لا محالة؛ لأن ملكة العفة إذا حصلت في جوهر النفس ثم انضاف إليه العلم التام بما في الطاعة من السعادة، وفي المعصية من الشقاوة صار ذلك العلم معينا له على مقتضى الملكة النفسانية ثم الوحي يصير متمما لذلك ثم خوف المؤاخذة على القدر القليل يكون توكيدا لذلك الاحتراز فيحصل من اجتماع هذه الأمور تأكيد حقيقة العصمة[95].

فالعصمة عند الحكماء: ملكة نفسانية* تمنع صاحبها من الفجور. أي المعاصي بناء على ما ذهبوا إليه من القول بالإيجاب واعتبار استعداد القوابل، وتتوقف على العلم بمعائب المعاصي ومناقب الطاعات، فإنه الزاجر عن المعصية والداعي إلى الطاعة؛ لأن الهيئة المانعة من الفجور إذا تحققت في النفس وعلم صاحبها ما يترتب على المعاصي من المضار وعلى الطاعات من المنافع تصير راسخة، فيطيع ولا يعصي، وتتأكد هذه الملكة في الأنبياء بتتابع الوحي إليهم بالأوامر والنواهي، والاعتراض عليهم على ما يصدر عنهم من الصغائر سهوا أو عمدا عند من يجوز تعمدها، ومن ترك الأولى والأفضل، فإن الصفات النفسانية تكون في ابتداء حصولها أحوالا أي غير راسخة ثم تصيرُ ملكات أي راسخة في محلها بالتدرج.

---

[94]- الملكة هي صفة راسخة في النفس وتحقيقه أنه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقا. الجرجاني، التعريفات ص٣١٨.

[95]- الرازي، محمد بن عمر (٥٤٤-٦٠٦هـ/ ١١٤٨-١٢٠٩م)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، القاهرة-مصر،المطبعة الحسينية،ط١ ،سنة النشر غير معروفة، ص١١٨.

* العصمة تفضل وهبة من الله تعالى، ولا تأتي باكتساب أو بجهد بشري.

وقيل العصمة خاصية في نفس الشخص أو في بَدنه يمتنعُ بسببها صدور الذنب عنه[96]

ورد ذلك بالنقل والعقل أما النقل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ ،

فإن الآية الكريمة تدل على أن النبي مثل الأمة في جواز صدور المعصية عنه ،

وأما العقل: فلأنه لو كان كذلك لما استحق صاحبها المدح على عصمته ولامتنع تكليفه وبطل الأمر والنهي والثواب والعقاب[97] .

هذا وقد اعترض صاحب المواقف على الحكماء فقال:" وقال قوم: هي العصمة تكون خاصية في نفس الشخص أو في بدنــه يمتــنع بسببها صدور الذنب عنه ويكذبه – أي هذا القول– أنه لو كان صدور الذنب كذلك أي ممتنعا لما استحق المدح بذلك أي بترك الذنب إذ لا مدح ولا ثواب بترك ما هو ممتنع؛ لأنه ليس مقدورا داخلا تحت الاختيار ، وأيضا فالإجماع منعقد على أنهم– أي الأنبياء– مكلفون بترك الذنوب مثابون به، ولو كان الذنب ممتنعا عنهم لما كان الأمــر كذلك إذ لا تكليف بترك الممتنع ولا ثواب عليه، وأيضا فقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠

يدل على مماثلتهم لسائر الناس فيما رجع إلى البشرية، والامتياز بالوحي لا غير فلا يمتنع صدور الذنب عنهم، كما عن سائر البشر"[98] .

---

[96]- التهانوي،محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،تقديم وإشراف ومراجعة د.رفيق العجم،تحقيق د.علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبدالله الخالدي،الترجمة الأجنبية د.جورج زيناتي،بيروت–لبنان،مكتبة لبنان ناشرون،ط١ ، ١٩٩٦م، ج٢/ص١١٨٣، وانظر الرازي، محمد بن عمر، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، ص١٥٩ .

[97]- التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢/ ص١١٨٣-١١٨٤ .

[98]- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد،المواقف في علم الكلام ص٣٦٦، وانظر الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ص٣٠٦ .

المقصد الثالث: أدلة عصمة الأنبياء عليهم السلام

ذكر أهل العلم أدلة توجب العصمة للأنبياء والمرسلين عليهم السلام والتي منها ما يلي:

الأول: لو صدر منهم الذنب لحرم اتباعهم، وأنه واجب للإجماع، ولقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١

الثاني: لو أذنبوا لردت شهادتهم إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات: ٦

واللازم باطل بالإجماع، ولأن من لا تقبل شهادته في القليل من متاع الدنيا كيف تسمع شهادته في الدين القيم إلى يوم القيامة.

الثالث: إن صدر عنهم وجب زجرهم لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيذاؤهم حرام إجماعا، ولقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٧

الرابع: لو أذنبوا لكانوا أسوأ حالا من عصاة الأمة إذ يضاعف لهم العذاب إذ الأعلى رتبة يستحق أشد العذاب لمقابلته أعظم النعم بالمعصية.

الخامس: لو أذنبوا لم ينالوا عهده تعالى لقوله تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ البقرة: ١٢٤

وأي عهد أعظم من النبوة.

السادس: لو أذنبوا لكانوا غير مخلصين؛ لأن الذنب بإغواء الشيطان وهو لا يغوي المخلصين، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحجر: ٣٩ - ٤٠

واللازم باطل لقوله تعالى في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام:

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ ص: ٤٥ - ٤٧

وفي حق يوسف عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤

السابع: أنه تعالى قسم المكلفين إلى حزب الله وحزب الشيطان؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ المجادلة: ١٩

فلو أذنبوا لكانوا من حزب الشيطان فيكونون خاسرين.

الثامن: قوله تعالى في حق إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٩٠

والجمع المحلى بالألف واللام للعموم، فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ ص: ٤٧

أي المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور الذنب عنهم عليهم السلام.

التاسع: لو جاز عليهم أن يفعلوا الحرام للزم طاعتهم في الحرام؛ لأن الله تعالى أمرنا بطاعتهم، ولكن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر؛ فلزم القول بوجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام[99].

العاشر: لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الجن: ٢٣، ولقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ البقرة: ٤٤.

لكن ذلك منتف بإجماع، ولكونه من أعظم المنفرات[100].

---

[99] - الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، ص٣٥٩-٣٦٠، وانظر الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ص٢٩٠-٢٩٢، البزدوي، محمد، أصول الدين، تحقيق د.هانز بيترلنس ضبطه وعلق عليه د.أحمد حجازي السقا، القاهرة-مصر، المكتبه الأزهرية للتراث، ط غير معروفة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص١٧٢-١٧٣، والرازي، محمد بن عمر، الأربعين في أصول الدين، تحقيق وتعليق د.أحمد حجازي السقا، بيروت-لبنان، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٤م، ج١/ص٣٢٢-٣٢٦.

[100] - الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٢٢، والعقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٤٨.

المقصد الرابع: العصمة من الذنوب

تقسم الذنوب إلى قسمين هما:

القسم الأول الكبائر:

ضبط العلماء الكبائر بأنها: كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن، فعلى هذا كل ذنب علم مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو الحد أو اللعن أو أكثر من مفسدته فهو كبيرة[101].

والكبائر إما كفر أو كذب أو غيرهما، وتفصيل عصمة الأنبياء منها كما يلي:

أولاً: العصمة من الكفر :

فقد أجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل الوحي وبعده، غير أن الأزارقة- من الخوارج- جوزوا عليهم الذنب وكل ذنب عندهم كفر، وجوز الشيعة إظهاره تقية، وذلك يفضي إلى إخفاء الدعوة؛ إذ أولى الأوقات بالتقية وقت الدعوة للضعف وكثرة المخالفين[102].

ثانيا: العصمة من الكذب:

فقـــد أجمع أهل الملل والشرائع على عصمة الأنبياء عليهم السلام عن تعمد الكذب فيما دلّت المعجزة على صدقهم فيه، كدعوى الرسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى[103].

وفي جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان خلاف يوازي تباين مذاهبهم ومدارسهم[104] :

فمـــنعه الأســـتاذ* وكثير من الأئمة، لدلالة المعجزة على صدقهم، وجوزه القاضي** مصيرا منه إلى عدم دخوله في التصديق المقصود بالمعجزة[105] .

101- النووي، محيـــي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي ت سنة ٦٧٦هـــ المسمى المنهاج شـــرح صـــحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف الشيخ خليل مأمون شيحا، بيروت-لبنان، دار المعرفة، ط٤ ،١٤١٨هـــ-١٩٩٧م، ج٢/ص٢٧١-٢٧٢ .

102- الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ص٢٨٨ -٢٨٩ .

103- الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ص٢٨٨ .

104-انظر عبد الحميد، د.عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، عمان-الأردن، دار البشير، بيروت-لبنان، موسسة الرسالة، ط٣ ، ١٤١٧هـــ-١٩٩٧م، ص٤٩-٥٤ ، و التفتازاني، شرح المقاصد، ج٥/٤٩-٥٠ .

*- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرايني (٠٠٠ - ٤١٨ هـــ = ٠٠٠ - ١٠٢٧ م) ، أبو إسحاق: عالم بالفقه والأصول، كان يلقب بركن الدين، نشأ في إسفرايين (بين نيسابور وجرجان) ثم خرج إلى نيسابور وبنيت له فيها مدرسة عظيمة فدرس فيها الفقه والأصول وغيرهما فاشتهر بالأستاذ، ورحل إلى خراسان وبعض أنحاء العراق، وكان ثقة في رواية الحديث، وله مناظرات مع

وأما ما ظاهره الكذب في حق الأنبياء عليهم السلام؛ فإنه يؤول بأنه من المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب والله تعالى أعلم[106] .

ثالثا: العصمة من الكبائر الأخرى :

فالأنبياء معصومون عن صدور الكبائر التي توجب النفرة كعهر الأمهات قبل البعثة، وأما بعد البعثة فهم معصومون منها عمدا عند الجمهور ومعصومون منها سهوا أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهو المختار[107] .

القسم الثاني الصغائر:

الصَّغِيرة:جمع صغائر،وهي الذنب القليل البسيط المُزْدَرَى كالنظرة الحرام[108] .

وهي: ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة [109].

والصغائر نوعان هما:

١–صغائر الخسة : هي التي تلحق فاعلها بالأراذل،كسرقة حبَّة أو لقمة والتطفيف بتمرة[110] .

فالأنبياء معصومون منها قبل البعثة وبعدها عمداً وسهوا؛ وقال الجاحظ* :"بشرط أن ينبهوا عليه فينتهوا عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين وبه نقول" [111].

٢–الصغائر الأخرى:

المعتزلة مات في نيسابور، ودفن في إسفرايين.. الزركلي،خير الدين، الأعلام،بيروت–لبنان،دار العلم للملايين،ط١٠ ،١٩٩٢م ،ج١/ص ٦١،وانظر الذهبي،محمد بن أحمد،سير أعلام النبلاء،بيروت–لبنان،مؤسسة الرسالة،ط٩ ،١٤١٣هــ–١٩٩٣م،ج١٧/ص٣٥٣–٣٥٦ .

**هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر (٣٣٨ – ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ – ١٠١٣ م) قاض، من كبار علماء الكلام. انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها، كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. الزركلي، الأعلام، ج٦/ص١٧٦ .

[105] – الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ص٢٨٨ .وانظرقاضي القضاة،عبد الجبار بن أحمد ،شرح الأصول الخمسة،ص٥٧٥ .

[106] – انظر الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٢٠ .

[107] – الدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٢٠–٢٢١ بتصرف .

[108] – الجرجاني ،التعريفات،ص٢٠٨ .

[109] – ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٧١ .

[110] – الدوري،قحطان،أصول الدين الإسلامي،ص٢٢١.

* – العلامة المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف.انظر الذهبي،سير أعلام النبلاء، ج١١/ص٥٢٦–٥٣٠ .

[111] – الإيجي، المواقف،ص ٣٥٩، وانظر لدوري، قحطان، أصول الدين الإسلامي، ص٢٢١ .

الصَّغيرة:جمعها صغائر، وهي الذنب القليل البسيط المُزْدَرَى كالنظرة الحرام[112] .

وهي: ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة [113].

فالعصمة منها عمدا جوزه الجمهور قبل البعثة وبعدها إلا الجبائي*، وأما سهوا فهو جائز اتفاقا .

وقالت الروافض** (الشيعة الاثنا عشرية): لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة لا عمدا ولا سهوا ولا خطأ في التأويل، بل هم مبرءون عنها بأسرها قبل الوحي وبعده[114] .

هذا وقد فصل الإمام فخر الدين الرازي الاختلاف في مسألة عصمة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب إلى:

أربعة أقسام هي:

الأول: ما يتعلق بالاعتقاد .

فأجمعت الأمة على أنهم معصومون عن الكفر والبدعة،إلا الفضيلية*** من الخوارج فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء عليهم السلام، وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، وبهذا الطريق جوزوا صدور الكفر عنهم.

الثاني : ما يتعلق بتبليغ الشرائع والأحكام من الله تعالى .

112- الجرجاني ،التعريفات،ص٢٠٨ .

113- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٣٧١ .

*- محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي أبو علي (٢٣٥ - ٣٠٣ هـ = ٨٤٩ - ٩١٦ م)،من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره ،وإليه نسبة الطائفة (الجبائية)، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب، نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. الزركلي،الأعلام،ج٦/ص٢٥٦ .

**- سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والذي سماهم بذلك هو زيد بن علي، وهم مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه... انظر الأشعري،مقالات الإسلاميين،ج١/ص٣٣ .

114- الإيجي عبد الرحمن بن أحمد،المواقف في علم الكلام، ص٣٥٨-٣٥٩، وانظر البزدوي ،أصول الدين ،ص١٧٢،والبغدادي ، أصول الدين، ص١٦٧-١٦٩،و آل كاشف الغطاء،محمد الحسين،عقائد الشيعة المسمى أصل الشيعة وأصولها،تقديم د.حسن حنفي،الإمام الأكبر محمود شلتوت،د.محمد رشيد رضا،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص٨٦ ،وذكر الأشعري عن فرقة من الروافض القول بجواز المعصية على الرسول دون الأئمة. انظر الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج١/ص٥٦ .

***- وهـــم أصحاب فضل الرقاشي، لا يكفر عندهم ولا يعصي من قال بضرب من الحق الذي يكون به من المسلمين وأراد به غير الله تعالى على غير ما يوجهه المسلمون عليه نحو قول القائل:لا إله إلا الله يريد بها قول النصارى الذي:لا إله إلا هو الذي له الولد والزوجة، أو يريد صنما اتخذَ إلها -والعياذ بالله تعالى من إفكهم- . انظر الأشعري ،مقالات الإسلاميين ج١/ص١٠٥ .

فقـد أجمعـت الأمة على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب، لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع .

الثالث: ما يتعلق بالفتوى .

وأجمعت الأمة على أنه لا يجوز تعمد الخطأ. أما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه.

الرابع: ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم.

وقد اختلفت فيه الأمة على خمسة مذاهب هي:

المذهب الأول: قول الحشوية* وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائروالصغائر.

المذهب الثاني: أنه لا يجوز منهم تعمد الكبيرة البتة.

وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا يكون منفرا. فأما إن كان تعمد الصغيرة منفرا، فذلك لا يجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة. وهذا قول أكثر المعتزلة[115] .

المـذهب الـثالث: أنه لا يجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ في التأويل. وهذا قول الجبائي .

المـذهب الرابع: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا تعمدا ولا بالتأويل الخطأ. أما السهو والنسيان فجائزان علـيهم، ثم إنهـم يعاتبون على ذلك السهو والنسيان،لما أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة في الصدق والتحفظ والتيقظ .

المذهب الخامس:أنه لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل، ولا بالسهو ولا بالنسيان** .

وهذا مذهب الروافض[116] .

واختلفت الأمة أيضا في وقت وجوب هذه العصمة.

---

* الحَشْوِيَّة: نسبة إلى الحشو أو الحشا طائفة تمسكوا بالظواهر،وذهبوا إلى التجسيم وغيره . انظر التهانوي،كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢ / ص١٦٦-١٦٧، وإبراهيم مصطفى،المعجم الوسيط،ج١/ص١٧٧ .

[115]-انظر الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،ج١/ص١٧٩ .

** هـو الغفلـة عن معلوم في غير حالة السنة، والفرق بين السهو والنسيان أن السهو غفلة القلب عن الشيء، والنسيان غيبة الشيء عن القلب . انظر الجرجاني، التعريفات، ص٣٣١ .

[116]- انظـر الحامـدي، إسماعيل بن موسى بن عثمان،حواش على شرح الكبرى للسنوسي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة الأولى،١٩٣٦م، ص٤٦٧-٤٦٨ .

فالروافض قالت: إنها من أول الولادة إلى آخر العمر .

وقال الأكثرون: هذه العصمة إنما تجب في زمن النبوة، وأما قبل النبوة فهي غير واجبة وهو قول أكثر الأشاعرة، وقول أبي الهذيل* وأبي علي الجبائي.

والذي قال به الرازي: إن الأنبياء- عليهم السلام- معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فجائز[117] .

فـالله سـبحانه وتعالى اصطفى من عباده رسلا واختارهم لتبليغ أوامره ونواهيه لمن بعثوا فيهم، ونزههم عن فعل السيئات، وعصمهم عن المعاصي صغيرها وكبيرها، وحلاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والتفاني في الحق وحسن أدائه، وهم إن تفاوتوا في الفضل والمنزلة إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي والصلة بالله تعالى .

ومثل هؤلاء لا يمكن إلا أن يكونوا معصومين من التورط في الإثم أو الوقوع في المعاصي،كما أن الله تعالى تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم بحيث أصبحوا أهلا للاصطفاء والاجتباء .

ولـو لم يكونـوا كما أراد الله تعالى لهم لسقطت هيبتهم من القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس؛ لذلك كانوا معـصومين عـن الشرك عمدا وسهوا قبل البعثة وبعدها بالإجماع، كما كانوا معصومين عن الكذب عمدا بالإجماع وسهوا على التحقيق .

وكذلك كانوا معصومين عن الكبائر قبل البعثة وبعدها عمدا وسهوا، ومعصومين عن الصغائر المشعرة بخسة أو الموجبة لنفرة .

أمـا التي لم تشعر بخسة من الصغائر و لم توجب نفرة، فهم معصومون منها كذلك بعد البعثة عمدا على التحقيق، وقيل: إنها تجوز سهوا ،أما قبل البعثة فقيل بجوازها والله تعالى أعلى وأعلم[118] .

---

* أبو الهذيل العلاف هو محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى (١٣٥ - ٢٣٥ هـ = ٧٥٣ - ٨٥٠ م) ، مولى عبد القيس، من أئمة المعتزلة.انظر الزركلي،الأعلام،ج٧/ص١٣٠-١٣١ .

117- الرازي، محمد بن عمر، الأربعين في أصول الدين، ج١/ص٣٢١-٣٢٢ ،وانظر الجويني، الإرشاد، ص٢٩٨-٢٩٩ .

118- الطائـي،كمال الدين، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة،بغداد-العراق، رئاسة ديوان الأوقاف-مطبعة سلمان الأعظمي، ط غير معـروفة،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م،ص٧٦-٧٧ بتصرف قليل ،وانظر عبده،محمد، الأعمال الكاملة،تحقيق وتعليق د. محمد عمارة،بيروت-لبنان،دار الشروق،ط١ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ج٣/ص ٤١٧ .

المطلب الثاني: العصمة عند اليهود

يذهب اليهود إلى أن العصمة تجب للنبي المرسل فيما أرسل فيه وما عدا ذلك ففي العصمة شك ٠

أما النبي غير المرسل فلا عصمة له عن الخطأ ٠

وقد نقل ذلك ابن كمونه في قوله:"وأما داود وسليمان فلم يكونا من المعصومين عن الخطأ عندهم لأنهما لم يكونا من المرسلين وإنما يجب عصمة النبي المرسل فيما أرسل فيه وفيما عدا ذلك ففي العصمة شك"[119] ٠

وكذلك تتمادى التوراة حتى تصف موسى عليه السلام بأنه يعاتب الرب ويقرعه على حد زعمهم ومن ذلك ما ذكر في سفر الخروج٥: ٢٢-٢٣ " ٢٢فرَجَعَ موسَى إلَى الربِّ وقالَ: "ياسيِّدُ، لماذا أسأتَ إلَى هذا الشَّعبِ؟ لماذا أرسَلتَني؟٢٣فإنَّهُ منذُ دَخَلتُ إلَى فِرعَونَ لأتكلَّمَ باسمِكَ، أساءَ إلَى هذا الشَّعبِ. وأنتَ لم تُخَلِّصْ شَعبَكَ".

وكذلك تنصيب التوراة موسى إلها لهارون وهارون فما لموسى زعم ذلك في سفر الخروج٤: ١٦" ١٦وهو يُكلِّمُ الشَّعبَ عنكَ. وهو يكونُ لكَ فمًا، وأنتَ تكونُ لهُ إلَهًا" ٠

ومن الجرائم التي تتصادم بشكل قاطع مع عصمة الأنبياء ما زعمته التوراة من نسبة صنع العجل الذهبي لهارون عليه السلام٠ بل تزعم أنه يأمر بالاحتفال به وبعبادته وبالذبح له والعياذ بالله تعالى من فريتهم ٠

ففي سفر الخروج ٣٢: ١-٨" ١ولَمّا رأى الشَّعبُ أنَّ موسَى أبطأ في النُّزولِ مِنَ الجَبَلِ، اجتَمَعَ الشَّعبُ علَى هارونَ وقالوا لهُ:"قُمِ اصنَعْ لنا آلِهَةً تسيرُ أمامَنا، لأنَّ هذا موسَى الرَّجُلَ الذي أصعَدَنا مِنْ أرضِ مِصرَ، لا نَعلَمُ ماذا أصابَهُ".٢ فقالَ لهُم هارونُ:"انزِعوا أقراطَ الذَّهَبِ التي في آذانِ نِسائكُمْ وبَنيكُمْ وبَناتِكُمْ واتوني بها".٣فنَزَعَ كُلُّ الشَّعبِ أقراطَ الذَّهَبِ التي في آذانِهِمْ وأتَوْا بها إلَى هارونَ.٤فأخَذَ ذلكَ مِنْ أيديهِمْ وصَوَّرَهُ بالإزميلِ، وصَنَعَهُ عِجلاً مَسبوكًا. فقالوا:"هذِهِ آلِهَتُكَ يا إسرائيلُ التي أصعَدَتك مِنْ أرضِ مِصرَ".٥فلَمّا نَظَرَ هارونُ بَنَى مَذبَحًا أمامَهُ، ونادَى هارونُ وقالَ:"غَدًا عيدٌ للرَّبِّ".٦فبَكَّروا في الغَدِ وأصعَدوا مُحرَقاتٍ وقَدَّموا ذَبائحَ سلامَةٍ. وجَلَسَ الشَّعبُ للأكلِ والشُّربِ ثُمَّ قاموا للَّعِبِ.٧فقالَ الرَّبُّ لموسَى:"اذهَبِ انزِلْ. لأنَّهُ قد فسَدَ شَعبُكَ الذي أصعَدتَهُ مِنْ أرضِ مِصرَ.٨زاغوا سريعًا عن الطريقِ الذي أوصَيتُهُمْ بهِ. صَنَعوا لهُم عِجلاً مَسبوكًا، وسجَدوا لهُ وذَبَحوا لهُ وقالوا: هذِهِ آلِهَتُكَ يا إسرائيلُ التي أصعَدَتك مِنْ أرضِ مِصرَ".

[119]- ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٤٧ ٠

وخروج ٣٢: ٢٤ " ٢٤فقُلتُ لَهم: مَنْ لهُ ذَهَبٌ فليَترِعهُ ويُعطِني. فطَرَحتُهُ في النّارِ فخرجَ هذا العجلُ".

فماذا أبقت التوراة للأنبياء بعد ذلك من مهام؟ وماذا سيفعل أرباب المعاصي زيادة على ذلك الخزي الذي نسبته التوراة لأصفياء الله تعالى من خلقه ؟!

ثم انظر إلى تناقض التوراة حتى في نسبة المعصية لهارون عليه السلام فيما بين سطور معدودات، فهي تذكر أولا: أنه قد صور العجل بالإزميل ثم تؤكد ثانيا: أنه طرح الذهب بالنار فخرج ذلك العجل الذهبي الذي يعبر عن غلو عقيدة اليهود المادية، فيبدو لي أن لمعان الذهب قد أنسى عباد المادة عقولهم حتى لم يعقلوا ما يكتبون عن أنبياء الله تعالى ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ ﴾

طه: ٩٠

المطلب الثالث: العصمة عند النصارى

مـــن الأمور التي ينبغي الانتباه إليها بالنسبة للنصرانية أنها لا يوجد فيها أنبياء، وإنما فيها ما يسمى بالقديسين وهم يعتبرون عند النصارى رسل المسيح عليه السلام فبولص رسول، ويوحنا رسول، ومتى رسول، وهم تجري على أيديهم بعض الخوارق على حسب معتقد النصارى .

ولكننا نجد أن العقل البشري يرشدنا بدليل اللطف أن الله تعالى أرسل رسلا لكي يدعو الناس إلى الهدى، ويصدوهم عن الردى فيكونوا حججا بالغة منه تعالى عليهم،وكذلك يدلنا على لزوم عصمتهم في تلقي الوحي وتبليغه في أقوالهم وأفعـــالهم على السوء، فلو تم إرسال رسل هم أنفسهم يقترفون الآثام؛ لسوغ ذلك للخلق أن يمارسوا الفجور؛ لأن فاعل المنكر ليس له أن ينهى عن فعل المنكر؛ لأن لسان حاله ومقاله يشد من أزر العصاة ويزيدهم قوة وحجة لتبرير فعلهم للمعاصي زيادة على دواعي الغرائز والشهوات .

ثم أن عدم العصمة للمرسلين يعني لزوم الأمر والنهي بالنسبة للمتناقضين، فلو أخطأ النبي في تلقي الوحي أو تبليغه أو عصى عمليا فطاعته:

إما واجبة إطلاقا ويلزم منه مخالفة الحق بأمر الله عند خطأ النبي أو عصيان النبي وهو محرم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ النساء: ١٤

وإما غير واجبة ويلزم منه أن إرسال الرسل أصبح لغوا حيث لا تجب طاعتهم.

أو وجـــوب طاعتهم عند موافقة الحق وحرمته عند المخالفة، وعلى هذا يلزم أن يعرف المرسل إليهم الحق من الباطل أحسن مما يعرفه الرسل عليهم السلام؛ لكي يوافقوهم في الحق ويخالفوهم في الباطل[120] .

ومـــع كـــل ما تقدم نجد أن الإنجيل يتصادم بنص قاطع مع عصمة الأنبياء عليهم السلام إذ يعتبر كل من هم قبل المسيح عليه السلام من النبيين والمرسلين إنما هم سراق ولصوص بلا استثناء[121] .

---

[120]- انظر الصادقي، د .محمد، عقائدنا،بيروت-لبنان،دار الصادق،ط١ ،١٩٧٢م، ص٣٢٦-٣٢٨ .

[121]-انظر السقا،د.أحمد حجازي، هيكل سليمان عند المسلمين وأهل الكتاب، القاهرة-مصر،مكتبة النافذة ،ط١ ، ٢٠٠٨م، ص٢٩٦-٢٩٧ .

فقد ورد في يوحنا ١٠: ٧-١٤ "٧فقالَ لَهم يَسوعُ أيضًا: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم: إنّي أنا بابُ الخِرافِ.٨جميعُ الّذينَ أتَوا قَبلي هُم سُرّاقٌ ولُصوصٌ، ولكنَّ الخِرافَ لم تسمَعْ لهُم.٩أنا هو البابُ. إنْ دَخَلَ بي أحَدٌ فيَخلُصُ ويَدخُلُ ويَخرُجُ ويَجِدُ مَرعًى.١٠اَلسّارِقُ لا يأتي إلاّ ليَسرِقَ ويَذبَحَ ويُهلِكَ، وأمّا أنا فقد أتَيتُ لتَكونَ لهُم حياةٌ وليكونَ لهُم أفضَلُ.١١أنـــا هو الرّاعي الصّالِحُ، والرّاعي الصّالِحُ يَبذِلُ نَفسَهُ عن الخِرافِ.١٢وأمّا الّذي هو أجيرٌ، وليس راعيًا، الّذي ليسَتِ الخِرافُ لهُ، فيَرَى الذِّئبَ مُقبِلاً ويترُكُ الخِرافَ ويَهرُبُ، فيَخطَفُ الذِّئبُ الخِرافَ ويُبَدِّدُها.١٣والأجيرُ يَهرُبُ لأنَّهُ أجيرٌ، ولا يُبالي بالخِرافِ.١٤أمّا أنا فإنّي الرّاعي الصّالِحُ، وأعرِفُ خاصَّتي وخاصَّتي تعرِفُني"٠

فالراعـــي الصالح من بين جميع الأنبياء والمرسلين الذين أتوا قبل المسيح هو المسيح وحده بلا منازع وبذلك يصور الإنجيل الأنبياء والمرسلين بصفات تتعارض مع عصمة الأنبياء والمرسلين وحاشاهم أن يكونوا سراقا ولصوصا فهم أطهر الخلق وأزكاهم معدنا وما نسبه النصارى للأنبياء عليهم السلام في إنجيلهم نقطع بأنه مفترى؛ لأنه في الإسلام يتعارض مع النقل والعقل، فقد أنصف القرآن الكريم القول في المرسلين المصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ المائدة: ٧٥

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥

فالعقل لا ينقاد إلى من هو الدون في الأخلاق والأفعال بل ينقاد للأسوة الحسنة الفاضلة، والنصوص تقضي بعصمتهم؛ لأن عيسى عليه الصلاة والسلام نموذج من نماذج فاضلة تقدمته من المرسلين الذين اصطفاهم الله تعالى لتبليغ رسالته ٠

ومما يضاف إلى مفهوم العصمة عند النصارى أنهم يتوسعون في مفهومهم للعصمة فيجعلون غير المعصومين أصحاب عصمة كالبابا والرسل ٠

المبحث الثالث: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية والنصرانية والإسلام

المطلب الأول: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في الإسلام

المقصد الأول: العلة في اللغة *

مادتها: عَلَلَ [122]

جاء في مختار الصحاح تحت مادة علل ما يلي:

بنو العَلاّتُ أولاد الرجل من نسوة شتى سُميت بذلك؛ لأن الذي تزوج أخرى على أولى قد كانت قبلها ناهل ثم عَلّ من هذه.

و العَلَلُ الشرب الثاني يُقال عَلَلٌ بعد نَهَل و عَلَّهُ أي سقاه السُقية الثانية، و عَلّ هو بنفسه فهو مُتعد ولازم تقول فيهما علّ يعُل بضم العين وكسرها علاً فيهما.

و العِلَةُ المرض وحدث يشغل صاحبه عن وجهه كأن تلك العِلة صارت شُغلا ثانيا منعه عن شُغله الأول و اعْتَلّ أي مرض فهو عَليلٌ، ولا أعَلّكَ الله أي لا أصابك ـ بعِلّةٍ .

و اعْتَلّ عليه بعِلة و اعْتَلّهُ اعتاقه عن أمر، واعتله تجنى عليه.

و عَلّلَهُ بالشيء تَعْليلا أي لهاه به كما يُعلل الصبي بشيء من الطعام يتجزأ به عن اللبن يقال فلان يُعلل نفسه بتَعِلّة و تَعَلّلَ به أي تلهى به وتجزأ.

و المُعَلِّلُ يوم من أيام العجوز؛ لأنه يُعلل الناس بشيء من تخفيف البرد[123] .

وفي المعجم الوسيط: العِلّةُ المرض الشاغل. و(عند الفلاسفة) : كل ما يصدر عنه آمر آخر بالاستقلال أو بوساطة انضمام غيره إليه فهو علة لذلك الأمر، والأمر معلول له، وهي علة فاعلية، أو مادية، أو صورية، أو غائية.

والعلة من كل شيء سببه[124] .

---

*عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل بلا اختيار، ومنه يسمى المرض علة؛ لأنه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة إلى الضعف. انظر الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص٢٣٠ .

[122]- ابن منظور، لسان العرب، ج١١/ ص٤٦٧ .

[123]-الرازي، ،محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ج١٨٩/١ .

[124]- إبراهيم مصطفى،المعجم الوسيط، ج٢/ص٦٢٣-٦٢٤ .

المقصد الثاني: العلة في الاصطلاح

العلة : هي ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه[125] .

والعلة الأولى: هي العلة التي لاعلة لها، أو علة العلل، أو العلة النهائية.

والعلة الثانية : وهي العلة التي لا فعل لها إلا بتأثير العلة الأولى، وهي قريبة أو بعيدة[126] .

والعلة التامة: ما يجب وجود المعلول عندها، وقيل: العلة التامة، جملة ما يتوقف عليه وجود الشيء، وقيل: هي تمام ما يتوقف عليه وجود الشيء، بمعنى أنه لا يكون وراءه شيء يتوقف عليه.

وعلة الشيء: ما يتوقف عليه ذلك الشيء، وهي قسمان هما :

الأول: ما يتقوّم به الماهية من أجزائها، ويسمى: علة الماهية .

والثاني: ما يتوقف عليه اتصاف الماهية المتقومة بأجزائها بالوجود الخارجي، ويسمى علة الوجود، وعلة الماهية، إما أن يجب بها وجود المعلول بالفعل أو بالقوة، وهي العلة المادية، وإما أن يجب بها وجوده، وهي العلة الصورية، وعلة الوجود إما أن يوجد منها المعلول، أي يكون مؤثراً في المعلول، موجوداً له وهي العلة الفاعلية أو لا ، وحينئذ إما أن يكون المعلول لأجلها، وهي العلة الغائية، أو لا، وهي الشرط إن كان وجودياً، وارتفاع الموانع إن كان عدمياً.

العلة الصورية: ما يوجد الشيء بالفعل.

العلة الغائية: ما يوجد الشيء لأجله.

فالغائية حيث وجدت في جملة العلل، هي علة العلل[127] .

العلة الفاعلية: ما يوجد الشيء لسببه.

والعلة الفاعلية إما أن تفعل بالطبع كالنار تحرق، وإما بالإرادة كالإنسان يمشي[128] .

العلة المادية: ما يوجد الشيء بالقوة.

العلة المُعِدّة: هي العلة التي يتوقف وجود المعلول عليها من غير أن يجب وجودها مع وجوده، كالخطوات.

---

[125]- الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات ص٢٣٢، وانظر التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢/ص١٢٠٦ .

[126]- صليبا، د.جميل ، المعجم الفلسفي،بيروت-لبنان،دار الكتاب اللبناني،ط١ ،١٩٧٣م، ج٢/ ص٩٧، وانظر ابن سينا،علي، الإشارات والتنبيهات، تحقيق د.سليمان دنيا،القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ،سنة النشر غير معروفة، ص١٤٠ .

[127]- الغزالي، أبو حامد محمد، مقاصد الفلاسفة،تحقيق سليمان دنيا،القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ،١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، ص١٩٠ .

[128]- الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، ص١٩٠ .

العلة الناقصة: بخلاف ذلك[129].

العلـــي لنفسه: هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية، والنسب العدمية، محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة كذلك[130].

المعلول الأخير: وهو ما لا يكون علة لشيء أصلا[131] .

والعلة ترادف السبب إلا أنها قد تغايره ، فيراد بالعلة المؤثر وبالسبب ما يفضي إلى الشيء في الجملة أو ما يكون باعثا عليه وقد قيل : السبب ما يتوصل به إلى الحكم من غير أن يثبت به الحكم .

ومعظم الفلاسفة الإسلاميين كالكندي* ، والفارابي ** ، وابن سينا *** ، وابن رشد**** يفضلون استعمال لفظ العلة على لفظ السبب، إلا الغزالي وعلماء الكلام فإنهم يستعملون لفظ السبب للدلالة على العلة[132] .

وحد العلة: "أنها كل ذات وجودُ ذاتٍ آخر، إنما هو بالفعل من وجود هذا الفعل، ووجود هذا ليس من وجود ذلك بالفعل"[133] .

المقصد الثالث: المعلول

129- الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات، ص٢٣٢ .

130- الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات، ص٢٣٥ .

131- الجرجاني، علي بن محمد ، التعريفات، ص٣٠٩ .

* الكـــندي (..- نحو ٢٦٠ هـ =..- نحو ٨٧٣ م) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عـــصره، وأحـــد أبـــناء الملوك من كنده من ولد الأشعث بن قيس ، ونشأ في البصرة، وانتقل إلى بغداد، فتعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك، وألف وترجم وشرح كتبا كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة، ولقي في حياته ما يلقاه أمثاله من فلاسفة الأمم، فوشـــي بـــه إلى المتوكل العباسي، فضرب وأخذت كتبه، ثم ردت إليه، وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة وإكراما. الزركلي، الأعلام، م٨/ص١٩٥، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٢/ص٣٣٧ .

** الفـــارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـــــ = ٨٧٤ - ٩٥٠ م) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني لـــشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول)، أكبر فلاسفة المسلمين، تركي الأصل، ولد في أتراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام، واتصل بسيف الدولة ابن حمدان، وكان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره له نحو مئة كتاب. توفي بدمشق . الزركلي، الأعلام، م٧/ص٢٠، وابن خلكان ، وفيات الأعيان، م٥/ص١٥٣-١٥٧ .

*** الـــرئيس ابـــن ســـينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـــ = ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الـــرئيس، صـــاحب التـــصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، ونشأ وتعلم في بخـــارى، وطـــاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرضفي الطريق، ومات بها. الزركلي، الأعلام، م٢/ص٢٤١-٢٤٢ ، وابن خلكان، وفيات الأعيان، م٢/ص١٥٧-١٦٢ .

**** ابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـــ = ١١٢٦ - ١١٩٨ م) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد، الفيلسوف، من أهل قرطبة، عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة.

ويلقـــب بابن رشد " الحفيد " تمييزا له عن جده أبي الوليد محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٥٢٠) . الزركلي، الأعلام، م٥/ص٣١٨ ، وابن العماد، عبد الحي أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دمشق-سوريا، دار ابن كثير، ط١ ،١٩٩١م ، م٦/ص٥٢٢ .

132- صليبا، د. جميل ، المعجم الفلسفي، ج٢/ ص٩٦ .

133- الغزالي، أبو حامد محمد، منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم، تحقيق د سليمان دنيا، القاهرة-مصر، دار المعارف، ط غير معروفة، ١٩٦١م، ص٢٩٣ .

فالموجـــود عند المتكلمين ينقسم إلى سبب ومسبب أي علة ومعلول، وقد تقدم الكلام على العلة، وفيما يلي يأتي بيان المقصود بالمعلول[134] .

المعلول: وهو كل شيء وجد منه بالفعل شيء آخر غيره، فهو علة لذلك الشيء وذلك الشيء معلول له[135].

أو هو كل ذات وجوده بالفعل من وجود غيره، ووجود ذلك الغير ليس من وجوده[136] .

فوجود العلة يوجب إذن وجود المعلول ، ورفعه يوجب رفعه، أما المعلول فإنه إذا كان موجودا وجب أن تكون العلة المحدثة له موجودة، وإذا رفع وجب أن يقال إنه لم يرفع إلا لرفع علته قبله، لا أن رفعه هو الذي أوجب رفع العلة .

فمعنى المعلول ملازم إذن لمعنى العلة، لا يعقل أحدهما إلا بالقياس إلى الآخر.

ولكـــن العلـــة قد توجد دون وجود المعلول لمانع من الموانع، أما وجود المعلول بلا علة، فهو محال، وليس في الوجود معلول تزيد قوته على قوة علته.

ومنتهـــى القـــول في المعلول إنه: هو الأثر أو المسبَّب، وهو ما يحدث عن علة أو سبب معين، وهو أحد طرفي العلاقة السببية، والمعلول الآخر هو ما لا يكون علة لشيء أصلا[137].

---

[134]– انظر الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، ص١٨٩ .

[135]– صليبا د. جميل ، المعجم الفلسفي، ص٣٩٦ .

[136]– الغزالي، أبو حامد، منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم تحقيق د سليمان دنيا، ص٢٩٣ .

[137]– صليبا، د. جميل ، المعجم الفلسفي، ج٢/ص٣٩٦-٣٩٧ .

المقصد الرابع: في حقيقة العلة

لقد اختلفت عبارات أهل الكلام في حقيقة العلة فذهب بعضهم إلى أن العلة : ما كان المعتل بها معتلا،وهو كقوله كان كذا لأجل كذا وكذا، وهو اختيار ابن الراوندي.

وذهب الكعبي* إلى أن العلة : ما أوجبت معلولها عقيبها على الاتصال، إن لم يمنع منه مانع.

وذهب معظم المعتزلة** إلى أن العلة : هي التي تغير حكم محلها، وتنقله من حال إلى حال.

وعبر بعضهم عن ذلك فقال العلة : ما تحدد الحكم بتحددها.

وذهب الأشاعرة إلى ألفاظ متباينة في العبارات متدانية في المعنى.
فقد نقل الإمام الجويني*** من ذلك قول بعضهم العلة : هي الصفة الحالة للحكم . وقال بعضهم : المثيرة للحكم، وقال بعضهم : المؤثرة في الحكم . وقال الأستاذ أبو بكر : ما يجب الاعتماد عليه في حقيقة العلة أن يقال:كل ما أوجب استحقاق حكم وتسميته به.
ثم خلص إلى القول: "بأن الصحيح في حقيقة العلة هو ما ارتضاه القاضي،حيث قال:العلة هي الصفة الموجبة لمن قامت به حكما "[138].

---

* الكعبي (٢٧٣ - ٣١٩ هـ = ٨٨٦ - ٩٣١ م) عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، من بني كعب، البلخي الخراساني، أبو القاسم: أحد أئمة المعتزلة كان رأس طائفة منهم تسمى " الكعبية " وله آراء ومقالات في الكلام انفرد بها، وهو من أهل بلخ، أقام ببغداد مدة طويلة، وتوفي ببلخ. الزركلي، الأعلام، م٤/ص٦٥؛ وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٤/ص ٣١٣ .

** المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، أطلق عليهم تسمية معتزلة؛ لأنهم كانوا محايدين ما بين أهل السنة وبين الخوارج في موضوع مرتكب الكبيرة بقولهم: إنه لا مؤمن ولا كافر وإنما هو في منزلة بين المنزلتين؛ وإن كان المشهور أن الحسن البصري قال: اعتزلنا واصل- عندما انتحى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى اسطوانة في مسجد البصرة مغادرين حلقة البصري- وأنه من هذا القول كانت تسمية المعتزلة، والمعتزلة قالوا بالأصول الخمسة وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وقالت المعتزلة بخلق القرآن الكريم، وهذا أحدث فتنة كبيرة زمن المأمون في العصر العباسي وكان من ضحاياها الإمام أحمد بن حنبل الذي سجن وعذب بسببها رحمه الله تعالى، وقالت المعتزلة بأن الإنسان مكلف؛لأنه عاقل، وبعثة الرسل لطف إلهي، وأن الإنسان بعقله يميز الحسن من القبيح...، وقالوا العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة؛ وأن الله تعالى لا يفعل إلا الصلاح والخير، وقد اشتهر بعد المؤسسين،من المعتزلة: أبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وكلاهما متوفى في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة . عرموش،وآخرون، موسوعة الأديان الميسرة، ص٤٥٢-٤٥٣ .

*** إمام الحرمين (٤١٩ - ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ - ١٠٨٥ م) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين: أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعي،ولد في جوين (من نواحي نيسابور) ورحل إلى بغداد، فمكة حيث جاور أربع سنين،وذهب إلى المدينة فأفتى ودرس، جامعا طرق المذاهب،ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، توفي بنيسابور. الزركلي، الأعلام، م٤/ص١٦٠، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٨/ص ٤٦٨-٤٧٧ .

[138]- الجويني، عبد الملك بن عبدالله بن يوسف(٤١٩-٤٧٨هـ)، الشامل في أصول الدين،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م،ص٣٨٣، مع ضرورة التأكيد على أن الجويني قد قام بنقد هذه الأقوال في ص٣٨٣-٣٨٦ .

والذي نقله الأشعري* أن المتكلمين اختلفوا في العلة على عشرة أقاويل فقال:" واختلفوا في العلل على عشرة أقاويل:

١-فقال بعضهم: العلة علتان، فعلة مع المعلول وعلة قبل المعلول، فعلة الاضطرار مع المعلول، وعلة الاختيار قبل المعلول، فعلة الاضطرار بمنزلة الضرب والألم إذا ضربت إنساناً فألم فالألم مع الضرب وهو الاضطرار،وكذلك إذا دفعت حجراً فذهب، فالدفع علة للذهاب والذهاب ضرورة وهي معه، وقالوا: الأمر علة الاختيار وهو قبله والعلة علة الفعل وهي قبله، وهو قول الإسكافي .

٢-وقال بعضهم: علة كل شيء قبله ومحال أن تكون علة الشيء معه، وجعل قائل هذا القول نفسه على أنه إذا حمل شيئاً فعلمه بأنه حامل له بعد حمله يكون بلا فصل وعلى أن عداوة الله سبحانه للكافرين تكون بعد الكفر بلا فصل، وهذا قول بشر بن المعتمر** .

٣-وقال بعضهم: العلة قبل المعلول حيث كانت والعلة علتان علة موجبة وهي قبل الموجب وهي التي إذا كانت لم يكن من فاعلها تصرف في معناها ولم يجز منه ترك لها أراده بعد وجودها، وعلة قبل معلولها وقد يكون معها التصرف والاختيار للشيء وخلافه وذلك لأني قد أقول: أطعت الله لأن الله أمرني أعني لأجل الأمر ورغبت في طاعة الله وآثرتها

---

* أبو الحسن الأشعري(٢٦٠هـ-٣٣٣هـ) علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بُردة عامر بن أبي موسى الأشعري،صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، نشأ أولاً على مذهب الاعتزال، وأخذ عن أبي علي الجبائي المعتزلي وسواه، والتزم موقف المعتزلة في موضوعات عديدة إلى أن قارب الأربعين حيث اعتكف في بيته عدة أيام ثم خرج بعدها إلى المسجد الجامع في البصرة ليعلن توبته عن مذهب الاعتزال وأقاويله في علم الكلام، وبعدها أصبح له مذهبه الخاص في علم الكلام حيث أخذ باعتدال بما جاء في الكتاب والسنة من عقائد، فأخذ بالنقل والعقل معا، وقال في الجبر والاختيار بأن الله تعالى قادر على كل شيء وخالق كل شيء، وكل ما يقع أو يكون إنما هو بإرادة الله تعالى، وهو سبحانه الذي يخلق في الناس القدرة على أداء الأفعال والعبد له الاختيار في الكسب،فالكسب عنده هو: الاقتران بين الفعل الذي هو مخلوق لله تعالى، واختيار العبد من غير أن يكون للعبد تأثير في هذا الكسب، والنصوص القرآنية تؤيد ذلك أي أن القدرة على الفعل من الله تعالى والكسب من العبد قَالَ تَعَالَى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ البقرة: ٢٨٦ ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ﴾ الطور: ٢١ ، وقال برؤية الله تعالى بالآخرة بلا معرفة للطريقة التي ستتم بها....، فبعده عن الغلو واعتماده على الطريق الوسط جعل له أتباعا في حربه ضد المعتزلة وأهل البدع والأهواء، ونال لقب إمام أهل السنة والجماعة، وعرف مذهبه بمذهب أهل السنة والجماعة، وهو لا يكفر أحدا من أهل القبلة بذنب كالسرقة والزنا وشرب الخمر ما لم يستحله، واشتهر من أتباع الأشعرية: أبو بكر الباقلاني، والراغب الأصفهاني، وأبو حامد الغزالي وغيرهم . عرموش،وآخرون، موسوعة الأديان الميسرة، ص٢٧-٢٩، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٥/ ص٨٥-٩٠، الزركلي ،الأعلام،ج٤ /ص٢٦٣ ، والدوري ،قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص١٢٦-١٤٤ .

** بشر بن المعتمر (... - ٢١٠ هـ = ... - ٨٢٥ م) بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، أبو سهل، فقيه معتزلي مناظر، من أهل الكوفة، تنسب إليه الطائفة (البشرية) ، مات ببغداد. الزركلي، الأعلام، م٢/ص٥٥، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج١٠/ص٢٠٣ .

وقد تمكنني مخالفة الأمر وترك المأمور به قد كان ذلك من كثير من الخلق، ومثله قوله: إنما جئناك لأنك دعوتنا وجئتك لأنك أرسلت إلي.

٤-وقال قائلون: العلة علتان علة قبل المعلول وهي متقدمة بوقت واحد وما جاز أن يتقدم الشيء أكثر من وقت واحد فليس بعلة له ولا يجوز أن يكون علة له، وعلة أخرى تكون مع معلولها كالضرب والألم وما أشبه ذلك، وهذا قول الجبائي.

٥-وقال قائلون: العلة لا تكون إلا مع معلولها وما تقدم وجوده وجود الشيء فليس بعلة له، وزعم هؤلاء أن الاستطاعة علة للفعل وأنها لا تكون إلا معه.

٦-واختلفوا فيما بينهم: فمنهم من زعم أن العجز يوجب الضرورة كما أن الاستطاعة توجب الاختيار، وهذا قول إبراهيم النجار،

٧- ومنهم من زعم أن العجز لا يوجب الضرورة وإن كانت الاستطاعة توجب الاختيار،

٨-وقال بعض هؤلاء: في المدرك للشيء طبيعة تولد الإدراك، وأبى ذلك بعضهم.

٩-وقال قائلون: العلة لا تكون إلا مع معلولها وأنكروا أن تكون الاستطاعة علة، وهذا قول عباد بن سليمان.

١٠-وقال قائلون: العلل منها ما يتقدم المعلول كالإرادة الموجبة وما أشبه ذلك مما يتقدم المعلول وعلة يكون معلولها معها كحركة سَاقِيَّ التي أبني عليها حركتي وعلة تكون بعد، وهي الغرض كقول القائل: إنما بنيت هذه السقيفة لأستظل بها، والاستظلال يكون فيما بعد، وهذا قول النظام*"[139].

وهـــذا الـــنقل لاختلاف علماء الكلام حول مفهوم العلة والمعلول يظهر منه تأكيد على أن هذا الأمر جذوره تعود لـــصناعة بشرية تهدف إلى محاولة تبسيط حقيقة الخلق المشاهد ليتسنى لهم فهم أمور الغيب بمعزل عن الوحي، وإعطاء هذا المسلك صبغة شرعية في تقديري ضرب من التكلف؛ لأن الملائكة مثلا خلق من خلق الله تعالى لا يقال لهم علة أو معلول شرعا، والله تعالى مبدع فعّال لما يريد ينبغي أن ينزه عن كل تصورات البشر؛ لأنه عز وجل ليس كمثله شيء .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١ .

---

* الـــنظام (٠٠٠ - ٢٣١ هـــ = ٠٠٠ - ٨٤٥ م) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، أبو إسحاق النظام، من أئمة المعتزلة، تبحر في علوم الفلسفة واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سميت (النظامية) نسبة إليه.أما شهرته بالنظام فأشياعه يقولون إنها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة.

الزركلي، الأعلام، م١/ص٤٣، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠/ص٥٤١-٥٤٢ .

[139]- الأشـــعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين،بيروت-لبنان، المكتبة العصرية ،الطبعة الأولى،٢٠٠٥م،ج٢ /ص٢٨٩-٢٩٠ .

المقصد الخامس: أقسام العلل

تقسم العلل إلى أربعة أقسام هي:

١-**العلة المادية** : وهي التي لا يلزم عن وجودها بالفعل وحدها حصول الشيء بالفعل، بل ربما كان بالقوة كالخشب والحديد بالنسبة إلى السرير.

٢-**العلة الصورية** : وهى التي يجب عن وجودها المعلول لها بالفعل، كالشكل والتأليف للسرير.

٣-**العلة الفاعلة** : وهي ما تكون مؤثرة في المعلول موجدة له كالنجار الذي يصنع السرير[140] .

٤-**العلـــة الغائـــية** : وهي التي يكون وجود الشيء لأجلها، كالجلوس على السرير، فهي العلة التي من أجلها وجد السرير[141].

هـــذا وقـــد أخذ فلاسفة الإسلام، وفلاسفة القرون الوسطى في أوربا بهذه القسمة التي ترجع في نشأتها لأرسطو[142] وقدموا العلة الغائية على سائر العلل في الترتيب العقلي .

والفلاسفة الوضعيون يفرقون بين معنى العلة ومعنى القانون، ويقولون إن العلم الحديث لا يبحث في العلل، بل يبحث في العلاقات الثابتة بين الظواهر[143] .

ملاحظات على العلة الغائية:

١-أنها علة باعثة للعلة الفاعلة، وهي بهذا الوجه علة لعلية الفاعل الموجد أو علة لمؤثريته في المعلول، وهناك خلاف بين المتكلمين في العلل بشكل عام وعلاقاتها مع معلولاتها[144] .

٢-أن العلة الغائية باعتبارها فكرة باعثة على إيجاد الشيء، لا تكون موجودة وجودا خارجيا إلا بعد وجود المعلول. كغرض الجلوس من الكرسي يتحقق بعد وجود الكرسي.

---

[140]-انظر:أرسطو طاليس، الكون والفساد، نقله للعربية أحمد لطفي السيد،دار النشر غير معروفة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص١٣٧-١٣٩ .

[141]- صليبا، د. جميل ، المعجم الفلسفي، ج٢/ ص٩٦، وانظر الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف ص٨٥، والرازي محمد بن عمر، المباحث المشرقية،طهران-إيران،مكتبة الأسد،ط غير معروفه،١٩٦٦م، ص٤٥٨، والغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة ص١٨٩-١٩٠ .

[142]- انظر بدوي،د. عبد الرحمن،منطق أرسطو،القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية مطبعة دار الكتب المصريه،ط غير معروفة،١٩٤٩م، ج٢/ص٤٣٠-٤٣١ .

[143]- انظر صليبا د. جميل ، المعجم الفلسفي، ج٢/ ص٩٦ .

[144]- انظر بدوي، د. عبد الرحمن،مذاهب الإسلاميين،بيروت-لبنان،دار العلم للملايين،ط١ ،١٩٦٦م، ص٣٠٦-٣٠٨ .

٣-أن العلـــة الغائية باعتبارها فكرة باعثة – قبل وجود المعلول- هي علة من العلل، أما بعد وجودها في الخارج فهي معلـــول فالعلـــة الغائية هي علة من وجه، كوجود الكرسي الذهني، ومعلول من وجه آخر كالجلوس على الكرسي الواقعي[145] .

هذا وقد عالج أرسطو العلية لا على أنها فقط مبدأ أو مشكلة طبيعية أو ميتافيزيقية، بل أيضا على اعتبار أنها قانون عقلي منطقي، تستند عليه أبحاث المنطق جميعا.

ومـــن الواضح أن القرآن الكريم في مواضع كثيرة ينكر العلية، ويتحدى الأسباب التي تفتقر في وجودها للفعال لما يريد الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ الإخلاص: ١ - ٤

لذا نجد الأشاعرة تساءلوا : كيف يمكن التوفيق بين اعتناقهم لفكرة الجوهر الفرد، وتصورهم لعدم بقاء الأعراض وقتين وبين فكرة العلية، وأن لكل سبب مسببا في ذاته ؟ .

إن فكرة الخلق الجديد المستمر،وهي النتيجة الحتمية لتصور أن الأعراض لا تبقى زمانين بمعنى أن كل حادث ينقسم إلى أجزاء منفصلة مستقل بعضها عن بعض تمام الاستقلال، ولا تتصل هذه الأجزاء المنفصلة بعضها ببعض اتصال علة بمعلول أو سبب بمسبب.

إن هـــذه الأجزاء يخلقها الله دائما، سواء أكانت فعلا إنسانيا أو فعلا طبيعيا، فعالم الطبيعة وعالم الإنسان محكومان بهـــذه الأجـــزاء،غير أن عالم الإنسان يختلف عند الأشاعرة عن عالم الطبيعة كثيرا؛ فبينما لا يشعر هذا العالم الطبيعي بالاختيار، يشعر الثاني بأنه يكتسب هذه الأجزاء التي يفعلها الله فيه أو يخلقها فيه.

فالإرادة الإنسانية إذن مؤثرة بخلق الله فيها للأجزاء[146] .

---

[145]- الطيب، د.أحمد، مباحث العلة والمعلول من كتاب المواقف للإيجي،القاهرة-مصر،دار الطباعة المحمدية الأزهر،ط١ ،١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، ص١٢ .

[146]- انظر النشار، د.علي سامي ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي،بيروت-لبنان،دار النهضة العربية،ط غير معروفة،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص١٥٥-١٦٥ .

فلهـــذا أنكر الاشاعرة التعليل في مباحثهم العقلية؛ لأن العلة ليست مؤثرة بذاتها، ولكن ذلك التأثير بخلق الله تعالى ولهذا عرفوا العلة بأنها : الصفة الموجبة لمن قامت به حكما .

والمعلول: هو الحكم الواجب بالصفة القائمة بمحله[147] .

والمراد بالصفة في تعريفهم للعلة : التي تميز العلة عن الذوات القائمة بأنفسها: كالجواهر؛ فإنها لا تكون عللا للأحوال الإحكامية، وهي عامة للصفات القديمة كالعلم، والقدرة لله تعالى ونحوه، والصفات الحادثة كعلم الواحد منا، وقدرته، وسواده، وبياضه، ونحوه.

وقولهم الموجبة : بمعنى ملازمة الحكم لها لزوما يصدق معه قول القائل :وجد العالم؛ فوجدت العالمية، ولا عكس[148] .

وأما ما يعلل: فكل حكم ثبت للذات غير مفارق لها ككون الرب تعالى عالما ،وقادرا ، وحيا.

أو جائز غير واجب للذات ككون الواحد منا عالما، وقادرا، ومريدا إلى غير ذلك، وأجمعت المعتزلة على امتناع تعليل الأحكام[149] .

وفي حقيقة الأمر مع مخالفة المعتزلة للأشاعرة إلا أنهم يرون:

أن العلة وصف ذاتي لا يتوقف على جعل جاعل فهي مؤثرة بذاتها؛ وعلى هذا الأساس اعترف المعتزلة بصحة قانون العلية سواء في الناحية العقلية أو في الناحية الشرعية أما الأشاعرة فلم يقبلوا العلة على هذه الصورة[150] .

حيث إن الأشعرية يرون أن الفاعل المختار يوجد بدون العلة كالواجب تعالى، فالموجِب لا يكون لفعله غاية وإن جاز أن يكون لفعله حكمة وفائدة[151] .

---

[147] - الآمـــدي، علـــي بن محمد بن سالم المعروف بسيف الدين ، أبكار الأفكار في أصول الدين،حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أحمد فريد المزيدي،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٣٣م، ج٢/ص٦٢٠، وانظر النشار، د. علي سامي ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ١١٥-١١٦ .

[148] - الآمدي، علي بن محمد بن سالم ، أبكار الأفكار في أصول الدين، ج٢/ص٦١٩ .

[149] - انظر الآمدي علي بن محمد بن سالم ، أبكار الأفكار في أصول الدين، ج٢/ص٦٥٠ .

[150] - انظر النشار د. علي سامي ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص١١٥-١١٦، والرازي محمد بن عمر ،محصل أفكار المتقدمين، ص١٤٥-١٤٧، والمباحث المشرقية، ص٤٥٨-٥٣٥ .

[151] - انظر التهانوي ،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢/ص١٢١١ .

ولكن نفاة الأحوال من الأشاعرة عندهم لا علة ولا معلولية فيما سوى ذاته تعالى، لاستناد الموجودات كلها عندهم إليه تعالى ابتداء[152].

ويقصد بالأحوال : أنها جمع حال، والحال عند المثبتين لها، صفة قائمة بموجود، غير موجودة وغير معدومة، كالعالمية مثلا فهي معللة بالعلم، ومع ذلك فهي غير موجودة بل هي أمر اعتباري[153].

ومن تمام الفائدة أنه حيث يذكر لفظ العلة مطلقا يراد به العلة الفاعلية ويذكر البواقي بأوصافها وبأسماء أخرى.

وأن الفرق بين جزء العلة المؤثرة أي الفاعلية وشرطها في التأثير هوأن الشرط يتوقف عليه تأثير المؤثر لا ذاته، كيبوسة الحطب للإحراق إلا بعد أن يكون يابسا، والجزء يتوقف عليه ذات المؤثر فيتوقف عليه تأثيره أيضا، لكن لا ابتداء بل بواسطة توقفه على ذاته المتوقفة على جزئه، وعدم المانع ليس مما يتوقف عليه التأثير حتى يشارك الشرط في ذلك بل هو كاشـــف عن شرط وجودي، كزوال الغيم الكاشف عن ظهور الشمس الذي هو الشرط في تجفيف الثياب وعده من جملة الشروط نوع من التجوز[154].

---

[152]– التهانوي ،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢/ص١٢١٣ بتصرف.

[153]– أبو دقيقة، الشيخ محمود، القول السديد في علم التوحيد،تحقيق وتعليق أ.د.عوض الله حاد حجازي،دار نشر غير معروفة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة ،ج١/ص١٤٨، وانظر الجو يني، عبد الملك بن عبدالله بن يوسف، الشامل في أصول الدين، ص٣٧١-٣٧٥.

[154]– انظر التهانوي ،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢/ص١٢١٣، والإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، ص٩١.

المقصد السادس: الفرق بين العلة والشرط

الشَّرط: تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني، وقيل: الشرط: ما يتوقف عليه وجود الشيء، ويكون خارجاً عن ماهيته، ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط: ما يتوقف ثبوت الحكم عليه[155].

ويذهب من أثبت الأحوال إلى جملة من الفروق بين العلة والشرط وهي[156]:

١- العلة مطردة فحيثما وجدت وجد الحكم، والشرط قد لا يطرد كالحياة للعلم فإنها شرط للعلم وقد لا يوجد معها العلم.

٢- العلة وجودية أي موجودة في الخارج باتفاقهم ، والشرط قد يكون عدميا كانتفاء أضداد العلم بالنسبة إلى وجوده إذ لا معنى للشرط إلا ما يتوقف عليه المشروط في وجوده لا ما يؤثر في وجود المشروط حتى يمتنع أن يكون عدميا . وقيل الشرط لابد أن يكون وجوديا أيضا.

٣- قد يكون الشرط متعددا كالحياة وانتفاء الأضداد بالنسبة إلى وجود العلم أو مركبا بأن يكون عدة أمور شرطا واحدا للمشروط .

٤- الشرط قد يكون محل الحكم بخلاف العلة، أي محل الحكم لا يجوز أن يكون علة للحكم لأنه لا يكون مؤثرا فيه، بل المؤثر فيه صفة ذلك المحل التي هي العلة لكن محل الحكم يكون شرطا للحكم من حيث إنه يتوقف وجوده عليه.

٥- العلة لا تتعاكس أي لا تكون العلة معلولة لمعلولها بخلاف الشرط فإنه يجوز أن يكون مشروطا لمشروطه.

٦- الشرط قد لا يبقى ويبقى المشروط وذلك إذا توقف عليه المشروط في ابتداء وجوده دون دوامه، كتعلق القدرة على وجه التأثير فإنه شرط الوجود ابتداء لا دواما، فلذلك يبقى الحادث مع انقطاع ذلك التعلق.

٧- الصفة التي هي علة كالعلم مثلا له شرط كالمحل والحياة وليس له علة فإنّ العلم من قبيل الذوات وهي لاتعلل بخلاف الأحكام، فالعلة لا تكون معلولة في نفسها بخلاف الشرط فإنه قد يكون معلولا، فإن كون الحي حيا شرطٌ لكونه عالما مع أن كونه حيا معلول للحياة.

٨- العلة مصححة لمعلولها اتفاقا بخلاف الشرط إذ فيه خلاف.

155- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص١٩٩ .

156- انظر التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج٢ / ص ١٢١٤، والآمدي، أبكار الأفكار، ج٢/ ص ٦٥١-٦٥٤، والإيجي، المواقف، ص٩٢-٩٥ .

٩-الحكـــم الواجب لم يتفق على عدم شرط بل اتفق على أنه لا يوجد بدون شرط كالعالمية له تعالى فإنها مشروطة بكونه حيا، وقد يختلف في كون الحكم الواجب معللا بعلة .

هـــذا وقـــد سار الأشاعرة بمباحثهم في العلية قدما، فأنتجوا نظرية العادة وجريانها على أكمل صورة لفكرة العلية الإسلامية التي تنبذ القول بفعل الطباع أو بقدم العالم، فلا تلازم ضروري بين العلة والمعلول؛ لأن قدرة الله تعالى شاملة لكل شيء، وإرادته خالقة لكل شيء .

فكل شيء يحدث في مستقر العادة بالضرورة والمشاهدة، والباب مفتوح أمام القدرة الإلهية لكي تتدخل باستمرار وأن تخرق العادات؛ وبذلك يظهر خطأ تطبيق العلاقة الضرورية اللازمة بين العلة والمعلول على خوارق العادات.

وفي حقـــيقة الأمر لا يلزم من نفي التلازم بين العلة والمعلول رفع الأسباب؛ لأن القول بالتلازم بين العلة والمعلول مبناه على مجرد المشاهدة والعادة المتكررة التي رسخت في الأذهان جريان الأمور على وفق العادة الماضية والمتكررة ، ولو طبق هذا المبدأ على السمعيات سيؤدي إلى القول باستحالة المعجزات، ولذلك فالعلة الحقيقية في هذا الوجود هي الإرادة والقدرة الإلهية المطلقة التي تفعل ما تشاء وقت ما تشاء[157] .

ولهذا قال جمهور علماء الكلام : الموجد بالاختيار لجميع الأشياء كبيرها وصغيرها، وعظيمها وحقيرها، هو الله تعالى، ولا تأثير لغيره في الايجاد والإبداع لا بالاختيار ولا بالتعليل ولا بالطبع، وقالوا أيضا إن الله سبحانه وتعالى لا يقال له علة؛ لأن معنى العلة في الظاهر تنفي الاختيار، مثل كون النار علة الاحتراق ، فالنار لا اختيار لها في التأثير بالاحتراق فيما يحرق، ومع ذلك تسمى علة في احتراق الشيء، والله عز وجل موجد وخالق للأشياء بالاختيار، إن شاء فعل وإن شاء ترك، وكذلك صفاته لا يقال لها علة ذلك أن صفات الله تعالى الوجودية قديمة، وملازمة لمحلها، وهو الذات العلية فالـــصفات قائمة بالذات وملازمة لها، فلا تأثير للذات فيها، وإنما هي قائمة به جل شأنه، فالصفات محتاجة للذات في القـــيام بهـــا، ولا يلزم من ذلك تأثير الذات فيها؛ لأنها قديمة، وإنما المحتاج إلى التأثير هي الأمور الممكنة الحادثة والتي بعضها يقال له علة وبعضها يقال له معلول[158].

كمـــا أنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن الترتيب بين العلة والمعلول ضروري طبيعي في الممكن، إن رفع الترتيب بطـــل كونه علة أو معلولا، وكل ما كان وجوده من ذاته لا من غيره فهو لاعلة ولا معلول وإنما هو واجب الوجود لذاته(الأول) الفعال لما يريد[159] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ هود: ١٠٧ .

---

[157]- انظـــر الغزالي،أبو حامد محمد ، تهافت الفلاسفة،دمشق-سوريا،دار التقوى،ط١ ،٢٠٠٦م، ص٦١-٦٧ ، وابن رشد،أبو الوليد محمـــد،تهافت التهافت،تحقيق د.سليمان دنيا، القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ،سنة النشر غير معروفة، ص٢٤ ، والنشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص ١٥٥-١٦٥ .

[158]- أبو دقيقة محمود، القول السديد في علم التوحيد، ج١/ص١٤٧-١٦٠ بتصرف .

[159]- انظر الغزالي، أبو حامد، مقاصد الفلاسفة، ص١٩٣و٢٠٤، وتهافت الفلاسفة، ص٨٢-٨٣ .

المطلب الثاني: مفهوم العلة في اليهودية

يطلق مصطلح:" سِبّا ريشونا "على "العلة الأولى" في اليهودية.

وفي كتب الدين اليهودي العلة الأولى أو علة العلل تطلق على الألوهية باعتبارها السبب الأول في وجود كل شيء (سِبّت هَسِبوت) .

وعلاوة على مصطلح العلة الأولى أو علة العلل يوجد أيضا مصطلح آخر يصف الخالق عز وجل ، وهو: " متيع ريشون" أي الدافع الأول .

وهذا يعني أن الخالق هو السبب الأول لكل ما يوجد في العالم[160] .

هذا وقد تعرض الواعظ اليهودي يحيى بن يوسف بن باقودا الأندلسي(١٠٥٠-١١٢٠م) في كتابه الهداية إلى فرائض القلوب في الباب الأول في التوحيد لمبحث العلة والمعلول كدليل على وحدانية الله تعالى فقال ما نصه :"وأما الدليل على أن الخالق تعالى واحد فذلك أنه لما صح عندنا بطريق الاستدلال أن للعالم خالقا لزمنا البحث عنه هل هو واحد أم أكثر من واحد ؟،فينبغي أن نبين صحة وحدانيته من سبعة وجوه أحدها من جهة اعتبارنا لعلل الموجودات فإنا إذا تصفّحناها وجدناها أقل عددا من معلولاتها وكلما بحثنا عن علل تلك العلل صاعدا وجدناها أقل عددا أيضا منها وكلما صعدت تقللت في العدد إلى أن تنتهي إلى علة واحدة وهي علة العلل".

ثم شرح ذلك بقوله :" وشرح ذلك أن اشخاص الموجودات غير متناهية العدد وإذا حصلنا أنواعها الجامعة لها كانت أقل عددا من التي تحتها إذ كل نوع من الأنواع يحوي أشخاصا كثيرة فالأنواع متناهية العدد وإذا أضفنا الأنواع إلى أجناسها الحاوية لها كانت الأجناس أقل عددا منها إذ تحت كل جنس من الأجناس أنواع كثيرة وكذلك كلما صعدت تكون الأجناس أقل عددا إلى أن تنتهي أجناس الأجناس،... وأجناس الأجناس عشرة وهي:" جوهر وكم وكيف ومضاف وأين ومتى ونسبة*(الوضع) ومِلْكٌ وفاعل ومنفعل" .

فإذا بحثنا عن علل أشخاص أنواع هذه الأجناس العشرة وجدناها خمسا الحركة والعناصر الأربعة التي هي النار والهواء والماء والأرض .

---

[160]- الشامي،د.رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،القاهرة-مصر،المكتب المصري،ط غير معروفة،٢٠٠٢م، ص٢١٥ .

* هذا مصحح في الهامش ،وهي في المتن ونَصْبَةٌ ، انظر باقودا، الهداية إلى فرائض القلوب، ص ٥٠ .

فإذا بحثنا عن علل العناصر الأربعة وجدناها المادة والصورة وهما اثنتان، فإذا بحثنا عن علتهما كانت أقل عددا منهما لا محالة وهي مشيئة الخالق تعالى ولاأقل من اثنين إلا واحد فالخالق تعالى واحد اضطرارا من هذه الوجوه "[161]

وفي الفصل التاسع من باب التوحيد ذكر أيضا ما نصه :" وأما الدليل على أن الخالق تعالى واحد حق لا واحد حق سواه فنقول إنه لما كان كل مؤلف لايتم كونه إلا باختلاف واشتراك وكان أصل الاشتراك الوحدة وأصل الاختلاف الكثرة لزم وجودهما في كل مكّون في العالم ولما كانت الوحدة أقدم من الكثرة بالطبع كتقدم الواحد لسائر العدد وجب لذلك أن تكون علة كل متكثر غيرمتكثرة في المبادئ لسباق معنى الوحدة لكل متكثر، فقد وجب امتناع وجود الكثرة علة الكثرة في أول الإبداع كلياته وجزئياته وأصوله وفروعه وجب أن يوجد في جميعها معنى الاشتراك والاختلاف وأصلهما الوحدة والكثرة ولما كانت الوحدة أقدم من الكثرة بالطبع كتقدم الواحد لسائر العدد وجب أن تكون علة كل متكثر غير متكثر في أول المبادئ من أجل تقدم معنى الوحدة لكل متكثر ولما كانت العلل متناهية في الابتداء وامتنع أن يصنع الصانع مثل نفسه لم يجز علة الكثرة والوحدة أن تكون مثلها أعني كثرة ووحدة فإذا لم تكن علة المكونات الكثرة فقط ولا كثرة ووحدة وجب أن تكون علة الكون واحدا حقا وقد قدمنا في كلامنا أن العلل كلما تصاعدت نحو الابتداء تقللت إلى أن تنتهي إلى أصل العدد وهو الواحد الحق وهو الخالق تعالى، ومن المعلوم أيضا أن كل شيء يوجد في شيء ما عرضا لا لأن ذلك يؤدي إلى كون العلل المتكثرة بلا نهاية ولا بد من الوقوف عند الواحد الذي هو علة الكثرة الأولى بالضرورة وهو الخالق تعالى فيلزم من ذلك أن يكون واحدا حقا" [162] .

وبذلك يتضح لنا أن نوع الارتباط بين العلة والمعلول في اليهودية:

إنما هو ارتباط ضروري وأن العلة الأولى أو علة العلل تطلق على الألوهية باعتبارها السبب الأول في وجود كل شيء في الكون.

---

[161]- باقودا، يحيى بن يوسف، الأندلسي(١٠٥٠-١١٢٠م) ،الهداية إلى فرائض القلوب،ليدن-ألمانيا،طبع أول مرة بالمطبعة البريلية في ليدن-ألمانيا،١٩٠٧-١٩١٣م، ص٥٠-٥١ .

[162]- باقودا، يحيى بن يوسف ،الهداية إلى فرائض القلوب، ص٦٣-٦٤ ، ويرى الأستاذ الدكتور عزمي طه السيد: في الكلام السابق لباقودا مشابهة تامة لكلام الكندي في الفلسفة الأولى عن الوحدة والكثرة، فاقتضى التنويه بذلك .

تعقيب :

في الإسلام لا يجوز لنا أن نسمي الله تعالى (علة) لسببين عقلي ونقلي.

أما العقلي:

فهو أن العلة تفترض المعلول ولا تنفك عنه، كما أن المعلول يفترض العلة ولا ينفك عنها، فالعلاقة بين العلة والمعلول علاقة إضافة، فالمعلول نوع لعلته والعلة أصل لمعلولها، والله هو مبدع العلل وليس له مثل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١

ولـــيس هو لشيء علة، إذ العلة في العقول الصحيحة هي السبب المطبوع لكون المسبب لا محالة، فالأول جل وعز لا سبب؛ لأنه هو محدث الأسباب.

وأما السبب النقلي:

وهو أن لفظ العلة لا يسمى به الله؛ لأنه لا يجوز لنا أن نطلق عليه عز وجل اسماً غير وارد نصاً[163] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

الأعراف: ١٨٠

---

[163] - انظر ابن حزم، علي بن أحمد، رسائل ابن حزم الأندلسي،تحقيق إحسان عباس، بيروت–لبنان،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٣م، ج٤/ص٥٥ .

المطلب الثالث: نوع الارتباط بين العلة والمعلول في النصرانية

المقصد الأول: مفهوم العلة في النصرانية

من الملاحظ أن النصارى ينظرون إلى المسيح عليه السلام أنه كلي القوة كالآب، لذا لانجد عندهم كلاما حول نوع الارتباط بين العلة والمعلول؛ ولكنهم اتفقوا على اتحاد* الكلمة بالسيد المسيح عليه السلام ووقع بينهم الاختلاف في معنى الاتحاد[164] .

فظاهر قول اليعقوبية** إنه بمعنى الممازجة والمخالطة حتى صار منهما شيء ثالث، كما تمزج النار بالفحمة فيصير منهما جمرة ، والجمرة ليست نارا خالصة ولا فحمة خالصة، وجعلوا ذلك بمعنى التركيب الارتباطي، وإن كان من جسماني وروحاني كحال النفس المجردة والبدن، فإن أحدهما ارتبط بالآخر حتى صارا شخصا واحد.

فقالوا إن المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من اقنومين .

وظاهر قول النسطورية*** إن الاتحاد هو على معنى أن الكلمة جعلته هيكلا ومحلا وادرعته ادراعا، وكذلك قالوا إن المسيح جوهران أقنومان، وقال بعضهم إن الاتحاد وقع به كما اتحد نقش الخاتم بالشمع، وصورة الوجه بالمرآة من غير أن يكون قد انتقل النقش من الخاتم إلى الشمع أو الوجه إلى المرآة.

---

*الاتحـــاد:هو ارتباط بين الخالق والمخلوق بحيث يحل الخالق في المخلوق وتتحد ذاتاهما،ولا شك أن هذا القول كفر صريح يخالف عقائد الأمة.فالاتحاد لا يكون إلا بالأجناس والله تعالى ليس كمثله شيء ،وكيف يحل القديم في الحادث والخالق في المخلوق؟ ثم أن الاتحاد أنواع فالاتحاد في الجنس يسمى مجانسة،وفي الخاصة مشاكلة،وفي الكيف مشابهة،وفي الكم مساواة،وفي الأطراف مطابقة،وفي الإضافة مناسبة،وفي وضع الأجزاء موازنة، فما النوع الذي يتفق عليه النصارى منها؟. انظرعرموش، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط٣ ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص٢٩ ،والجرجاني،التعريفات،ص٦٤ .

[164]- انظر أنس، القس جيمس ،علم اللاهوت النظامي، ص٤٥٠-٤٥٣ .

** اليعقوبـــية(اليعاقـــبة): هم الجماعات المسيحية التي اعتنقت العقيدة المونوفيزية،المنادية بالطبيعة الواحدة في المسيح،والتي دعيت رسميا بالكنيـــسة الـــسريانية الأرثوذكـــسية،فعلى أثـــر إدانـــة المجمع الخلقيدوني ٤٥١م للعقيدة المونوفيزية،سعى أسقف مدينة أوديسا يعقوب بـــرادايوس،ابتداء من سنة ٥٤٢ م إلى سيامة العديد من الأساقفة والكهنة الذين يدينون بالعقيدة المونوفيزية،فتشكلت حوله كنيسة دُعيت فـــيما بعد باسمه الكنيسة اليعقوبية أو اليعاقبة... وهي تشكل اليوم بطريركية السريان الكاثوليك.عرموش أحمد راتب وآخرون موسوعة الأديان(الميسرة)، ص٥٠٢ .

*** النـــساطرة: هم أتباع نسطور(٣٨٠-٤٥١م)بطريرك القسطنطينية الخارج على العقيدة المسيحية لمدرسة الإسكندرية التي تشدد على مفهـــوم الكلمة الذي صار جسدا بقوله إن في المسيح شخصين وهما الشخص الإلهي والشخص الإنساني،وقد أدان المجمع المسكوني الثالث المنعقد في أفسس سنة ٤٣١م النسطورية،واعتبرها خارجة عن الإيمان القويم... شاركت الكنيسة النسطورية في المجمع المسكوني الفاتيكاني بـــصفة مراقب،وهـــي حالـــيا عـــضو في المجلـــس المـــسكوني لكنائس الشرق الأوسط. انظرعرموش، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)، ص٤٧٤-٤٧٥ .

وبعضهم يقول اتحاد الكلمة به هو أن ظهرت ودبرت على يديه .

فأما الملكانية* فإنها قالت: إن المسيح جوهران ، أقنوم واحد لأن الاتحاد وقع بالإنسان الكلي لا الجزئي . والمراد بالأقنوم هو الشخص أي الشخص الإلهي[165] .

وينسب الكتاب المقدس للمسيح عليه السلام كل صفات الناسوت وكل صفات اللاهوت معاً في شخص واحد. فقيل في ناسوته إنه ذو جسد، مولود من امرأة، كان ينمو في القامة، يرى ويشعر به ويلمس، وإنه ذو نفس كانت تتعب وتفرح وتحزن وتنمو في الحكمة وتجهل بعض الأحوال والأمور. وقيل في شأن لاهوته إنه إله على الكل، عالم بكل شيء قادر على كل شيء أزلي. ولذلك يرى الكتاب أن الجوهرين المجموعين في شخصه (أي الناسوت واللاهوت) طبيعتان متميزتان[166].

ويستدل النصارى (بأعمال)أي معجزات المسيح على اتحاد المسيح في الآب والآب في المسيح بما ورد في يوحنا ١٤ :

١١ "١١صَدِّقوني أنّي في الآبِ والآبَ فيَّ، وإلاّ فصَدِّقوني لسَبَبِ الأعمالِ نَفسِها".

وهذا في تقديري استدلال على صحة صدق الوحي الذي يبلغه لهم؛ لأنهم يشاهدونه ويخاطبهم ويبرهن لهم على صدقه فيما أتاهم من أمر الوحي، وليس على اتحاد كما زعمت النصارى .

---

*الملكانية: هي أحد المذاهب الكنسية المسيحية القديمة،وهم أصحاب ملكا الذي ظهر في أرض الروم ،ومعظم الروم ملكانية،وقد كانوا من أوائل من قالوا بالتثليث وبالأقنومية،وقالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح.والكلمة هي أقنوم العلم.والروح القدس أقنوم الحياة.والأقنوم طريقة في الظهور أو الانبثاق وهو غير الجوهر.وكان حكام الإمبراطورية البيزنطية ملكانيين،بدءا من الإمبرطور قسطنطين الثاني،وفي عهده كان دستور الإيمان النيقاوي الذي أخذ بموقف الملكانيين القائل بأن اللاهوت والناسوت اتحدا في المسيح كاتحاد الماء باللبن، وأن المسيح إله حق من إله حق. انظرعرموش، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)، ص٤٦٠ .

[165]– ابن كمونة، سعد بن منصور، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية المسيحية الإسلام، ص٥٢–٥٣ .

[166]– أنس، القس جيمس ،علم اللاهوت النظامي، ص٤٤٦ .

المقصد الثاني: سر تجسد المسيح عند النصارى

فخلاصة تعليم الكتاب المقدس في المسيح المتجسد كما يرى النصارى هو ما يأتي:

١-إنه إنسان حقيقي ذو طبيعة بشرية كاملة، ينسب إليه كل ما ينسب إلى الإنسان باعتبار ناسوته ،ما عدا الخطيئة.

٢-إنه إله بالحقيقة ذو طبيعة إلهية كاملة* ،ينسب إليه كل ما ينسب إلى الله عز وجل.

٣-إنه شخص أو ذات واحدة(في ناسوته ولاهوته) [167] .

ويذهب كتاب الكتاب المقدس في سر التجسد إلى ما يلي:

١- تجسد المسيح في طبيعتين (اللاهوت والناسوت) وهما متحدتان اتحاداً لا يقبل الانفكاك أو الانفصال.

٢- هاتـــان الطبيعـــتان غير ممتزجتين امتزاجاً تتكوّن منه طبيعة ثالثة متميزة عن كل منهما، بل إن كل واحدة منهما تحتفظ بكل خواصها.

٣- لم تنـــتقل صفة من الطبيعة الإلهية إلى البشرية، وبالأولى لم تنتقل صفة من الطبيعة البشرية إلى الإلهية، فلم يصر الناسوت في المسيح إلهاً، ولا اللاهوت صار ناسوتاً.

٤- لـــيس اتحـــاد الطبيعتين على سبيل حلول الطبيعة الإلهية في بنية بشرية، بل على سبيل اتحاد شخصي نشأ منه أن المسيح شخص واحد بطبيعتين متميزتين إلى الأبد[168].

ومخالفـــو النـــصارى لهم أن يقولوا إن الاتحاد غير معقول[169] ؛ لأن الشيئين إذا اتحدا فإما أن يكونا موجودين أو معـــدومين، فـــإن كانا موجودين فلم يتحدا لأنهما اثنان لا واحد، وإن كانا معدومين فلا يصيران واحدا بل عدما، وحدث ثالث، وإن عدم إحداهما وبقي الآخر، فظاهر ذلك ليس باتحاد.

---

*قال تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ المائدة: ١٧ .

[167]- أنس، القس جيمس ،علم اللاهوت النظامي، ص٤٤٣ .

[168]- أنس، القس جيمس ،علم اللاهوت النظامي، ص٤٤٧ .

[169]-انظر القرافي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ، ٢٠٠٦م،ص١٣٤-١٣٥ .

وكون الاتحاد كاتحاد نقش الخاتم بالشمع، إن عنى به أن ذات المسيح صارت مثلا للباري، فهو محال لاستحالة أن يصير الجسم المحدث مترها قديما، وإن عنى به أنه حصلت له خاصية لأجلها قدر على ما لم يقدر عليه غيره فليس يقتضي ذلك كونه إلها وإلا لكان كل من ظهر على يده معجزات من الأنبياء إلها، لا سيما مثل معجزات موسى عليه السلام فإنها أعظم بكثير مما يحكى عن معجزات المسيح وأبعد من وقوع الحيلة فيها وأكثر رواة من رواتها، فإن رواة تلك هي الملل الثلاث* ورواة هذه بعضهم فلا يكون متواترا ولا موثوقا إليه، وبتقدير صحة النقل فهو غير بعيد في العقل أن يكون واقعا بالحيل أو بالمواطأة عليه وفي النتيجة هي إقناعية غير مفيدة لليقين[170].

وبهذا يكون نوع الارتباط بين العلة والمعلول عند النصارى ينحصر في الحديث عن تلازم الاتحاد مع الخلاف الواسع بينهم في بيان معنى الاتحاد ووهن الحجة في إثبات ذلك .

* هذه مغالاة ظاهرة من ابن كمونه إذ معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي حوت أفضل من كل ما تفرق من معجزات إخوانه المرسلين عليهم السلام ، وزيادة على ذلك المعجزة المحفوظة المتواترة- المُشاهدة والشاهدة على ما جرى من معجزات على يدي المرسلين عليهم السلام- كتاب الله تعالى المبين.

170- انظر ابن كمونة، سعد بن منصور، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٥٤-٥٥ وص٦١-٦٢وص٦٦ .

تعقيب:

في حقيقة الأمر نجد أن المحققين من أهل الإسلام يرون الأمر على غير ما زعمه النصارى فهم يرون :

أن مبعث عيسى عليه السلام كان في زمن انتشار الفلسفة اليونانية القائمة على الأخذ بالعلة والمعلول في انتظام قائم لا تخلف فيه، فخلق الكون في نظرهم كان من مصدره الأول، كالعلة من معلولها .

فكانـــت ولادة عيـــسى عليه السلام إبطالا صارخا لمعتقد نشأة المخلوقات عن الموجد نشوء علة عن معلول،فجاء ميلاد عيسى عليه السلام من غير أب ليؤكد لكل معتبر أن الله تعالى هو الفاعل المختار المريد خالق الأسباب والمسببات وهو على كل شيء قدير الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ،فكان ذلك الحدث خرقا للأسباب الطبيعية الجارية،حتى سرى أثر تلك المعجزة الربانية في سؤال البتول عليها السلام عن إمكانية الولادة من غير مس بشر لها، فلما علمت الخبر وعاينت تلك الآية الربانية بنفسها أشارت إليه عند مخاصمة قومها لها؛ لإقامة الحجة على صدقها، فتكلم في المهد كلام الحكماء البلغاء ،فكان تتابع مشاهد الخوارق يدل بشكل قاطع على أن الإيجاد والتكلم والأمور كلها تجري بإرادة العليم الحكيم والتي منها الأسباب والمسببات، وكذلك معجزات عيسى عليه السلام هي من قبيل التحدي الحسي للأسباب والمسببات، فهو يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله تعالى، وكذلك إنزال المائدة من السماء خرق للعادة ظاهر للعيان مما يشهد بحجج قاطعة أن الأمور تجري وفق إرادة الحكيم الخبير الفعال لما يريد[171] .

ومما يستدل به على سريان أثر قانون العلية الفلسفي على عقيدة النصارى تصور النصارى بعد المسيح عليه السلام للعلة والمعلول من خلال جعل العقل الأول هو الأب، والعقل الثاني هو الابن- أي عيسى عليه السلام- ، ثم بعد ذلك الروح القدس المنبثق من الاثنين أي من الآب والابن أو أحدهما أي من الآب أو الابن .

وهذا من أثر مدرسة الإسكندرية وخصوصا (أوريجين) أفلوطين* .

ومما يؤكد سريان الأثر الفلسفي في العلة والمعلول على عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام قصة أصحاب الكهف التي تشهد على نقاء العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام من كل هذه المزاعم حول بنوة المسيح وما يتعلق بها، وقد

---

[171]- أبـــو زهـــرة، محمـــد ،المعجزة الكبرى القرآن نزوله. جمعه.إعجازه.جدله.علومه.تفسيره.حكم الغناء به، دار الفكر العربي،ط غير معـــروفة،١٩٧٠م، ص٤٠٧-٤١١ بتـــصرف. وانظر أبو زهرة،محمد،محاضرات في النصرانية تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم،القاهرة-مصر،دار الفكر العربي،ط غير معروفة،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ،ص٢٠-٢١ .

* تعليق للأستاذ الدكتور عزمي طه السيد.

حدثت لفتية آمنوا بربهم يسيرون على هدي المسيحية الحقة التي أداها المسيح عليه السلام على ما يبدو من وقائعها التي تؤكد على إرادة الله الواحد القهار الذي يفعل ما يريد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ
فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟
بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ
إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ الكهف: ٩ - ١٥

كما أن العقل يقرر أن المعلول يكون من جنس العلة في الأمور العادية؛ فالإنسان لا يكون علة لقرد أو خنزير بل هو علة لإنسان آخر مثله وإذا ثبت هذا تأكد أن تنوع المخلوقات يدل بشكل قاطع على بطلان القول بالعلة والمعلول حيث إنه لا يمكن أن يوجد الخلق بتنوعه عن معلول واحد فتعين القول إن كل ما في هذا الوجود إنما هو مخلوق لخالق مريد حكيم يفعل ما يشاء ويختار وكل شيء عنده بمقدار مرتبط بإرادة الحكيم الخبير سبحانه وتعالى علوا كبيرا عما زعمه الضالون.

المبحث الرابع: في أقسام الحكم العقلي و أقسام الحكم العادي

المطلب الأول: أقسام الحكم العقلي

الحكم في اللغة المنع، ومنه سمي الحاكم حاكما؛ لأنه يمنع الظلم[172] .

وفي الاصطلاح:هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بواسطة: الشرع، أو العادة، أو العقل. فهو ثلاثة أقسام:

١- الحكم الشرعي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته الشرع، كإثبات الوجوب للصلاة .

٢- الحكم العادي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العادة والتجربة،كإثبات الإحراق للنار.

٣- الحكم العقلي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العقل، كإثبات الزوجية للعدد(٤)[173] .

والحكم العقلي هو ما يفهم من مجرد العقل من غير تكرار ولا وضع واضع،والعقل سر روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية، ومحله القلب ونوره في الدماغ، وابتداؤه من حين نفخ الروح في الجنين وأول كماله البلوغ[174] .

وكل ما يمكن أن يتصوره الفكر البشري لا يخلو أن يكون واحدا من **الأقسام العقلية الثلاثة الآتية:**

القسم الأول : جائز أو ممكن الوجود

وهو ما يقبل العقل إمكان وجوده وعدمه؛ لأن وجوده أو عدمه ليس واجبا في العقل ولا مستحيلا، ولا يوجد إلا بمرجح، ومثاله كإحراق النار ممكن عقلا لثبوت المشاهدة العادية .

القسم الثاني : مستحيل الوجود عقلا

وهو ما يوجب العقل عدمه ، ولا يجيز إمكان وجوده في أية حالة من الحالات التي يتصورها الذهن، كوجود الإنسان وعدم وجوده في مكان محدد، وزمان محدد؛ لأن الوجود والعدم متناقضان والجمع بينهما مستحيل عقلا في زمان واحد ومكان واحد.

القسم الثالث:واجب الوجود عقلا

وهو ما يوجب العقل وجوده، ولا يجيز إمكان انعدامه في أية حالة من الحالات التي يتصورها الذهن. ومثاله وجود الباري جل وعلا و وجوب الفردية للعدد ١ ،٣ وزوجية العدد ٢ ،٤ [175].

---

[172] -انظر،ابن منظور،لسان العرب،ج١٢،ص١٤٤ .

[173] -انظر الدوري، قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٢١١ .

[174] - فودة،سعيد عبد اللطيف،تهذيب شرح السنوسية أم البراهين،عمان-الأردن،دار الرازي،ط٢ ،١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م،ص٢٦-٢٧ .

[175] - انظر الباجوري، إبراهيم ، شرح جوهرة التوحيد،نسقه وخرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان،راجعه وقدم له فضيلة الأستاذ عبد الكريم الرفاعي،المدخل والتقسيم والتعليق والتصحيح د.محمد سمير الشاوي وعلاء الدين الحموي وأ. ندى الصباغ،سوريا،دار العصماء،ط -جديده منقحه،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، ص٦٧ ، و الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية وأسسها، دمشق-سوريا، دار القلم ، الطبعة السابعة،١٩٩٤م، ص٥٧- ٦٢ .

المطلب الثاني: أقسام الحكم العادي

يناظر أقسام الأحكام العقلية تماما أقسام الأحكام العادية، إلا أننا في الأحكام العادية ننظر إلى النظام القائم بحسب العـــادة الجارية لا بحسب ما يحكم به العقل بشكل مستقل في الأحكام العقلية، فتكون أقسام الأحكام العادية هي ما يأتي:

القسم الأول :الممكن في العادة :

وهـــو كل أمر يصح أن يوجد ويصح أن لا يوجد بحسب مجرى العادات، لأننا نشاهد وجوده مرة وعدم وجوده مرة أخرى ومثاله نزول المطر في المملكة الأردنية الهاشمية في شهر شباط يمكن أن يترل ويمكن أن لايترل.

القسم الثاني :المستحيل في العادة :

وهو كل أمر يخالف القانون المتبع باستمرار في نظام الكون .

وكـــثيرا ما يكون هذا الأمر المستحيل في العادة أمرا ممكنا في العقل؛ لكن النظام المستمر في الكون –الذي لم نلاحظ تخلفه–جعل هذه الأمور من المستحيلات في مألوف الناس وما اعتادوا مشاهدته باستمرار دون تخلف، كإحياء الموتى ، وانقلاب العصا حية تسعى.

القسم الثالث:الواجب في العادة:

وهـــو ضد المستحيل في العادة، وهو كل موجود لم نلاحظ في العادة تخلفه، كآثار قانون الجاذبية، ونظام خروج النبات من الأرض، إلى غير ذلك من أنظمة لم نشاهد تخلفها.

وهذا الواجب وجوده في العادة هو من الأمور الممكنة عقلا [176] .

والحكم العادي يعرف بالتجربة والتكرار، كوجود الاحتراق عند النار، فالخالق للإحراق هو الله تعالى فلا تأثير للنار بذاتها، وكذلك جميع الأسباب المادية، وإنما أجرى الله تعالى العادة أن يخلق الفعل عندها لا بها.

ويصح أن توجد النار ولا يخلق الله تعالى الإحراق، وكذلك الحال بالنسبة لتأثير جميع الأسباب العادية[177] .

---

[176]– انظر الباجوري، شرح جوهرة التوحيد ص٦٥–٦٧ ، والميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٦٢ .

[177]– فودة، تهذيب شرح السنوسية أم البراهين، ص٢٦ .

الفصل الثاني:

مفهوم الخوارق للعادات وأنواعها بين اليهودية والنصرانية والإسلام

تمهيد

المبحث الأول: توطئة في مفهوم الخوارق والعادات

المبحث الثاني: البشارات

المبحث الثالث:الإرهاص

المبحث الرابع: المعجزة

المبحث الخامس: الكرامة

المبحث السادس: المعونة

المبحث السابع: الإهانة

المبحث الثامن: الاستدراج

المبحث التاسع :السحر والشعوذة

تمهيد:

مـــن غير المعقول أن يدعي مدع أنه يمكن الوقوف على مشابهة تامة بين أسلوب عرض العهدين لخوارق العادات، وبـــين الإعجاز القرآني في دقة نقل الكلام عن خوارق العادات وغيرها؛ لأن ذلك ضرب من المحال فهو كمن يسعى للجمع بين النقيضين حيث التفاوت والتناقض الظاهر في نقل البشر لنصوص كتب العهدين وترجمتها في حدود النسخة الواحدة لكل عهد منهما،فكيف يكون الحال مع مقابلة أكثر من نسخة مترجمة لهما؟ .

ومهما يكن من أمر فإن إمكانية التوصل إلى مطابقة كاملة متعذرة بين ما نقله البشر من وحي الذاكرة بعد انقضاء زمـــن بعثة أنبيائهم[178] ، وبين ما هو متواتر النقل من نص الوحي الإلهي المنزه عن كل خلل أو نقص أو تضارب بين النصوص التي عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثلها .

قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢

ولذا يمكن الاستئناس بنصوص العهدين المعهودة الآن للوقوف على بقايا الحق الذي طمست معالمه بسبب تبديل أو تشويه أو تحريف أو غير ذلك،فيما يتعلق بمباحث خوارق العادات في محاولة جادة وهادفة لإنعاش نور الهداية المتجدد العطـــاء من ميراث النبوة لإمكانية تبصير كل من ضل بصره وبصيرته عنه، أو تجاوز هذيان من حل بساحته الغضب بسبب تقديسه لذاته بلا خجل من وزر معاصيه التي تدفع بركب النفور من رحمة الرحمن الرحيم .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ البقرة: ٨٩ - ٩٠

[178]-انظر زاده، عبد الرحمن الباحه جي،الفارق بين المخلوق والخالق -نقد الأناجيل-،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م، ص١٥-١٨ .

ومـــع وجود كثير من العقبات الداخلية والخارجية التي شوهت معالم الفهم الصحيح لمباحث خوارق العادات في القديم أو ربما في العصورالحديثة بهدف السيطرة على من ليس له دراية بحقيقة ما يشاهده من الغرائب التي خفي سببها عنه إلا أنه لامناص من محاولة كشف النقاب عن جوانب الحق لفهم كل مدلول يتعلق بخوارق العادات بما يتوافق مع قـــواعد العقائد التي تحدد القيود التي تفصل بين كل خارق وخارق آخر، فما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من معجزات لها ما يجليها من الضوابط فلا تلتبس بما هو كرامة للأولياء الذين يتابعون الأنبياء وهم على أكمل درجة من الإيمان والتقوى، فالكرامة تكون بعد التصديق بالمعجزات والتصديق يتطلب متابعتهم لما جاء به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من عقائد وشرائع وأخلاق ...الخ .

ومـــن ثم النظر في أوصاف ما يدعى من قبل الكذبة من أدعياء النبوة أو ما يجرى من خفة يد مشعوذ أو تضليل ســـاحر أو زمـــزمة[179] كاهن[180]فلكل منها أسبابها المعروفة لدى أهل الاختصاص والعلم والتي يسهل الوقوف عليها ومعرفتها .

ولهـــذا ســـيتم بإذن الله تعالى الحديث عن مفهوم خوارق العادات وأنواعها بين اليهودية والنصرانية والإسلام من خـــلال بـــيان مفهوم الخوارق لغة واصطلاحا والوقوف على معنى البشارات، كتمهيد يؤسس للحديث عن خوارق العـــادات، ومن ثم التوصل بإذن الله تعالى إلى القيود المعتبرة لكل خارقة وتيسير سبل الفهم الدقيق للمقصود بكل من الإرهـــاص، المعجزة، الكرامة، المعونة، الاستدراج، الإهانة، السحر والشعوذة، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أن لا حـــديث عـــند علماء اليهود والنصارى عن الإرهاص، والكرامة، والمعونة، والإهانة، والاستدراج، مع ضرورة العلم بإمكانية تقديم أمثلة لهذه الأنواع من نصوص العهدين وفق المعايير التي وضعها علماء الإسلام .

والله تعالى هو الموفق والهادي إلى سواء السبيل وبه وحده نستعين .

179- الزَّمْزَمة : صوت خَفّي مبهم لا يكاد يُفْهم. انظر المعجم الوسيط ج١/ص٤٠٠ .

180 - الكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب. الجرجاني، التعريفات، ص٢٦٤ .

المبحث الأول: توطئة مفهوم الخوارق والعادات

المطلب الأول: مفهوم الخارق لغة

الخارق مادته: خَرَقَ [181]

و الـــخَرْق: الفُرجة، وجمعه خُروق؛ خَرَقَهُ يَخْرِقُهُ خَرْقاً و خرَّقه و اخْتَرَقَه فتَـــخَرَّق و انْـــخَرَقَ و اخْرَوْرَق، يكون ذلك فـــي الثوب وغيره . فالـــخرق الشَّقُّ فـــي الـــحائط والثوب ونـــحوه[182] .

ويقال سيف خارق أي قاطع[183] .

المطلب الثاني : مفهوم العادة لغة

العادة مادتها: عَوَدَ [184]

عَادَ إليه: رجع، و عَوْدَةً أيضا، وفي المثل العَوْدُ أحمد .

و المَعَادُ بالفتح المرجع والمصير .

و عُدْتُ المريض أعودُهُ عِيادةً بالكسر، و العَادَةُ معروفة، والجمع عَادٌ و عَادَاتٌ تقول منه عَادَ فلان كذا

و اعْتَادَهُ و تَعَوَّدَهُ أي صار عادة له، و عَوَّدَ كلبه الصيد فَتَعَوَّدَهُ .

و اسْتَعَادَهُ الشيء فَأَعَادَهُ سأله أن يفعله ثانيا .

وفلان مُعيدٌ لهذا الأمر أي مُطيق له .

و المُعَاوَدَةُ الرجوع إلى الأمر الأول[185] .

فالعادة: كل ما اعتيد حتى صار يفعل من غير جهد، والحالة تتكرر على نهج واحد، كعادة الحيض في المرأة جمعها عاد، وعادات، وعوائد[186] .

---

[181]- ابن منظور، لسان العرب، ج١٠/ص٧٣ .

[182]- انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٠/ص٧٣ .

[183]-إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١/ص ٢٢٩ .

[184]- ابن منظور، لسان العرب، ج٣/ ص٣١٥ .

[185]- الرازي،محمد بن أبي بكر ،مختار الصحاح، ج١/ص١٩٣ .

[186]- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج٢/ص٦٣٥ .

المطلب الثالث : العادة اصطلاحا

العادة في الاصطلاح هي: ما درج عليه الناس واستمروا(عليه) مرة بعد أخرى[187].

وهناك تعريف آخر للعادة اصطلاحا ذكره الجرجاني ولكنه قيدها بحكم المعقول :

ما استمر الناس على حكم المعقول وعادوا إليه مرة بعد أخرى[188].

المطلب الرابع: خوارق العادات في الاصطلاح

خوارق العادات : هي أمور ممكنة في نفسها ممتنعة في العادة، بمعنى أنها لم تجر العادة بوقوعها، كانقلاب العصا حية، فإمكانها ضروري، وإبداعها ليس أبعد من إبداع خلق الأرض والسماء وما بينهما [189].

والأمر المعتاد:هو الشيء المتكرر على وجه واحد والوصف اللازم .

والاعتياد لذلك:هو وجود المعتاد له ومشاهدته إياه وعلم به على طريقة واحدة .

والمعود لذلك الشيء:هو المكرر لفعله على وجه واحد والجاعل له على صفة واحدة .

والمعود للفعل:هو الواجد له على طريقة واحدة[190] .

وما يدل على صدق الرسول من خرق العادة هو ما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يدخل جنسه تحت قدر العباد، كإحياء الميت، وقلب العصا حية، وإبراء الأكمه والأبرص[191] .

187- الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٢٦٤ .

188- الجرجاني، التعريفات، ص٢٢٣ .

189- الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٢٦٣ .

190- الباقلاني ،محمد بن الطيب، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات،بيروت-لبنان، المكتبة الشرقية ساحة النجمة، منشورات جامعة الحكمة في بغداد،عني بتصحيحه ونشره الآب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي،ط غير معروفة، ١٩٥٨م ،ص٥١ .

191-انظر الباقلاني ، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات...،ص٥٥ .

المطلب الخامس : أقسام الخارق في عرف العلماء

جاء في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلامة التهانوي بشأن الخارق في عرف العلماء ما نصه : " الخارق في عرف العلماء هو الأمر الذي يخرق بسبب ظهوره العادة، وهو على الصحيح ينقسم باعتبار ظهوره إلى ستة أقسام؛ لأن الخارق إما أن يظهر عن المسلم أو الكافر، والأول إما أن لا يكون مقرونا بكمال العرفان وهو المعونة أو يكون، وحينئذ إما مقرون بدعوى النبوة وهو المعجزة أو لا، وحينئذ لا يخلو إما أن يكون ظاهرا من النبي قبل دعواه وهو الإرهاص أو لا، وهو الكرامة .

والثاني أعني الظاهر على يد الكافر إما أن يكون موافقا لدعواه وهو الاستدراج أو لا، وهو الإهانة .

ومنهم من ربع القسم وأدخل الإرهاص في الكرامة، فإن مرتبة الأنبياء لا تكون أدنى من مرتبة الأولياء، وأدخل الاستدراج في الإهانة فإن معنى الاستدراج هو أن يقربه الشيطان إلى فساد على التدرج حتى يفعله سواء وافق ذلك غرض مرتكبه أو لم يوافق، وعاقبة ذلك حسرة وندامة، فقد آل الأمر إلى الإهانة "[192] .

فلذا تكون أقسام خوارق العادات السداسية كالآتي :

١- الإرهاص

٢- المعجزة

٣- الكرامة

٤- المعونة

٥- الاستدراج

٦- الإهانة

والقسمة الرباعية لخوارق العادات بدمج الإرهاص في الكرامة ودمج الاستدراج في الإهانة ، فتكون كالآتي:

١- المعجزة

٢- الكرامة

٣- المعونة

---

[192]- التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ص٧٣٠ .

٤- الإهانة .

والذي سنأخذ به في هذه الدراسة هو القسمة السداسية؛ لأنها أدق من القسمة الرباعية، وهذا ما سيظهر- بإذن الله تعالى- من خلال الوقوف على مفهوم كل قسم منها، وأبرز الفروق التي تميزه عن القسم الآخر.

أما بالنسبة إلى السحر فهناك خلاف بشأنه : أنه ليس من الخوارق؛ لأن مباشرة الأسباب المختصة ترتب ذلك بطريق جري العادة، وكذلك الطلسم والشعبذة وهذا هو الحق .

وقيل الحق إن السحر قد يكون من الخوارق فإنه ربما يحتاج إلى شرائط ليست مقدورة للبشر.

وقيل إطلاق الخارق على السحر على سبيل المجاز[193] .

والصواب من ذلك أن السحر ليس من خوارق العادات؛ لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه، ولكن بضدها تتميز الأشياء فمن كمال الفائدة أن نميل للحديث عن السحر مع الخوارق لمحاولة تجلية الحقائق بشأنه بإذن الله تعالى .

---

[193]- التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ص٧٣٠-٧٣١ .

المبحث الثاني: البشارات

المطلب الأول: البشارة في اللغة

مادتها: بَشَرَ [194]

البَشَرَةُ و البَشَرُ ظاهر جلد الإنسان، والبَشَر الخلق .

و مُبَاشَرَةُ الأمور أن تليها بنفسك، و بَشَرَ الأديم أخذ بشرته .

و بَشَرَهُ من البشرى و أَبْشَرَهُ أيضا، و بَشَّرَهُ تبشيراً والاسم البِشارَةُ بكسر الباء وضمها، ويقال: بَشَرَهُ بكذا بالتخفيف فأَبْشَرَ إِبْشَاراً أي سُر، وتقول: أبشر بخير بقطع الألف، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ فصلت: ٣٠ ، و بَشِرَ بكذا و استَبْشَرَ به، و بَشَرَني فلان بوجه حسن أي لقيني فلان، وهو حسن البِشْرِ أي طلق الوجه، و بُشْرَى إذا سميت به رجلا لم تصرفه معرفة كان أو نكرة للتأنيث ولزوم حرف التأنيث له بخلاف فاطمة وطلحة ونحوهما .

و البِشارَةُ المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة به،كقوله تعالى:﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ آل عمران: ٢١، و تَبَاشِيرُ القوم بشر بعضهم بعضا .

و التَّبَاشِيرُ البشرى، وتباشير الصبح أوائله وكذا أوائل كل شيء ولا فعل له، و البَشِيرُ المُبَشِّرُ و المُبَشِّراتُ الرياح تبشر بالغيث .

و البَشارةُ بالفتح الجمال تقول: منه رجل بَشِيرٌ وامرأة بَشِيرة[195] .

والبِشارة بكسر الباء الخبر السار لا يعلمه المُخبر به، والبِشارة ما يعطاه المُبَشِّرُ ، بشائر الصبح : أوائله .

وتباشير كل شيء : أوائله، وبشائر الوجه : محسناته[196] .

المطلب الثاني: البشارة في الاصطلاح

البشارة اصطلاحا هي: كل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه، ويستعمل في الخير والشر، وفي الخير أغلب[197].

من الملاحظ على تعريف البشارة اصطلاحا التركيز فيه على قيد كل خبر صدق، وأن استخدام البشارة في الشر ليس الغرض منه الخير، وإنما يقصد منه السخرية والتبكيت والتهكم بمن هم من أهل النار لبشاعة وقبح جرمهم، كقوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ ﴾ آل عمران: ٢١

194- ابن منظور، لسان العرب، ج٤/ ص٥٩ .

195- الرازي،محمد بن أبي بكر ،مختار الصحاح، ج١/ص٢٢ .

196-إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١/ص٥٨ .

197- الجرجاني، التعريفات، ص ١٠٥ .

المطلب الثالث : البشارات في العهدين

توطئة:

لقد وردت الكثير من البشارات بخاتم المرسلين إما بالاسم الصريح أو بالوصف الدقيق في كتب العهدين، بالإضافة للبشارات الموجودة في الأخبار الصحيحة المنقولة عن أهل الكتاب قبيل مبعث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – والتي لم يعثر عليها بنصها الآن في نصوص كتب العهدين[198] .

ويرى البروفسورعبد الأحد داود : " أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – هو الموضوع وهو الهدف الحقيقي للعهدين، وأن نبوءات العهد القديم قد تحققت فعلا فيه وحده، وليس في أحد غيره"[199] .

ولذلك فإن حاجة أهل الكتاب إنما تكمن في تحري البحث عن لغة الوحي التي نزلت بها كتبهم كي يقفوا على حقيقة ما جاء بها لعلهم يهتدون إلى الحق بدلا من التنازع حول ترجمة تلك النصوص التي دونها كتاب من وحي الذاكرة جاءوا بعد عصر نزول الوحي، ومحاولة إخضاع الترجمة لفهم العقل بمعزل عن لغة نصوص الوحي المفقودة بل والمختلف حولها هل هي عبرية أم يونانية أم لاتينية، ومع ذلك فإن بقايا الحق فيها كانت تعطي أهل الكتاب المؤشر لقرب ظهور النبي المرتقب في جزيرة العرب[200] .

وسنعرض– بإذن الله تعالى– لبعض البشارات التي جاءت في الكتاب المقدس على ما هو عليه الآن على الرغم من التبديل لكثير من ألفاظ البشارات كليا أو جزئيا أو إخفائها بالكامل، والتي تحدث عنها العلماء الأوائل على أساس أنها كانت نصوصا متداولة بين أهل الكتاب أنفسهم في عصرهم .

وفي الحديث عن موضوع البشارات في العهدين في بداية الحديث عن خوارق العادات بين اليهودية والنصرانية والإسلام فوائد جمة حيث إن البشارات تمهد وتؤسس الأمم لاستقبال صاحب المعجزة الخالدة خاتم الأنبياء والمرسلين الذي سيكشف به الله تعالى الغُمة؛ لتتجلى معالم بعثته عليه الصلاة والسلام في خير أمة أخرجت للناس .

---

[198]–انظر المغربي،السموأل بن يحي،بذل المجهود في إفحام اليهود،دراسة وتحقيق د.أحمد حجازي أحمد السقا،الجيزة–مصر،مكتبة النافذة، ط١ ،٢٠٠٥م،ص٢٤ .

[199]– داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ص٣٦ .

[200]–انظر عامري،سامي،محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس،القاهرة–مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٧م، ص٤٥–٤٦ وص٧٣–٧٥ .

فالبـــشارة تعد أساس الفرح الحقيقي حيث أسست البشارة بقميص يوسف عليه السلام الذي ألقاه البشير على وجه يعقـــوب علـــيه السلام للأمل عند يعقوب عليه السلام بلقاء يوسف عليه السلام بعد طول انتظاره للفرج ، فرجع له بصره بعدما ابيضت عيناه من الحزن؛ لأمر خارق للعادة وقع كما أخبر يوسف عليه السلام، وهو معجزة ليوسف عليه الـــسلام، وكذلك وجدان يعقوب عليه السلام ريح يوسف من بعد ما فصلت العير معجزة ليعقوب عليه السلام على الرغم من بعد المسافة التي يتعذر فيها الشم ضمن ما هو معتاد عادة .

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

يوسف: ٩٣ - ٩٦

فالوقـــوف على حقيقة البشارات يعطي المتأمل لها نظرة حقيقية لمسار تكامل شهادات الذين أجريت على أيديهم الخـــوارق من المرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام بشأن دقة أوصاف، وقرب مبعث النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، صاحب المعجزة الخالدة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ الصف: ٦ .

فمن المناسب أن نشير إلى بعض بقايا الشهادات الصادقة التي أسست لاستقبال الرحمة المهداة محمد صلى الله عليه وســـلم في الكـــتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم على ضوء ما هو مقر به عند أهل الكتاب في زماننا هذا، ولست أدري كـــيف يغفل أهل الكتاب عن المقصد الحقيقي من البشارات التي تعتبر البشرى الواحدة منها كافية بإنارة معالم طـــريق الهدايـــة لهـــم بلا أدنى ذرة من الشك في مصداقيتها على شخص رسول الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم صاحب المعجزة الخالدة التي حفظت ما اندثر من أخبار الأمم الماضية، وقومت إعوجاج بقايا آثار ذاكرة البشر لما بلغه الأنبـــياء عليهم السلام لأقوامهم من نصوص الوحي المفقود أصلها الآن عن غيب المستقبل ببشرى قرب ظهور النبي الخاتم .

المقصد الأول: البشارات في العهد القديم

لقـــد ورد الكثير من البشارات بالنبي الخاتم عليه الصلاة والسلام في العهد القديم، وإن كان أهل الكتاب يجحدونها فظاهر عهديهم يشير إلى الكثير من البشارات بشكل جلي في كثير من الأحيان، والتي منها ما يلي[201] :

١-البشارة بعالمية رسالة النبي الخاتم.

ففي سفر حجي ٢:٥-٩ " ٥حَسَبَ الكَلامِ الذي عاهَدْتُكُمْ بهِ عِندَ خُروجِكُمْ مِنْ مِصرَ، وروحي قائمٌ في وسطِكُمْ. لا تخافوا.٦لأنَّهُ هكذا قالَ رَبُّ الجُنودِ: هي مَرَّةٌ، بَعدَ قَليلٍ، فأُزَلزِلُ السماواتِ والأرضَ والبحرَ واليابسَةَ،٧وأُزَلزِلُ كُلَّ الأُمَمِ. ويأتي مُشتَهَى كُلِّ الأُمَمِ، فأملأُ هذا البَيتَ مَجدًا، قالَ رَبُّ الجُنودِ.٨لي الفِضَّةُ ولي الذَّهَبُ، يقولُ رَبُّ الجُنودِ.٩مَجـدُ هـذا البَيتِ الأخيرِ يكونُ أعظَمَ مِنْ مَجدِ الأوَّلِ، قالَ رَبُّ الجُنودِ. وفي هذا المَكانِ أُعطي السَّلامَ، يقولُ رَبُّ الجُنودِ".الوعد بحلول مجد الرب على البيت الجديد".

ويأتي مُشتَهَى كُلِّ الأُمَمِ فهذه العبارة صريحة الدلالة على عالمية رسالة النبي الخاتم المبشر به.

و في سـفر دانيـال ٧ :٢٧" ٢٧والمَملكَةُ والسُّلطانُ وعَظَمَةُ المَملكَةِ تحتَ كُلِّ السماءِ تُعطَى لشَعبِ قِدِّيسي العَليِّ. ملكوتُهُ ملكوتٌ أبديٌّ، وجميعُ السَّلاطينِ إيّاهُ يَعبُدونَ ويُطيعونَ" .

فلم تخضع جميع الملوك والسلاطين إلا لسلطان الدين الذي جاء به النبي المُبَشر به محمد صلى الله عليه وسلم .

٢-أنه صاحب شريعة كشريعة موسى عليه السلام وهو مؤيد بالوحي وهو من نسل إسماعيل عليه السلام.

فقد ورد في سفر التثنية ١٨ :١٨ " ١٨أُقيمُ لهُم نَبيًّا مِنْ وسطِ إخوَتِهِمْ مِثلكَ، وأجعَلُ كلامي في فمِهِ، فيُكلِّمُهُمْ بكُلِّ ما أوصيهِ بهِ".

فالمـسيح علـيه السلام لم يدع أنه النبي المشار إليه حتى أن حواريه كانوا على نفس رأيه ، وأنهم يتطلعون إلى عودة المـسيح مرة ثانية؛ فهي تكون بوصفه تابع لشريعة خاتم المرسلين فلا تحمل معنى هذه البشارة "أُقيمُ لهُم نَبيًّا مِنْ وسطِ إخوَتِهِمْ مِثلكَ" فهو أيضا من نسل داود وليس من نسل إسماعيل وهو متمم لشريعة موسى عليه السلام .

وأجعَلُ كلامي في فمِهِ، فيُكلِّمُهُمْ بكُلِّ ما أوصيهِ بهِ دلالة على نطقه بالوحي، وهذا يتوافق مع ما أكده القرآن الكريم بحق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣ - ٤

فإذا لم تنطبق هذه البشارة على نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – فعلى من تنطبق إذن ولا سيما أنه به ختمت النبوة فتعين أنه هو عين تلك البشارة لا محالة[202] .

---

[201]-انظر في موضوع البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس، القرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،المستشار:توفيق علي وهبة،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص٢٥٣-٢٨٢،حيث ذكر إحدى وخمسين بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب المقدس، فليرجع إليه من أحب .

[202]- انظر داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ص٣١ .

٣-البشارة بمكان البعثة ٠

جاءت البشارة بمكان البعثة والتي هي فاران* وهي تعبير عن جبال مكة التي اكتمل فيها نزول الوحي على النبي الخاتم ، فقد وردت هذه البشارة في سفر التثنية ٣٣: ٢ " جاءَ الربُّ مِنْ سيناءَ، وأشرَقَ لهُم مِنْ سعيرَ، وتلألأ مِنْ جَبَل فارانَ"، وفي ترجمة العربية المشتركة "وتَجلّى مِنْ جبَلِ فارانَ" ٠

فسيناء فيها نزل الوحي على موسى عليه السلام، وسعير المكان الذي بعث فيه عيسى عليه السلام وفاران هي جبال مكة والتي نزل فيها جبريل عليه السلام على خاتم المرسلين وهو في غار حراء[203] ٠

وهذا ما أشارت إليه سورة التين،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ ﴾

التين: ١ - ٣

ولكن ما ذكره العهد القديم جاء حسب الترتيب الزمني لبعثة الأنبياء موسى عيسى ومحمد عليهم السلام ، والقرآن الكريم ذكر الإشارة للبشارة على حسب درجة الكتب المنزلة الإنجيل ثم التوراة وأعظمهما القرآن الكريم ٠

٤-البشارة بسطوع نور التوحيد وحج البيت الحرام ٠

حيث ورد ما ينسبه العهد القديم لمدينة صهيون في سفر أشعياء ٦٠: ١-٧ " ١"قومي استَنيري لأنَّهُ قد جاءَ نورُكِ، ومَجدُ الربِّ أشرَقَ علَيكِ.٢لأنَّهُ ها هيَ الظُّلمَةُ تُغَطِّي الأرضَ والظَّلامُ الدّامِسُ الأُمَمَ. أمّا علَيكِ فيُشرِقُ الربُّ، ومَجدُهُ علَيكِ يُرَى.٣فتَسيرُ الأُمَمُ في نورِكِ، والمُلوكُ في ضياءِ إشراقِكِ.٤"ارفَعي عَينَيكِ حَوالَيكِ وانظُري. قد اجتَمَعوا كُلُّهُمْ. جاءوا إلَيكِ. يأتي بَنوكِ مِنْ بَعيدٍ وتُحمَلُ بَناتُكِ علَى الأيدي.٥حينَئذٍ تنظُرينَ وتُنيرينَ ويَخفُقُ قَلبُكِ ويتَّسِعُ، لأنَّهُ تتحَوَّلُ إلَيكِ ثَروَةُ البحرِ، ويأتي إلَيكِ غِنَى الأُمَمِ.٦تُغَطّيكِ كثرَةُ الجِمالِ، بُكرانُ مِديانَ وعيفَةَ كُلُّها تأتي مِنْ شَبا. تحمِلُ ذَهَبًا ولُبانًا، وتُبَشِّرُ بتَسابيحِ الربِّ.٧كُلُّ غَنَمِ قيدارَ تجتَمِعُ إلَيكِ. كِباشُ نَبايوتَ تخدِمُكِ. تصعَدُ مَقبولَةً علَى مَذبَحي، وأُزَيِّنُ بَيتَ جَمالي" ٠

وهذا النص المتقدم إن صح فهو في تقديري ينطبق على بيت الله الحرام وليس على مدينة صهيون؛ لأن واقع الحال يبرهن على صدق ذلك حيث التوحيد يستطع نوره من بيت الله الحرام بمكة، ومكة المكرمة مقصد ملايين الحجاج من المؤمنين في كل عام، وهذا أيضا ما يؤكده صريح القرآن الكريم ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝١٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٢٦ ﴾

البقرة: ١٢٥ - ١٢٦

---

*فاران في طريق مكة قبل العون بميلين ونصف، وهو كان المنزل للمسافرين على يسار الطريق من العراق إلى مكة٠ الرازي، المحصل، ص ١٥٤ ٠

[203]- انظر داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ص٣١ ٠

فقد جاء الحق وزهق الباطل فالمدينة التي سطع فيها نور التوحيد ويحج إليها هي مكة وليست صهيون؛ لأن غنم قيدار تخـــص العرب، وانتشر الإسلام وخضعت الأمم لدين الله تعالى، وحجت بيت الله الحرام وساقوا معهم الأنعام شكرا للمنعم رجالا ونساء إقبالا على نور التوحيد [204].

٥- البشارة بمعجزة الإسراء والمعراج الشريفين.

فقـــد جـــاءت هذه البشارة في سفر ملاخي ٣ : ١-٢ "١"هَأَنَذا أُرسِلُ مَلاكي فَيُهَيِّئُ الطريقَ أمامي. ويأتي بَغتَةً إلَى هيكلِه السَّيِّدُ الذي تطلُبونَهُ، ومَلاكُ العَهدِ الذي تُسَرّونَ بهِ. هوذا يأتي، قالَ رَبُّ الجُنودِ"٢ومَنْ يَحتَمِلُ يومَ مَجيئِهِ؟ ومَنْ يَثبُتُ عِندَ ظُهورِهِ؟ لأنَّهُ مِثلُ نارِ المُمَحِّصِ "*.

و يأتي بَغتَةً إلَى هيكلِهِ السَّيِّدُ الذي تطلُبونَهُ، فهذه بشارة قد تحققت بحصول معجزة الإسراء والمعراج الشريفين[205]، كما أخبر المولى عز وجل قَالَ تَعَالَى:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١

٦-البشارة بخضوع الأمم للإسلام، وأنه يأمر بالجهاد في سبيل الله .

حيث يرمز إلى ذلك ما هو في مزمور٤٥ : ٢-٥ " ٢أنتَ أبرَعُ جَمالاً مِنْ بَني البَشَرِ. انسَكَبَتِ النِّعمَةُ علَى شَفَتَيكَ، لِـــذلكَ بارَكَكَ اللهُ إلَى الأبدِ.٣تقَلَّدْ سيفَكَ علَى فخذِكَ أيُّها الجَبّارُ، جَلالكَ وبَهاءَكَ.٤وبجَلالِكَ اقتَحِمِ. اركَبْ. مِنْ أجـــلِ الحَـــقِّ والدَّعَةِ والبِرِّ، فتُريَكَ يَمينُكَ مَخاوِفَ.٥نَبلُكَ المَسنونَةُ في قَلبِ أعداءِ المَلِكِ. شُعوبٌ تحتكَ يَسقُطونَ.٦كُرسيُّكَ يا اَللهُ إلَى دَهرِ الدُّهورِ. قَضيبُ استِقامَةٍ قَضيبُ مُلكِكَ.٧أحبَبتَ البِرَّ وأبغَضتَ الإثمَ، مِنْ أجلِ ذلكَ مَسَحَكَ اللهُ إلهُكَ بدُهنِ الابتِهاجِ أكثَرَ مِنْ رُفَقائكَ".

وكذلك في مزمور ١٤٩: ٥-٩ " ٥ليَبتَهِجِ الأتقياءُ بمَجدٍ. ليُرَنِّموا علَى مَضاجِعِهِمْ.٦تنويهاتُ اللهِ في أفواهِهِمْ، وسيفٌ ذو حَـــدَّينِ في يَدِهِمْ.٧ليَصنَعوا نَقمَةً في الأُمَمِ، وتأديباتٍ في الشُّعوبِ.٨لأسرِ مُلوكِهِمْ بقُيودٍ، وشُرَفائهِمْ بكُبولٍ مِنْ حَديدٍ.٩ليُجروا بهِمِ الحُكمَ المَكتوبَ. كرامَةٌ هذا لجميعِ أتقيائهِ".

ومن ذلك ذكر راكب الجمل الذي تفتح على يديه بابل ففي أشعياء٢١ : ٦-٩ " ٦لأنَّهُ هكذا قالَ لي السَّيِّدُ:"اذهَبْ أقِـــمِ الحارِسَ. ليُخبِرْ بما يَرَى".٧فرأى رُكّابًا أزواجَ فُرسانٍ. رُكّابَ حَميرٍ. رُكّابَ جِمالٍ. فأصغَى إصغاءً شَديدًا،٨ثُمَّ صَرَخَ كأسَدٍ:"أيُّها السَّيِّدُ، أنا قائمٌ علَى المَرصَدِ دائمًا في النَّهارِ، وأنا واقِفٌ علَى المَحرَسِ كُلَّ اللَّيالي.٩وهوذا رُكّابٌ مِنَ

---

[204]- انظر عامري، سامي، محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس، ص٣٠٤-٣٠٦ .

*- النص عند عبد الأحد هو: "هَأنَذا أُرسِلُ رسولي فيمهد الطريقَ أمامي، ويأتي بَغتَةً إلَى هيكلِهِ السَّيِّدُ الذي تطلُبونَهُ، ومَلاكُ العَهدِ الذي تُسَرّونَ بهِ، وفي هذا المكان سوف أعطي السلام، هوذا يأتي. هكذا قالَ رَبُّ الجُنودِ" . في كتابه، محمد في الكتاب المقدس، ص٥٢

[205]- انظر داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ص٥٢، وعامري، محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة ...، ص٣٤٧-٣٤٩ .

الـــرِّجالِ. أزواجٌ مِـــنَ الفُرســـانِ". فأجابَ وقالَ:"سقَطَتْ، سقَطَتْ بابلُ، وجميعُ تماثيلِ آلِهَتِها المَنحوتَةِ كسَّرَها إلَى الأرضِ". فـــركاب الجمال هم العرب فيكون راكب الجمل إشارة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى يديّ صحابته رضوان الله تعالى فتحت بابل .

٧-بشرى الملاك لهاجر عليها السلام بتكثير نسلها فلا يعود يحصى .

وردت هـــذه البشارة في سفر التكوين ١٦ : ١٠- ١٢ " ١٠وقالَ لها مَلاكُ الربِّ:"تكثيرًا أُكثِّرُ نَسلكِ فلا يُعَدُّ مِنَ الكَثرَةِ". ١١وقالَ لها مَلاكُ الربِّ: "ها أنتِ حُبلَى،فتلِدينَ ابنًا وتدعينَ اسمَهُ إسماعيلَ،لأنَّ الربَّ قد سمِعَ لمَذَلَّتِكِ.١٢وإنَّهُ يكونُ إنسانًا وحشيًّا،يَدُهُ علَى كُلِّ واحِدٍ،ويَدُ كُلِّ واحِدٍ علَيهِ،وأمامَ جميعِ إخوَتِهِ يَسكُنُ." وكذلك ٢١ :١٨ – ٢١ " ١٨قومِـــي احمِلِـــي الغُلامَ وشُدِّي يَدَكِ بهِ، لأنِّي سأجعَلُهُ أُمَّةً عظيمَةً".١٩وفَتَحَ اللهُ عَينَيها فأبصَرَتْ بئرَ ماءٍ، فذَهَبَتْ ومَلأتِ القِربَةَ ماءً وسقَتِ الغُلامَ.٢٠وكانَ اللهُ مع الغُلامِ فكبِرَ، وسكَنَ في البَرِّيَّةِ، وكانَ يَنمو راميَ قَوسٍ.٢١وسكَنَ في بَرِّيَّةِ فارانَ، وأخَذَتْ لهُ أُمُّهُ زَوجَةً مِنْ أرضِ مِصرَ".

٨-بشرى الله لإبراهيم عليه السلام في طلبه أن يحيا إسماعيل في رعاية الله له وأنه يصبح أمة كبيرة .

ففـــي سفر التكوين ١٧: ٢٠ "٢٠وأمّا إسماعيلُ فقد سمِعتُ لكَ فيهِ. ها أنا أُبارِكُهُ وأُثمِرُهُ وأُكَثِّرُهُ كثيرًا جِدًّا. اِثنَيْ عشَرَ رَئيسًا يَلِدُ، وأجعَلُهُ أُمَّةً كبيرَةً."

فهذه البشارات تؤسس لقرب مبعث النبي الخاتم صاحب المعجزة الخالدة، وأنه من نسل إسماعيل عليه السلام وأن نسله سيكثر كعدد نجوم السماء، وفي ذلك تحفيز للبشرية للاستعداد لاستقبال الدين العالمي الخاتم والنهوض بمستلزماته .

وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه المبين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧

فكما أن معجزة الفصاحة والبيان في كتاب الله قد أخضعت رقاب فصحاء العرب للحق، فكذلك حال البشارات مـــع أهل الكتاب حيث إنما قد أقامت الحجة عليهم بقرب ظهور المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ولزوم متابعته؛ لأن البـــشارات تستند في أصلها لوحي مخبر عن غيب المستقبل، فُقد أصل نصه وبقيت بقايا من آثاره في ذاكرة البشر التي قصرت في حفظه .

المقصد الثاني: البشارات في العهد الجديد

لقد تضافرت بقايا الحق من بشارات العهد الجديد مع بقايا الحق من بشارات العهد القديم فكلا العهدين على الرغم من الأثر البشري في تدوينهما قد بشر بقرب مبعث صاحب الرسالة الخاتمة، وكما كان ميلاد عيسى الخارق للعادة عند النصارى يحمل(ترنيمة)* أنشودة ملائكية تبشر بقرب قيام مملكة الإسلام[206]،فكذلك انطلاق المسيح ورفعه يبشر أنه العلامة الأخيرة التي سيظهر بعدها المُعين الذي سيبقى شرعه إلى الأبد .

وهذا ما نبه إليه القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ الصف: ٦

لـذا سنتحدث بشيء من الإيجاز عن بقايا دلالات الحق من بشارات العهد الجديد بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم والتي منها ما يلي :

١-طلب المسيح من الله تعالى إرسال المعزي .

يوحنا ١٤ :١٦" ١٦وأنا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعطيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمكُثَ معكُمْ إلى الأبدِ" .

وأنـه يذكـر بما قاله المسيح يوحنا ١٤ : ٢٦ " ٢٦وأمّا المُعَزّي، الرُّوحُ القُدُسُ، الّذي سيُرسِلُهُ الآبُ باسمي، فهو يُعَلّمُكُمْ كُلَّ شَيءٍ، ويُذَكّرُكُمْ بكُلّ ما قُلتُهُ لكُم "[207].

وأنه يعلم بكل شيء دلالة على أنه يوحى إليه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ – ٤

٢-شهادة النبي الخاتم لنبوة عيسى عليه السلام .

---

* أصلها المحرف في لوقا ٢: ١٤"الحمد لله في الأعالي وللناس المسرة وعلى الأرض السلام" .

[206] ممـا يـؤكد حقـيقة بـشرى الملائكة بدين الإسلام والوقوف على أصل ترجمتها الحقيقية في الكتاب المقدس ما قرره أصحاب الاختـصاص بأن أصل العبارة هي: الحمد لله في الأعالي وللناس أحمد وعلى الأرض إسلام . انظر داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكـتاب المقـدس ص١٤٦-١٥٤ ،والقرافي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦، ص١٥٧ .

[207]- كـان من البشارات لفظ" برقليطوس" وهي تعني أحمد أو محمد وهي تدور حول معاني الحمد الذي هو مفتاح كتاب رب العالمين وهـذا اللفظ لم يعد موجودا الآن في نصوص العهد الجديد وإنما يذكر لفظ المعين أو المعزي. انظر داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكـتاب المقـدس ص٢١٩-٢٢٩، و عتر، حسن ضياء الدين ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن، بيروت- لبنان ،دار البشائر الإسلامية،ط١ ،١٩٩٠م، ص٢٨٣-٣١٥ .

حيث جاء في يوحنا ١٥ : ٢٦ ٢٧ " ومَتى جاءَ المُعَزّي الّذي سأُرسِلُهُ أنا إلَيكُمْ مِنَ الآبِ*، روحُ الحَقِّ، الّذي مِنْ عِندِ الآبِ يَنبَثِقُ، فهو يَشهَدُ لي.٢٧وتشهَدونَ أنتُم أيضًا لأنَّكُمْ مَعي مِنَ الاِبتِداءِ" .

فعلى الرغم من المآخذ على هذا النص والتي منها أنه يمنح عيسى عليه السلام قدرة على إرسال الأنبياء (الّذي سأُرسِلُهُ أنا إلَيكُمْ مِنَ الآبِ)، إلا إنه يقر بصراحة على وجود بقايا شهادة حق وهي شهادة النبي الخاتم لنبوة عيسى عليه السلام ومطالبة أتباعه بالإيمان نبوته، التي طمست معالمها الحقيقية عند النصارى .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) ﴾ المائدة: ٨٣

٣-علامة ظهور النبي الخاتم ذهاب عيسى عليه السلام وهو الرفع .

وردت هذه البشارة في سفر يوحنا ١٦ : ١٠ - ١٣" ١٠وأمّا على برّ فلأنّي ذاهبٌ إلى أبي ولا ترَوْنَني أيضًا،١١وأمّا علــى دَينونَةٍ فلأنَّ رَئيسَ هذا العالَمِ قد دينَ.١٢"إنَّ لي أُمورًا كثيرَةً أيضًا لأقولَ لكُم، ولكن لا تستَطيعونَ أنْ تحتَمِلوا الآنَ.١٣وأمّـــا مَتـــى جاءَ ذاكَ، روحُ الحَقِّ، فهو يُرشِدُكُمْ إلى جميعِ الحَقِّ، لأنَّهُ لا يتكلَّمُ مِنْ نَفسِهِ، بل كُلُّ ما يَسمَعُ يتكَلَّمُ بهِ، ويُخبِرُكُمْ بأُمورٍ آتيَةٍ".

فالذي أخبر عن الغيوب المستقبلة بوحي من السماء هو نبينا الخاتم عليه السلام .

وكذلك في يوحنا ١٦ :١٦" ١٦بَعدَ قَليلٍ لا تُبصِرونَني، ثُمَّ بَعدَ قَليلٍ أيضًا ترَوْنَني، لأنّي ذاهِبٌ إلى الآبِ".

ومن المفارقات العجيبة اعتقاد النصارى بأن المسيح قد بشر أحد المذنبين من اللصوص الذين صلبوا معه بالجنة بل الجزم بأنه سيكون معه في الفردوس في اليوم الصلب، و لم يستطيع تبشير تلاميذه بقدرته على النجاة من الأذى أو القتل أو أنه يفعل ذلك من أجل خلاص البشرية ! .

فقد جاء في لوقا ٢٣ : ٤٣ " ٤٣فقالَ لهُ يَسوعُ: "الحَقَّ أقولُ لكَ: إنَّكَ اليومَ تكونُ مَعي في الفِردَوسِ".

فأين هذا من اعتقادهم بقيامة المسيح من الأموات بعد أربعة أيام من قتله على الصليب، وهو قد بشر اللص بمعيته له في الجنة منذ اليوم الأول من الصلب!.

والقرآن الكريم يشهد بأنه لم يصلب، فكيف يتم تسطير البشارات للص بالفردوس من منبر الصليب؟ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴾

النساء: ١٥٧ - ١٥٨ .

---

* رفــع عيسى عليه السلام هو الذي يبشر بقرب مبعث النبي الخاتم الذي سيشهد بنبوة عيسى عليه السلام، ولا توافق نص العهد الجديد على ظاهره؛ لأن عيسى عبد الله ورسوله لا يملك القدرة أو الشراكة مع الله تعالى على إرسال الأنبياء والمرسلين .

المبحث الثالث: الإرهاص

المطلب الأول: الإرهاص في اللغة

مادته: رَهَصَ [208]

الرَّهْصُ: أن يُصيبَ الـحجرُ حافراً أو مَنسِماً فـيَدْوَى باطنه، تقول: رَهَصَه الـحجرُ وقد رُهِصَت الدَّابة رَهْصاً و رَهِصَت و أرهَصَه ، والاسم الرَّهْصةُ ،

و الرِّهْصُ، بالكسر: أسفلُ عرق فـي الـحائط و الـمَراهصُ: الدَّرَجُ ، الإرْهاصُ: الإثْبات،

وأصله من الرِّهْصِ: وهو تأسِيسُ البُنْـيانِ [209].

ورَهَصَ الشيء: عَصَرَه شديدا

أرْهَصَ الشيء : أثبته وأسسه

رَاهَصَهُ : راصَدَه وراقبه [210].

وما قبل النبوة من الخوارق يسمى إرهاصا : أي تأسيسا للنبوة ،وتمهيدا ، من أرهصت الحائط إذا أسسته [211] .

وهو الخارق الذي يظهر من النبي قبل البعثة، سمي به؛ لأن الإرهاص في اللغة بناءُ البيت* ،

فكأنه بناء بيت إثبات النبوة [212] .

---

[208]- ابن منظور، لسان العرب، ج٧/ ص٤٣ .

[209]- انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٧/ ص٤٣- ٤٤ .

[210]-إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١/ص٣٧٧ .

[211]- القدسي، ابن أبي شريف ، المسامرة بشرح المسايرة، ص٢٤٢ .

* مغاير لما سبق إذ أن الإرهاص لغة تأسِيسُ البُنْـيانِ وليس بناءُ البيت .

[212]- التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ص١٤١، نقلا عن حواشي شرح العقائد .

المطلب الثاني: الإرهاص في الاصطلاح

وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيسا لها، كإظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، أو كظهور النور في جبين أبيه عبد الله[213] .

والإرهاص: هو العلامات الدالة على بعثة نبي قبل بعثته[214] .

هـــذا وقد فرق الجرجاني بين ما يظهر من خوارق قبل الميلاد وما يحصل قبل البعثة أو النبوة فأورد بناء على ذلك ثلاثة تعاريف للإرهاص اصطلاحا هي :

١-مـــا يظهر من الخوارق عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، كالنور الذي كان في جبين آباء نبينا صلى الله عليه وسلم .

٢- إحداث أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته.

٣-مـــا يـــصدر من النبي صلى الله عليه وسلم، قبل النبوة، من أمر خارق للعادة، وقيل: إنها من قبيل الكرامات، فإن الأنبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الأولياء[215] .

وقـــد ذكر سيف الدين الآمدي ما نصه :" كل خارق على يد النبي قبل بعثته ، فهو من باب الكرامات والأنبياء قبل البعثة لا يخرجون عن درجة الأولياء، وظهور الكرامات على أيدي الأولياء جائز عندنا" [216].

وعند التحقيق نجد أن ما يحصل من خوارق للأنبياء قبل البعثة يسمى إرهاصا وليس كرامة إذ الكرامة للأولياء المؤمنين المستقين أهـــل الاستقامة، ثم إن العلامات الإرهاصية مأخوذة من الرهص بالكسر وهو أساس الحائط فسميت تلك الخوارق الواقعة قبل البعثة إرهاصا؛ لأنها مؤسسة للنبوة ومقوية لها وإن كانت متقدمة عليها، وذلك كخمود نار فارس وانشقاق إيوان كسرى، والنور الذي كان يظهر في جبهة عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم[217] .

---

[213]- الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٢٦٤ .

[214]-الحامدي، إسماعيل بن موسى، حواش على شرح الكبرى للسنوسي، ص٤٤٩ .

[215]- الجرجاني ، التعريفات، ص٧٤ .

[216]- الآمدي سيف الدين، أبكار الأفكار، ج٢/ص٦٦٨ .

[217]- الدسوقي، الشيخ محمد ، حاشية الدسوقي على أم البراهين، لمؤلفها محمد السنوسي،طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص١٧٧ .

ويمكن تقسيم الإرهاص إلى نوعين هما ما يلي :

١-الإرهاصات الثابتة في ذات النبي صلى الله عليه وسلم:

كالنور الذي كان ينقلب في آبائه إلى أن ولد، وولادته مختونا مسرورا واضعا إحدى يديه على عينيه والأخرى على سوأته، وما كان من خاتم النبوة بين كتفيه، وطول قامته عند الطويل، ووساطته عند الوسيط، ورؤيته من خلفه كأن يرى من قدامه[218] .

٢-الإرهاصات الخارجة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم:

كخرور الأوثان سجدا ليلة ولادته، وسقوط شرف قصور الأكاسرة، وإظلال السحاب له، وتسليم الحجر عليه[219] ، ومن ذلك أيضا إهلاك أصحاب الفيل بحجارة من سجيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾ الفيل: ١ - ٥

قال ابن كثير في معرض تفسيره لهذه السورة الكريمة :

" هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم أنوفهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، وَرَدهم بشر خيبة. وكانوا قوما نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالا مما كانت عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم -يا معشر قريش-على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد، صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء " [220] .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن بعض إرهاصات الأنبياء عليهم السلام والتي منها ما هو متعلق بنجاة موسى عليه السلام من فرعون، ومنها هو متعلق ببراءة مريم من إرهاصات عيسى عليه السلام وهو في المهد، وفي كل تأسيس لاستقبال النبوة وتسليط الضوء على عناية الله تعالى بهم منذ مقدمات وجودهم بين أظهر أقوامهم .

---

[218]- انظر التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد ج٥/ص٣٨ .

[219]- التفتازاني، مسعود بن عمر، شرح المقاصد ج٥/ص٣٨ .

[220]- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع،تحقيق سامي بن محمد سلامة،ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م،م ٥٤٨/٤ - ٥٤٩ .

المبحث الرابع: المعجزة

توطئة:

لم يـــرد مصطلح معجزة في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة كذلك، وإنما ظهر هذا المصطلح بعد تدوين العلوم ومنها علم العقيدة، وذلك في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري حيث إنه ورد في القرآن الكريم لفظ ١-الآية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) ﴾ الأنعام: ١٠٩

٢-كما ورد لفظ البينة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) ﴾

الأعراف: ٧٣

٣-ولفظة البرهان :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٣٢) ﴾ القصص: ٣٢

٤-كما يأتي أحيانا التعبير عن المعجزة بالسلطان في القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠) ﴾ إبراهيم: ١٠

ولعـــل في الاصـــطلاح على لفظ المعجزة رفع للدلالة المشتركة التي تقع للألفاظ التي أشار إليها القرآن الكريم، وهي لفظ:الآية، بينة، برهان، وسلطان إذ إنها تدل على المعجزة وغيرها من الألفاظ، فلفظ الآية مثلا يشترك في الدلالة على ما يلي[221] :

١-القطعة من القرآن الكريم التي لها بداية ونهاية مندرجة في سورة من سور القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى:﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

البقرة: ١٠٦

٢-كما يدل على العلامة البارزة الدالة على وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته.

كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾

آل عمران: ١٩٠

٣-وتأتي الآية بمعنى للدلالة على البناء العالي المرتفع.

كما في قوله تعالى:﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ الشعراء: ١٢٨

٤-وتأتي للدلالة على المعجزة التي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه.

كما في قوله تعالى: ﴿ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ البقرة: ٢١١

أمـــا لفظ المعجزة فينحصر ضمن قيود معينة-سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى- للدلالة على الخوارق التي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام تصديقا لهم[222] .

وكان يطلق على المعجزات عند بعض العلماء والنظار اسم دلائل النبوة للبيهقي، وأعلام النبوة للماوردي، ونحو ذلك[223] .

---

[221]- انظر مُسلم، د. مصطفى،مباحث في إعجاز القرآن، جدة-السعودية، دار المنارة، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ،ص١٣-١٤ .

[222]-انظر الزرقاني،محمد عبد الباقي،شرح العلامة الزرقاني المتوفي سنة ١١٢٢هـ على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني المتوفي سنة ٩٢٣هـ،ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م،ج٦/ص ٤١٨ .

[223]-انظر السفاريني،محمد بن أحمد،لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية،بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي-الرياض-المملكة العربية السعودية،دار الخاني،ط٣ ،١٤١١هـ-١٩٩١م،ج٢/ص٢٩١ .

المطلب الأول: المعجزة في اللغة

مادتها: عَجزَ [224]

العَجْــزُ الــضعف و أعْجَزَهُ الشيء فاته و لم يقدر عليه و عَجَّزَهُ تعجيزا ثبطه أو نسبه إلى العجز و المُعْجِزَةُ واحد مُعْجِزَاتِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٠

و العَجْــزُ: نقــيض الــحَزْم، و العَجْزُ: الضعف، تقول: عَجَزْتُ عن كذا أعْجِز و الــمَعْجَزَةُ، بفتــح الــجيم وكــسرها، مفعلــة من العَجْز: عدم القدرة ، ومعنى الإعْجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، يقال: أعْجَزَنــي فلان أي فاتنــي و عَجَزْتَ عن طلبه وإدراكه، ويقال: عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر إذا قَصَّرَ عنه[225] .

فالمعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة، والمُعْجِزُ في الحقيقة فاعل العجز في غيره وهو الله تعالى وإنمــا قيل لأعلام الرسل –عليهم السلام – معجزات لظهور عجز المُرَسل إليهم عن معارضتهم بأمثالها، وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة في الخبر عن عجز المرسل إليهم[226] ٠

---

[224]- ابن منظور، لسان العرب، ج٥/ ص٣٦٩ ٠

[225]- انظر ابن منظور، لسان العرب ج٥/ص٣٦٩- ٣٧٠ ، مختار الصحاح، ج١/١٧٤ والمعجم الوسيط، ج٢/ص٥٨٥،و الزَّبيدي،محمد مرتضى الحسيني،تاج العروس من جوهرة القاموس،بيروت –لبنان،دار الجيل،ط غير معروفة،١٣٦٥هــ-١٩٧٥م،ج١٥/ص١٩٩-٢٠٠ ،و الأزهري،محمد بن أحمد،تهذيب اللغة،القاهرة –مصر،الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط غير معروفة،١٣٨٤هــ-١٩٦٤م،ج١/ص٣٤٠ ،و ابن زكريا، أحمد بن فارس ت٣٩٥هــ، معجم مقاييس اللغة،بتحقيق وضبط،عبد السلام محمد هارون، بيروت–لبنان، دار الجيل ،الطبعة الأولى، ١٤١١هــ-١٩٩١م، م٤/ص٢٣٢ ٠

[226]- البغدادي، أصول الدين، ص١٧٠ ٠

المطلب الثاني : المعجزة في الاصطلاح

المعجزة في الاصطلاح: هي أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله[227] .

وحقيقة المعجزة على طريق المتكلمين :

هي ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى به عن معارضته [228].

مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أن الكرامة لا يقع التحدي بها.

وفي حقيقة الأمر لا توجد صياغة تعريف في الاصطلاح جامع لكل أوصاف، وقيود المعجزة المعتبرة، والذي صرت إليه هو أن المعجزة في الاصطلاح يقصد بها أنها :

أمـــر مـــن الله تعالى خارق للعادة يظهر على يدي مدعي النبوة موافقا لدعواه، زمان التكليف، مقترنا بالتحدي* من دعوى النبوة على جهة الابتداء مع عدم المعارضة، متضمنا للتصديق[229] .

فهذا التعريف قد جمع قيود، وشروط المعجزة التي سيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى.

والمعجـــزة الواحدة كافية في الدلالة على صدق النبي ومن لم يؤمن بعدها استحق العقاب فإن طالبوه بأخرى فإن شاء الله تعالى أظهر أخرى توكيدا للحجة عليهم، وإن شاء عاقبهم على ترك الإيمان بمن قد دلت المعجزة على صدقه[230] .

---

[227]- الجرجاني، التعريفات، ص٣٠٦ .

[228]- البغدادي، أصول الدين، ص١٧٠ .

*- الحق إنه لا يشترط التصريح بالتحدي بل يكفي فيه قرائن الأحوال . الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ ص٢٤٨ بتصرف .

[229] أبو الرُّب، سند فضيل أحمد،المعجزة-دراسة عقائدية، رسالة ماجستير،المفرق-الأردن، جامعة آل البيت ١٩٩٨م، ص٨ .

[230]- البغدادي، أصول الدين، ص ١٧٣ بتصرف .

المطلب الثالث: شروط المعجزة

للمعجزة جملة من الشروط التي تميزها عن غيرها من خوارق العادات، والتي هي:

١-أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة، وموافقة لدعواه، فيخرج بذلك:

أ-الكـــرامة: وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة للنبوة يظهره الله تعالى على يد عبد تقي صحيح الاعتقاد ظاهر الصلاح.

ب-المعونة: هي ما يظهر من قبل العوام* تخليصا لهم من المحن والبلايا.

ج-الاستدراج: هو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكرا به.

د-الإهانة: وهي ما يظهر على يد الفاسق تكذيبا له.

٢-أن تكون من فعل الله عز وجل أو ما يجري مجرى فعله، وإن لم يكن في نفسه فعلا، فهو أمر الله تعالى الذي يشمل:

أ-القول: كالقرآن الكريم.

ب-والفعل: كنبع الماء من بين أصابع الرسول صلى الله عليه وسلم.

ج-الترك: كعدم إحراق النار لإبراهيم عليه السلام. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٩

٣-أن يكون ناقضا للعادة فيمن هو معجز له وحجة عليه فغير الخارق للعادة لا يكون معجزة لأحد.

٤-أن يتعذر على المتحدّى به فعل مثله في الجنس أو على الوجه الذي وقع التحدي عليه، فخرج بذلك السحر؛ لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه، ويمكن معارضته.

٥-أن يكون مطابقا لدعوى من ظهرت عليه على وجه التصديق، فيخرج بذلك المخالف لها، كما إذ قال آيتي انفلاق البحر، فهاج البحر تكذيبا له فلا تكن هذه معجزة له.

٦-أن لا يتأخر عن دعواه تأخرا يعلم أنه لا يتعلق بها، فيقع عقب دعوى النبوة، ولا متقدمة على دعوى النبوة؛ لأن ذلك يعتبر إرهاصا: وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيسا لها.

٧-أن يكـــون ذلك في زمان التكليف؛ لأن ما يفعله الله تعالى من أعلام يوم القيامة على خلاف العادة فليس بمعجزة لأحد لكونه زمان ظهور نقض العادات [231].

---

* غير الأولياء.

231- البغدادي، أصول الدين، ص١٧٠-١٧١، وانظر الجويني، العقيدة النظامية، ص٦٣-٦٦، والإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علـــم الكلام، مـــع شـــرح للمحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت ٨١٦هـــ، مع حاشيتين جليلتين عليه أحدهما لعبد الحكيم

المطلب الرابع: الفرق بين المعجزة وبين ما يتوصل إليه بالحيل

هناك جملة من الأمور تميز المعجزة عن الحيل، والتي منها السحر والشعوذة وهي :

١-أن المعجزة لابد أن تكون من جهة الله تعالى أو في الحكم كأنه من جهته جل وعلا،وليس كذلك الشعوذة والحيل.

٢-المعجزة لا بد أن تكون ناقضة للعادة خارقة لها وليس هكذا سبيل ما يتوصل إليه بالحيلة وخفة اليد ٠

٣-المعجزة لا سبيل لاكتسابها وتعلمها من قبل البشر بينما الحيلة والشعوذة يمكن أن تتعلم ٠

٤-الحيلة مما يقع فيها الاشتراك، وليس كذلك المعجزة ٠

٥-الحـــيلة تفتقر إلى آلات وأدوات لو فقدت واحدة منها لم تنفذ، وليس كذلك المعجزة التي هي من عند الله تعالى وبأمره٠

٦-أن المشعوذ والمحتال إنما ينفذ حيلته على من لم يكن من أهل صناعته ولا يكون له بها دراية ومعرفة ٠

ولـــيس هذا حال المعجزة، فقد جعل الله سبحانه وتعالى معجزة كل نبي مما يتعاطاه أهل زمانه، حتى جعل معجزة موسى عليه السلام قلب العصا حية، لما كان الغالب على أهل ذلك الزمان السحر، وجعل معجزة عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص، لما كان الغالب على أهل زمانه الطب، وجعل معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم وجعله في أعلى طبقات الفصاحة والبيان، لما كانت الغلبة والظهور للفصاحة والفصحاء في ذلك الزمان[232] ٠

السيالكوتي والثانية للمولى حسن حلبي بن محمد شاه الفناري، القاهرة-مصر،مطبعة السعادة،ط١ ،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م،ج٨/ص٢٢٣-٢٢٥ ، و قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة،تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان، القاهرة-مصر، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م، ص٥٦٩-٥٧١ ، والدوري، قحطان عبد الرحمن ورشدي محمد عليان ،أصول الدين الإسلامي،عمان-الأردن،دار الفكر،ط١ ،١٩٩٦م، ص٢٦٣-٢٦٨ ٠

[232]- قاضي القضاة، عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة، ص٥٧٢، و انظر الباقلاني ، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات...،ص٧٧ - ١٠٨ ٠

المطلب الخامس:المعجزة في اليهودية

ورد تعـــريف العجائـــب في دائرة المعارف الكتابية أو المعجزات بأنها: هي أفعال غير عادية من عمل الله، خارقة للطبيعة، لبيان قدرة الله، أو لتأييد كلامه على فم أنبيائه ورسله[233] .

وإن العهد القديم لا يحدد تعريف المعجزة، أو يفرق بين أنواع خوارق العادات وبين معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والأسماء العديدة في العبرية المعبر بها عن المعجزات تكشف عن عدم التحديد هذا من الوجهة اللاهوتية، والتي هي:

١-"بلي"(pel'e) أي شيء عجيب أو خارقة ٠

٢-"موفيث"(mopheth) وتعني ما يثير الدهشة، أو يجذب الانتباه ٠

٣-"نورا"(nora') أي شيء يثير الرعب ٠

٤-"أوت"('oth) وتعني آية، وهو الاسم الشامل، للأسماء المحددة الأولى [234] ٠

وأهمية المعجزات عند اليهود تكمن في التأثير الناجم عنها، وليس في الطريق التي بها يحدث هذا التأثير[235]٠

فمعجزات موسى قد أجريت إظهارا لقدرة الله على إنقاذ شعبه من أرض مصر[236] ٠

وعـــند اليهود أن الأنبياء كان لهم دائما آيات تجعل لهم يقينا بالأشياء التي يتخيلونها بهبة النبوة، ولكن تختلف الآيات باختلاف الأنبياء وقدراتهم الذاتية وتكوينهم الجسمي[237] ٠

والمعجزة عند تدقيق النظر في ظروف حصولها نجدها تحدث نتيجة صلاة وهي تعتمد على قوة (يهوه*) الفعالة حسب إرادته، والأدلة على ذلك بما ورد بنبوءة عن يوشيًا في :

ملوك الأول ١٣: ٥"٥وانشَقَّ المَذبَحُ وذُرِيَ الرَّمادُ مِن عَلىَ المَذبَحِ حَسَبَ العَلامَةِ التي أعطاها رَجُلُ اللهِ بكلامِ الربِّ ".

و١٧ : ٢٠ " ٢٠وصَرَخَ إلَى الربِّ وقالَ:"أيُّها الربُّ إلَهي، أأيضًا إلَى الأرمَلَةِ التي أنا نازِلٌ عِندَها قد أسأتَ بإماتَتِكَ

233- حبيب، د. القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط١ ،١٩٩٠م، م٥ /ص١٩٢ ٠

234-فوس، جرهاردوش،علم اللاهوت الكتابي، ص٣٥٩ ،وانظر www.albishara.org ،الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية مادة عجيبة، تاريخ ٢٠٠٩/٦/١١ ٠

235-فوس، جرهاردوش،علم اللاهوت الكتابي، ص٣٥٩ ٠

236- انظر حبيب ،د.القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٥ ٠

237-انظر سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة،ص١٤٥-١٥٠ ٠

*-بمعنى أنا الموجود الذي يوجدEgo sum qui sum ٠ انظر سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة،ص١٦٠ ٠

ابنَها؟".و١٨: ٣٦ "٣٦وكانَ عِندَ إصعادِ التَّقدمَةِ أنَّ إيليّا النَّبِيَّ تقدَّمَ وقالَ:"أيُّها الربُّ إلَهُ إبراهيمَ وإسحاقَ وإسرائيلَ، لِيُعلَمِ اليومَ أنَّكَ أنتَ اللهُ في إسرائيلَ، وأنِّي أنا عَبدُكَ، وبأمرِكَ قد فعَلتُ كُلَّ هذِهِ الأُمورِ ".

وهناك نصوص تشير إلى أنه لا أثر إطلاقا لإلزام الله تعالى بعمل شيء من الخوارق، ولن يحدث ذلك أبدا[238] .

ففي الملوك الثاني ٤: ٣٢ -٣٥ :

"٣٢ودَخَلَ أليشَعُ البَيتَ وإذا بالصَّبيِّ مَيتٌ ومُضطَجِعٌ علَى سريرِهِ.٣٣فدَخَلَ وأغلَقَ البابَ علَى نَفسَيهِما كِلَيهِما، وصَلَّى إلَى الربِّ.٣٤ثُمَّ صَعِدَ واضطَجَعَ فوقَ الصَّبيِّ ووَضَعَ فمَهُ علَى فمِهِ، وعَينَيهِ علَى عَينَيهِ، ويَدَيهِ علَى يَدَيهِ، وتمَدَّدَ علَيهِ فسَخُنَ جَسَدُ الوَلَدِ.٣٥ثُمَّ عادَ وتمَشَّى في البَيتِ تارَةً إلَى هنا وتارَةً إلَى هناكَ، وصَعِدَ وتمَدَّدَ علَيهِ فعَطَسَ الصَّبيُّ سبعَ مَرّاتٍ، ثُمَّ فتحَ الصَّبيُّ عَينَيهِ" و٢٠: ١١ "١١فدَعا إشَعيا النَّبيُّ الربَّ، فأرجَعَ الظِّلَّ بالدَّرَجاتِ الّتي نَزَلَ بها بدَرَجاتِ آحازَ عَشرَ دَرَجاتٍ إلَى الوَراءِ" .

ويعطي مزمور٧٨ صورة ملخصة لمعجزات بني إسرائيل و ما هو مدى تجاوبهم معها، وكيف أنهم وصلوا لحد التشبع من المعجزات حتى وصل بهم الأمر إلى الاستخفاف بأمرها؛ فتجرؤا وطلبوا معجزات لاختبار قدرة الله تعالى وليس من أجل الحرص على الهداية، فننقل نص المزمور على الرغم من طوله حتى ترتسم ملامح تعايش اليهود مع المعجزات بشكل متسلسل التي تكفي واحدة منها لتغيير مسيرة أمة تعقل الغاية المنشودة من أمر وقوع المعجزات .

مزمور ٧٨: ٧ -٧٢ " ٧فيَجعَلونَ علَى اللهِ اعتِمادَهُمْ، ولا يَنسَوْنَ أعمالَ اللهِ، بل يَحفَظونَ وصاياهُ.٨ولا يكونونَ مِثلَ آبائهِمْ، جيلاً زائغًا ومارِدًا، جيلاً لم يُثَبِّتْ قَلبَهُ و لم تكُنْ روحُهُ أمينَةً للهِ.٩بَنو أفرايِمَ النّازِعونَ في القَوسِ، الرّامونَ، انقَلَبوا في يومِ الحَربِ.١٠لم يَحفَظوا عَهدَ اللهِ، وأبَوْا السُّلوكَ في شَريعَتِهِ،١١ونَسوا أفعالَهُ وعَجائبَهُ الّتي أراهُمْ.١٢قُدّامَ آبائهِمْ صَنَعَ أعجوبَةً في أرضِ مِصرَ ،بلادِ صوعَنَ.١٣شَقَّ البحرَ فعَبَّرَهُمْ، ونَصَبَ المياهَ كنَدٍّ.١٤وهَداهُمْ بالسَّحابِ نهارًا، واللَّيلَ كُلَّهُ بنورِ نارٍ.١٥شَقَّ صُخورًا في البَرّيَّةِ، وسقاهُمْ كأنَّهُ مِنْ لُجَجٍ عظيمَةٍ.١٦أخرَجَ مَجاريَ مِنْ صَخرَةٍ، وأجرَى مياهًا كالأنهارِ.١٧ثُمَّ عادوا أيضًا ليُخطِئوا إليهِ، لعِصيانِ العَليِّ في الأرضِ النّاشِفَةِ.١٨وجَرَّبوا اللهَ في قُلوبهِمْ، بسؤالِهِمْ طَعامًا لشَهوَتِهِمْ.١٩فوَقَعوا في اللهِ. قالوا:"هل يَقدِرُ اللهُ أنْ يُرَتِّبَ مائدَةً في البَرّيَّةِ؟٢٠هوذا ضَرَبَ الصَّخرَةَ فجَرَتِ المياهُ وفاضَتِ الأودیَةُ. هل يَقدِرُ أيضًا أنْ يُعطيَ خُبزًا، أو يُهَيِّئَ لَحمًا لشَعبِهِ؟".٢١لذلكَ سمِعَ الربُّ فغَضِبَ، واشتَعَلَتْ نارٌ في يعقوبَ، وسخَطٌ أيضًا صَعِدَ علَى إسرائيلَ،٢٢لأنَّهُمْ لم يؤمِنوا باللهِ و لم يتَّكِلوا علَى خَلاصِهِ.٢٣فأمَرَ السَّحابَ مِنْ فوقُ، وفَتَحَ مَصاريعَ السماواتِ.٢٤وأمطَرَ علَيهِمْ مَنًّا للأكلِ، وبُرَّ السماءِ أعطاهُمْ.٢٥أكلَ الإنسانُ خُبزَ المَلائكَةِ. أرسَلَ علَيهِمْ زادًا للشِّبَعِ.٢٦أهاجَ شَرقيَّةً في السماءِ، وساقَ بقوَّتِهِ جَنوبيَّةً.٢٧وأمطَرَ علَيهِمْ لَحمًا مِثلَ التُّرابِ، وكرَمْلِ البحرِ طُيورًا ذَواتِ أجنِحَةٍ.٢٨وأسقَطَها في وسطِ مَحَلَّتِهِمْ حَوالَيْ مَساكِنِهِمْ.٢٩فأكلوا وشَبِعوا جِدًّا، وأتاهُمْ بشَهوَتِهِمْ.٣٠لم يَزوغوا عن شَهوَتِهِمْ. طَعامُهُمْ بَعدُ في أفواهِهِمْ،٣١فصَعِدَ علَيهِمْ غَضَبُ اللهِ، وقَتَلَ مِنْ أسمَنِهِمْ، وصَرَعَ مُختاري إسرائيلَ.٣٢ في هذا كُلِّهِ أخطأوا بَعدُ، و لم يؤمِنوا بعَجائبِهِ.٣٣فأفنَى أيّامَهُمْ بالباطِلِ وسِنيهِمْ بالرُّعبِ.٣٤إذ

[238]- فوس، جرهاردوش،علم اللاهوت الكتابي، ص٣٦١ .

قَتلَهُمْ طَلَبوهُ، ورَجَعوا وبَكَّروا إلَى اللهِ،٣٥وذَكَروا أنَّ اللهَ صَخرتُهُمْ، واللهَ العَليَّ وليُّهُم.٣٦فخادَعوهُ بأفواهِهِمْ، وكذَبوا علَـيه بألسِنَتِهِمْ.٣٧أمّا قُلوبُهُمْ فلم تُثبَّتْ معهُ، ولم يكونوا أُمَناءَ في عَهدِه.٣٨أمّا هو فرَؤوفٌ، يَغفِرُ الإثمَ ولا يُهلِكُ. وكثيرًا ما رَدَّ غَضَبَهُ، ولم يُشعِلْ كُلَّ سخطِه.٣٩ذَكَرَ أنَّهُم بَشَرٌ. ريحٌ تذهَبُ ولا تعودُ.٤٠كم عَصَوْهُ في البَرّيَّةِ وأحزَنوهُ في القَفرِ!٤١رَجَعوا وجَرَّبوا اللهَ وعَنَّوْا قُدّوسَ إسرائيلَ.٤٢لم يَذكُروا يَدَهُ يومَ فداهُمْ مِنَ العَدوِّ،٤٣حَيثُ جَعَلَ في مِصرَ آياتِـهِ، وعَجائبَهُ في بلادِ صوعَنَ.٤٤إذ حَوَّلَ خُلجانَهُمْ إلَى دَمٍ، ومَجاريَهُمْ لكَيْ لا يَشرَبوا.٤٥أرسَلَ علَيهِمْ بَعوضًا فأكلَهُمْ، وضَفادِعَ فأفسَدَتهُمْ.٤٦أسلَمَ للجَرَدِ غَلّتَهُمْ، وتعَبَهُمْ للجَرادِ.٤٧أهلكَ بالبَرَدِ كُرومَهُمْ، وجُمَّيزَهُمْ بالصَّقيعِ. ٤٨ودَفَـعَ إلَى البَرَدِ بَهائمَهُمْ، ومَواشيَهُمْ للبُروقِ.٤٩أرسَلَ علَيهِمْ حُموَّ غَضَبِه، سخَطًا ورِجزًا وضيقًا، جَيشَ مَلائكَةٍ أشـرارٍ.٥٠مَهَّدَ سبيلاً لغَضَبِه. لم يَمنَعْ مِنَ الموتِ أنفُسَهُمْ، بل دَفَعَ حَياتَهُمْ للوَبإ.٥١وضَرَبَ كُلَّ بكرٍ في مِصرَ. أوائلَ القُـدرَةِ في خـيامِ حامٍ.٥٢وساقَ مِثلَ الغَنَمِ شعبَهُ، وقادَهُمْ مِثلَ قَطيعٍ في البَرّيَّةِ.٥٣وهَداهُمْ آمِنينَ فلم يَجزَعوا. أمّا أعـداؤُهُمْ فغَمَـرَهُمُ البحـرُ.٥٤وأدخلَهُمْ في تُخومِ قُدسِه، هذا الجَبَلِ الذي اقتَنَتهُ يَمينُهُ.٥٥وطَرَدَ الأُمَمَ مِنْ قُدّامِهِمْ وقَسَمَهُمْ بالحَبلِ ميراثًا، وأسكَنَ في خيامِهِمْ أسباطَ إسرائيلَ.٥٦فجَرَّبوا وعَصَوْا اللهَ العَليَّ، وشَهاداتِه لم يَحفَظوا،٥٧بل ارتَـدّوا وغَدَروا مِثلَ آبائهِمْ. انحَرَفوا كقَوسٍ مُخطِئةٍ.٥٨أغاظوهُ بمُرتَفَعاتِهِمْ، وأغاروهُ بتماثيلِهِمْ.٥٩سمِعَ اللهُ فغَضِبَ، ورَذَلَ إسـرائيلَ جِدًّا،٦٠ورَفَضَ مَسكَنَ شيلوه، الخَيمَةَ التي نَصَبَها بَينَ الناسِ.٦١وسَلَّمَ للسَّبيِ عِزَّهُ، وجَلالَهُ ليَدِ العَدوِّ. ٦٢ودَفَـعَ إلَـى السَّيفِ شَعبَهُ، وغَضِبَ علَى ميراثِه.٦٣مُختاروهُ أكلَتهُمُ النّارُ، وعَذاراهُ لم يُحمَدنَ.٦٤كهَنَتُهُ سقَطوا بالسَّيفِ، وأرامِلُهُ لم يَبكينَ.٦٥فاستَيقَظَ الرَّبُّ كنائمٍ، كجَبّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الخمرِ.٦٦فضَرَبَ أعداءَهُ إلَى الوَراءِ. جَعَلهُمْ عـارًا أبديًّا.٦٧ورَفَضَ خَيمَةَ يوسُفَ، ولم يَختَرْ سِبطَ أفرايِمَ.٦٨بل اختارَ سِبطَ يَهوذا، جَبَلَ صِهيَونَ الذي أحَبَّهُ.٦٩وبَنَـى مِثلَ مُرتَفَعاتٍ مَقدِسَهُ، كالأرضِ التي أسَّسَها إلَى الأبدِ.٧٠واختارَ داوُدَ عَبدَهُ، وأخَذَهُ مِنْ حَظائرِ الغَنَمِ.٧١مِنْ خَلفِ المُرضِعاتِ أتَى بهِ، ليَرعَى يعقوبَ شَعبَهُ، وإسرائيلَ ميراثَهُ.٧٢فرَعاهُمْ حَسَبَ كمالِ قَلبِه، وبمَهارَةِ يَدَيهِ هَداهُمْ ".

ومما يلاحظ على النص المتقدم أنه قد سجل جملة من المآخذ على إيمان اليهود بالمعجزات، والتي منها ما يلي:

١-سرعان نسيانهم للمعجزات التي لم تؤسس فيهم الاقتناع العقلي . "ونَسوا أفعالَهُ وعَجائبَهُ التي أراهُمْ."

٢-تكرارهم الرجوع إلى المعاصي التي تمس التوحيد الخالص لله تعالى "ثُمَّ عادوا أيضًا ليُخطِئوا إليه، لعِصيانِ العَليِّ" .

٣-طلـبهم لمعجزات ينبعث من شكهم بقدرة الله تعالى لتلبي شهواتهم من الأطعمة وليس للحرص على الهداية وإنما لاختبار قدرة الله تعالى والعياذ بالله تعالى . "وجَرَّبوا اللهَ في قُلوبِهِمْ، بسؤالِهِمْ طَعامًا لشَهوَتِهِمْ" .

٤- لم تؤسـس المعجـزات لتثبيت الإيمان في قلوب اليهود على الرغم من كثرتها ." فوَقَعوا في اللهِ". و"في هذا كُلِّهِ أخطأوا بَعدُ، ولم يؤمِنوا بعَجائبِه".

٥-توبـتهم بالأفواه من أجل خداع الإله الذي يحزن بسبب خداع اليهود حسب زعمهم فهم الذين أسسوا للنفاق بذلك"فخادَعوهُ بأفواهِهِمْ، وكذَبوا علَيه بألسِنَتِهِمْ" .

٦-ميل اليهود المتكرر للشرك من خلال صناعتهم للتماثيل التي عبدوها من دون الله تعالى فلا ثبات للإيمان بالله تعالى في قلـــوبهم التي استهوت الانحراف العقدي . "أمّا قُلوبُهُمْ فلم تُثَبَّتْ معهُ" . "بل ارتَدّوا وغَدَروا مِثلَ آبائِهِمْ" "وأغاروهُ بتماثيلِهِمْ" . مع أن الثابت من سيرة سليمان عليه الصلاة والسلام أنه صنع المحاريب التي تحمل عقيدة التوحيد الخالص .

٧-تسليط سيف الأعداء على رقاب اليهود من أجل إرجاعهم للإيمان بالله تعالى، فهم يخافون من المخلوق ولا يخشون عقاب الخالق الذي توالت آياته ونعمه على أمة تملت من كل المنكرات حتى تجرأت على ربها الجبار والعياذ بالله تعالى من إفكهم "فاستَيقَظَ الربُّ كنائمٍ، كجَبّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الخمرِ" . "٦١وسَلَّمَ للسَّبي عِزَّهُ، وجَلالَهُ لِيَدِ العَدوِّ.٦٢ودَفَعَ إلَى السَّيفِ شَعبَهُ، وغَضِبَ علَى ميراثِهِ.٦٣مُختاروهُ أكلَتهُمُ النّارُ، وعَذاراهُ لم يُحمَدنَ.٦٤كهَنَتُهُ سقَطوا بالسَّيفِ، وأرامِلُهُ لم يَبكينَ ".

٨- تصويرهم لقوة داود أنها ذاتية فهو الذي يرعى شعب إسرائيل بكمال قلبه ويهديهم بمهارته وليس بأمر الله تعالى. "٧٠ واخـــتارَ داوُدَ عَبدَهُ، وأخَذَهُ مِنْ حَظائرِ الغَنَمِ.٧١مِنْ خَلفِ المُرضِعاتِ أتَى بهِ، ليَرعَى يعقوبَ شَعبَهُ، وإسرائيلَ ميراثَهُ.٧٢فرَعاهُمْ حَسَبَ كمالِ قَلبِهِ، وبمَهارَةِ يَدَيهِ هَداهُمْ ".

٩-في تقديــــري أن صفتي التكبر على الحق والاستعلاء على الخلق جعلتا اليهود يطمسون معالم الإيمان الخالص الذي أكدته مشاهد المعجزات المتوالية على بني إسرائيل، والذي يؤكد ذلك القرآن الكريم فقد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٦

١٠- أن المعجزات التي طلبها اليهود لم يكن المقصد منها الحرص على الدين وتثبيت دعائمه في نفوسهم وإنما كانت الغايات من كثرة طلبهم للمعجزات من أنبيائهم تنطلق من دافع تحقيق التنعم والترفيه الدائم لحياتهم الدنيا ولا صلة لهم في الحياة الآخرة فهم في غفلة دائمة عنها، فلذلك لم تثمر المعجزات في قلوبهم الخشية من الله تعالى كما ظهر ذلك الأثر جلـــيا في سجود سحرة فرعون بعدما تبين لهم الحق من مشاهدة معجزة عصا سيدنا موسى عليه السلام التي تحولت لثعبان مبين يلقف ما يأفكون؛ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ١١٧ - ١٢٠

المطلب السادس: المعجزة عند النصارى

يطلق على المعجزة عند النصارى العجيبة أو الأعجوبة، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدس التعريف بالعجيبة بأنها هـي: "حادثة تحدث بقوة إلهية تخرق مجرى الطبيعة العادي وتثبت إرسالية من كان سبب الحادثة أو من جرت على يديه،وهـي فـوق الطبـيعة المألوفة، ولكنها ليست ضدها،وهي تحدث بتوقيف نظم الطبيعة، ولكنها لا تلغي تلك النظم،ويقصد بها إظهار النظام الذي هو أعلى من الطبيعة، الذي يخضع له نظام الطبيعة نفسه، ولما كان الله هو القوة الوحيدة فوق الطبيعة المتسلطة عليها فهو الوحيد القادر على صنع العجائب به أو بالذين ينيط بهم ذلك"[239] .

والمعجزة عند النصارى تشير إلى ما يدعو إلى العجب والانبهار، فتأخذ الروعة الإنسان لعظمة ما حدث[240] .

والمعجزة عند النصارى أيضا هي: حادثٌ محسوس خارق للطبيعة، يُصنع بقوة الله الخاصة ليثبت تعليماً إلهياً، أو ليثبت صِدق رسوله صانع المعجزة. ولا بد من اجتماع الشروط الآتية في المعجزة:

(١) أن تدركها الحواس.

(٢) أن تتم بقوة الله فقط.

(٣) أن تكون خارقة للنواميس الطبيعية.

(٤) أن تُصنع لهدف ديني كإثبات رسالة صانعها، أو برهنة تعليم إلهي ونحو ذلك[241].

والأعجـوبة أو المعجـزة عـند النصارى هي عمل أو ظاهرة خارقة للطبيعة، في لحظة حاسمة أو مرحلة فاصلة في الـتاريخ. والعجائب أو المعجزات الحقيقية عندهم، هي من فعل الله، إله الطبيعة وخالقها، والقادر على كل شيء، ويعتبر دليل المعجزات عند النصارى من أقوى الأدلة وأهمها بالنسبة لهم على صدق المسيحية[242] .

ويستدلون عليها بما ورد في خروج ٧ :٣-٥" ٣ولكني أُقَسِّي قَلبَ فِرعَونَ وأُكَثِّرُ آياتِي وعَجائبي في أرضِ مِصرَ.٤ ولا يَـسمَعُ لكُمـا فِرعَونُ حتّى أجعَلَ يَدي علَى مِصرَ، فأُخرِجَ أجنادي، شَعبي بَني إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصرَ بأحكامٍ عظيمَةٍ.٥فيَعرِفُ المِصريّونَ أنّي أنا الربُّ حينَما أمُدُّ يَدي علَى مِصرَ وأُخرِجُ بَني إسرائيلَ مِنْ بَينِهِمْ".، وتثنية ٤ :٣٤ " ٣٤أو هـل شَـرَعَ اللهُ أنْ يأتيَ ويأخُذَ لنَفسِهِ شَعبًا مِنْ وسطِ شَعبٍ، بتجارِبَ وآياتٍ وعَجائبَ وحَربٍ ويَدٍ شَديدَةٍ وذِراعٍ رَفيعَةٍ ومَخاوِفَ عظيمَةٍ، مِثلَ كُلِّ ما فعَلَ لكمُ الربُّ إلهُكُمْ في مِصرَ أمامَ أعيُنِكُمْ؟" ويوحنا ٣ :٢ " ٢هذا جاءَ

---

[239]-عبد الملك،بطرس وآخرون،قاموس الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط٩ ،١٩٩٤م ،ص٦٠١ .

[240]- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٢ .

[241]- أنس، القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٢٩١ .

[242]-انظر أنس، القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٣٠٤ .

إلى يَــسوعَ ليلاً وقالَ لهُ: "يا مُعَلِّمُ، نَعلَمُ أنَّكَ قد أتَيتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا، لأنْ ليس أحَدٌ يَقدِرُ أنْ يَعمَلَ هذِهِ الآياتِ الَّتي أنــتَ تعمَلُ إنْ لَم يَكُنِ اللهُ معهُ". وأعمال الرسل ١٠ :٣٨" ٣٨يَسوعُ الَّذي مِنَ النّاصِرَةِ كيفَ مَسَحَهُ اللهُ بالرّوحِ القُدُسِ والقوَّةِ، الَّذي جالَ يَصنَعُ خَيرًا ويَشفي جميعَ المُتَسَلِّطِ علَيهِمْ إبليسُ، لأنَّ اللهَ كانَ معهُ". ...إلخ .

ويعــتقد النصارى في عهدهم الجديد بأنه قد يسمح الله عند النصارى – لغرض معين – للشيطان وجنوده وآلاته من البشر ، أن يصنعوا بعض الآيات والعجائب والتي منها علامات نهاية الزمان ويستندوا على ذلك بما ذكر في متى ٢٤ : ٢٤ " ٢٤لأنَّــهُ سيَقومُ مُسَحاءُ كذَبَةٌ وأنبياءُ كذَبَةٌ ويُعطونَ آياتٍ عظيمَةً وعَجائبَ، حتَّى يُضِلّوا لو أمكَنَ المُختارينَ أيــضًا ". ،و أعمال الرسل ٨ :٩-٢٤" ٩وكانَ قَبلاً في المدينةِ رَجُلٌ اسمُهُ سيمونُ، يَستَعمِلُ السِّحرَ ويُدهِشُ شَعبَ الــسّامِرَةِ، قائلاً إنَّهُ شَيءٌ عظيمٌ!١٠ وكانَ الجميعُ يتبَعونَهُ مِنَ الصَّغيرِ إلى الكَبيرِ قائلينَ: "هذا هو قوَّةُ اللهِ العظيمَةُ".١١ وكانــوا يتــبَعونَهُ لكَونِهِمْ قد اندَهَشوا زَمانًا طَويلاً بسِحرِهِ.١٢ولكن لَمّا صَدَّقوا فيلُبُّسَ وهو يُبَشِّرُ بالأُمورِ المُختَصَّةِ بملكوتِ اللهِ وباسمِ يَسوعَ المَسيحِ، اعتَمَدوا رِجالاً ونِساءً.١٣وسيمونُ أيضًا نَفسُهُ آمَنَ. ولَمّا اعتَمَدَ كانَ يُلازِمُ فيلُبُّسَ، وإذ رأى آياتٍ وقوّاتٍ عظيمَةً تُجرَى اندَهَشَ.١٤ولَمّا سمِعَ الرُّسُلُ الَّذينَ في أورُشَليمَ أنَّ السّامِرَةَ قد قَبِلَتْ كلِمَةَ اللهِ، أرسَــلوا إليهِمْ بُطرُسَ ويوحَنّا،١٥اللذَينِ لَمّا نَزَلا صَلَّيا لأجلِهِمْ لكَيْ يَقبَلوا الرّوحَ القُدُسَ،١٦لأنَّهُ لَم يَكُنْ قد حَلَّ بَعدُ على أحَدٍ منهُمْ، غَيرَ أنَّهُم كانوا مُعتَمِدينَ باسمِ الرَّبِّ يَسوعَ.١٧حينَئذٍ وضَعا الأياديَ علَيهِمْ فقَبِلوا الرّوحَ القُدُسَ.١٨ ولَمّــا رأى ســيمونُ أنَّــهُ بوَضعِ أيدي الرُّسُلِ يُعطَى الرّوحُ القُدُسُ قَدَّمَ لهُما دَراهِمَ١٩قائلاً: "أعطياني أنا أيضًا هذا السُّلطانَ، حتَّى أيُّ مَنْ وضَعتُ علَيهِ يَدَيَّ يَقبَلُ الرّوحَ القُدُسَ". ٢٠فقالَ لهُ بُطرُسُ: "لتَكُنْ فِضَّتُكَ معكَ للهَلاكِ، لأنَّكَ ظَنَنتَ أنْ تقتَنيَ مَوهِبَةَ اللهِ بدَراهِمَ!٢١ليس لكَ نَصيبٌ ولا قُرعَةٌ في هذا الأمرِ، لأنَّ قَلبَكَ ليس مُستَقيمًا أمامَ اللهِ.٢٢ فــتُبْ مِــنْ شَرِّكَ هذا، واطلُبْ إلى اللهِ عَسَى أنْ يُغفَرَ لكَ فِكرُ قَلبِكَ،٢٣لأنّي أراكَ في مَرارَةِ المُرِّ ورِباطِ الظُّلمِ".٢٤ فأجابَ سيمونُ وقالَ: "اطلُبا أنتُما إلى الرَّبِّ مِنْ أجلي لكَيْ لا يأتيَ علَيَّ شَيءٌ مِمّا ذَكَرتُما". ...إلخ .

والعجائب أو المعجزات هي: أفعال غير عادية من عمل الله ، خارقة للطبيعة لبيان قدرة الله، أو لتأييد كلامه على فم أنبياءه ورسله . وتوصف في العهدين القديم والجديد بكلمات تدل على طبيعتها الخارقة، فهي[243] :

أ – " عجائــب" ؛ لأنها تدعو إلى العجب والدهشة؛ لأنها تحمل على العجب والاندهاش؛ لأن سببها خفي وخلاف العادة .

خروج ٣ :٢٠ " ٢٠فأمُدُّ يَدي وأضرِبُ مِصرَ بكُلِّ عَجائبي التي أصنَعُ فيها. وبَعدَ ذلكَ يُطلِقُكُمْ" .

ب– " آيات " أو علامات على تدخل الله في مجريات الأمور لافتقاد شعبه؛ ولأنها علامات ظاهرة لحضور الله بقوته، ولختمه على صدق قولٍ أو عمل.

ورد ذلك في عدد ١٤ : ٢٢" ٢٢إنَّ جميعَ الرِّجالِ الذينَ رأَوْا مَجدي وآياتي التي عَمِلتُها في مِصرَ وفي البَرّيَّةِ، وجَرَّبوني الآنَ عشرَ مَرّاتٍ، ولم يَسمَعوا لقَولي".

---

[243]– حبيب الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٢،وانظر– أنس القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٢٩٢ .

وكـــثيراً ما تذكر " الآيات والعجائب " معاً تثنية ٦ : ٢٢" ٢٢وصَنَعَ الربُّ آياتٍ وعَجائبَ عظيمَةً ورَديئَةً بمِصرَ، بفِرعَونَ وجميعِ بَيتِهِ أمامَ أعيُنِنا".

ج- " قوات " ؛ لأنها تستلزم لإجرائها قوة تفوق قدرة الإنسان، ودليل واضح على قدرة الله غير المحدودة، وهي تدل على قوة الله تعالى عند النصارى .

ففي متى ١١ :٢٠" ٢٠حينَئذٍ ابتَدأ يوَبِّخُ المُدُنَ الّتي صُنِعَتْ فيها أكثَرُ قوّاتهِ لأنَّها لم تتُبْ ".

وتذكر أيضاً " القوات والعجائب والآيات معاً" ، كما في موعظة بطرس في يوم الخمسين أعمال الرسل ٢ :٢٢ :

" ٢٢أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ اسمَعوا هذِهِ الأقوالَ: يَسوعُ النّاصِريُّ رَجُلٌ قد تبَرهَنَ لكُم مِنْ قِبَلِ اللهِ بقوّاتٍ وعَجائبَ وآياتٍ صَنَعَها اللهُ بيَدِهِ في وسطِكُمْ، كما أنتُم أيضًا تعلَمونَ" .

فهــذا النص السابق يتوافق تماما مع معتقد المسلمين في المسيح عليه السلام فهو عبد الله ورسوله أيده بالمعجزات التي تدل على صدقه عليه السلام .

د-" معجزات "؛ لأن الإنسان يعجز — من ذاته عن الإتيان بمثلها؛ لأنها " معجزات الكامل المعارف "،

أيوب ٣٧ :١٦" ١٦أتُدرِكُ موازَنَةَ السَّحابِ، مُعجِزاتِ الكامِلِ المَعارِفِ؟".

وسُميت المعجزات «أعمالاً» عند النصارى إشارة لصنعها بقوة الله الخاصة.

والآيــات والعجائــب في العهد الجديد هي مثار جدل كثير بين النصارى أنفسهم، كما أن الفلاسفة والماديين قد أوردوا ضــدها اعتراضــات مختلفة ولعل ذلك بسبب الإسراف في إطلاق ما يدخل تحت مسمى المعجزات عند أهل الكتاب دون النظر إلى قيود محددة أو بسبب ترجمة خضعت لتصور بشري، فمن تلك الاعتراضات ما يلي:

(١) إن حدوثها غير ممكن.

(٢) إنها تخالف نواميس الطبيعة الثابتة، وبالتالي تخل بنظام الكون المحكم.

(٣) إثبات حدوثها بشهادة بشرية مستحيل.

(٤) إنها خالية من كل علاقة بالله، حتى لا يمكن إثبات حدوثها بقوته.

(٥) لا لــزوم لهــا في خلــيقة صنعها الله الحكيم القدير، وهي لا تليق بحكمته. وقد بنى المعترضون اعتراضاتهم على مــواقفهم الخاصة، وعلى نوع فلسفتهم. فالذين أنكروا وجود الله قالوا إن العجيبة مستحيلة، والذين بالغوا في تعظيم

قـــوانين الطبـــيعة ونظامها قالوا إن المعجزات خداعٌ؛ لأن حدوث التغيير في نظام الكون الثابت غير صحيح. والذين أنكـــروا تدخل الله في أمور الكون وأحوال البشر رفضوا كل دليل على حدوث المعجزات، حتى لو كان قوياً! وقال بعضهم إن ما حملهم على رفض اعتقاد المعجزات احترام شأن الخالق والدفاع عما أظهره من الحكمة والقدرة في خلق الكـــون وتنظـــيمه، وزعموا أنه يلزم عن صدق المعجزة وقوع النقص والخلل في إتقان الكائنات، فاضطر الخالق أن يتصدى على الدوام لإصلاح شؤونها، وهذا يدل على عدم كمال حكمته وقدرته[244].

وهم يرون أن غالبا ما يرجع القول باستحالة المعجزات والاعتراض عليها لأهل الإلحاد إذ إن من يُسلم بوجود الله تعـــالى يلـــزم عنه التسليم بإمكانية حدوث المعجزات، ولذلك فليس بين المؤمنين بالله من ينكر ذلك، لأنهم يرون في الخلـــيقة عمـــل الله، ويعـــتقدون أن الهدف الأعظم من الخليقة أخلاقي ديني روحي، وأن تدخل الله في أمورها لازم لإصلاح ما طرأ عليها من الخلل بسبب سقوط الإنسان، وأن للمعجزات داعياً كافياً وأهمية كبرى في هذا الشأن[245].

ويذهبون إلى أن أفضل طريق لتناول هذا الموضوع هو دراسة الوقائع الفعلية في عهدهم الجديد والبدء بدراسة الحقائق المـــسجلة من البداية إلى النهاية في الإنجيل،فيما يتعلق بالأحداث الخارجة تماما عن مسار الطبيعة المألوف، والتي منها ولادة المسيح من عذراء، وبشرى الملائكة بمولده، سواء لأمه أو للرجل الذي كانت مخطوبة له على حد زعم النصارى الذي ورد في متى نسب يسوع المسيح ١: ١٦ " ١٦ويعقوبُ وَلَدَ يوسُفَ رَجُلَ مَريَمَ الّتي وُلِدَ مِنها يَسوعُ الّذي يُدعَى المَسيحَ "، وموته على الصليب، ودفنه كأي إنسان، ولكنه في اليوم الثالث لصلبه، قام منتصراً من القبر الذي كان قد دفن فيه، وظل يظهر لتلاميذه طيلة أربعين يوماً في معتقد النصارى،ورد ذلك في أعمال الرسل ١ :٣" ٣الّذينَ أراهُمْ أيضًا نَفسَهُ حَيًّا ببَراهينَ كثيرَةٍ، بَعدَ ما تألَّمَ، وهو يَظهَرُ لهُم أربَعينَ يومًا، ويتكَلَّمُ عن الأُمورِ المُختَصَّةِ بمَلكوتِ اللهِ".

وهو يأكل ويشرب معهم ، ولكن في جسد ممجد غير خاضع للقيود الطبيعية المعتادة .

وأخيراً صعد إلى السماء أمام عيون تلاميذه ثم أخذته سحابة أمام أعينهم .

ويستدلون بأعمال الرسل ١ : ٩" ٩ولَمّا قالَ هذا ارتَفَعَ وهُم يَنظُرونَ. وأخَذَتهُ سحابَةٌ عن أعيُنِهِمْ" .

244– أنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٢٩٢ .

245–أنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٢٩٢–٢٩٣بتصرف .

ولكن بالإضافة إلى هاتين المعجزتين : معجزة ميلاده ، ومعجزة قيامته من بين الأموات(حسب معتقد النصارى)، ظل يسوع – طوال خدمته على الأرض – يصنع معجزات، وتقدم كلماته للنصارى أفضل وصف لهذه الحقائق في نظر النصارى.

وعند النصارى يوجد وصف مفصل لبعض هذه المعجزات في الأناجيل، وهي ليست كل ما فعله يسوع عندهم فهو يشفي كل مرض، وكل ضعف في الشعب، والذين جاءوا ليسمعوه يُشفون من أمراضهم، والمعذبون من أرواح نجسة كانوا يبرأون، وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه ؛ لأن قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع، ويستدلون بما هو في لوقا٧ : ١٧ –١٩ " ١٧ونَـــزَلَ معهُمْ ووَقَفَ في مَوضِعٍ سهلٍ، هو وجَمْعٌ مِنْ تلاميذِهِ، وجُمهورٌ كثيرٌ مِنَ الشَّعبِ، مِنْ جميعِ الـيَهوديَّةِ وأورُشَـــليمَ وساحِلِ صورَ وصَيداءَ، الَّذينَ جاءوا ليَسمَعوهُ ويُشفَوْا مِنْ أمراضِهِمْ،١٨والمُعَذَّبونَ مِنْ أرواحٍ نَجِسَةٍ. وكانوا يَبرأوْنَ.١٩وكُلُّ الجَمعِ طَلَبوا أنْ يَلمِسوهُ، لأنَّ قوَّةً كانَتْ تخرُجُ مِنهُ وتشفي الجميعَ" ،

ويعتمد النصارى في عهدهم الجديد بشأن ثبوت المعجزات على شهادة شهود عيان وبالأدلة على حدوث معجزات حقيقة في الإنجيل فمن تلك الأدلة :

(١) كثرة عدد الشهود وتوافق شهادتهم، وأمانتهم حتى أنهم احتملوا المقاومات العنيفة والاضطهاد حتى الموت.

(٢) صُنعت المعجزات علانيةً أمام جماهير من أصدقاءٍ وأعداء.

(٣) صـــدق الكتاب المقدس يشهد لصدق المعجزات لما بينهما من الارتباط التام، فكل ما يثبت الوحي من سموٍّ على كـــل مـــا سواه من الكتب الدينية في آدابه وتعاليمه في الله وصفاته وعنايته ومقاصده، يثبت أيضاً صدق المعجزات المذكورة فيه.

(٤) العلاقة بين المعجزات والتعليم الذي قُصد إثباته بها، فقد قُصد بالتعليم ما قُصد بالمعجزات، وهو صحة أقوال الله، وإنقاذ البشر من كل السيئات الناشئة من الخطية كشفاء الأمراض وإقامة الموتى.

(٥) ما يلزم عن إنكار المعجزات من النتائج الفظيعة، مثل عدم صدق المسيح ورسله، وخداعهم للجماهير بالرغم من طهارة سيرتهم ونقاوة تعاليمهم وصدقهم. ومثل بطلان المسيحية لأنها تكون قد تأسست على الكذب، وتكون أشرف المبادئ التي انتشرت في العالم مقترنة بالمكر والنفاق[246].

246– أنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٢٩٧ بتصرف .

والـــذين يعتد بشهادتهم عند النصارى لوقا الطبيب، فشهادته عندهم عن المعجزات تعتبر دليلاً جازماً، فهي شهادة رجـــل علم عندهم، ومن ذلك نقله شفاء حمى ٤ : ٣٨-٣٩ " ٣٨ولَمَّا قامَ مِنَ المَجمَعِ دَخَلَ بَيتَ سِمعانَ. وكانَتْ حَمـــاةُ سِمعانَ قد أخَذَتها حُمَّى شَديدَةٌ. فسألوهُ مِنْ أجلِها.٣٩فوَقَفَ فوقَها وانتَهَرَ الحُمَّى فترَكَتها! وفي الحالِ قامَتْ وصارَتْ تخدُمُهُمْ" .

فإنه يستخدم مصطلحاً لوصف " الحمى الشديدة "، كما كانت تُعرف في أيامه، فشهادته هي شهادة متخصص يعرف ما هي الحمى وما يعنيه الشفاء منها(حسب تصور النصارى) .

وهذا الأمر له أهميته الكبيرة عند النصارى فيما يتعلق بالمعجزات التي سجلها للرسول بولس في الجزء الأخير من سفر أعمال الرسل، حيث يعتقدون على الدوام أنها شهادة شاهد عيان، شهادة من طبيب بارع [247].

ولنا أن نقول فماذا عن شهادة التلاميذ الآخرين؟ ثم هل شفاء الحمى الشديدة من الأمور الخارقة للعادة في مقياس الطب؟! .

والمعجـــزات عند النصارى ممكنة الحدوث -على الرغم من توجيه النقد الشديد لمعجزات الكتاب المقدس من قِبل الـــنقاد المعاصرين ومحاولتهم تعليلها-، فهم يضعون ذاك النقد في خانة النقد السلبي لهذا الموضوع، ويرون أن حصول المعجزات ليس بالضرورة يتم من خلال تعطيل قوانين الطبيعية السارية عادة على الرغم من إمكانية تعطيل عملها وقتيا لظروف خاصة، بل يحصل بتدخل قوة غير معتادة أو معتادة ولكنها ذات طبيعة لا تدرك أو ربما هناك عوامل جديدة خارج قوى الطبيعة ذات تأثير جديد على الطبيعة المعروفة....

وتقارب عالمين متميزين تماماً أحدهما عن الآخر، يشبه بشدة الوضع بين العالم فوق الماء، والعالم تحت سطح الماء إذ لا حاجز بينهما، بل هما في الواقع متصلان، ومع ذلك فالحياة في كل منهما متميزة عن الأخرى تماماً، وقد يكون العالم الروحي قريباً منا قرب الهواء من الماء، ويمكن للملائكة أو غيرهم من خدام مشيئة الله، أن يتدخلوا بنفس السهولة عند صدور كلمة منه، مثلما يستطيع إنسان أن يلقي بالحجر في الماء، وعندما يلقي بالحجر هكذا لا يتوقف عمل أي قانون من قوانين الطبيعة، ولكن ما يحدث أشبه بالمعجزة [248].

---

[247]- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٣ .

[248]- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٣ بتصرف .

فالمعجزات تثبت أن قوة ما فوق الطبيعة – قوة عليا خارقة للطبيعة – قد تدخلت ، لذلك يصفها الكتاب المقدس بالقول: " عجائب وقوات وآيات " .

وورد ذكرها جميعا بنص واحد، في العبرانيين ٢ :٤ " ٤شاهِدًا اللهُ معهُمْ بآياتٍ وعَجائبَ وقوّاتٍ مُتَنَوّعَةٍ ومَواهِبِ الرّوحِ القُدُسِ، حَسَبَ إرادَتِهِ ".

وأهم مميزات المعجزة عند النصارى أنها تحدث بالأمر أو نتيجة صلاة الشخص الذي تُنسب إليه المعجزة والتي تتوقف عليها أهميتها كدليل إثبات، فسقوط أسوار أريحا رغم أنه قد يكون بسبب قوى طبيعية – كزلزال مثلاً – لكنه يحمل طابع المعجزة، لأنه حدث بعد أن أنبأ به الله، وبعد إتمام ما أمر به، كما أن الأهمية البالغة لمعجزات المسيح، هي أنها حدثت بناء على أمر منه، وطاعة لهذا الأمر، متى ٨ :٢٧ " ٢٧فتعَجَّبَ النّاسُ قائلينَ: "أيُّ إنسانٍ هذا؟ فإنَّ الرّياحَ والبحرَ جميعًا تُطيعُهُ!".

وتبرز قيمة المعجزات عند النصارى، كدليل على إثبات صدق الإعلان الإلهي(الوحي الإلهي) فلا يمكن أن يكون هناك إعلان حقيقي بدون معجزات تصاحبه، فالمعجزات هي البرهان الجازم على صدق الإعلان الإلهي عند النصارى. وهي ليست مجرد أدلة على صدق الإعلان، ولكنها عندهم هي نفسها الإعلان، فهي تعلن عن مخلص النصارى من كل أمراض البشرية ، وليس ثمة إعلان آخر في العالم له نفس هذه القوة، كما أن المعجزات المسجلة للرسل، لها نفس هذا الأثر عندهم، ففي أعمال الرسل ٣ :٤-٦" ٤فتفَرَّسَ فيهِ بُطرُسُ مع يوحَنّا، وقالَ: "انظُرْ إلَينا!" ٥فلاحَظَهُما مُنتَظِرًا أنْ يأخُذَ مِنهُما شَيئًا.٦فقالَ بُطرُسُ: "ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ، ولكن الّذي لي فإيّاهُ أُعطيكَ: باسمِ يَسوعَ المَسيحِ النّاصِريِّ قُمْ وامشِ!".

والخلاصة عند النصارى هي: أن معجزات العهد الجديد – سواء التي أجراها المسيح أو الرسل – إنما تعلن مصدراً جديداً للقوة ، في شخص (ربهم)يسوع المسيح، لخلاص الناس . فمهما بدا منها أن ثمة تدخلاً حدث في نظام الطبيعة المألوف، فهو لا يرجع إلى تعديل في هذا النظام، بل إلى تدخل قوة جديدة فيه حسب زعم النصارى .

وتكشف المعجزات عن طبيعة هذه القوة، التي لا يمكن إدراكها إلا بملاحظة هذه المعجزات، فالإنسان يُعرف بأقواله وأفعاله، وقد استشهد المسيح نفسه بهذين الأمرين في معتقد النصارى للإعلان عن ذاته وذلك في يوحنا ١٠ :

٣٧-٣٨ " ٣٧إنْ كُنتُ لَستُ أعمَلُ أعمالَ أبي فلا تؤمِنوا بي.٣٨ولكن إنْ كُنتُ أعمَلُ، فإنْ لم تؤمِنوا بي فآمِنوا بالأعمالِ، لكَيْ تعرِفوا وتؤمِنوا أنَّ الآبَ فيَّ وأنا فيهِ".

ولنا أن نقول أين كانت هذه القوة في المسيح قبل بعثته وفي أثناء مواجهته لأعدائه وحين صلبه؟!

وعند المقابلة بين معجزات العهد القديم وبين معجزات العهد الجديد، فليس ثمة صعوبة في قبول معجزات العهد القديم عند النصارى، لأنها تمت إعلاناً عن وجود الله وطبيعته وقدرته حسب معتقد النصارى .

ومعجزات موسى قد أُجريت إظهاراً لقدرة الله على إنقاذ شعبه من أرض مصر والهدف الذي ترمي إليه هذه المعجزات هو نفسه الهدف من المعجزات في العهد الجديد، ويستشهد النصارى على ذلك بما جاء في تثنية ٤ :٣٢-٣٥
" ٣٢فاسأل عن الأيّامِ الأولَى التي كانَتْ قَبلكَ، مِنَ اليومِ الذي خَلَقَ اللهُ فيه الإنسانَ علَى الأرضِ، ومِنْ أقصاءِ السماءِ إلَى أقصائها. هل جَرَى مِثلُ هذا الأمرِ العظيمِ، أو هل سُمِعَ نَظيرُهُ؟٣٣هَلْ سمِعَ شَعبٌ صوتَ اللهِ يتكلَّمُ مِنْ وسطِ النّارِ كما سمِعتَ أنتَ، وعاشَ؟٣٤أو هل شَرَعَ اللهُ أنْ يأتيَ ويأخُذَ لنَفسهِ شَعبًا مِنْ وسطِ شَعبٍ، بتجارِبَ وآياتٍ وعَجائبَ وحَربٍ ويَدٍ شَديدَةٍ وذِراعٍ رَفيعَةٍ ومَخاوِفَ عظيمَةٍ، مِثلَ كُلِّ ما فعَلَ لكمُ الرَّبُّ إلَهُكُمْ في مِصرَ أمامَ أعيُنِكُمْ؟٣٥إنَّكَ قد أُريتَ لتَعلَمَ أنَّ الرَّبَّ هو الإلهُ. ليس آخَرَ سِواهُ ".

فالله هو الإله الذي أعلن ذاته في هذه الأعمال العجيبة في إنقاذ شعبه، ولذلك يقدم للوصايا العشر بالقول: خروج ٢٠ :٢-٣ "٢"أنــا الرَّبُّ إلَهُكَ الذي أخرَجَكَ مِنْ أرضِ مِصرَ مِنْ بَيتِ العُبوديَّةِ.٣لا يَكُنْ لكَ آلِهَةٌ أُخرَى أمامي.٤ لاتــصنَعْ لــكَ تمثالاً مَنحوتًا، ولا صورَةً ما مِمّا في السماءِ مِنْ فوقُ، وما في الأرضِ مِنْ تحتُ، وما في الماءِ مِنْ تحتِ الأرضِ.٥لا تــسجُدْ لهُــنَّ ولا تعبُدهُنَّ، لأنّي أنا الرَّبُّ إلَهَكَ إلَهٌ غَيورٌ، أفتقِدُ ذُنوبَ الآباءِ في الأبناءِ في الجيلِ الثّالِثِ والرّابِعِ مِنْ مُبغِضيَّ،٦وأصنَعُ إحسانًا إلَى أُلوفٍ مِنْ مُحِبّيَّ وحافِظي وصايايَ.٧لا تنطِقْ باسمِ الرَّبِّ إلَهِكَ باطِلاً، لأنَّ الــرَّبَّ لا يُبرِئُ مَنْ نَطَقَ باسمِهِ باطِلاً.٨اُذكُرْ يومَ السَّبتِ لتُقَدِّسَهُ.٩سِتَّةَ أيّامٍ تعمَلُ وتصنَعُ جميعَ عَمَلِكَ،١٠وأمّا اليومُ الــسّابِعُ ففيهِ سبتٌ للرَّبِّ إلَهِكَ. لا تصنَعْ عَمَلاً ما أنتَ وابنُكَ وابنَتُكَ وعَبدُكَ وأمَتُكَ وبَهيمَتُكَ ونَزيلُكَ الذي داخِلَ أبــوابِكَ.١١لأنْ في سِتَّةِ أيّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السماءَ والأرضَ والبحرَ وكُلَّ مافيها، واستَراحَ في اليومِ السّابِعِ. لذلكَ بارَكَ الــرَّبُّ يومَ السَّبتِ وقَدَّسَهُ.١٢أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ لكَيْ تطولَ أيّامُكَ علَى الأرضِ التي يُعطيكَ الرَّبُّ إلَهُكَ.١٣لا تقتُلْ. ١٤لاتزنِ.١٥لا تسرِقْ.١٦لا تشهَدْ علَى قريبِكَ شَهادَةَ زورٍ.١٧لا تشتَهِ بَيتَ قريبِكَ. لا تشتَهِ امرأةَ قريبِكَ، ولا عَبدَهُ، ولاأمَتَهُ، ولا ثَورَهُ، ولا حِمارَهُ، ولا شَيئًا مِمّا لقريبِكَ".١٨وكانَ جميعُ الشَّعبِ يَرَوْنَ الرُّعودَ والبُروقَ وصوتَ البوقِ، والجَبَلَ يُدَخِّنُ. ولَمّا رأى الشَّعبُ ارتَعَدوا ووَقَفوا مِنْ بَعيدٍ".
فــبدون هذه المعجزات من وجهة نظر النصارى كان الله يظل لبني إسرائيل مجرد فكرة تجريدية، ولكنه بهذه المعجزات أعلن أنه الله الحي لبني إسرائيل[249] .

[249]- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، م٥ / ١٩٥ .

وتــؤدي المعجزات التي جاءت بعد ذلك في التاريخ الكتابي -حسب معتقد النصارى-، مثل المعجزات التي جرت علـــى أيدي إيليا وأليشع، نفس الغرض، وتُعلن أكثر فأكثر إرادة الله وقدرته، فهي ليست مجرد عجائب لتأدية شهادة خارجية لتعليم معين، ولكنها من صنع إله حي على أيدي خدامه، ومن خلالها يعلن هو ذاته .

فـــإذا كانت معجزات العهد الجديد ممكنة، فمعجزات العهد القديم تكون ممكنة أيضاً، وحيث إن معجزات العهد الجديــد تعلـــن طبيعة المسيح ومشيئته بالفعل والقول عند النصارى، فكذلك معجزات العهد القديم تعلن وجود الله وطبيعته ومشيئته كما إن الطبيعة ذاتها تعلن وجود الله، ولكن المعجزات تعلن أعمالا جديدة وخطيرة لله .

والنـــبوة كمعجزة في أسفار العهد القديم من وجهة نظر النصارى تنطوي على معجزة من أعظم المعجزات بنبوات واضحة عن المسيح وعمله فالمسيح قد جاء ليتمم ما سبق أن تكلم به الأنبياء إذ إن المسيح هو المفسر لما اختص به في الكـــتب السابقة[250] ،ففي لوقا٢٤ :٢٧ " ٢٧ثُمَّ ابتَدأ مِنْ موسَى ومِنْ جميعِ الأنبياءِ يُفَسِّرُ لهُما الأُمورَ المُختَصَّةَ بهِ في جميعِ الكُتُبِ" .

أمـــا بالنسبة لقدرة الكنيسة اليوم على امتلاك القوة التي تمكنها من صنع المعجزات، فيذهب النصارى إلى أن: "من المؤكد أن الله قادر على كل شيء، ويستطيع أن يمنح لعبيده في أي وقت القدرة على صنع المعجزات اليوم* حسب إرادتـــه، ومع أنه من الجلي أن الله لم يعد – منذ نهاية عصر الرسل – يعمل من خلال المعجزات، إلا أن هذا لا ينفي حدوث بعض المعجزات أحياناً، وبخاصة مع المبشرين الذين حملوا الإنجيل إلى الشعوب التي لم يكن قد وصلها من قبل . وكـــثيراً مـــا يربطون بين إجراء بعض المعجزات والحالة الروحية في الكنيسة، ويقولون لو أن كنيسة القرن العشرين كانت أكثر روحانية، لاستطاعت أن تجرى المعجزات التي أجرتها كنيسة القرن الأول"[251] .

ولكن نقول للنصارى هذا زعم لا يوجد عليه دليل حتى من عهدكم الجديد، وما هو إلا من قبيل إفراطهم في نسبة الخوارق للأشياء التي لا تملك من أمرها شيئا، وفي هذا الإفراط تأثير حقيقي على معتقدات أتباع النصرانية .
ومـــن الجديـــر بالذكـــر أن اليهود أنكروا معجزات المسيح عليه الصلاة والسلام على النقيض من إيمان النصارى بمعجزات أنبياء بني إسرائيل، وكان طلب اليهود للمعجزات منه من أجل إعجازه وتبين حاله لهم، وعندما تظهر على يديـــه يسخرون منه، ويلمزونه بأنه كبير الشياطين مع أن المسيح كان يفحمهم فيما يجري معهم من مناظرات كثيرة، ولكنهم في النهاية نالوا منه بصلبه حسب معتقد النصارى[252] .

250- انظر حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٤ –١٩٥ .

* المعجزات المادية انتهى أمر حصولها بعد ختم النبوة والرسالة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده، وبالضرورة لا معجزة مادية بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

251- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص ١٩٦ .

252-انظر الباش،حسن، العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل،ج١/ص٩٦ .

المبحث الخامس: الكرامة

المطلب الأول: الكرامة في اللغة

مادتها: كَرُمَ [253]

الكَـــرَمُ، محرَّكةً ضِدُّ اللُّؤْمِ، كَرُمَ، بضم الراءِ، كرامةً وكَرَماً وكَرَمَةً، محرَّكَتَيْنِ، فهو كريمٌ وكريمَةٌ وكِرْمَةٌ، بالكسر، ومُكْرَمٌ ومُكْرَمَةٌ وكُرامٌ.

وكَرُمَ فلان كرما : أعطى بسهولة وجاد فهو كريم .

والكَـــريم: من أسماء الله تعالى الحسنى، وهو الكثـــير الـــخير الـــجَوادُ الـــمُعْطِي الذي لا يَنْفَدُ عَطاؤه، وهو الكريم الـــمطلق . و الكَريم: الـــجامع لأنواع الـــخير والشرَف والفَضائل،

والكَريم: اسم جامع لكل ما يُحْمَد، فالله عز وجل كريم حميد الفِعال ورب العرش الكريم العظيم .

وفـــي الـــحديث:" إِنَّ الكَرِيمَ ابنَ الكريمِ ابنِ الكريمِ ابن الكريم يُوسُفُ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله" [254] ؛ لأنـــه اجتمع له شَرَف النبوة والعِلـــم والـــجَمال والعِفَّة وكَرَم الأَخلاق والعَدل ورِياسة الدنـــيا والدين، فهو نبـــيٌّ ابن نبـــيَّ ابن نبـــي ابن نبـــي رابع أَربعة فـــي النبوة .

والكرَم نقـــيض اللُّؤْم .

والتَّكْرِيمُ و الإِكْرامُ بمعنى، والاسم منه الكَرامة و الكَرامةُ: اسم يوضع للإِكرام ، كما وضعت الطَّاعَةُ موضع الإِطاعة .

و الـــمُكَرَّمُ: الرجل الكَرِيم علـــى كل أَحد ويقال: كَرُمَ الشيءُ الكَرِيمُ كَرَماً، وكَرُمَ فلان علـــينا كَرامةً .

و التَّكَرُّمُ: تكلف الكَرَم.

و كرُم السَّحابُ إِذا جاء بالغيث .

و الكَرامةُ الطَّبَق الذي يوضع علـــى رأْس القِدْر [255] .

---

[253]- ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/ ص٥١٠ .

[254]-البخاري،محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١٢٩٧/٣ .

[255]- انظر ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ج١٢/٥١٠-٥١٦ ،و الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ١٧٠/٤، وإبراهيم مصطفى،المعجم الوسيط، ج٢/ص٧٨٤ .

المطلب الثاني : الكرامة في الاصطلاح

لقد ذكر أهل العلم أكثر من تعريف للكرامة اصطلاحا منها :

١-هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً. وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة[256] .

٢-هي ما يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح[257] .

٣-هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة للنبوة يظهره الله تعالى على يد عبد صحيح الاعتقاد ظاهر الصلاح[258] .

فقـــوله خارق للعادة جنس يشمل جميع الخوارق، ويخرج بهذا القيد السحر والشعوذة وغرائب المخترعات، وقوله غير مقرون بدعوى النبوة خرج بهذا القيد المعجزة، ولا هو مقدمة للنبوة خرج بهذا القيد الإرهاص، يظهره الله تعالى على يد عبد صحيح الاعتقاد خرج بهذا القيد الإهانة، والاستدراج إذ الإهانة تظهر على يد المدعي النبوة كذبا، والاستدراج يظهـــر على يد مدعي الألوهية، وقوله ظاهر الصلاح خرج بهذا القيد الأخير المعونة إذ إنها تظهر على يد عبد مستور الحال .

وميزان الكرامة يكون بولاية الله تعالى بالإيمان والتقوى المستند لكتاب الله تعالى ومتابعة سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، وليس بالاغترار بزعم فعل الخارق كالمشي على الماء، والطيران في الهواء وما إلى ذلك؛ لأن فعل الخوارق بلا إيمان وتقوى لا يدل على الولاية لله تعالى، كما هو شأن الدجال في آخر الزمان[259] .

---

[256]- الجرجاني، التعريفات، ص٢٦٥ .

[257]- الباجوري، إبراهيم ، شرح جوهرة التوحيد، ص ٢٦٤ .

[258]- مكي، حسين عبد الرحيم ، مذكرات التوحيد لطلبة الخامسة الثانوي،القاهرة-مصر،مطبعة حجازي،ط٤ ،١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، ص٩٣ .

[259]-انظر ابن القيم،محمد بن أبي بكر،الروح،عمان-الأردن،دار البيت العتيق الإسلامية،ط١ ،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م،ص٢٦١-٢٦٢، و الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي، ط٩ ،١٩٨٨م،ص٥٠٧-٥٠٨ ، والشهاوي، مجدي محمد،دراسة تحليلة عن: خوارق العادات المعجزة-الكرامة-السحر،دمياط-مصر،مكتبة القرآن،ط غير معروفة،١٩٩١م،ص٥٩-٦١ .

والـــولي شرعا : هو العارف بالله تعالى وبصفاته المواظب على الطاعة المجتنب للمعصية حسب الإمكان المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة .

وسمي وليا لأن الله تعالى تولى أمره فلم يكله إلى نفسه ولا لغيره لحظة ، أو لأنه يتولى عبادة الله تعالى على الدوام[260]

الـــولي :فعيل، بمعنى: الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى: المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله تعالى وأفضاله .

والولي:هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[261] .

الوَلاية:من الوَليّ، وهو القرب، فهي قرابة حكمية حاصلة من العتق أو من الموالاة .

الوِلاية: وهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه[262] .

والْوَلِيُّ: اسم من أسماء الله تعالى الحسنى .

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ ﴾ الشورى: ٩

والمؤمن التقي يحظى بولاية الله تعالى وحفظه .

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾

يونس: ٦٢ – ٦٤

والولاية* تتطلب من المؤمن إقامة الفرائض واجتناب النواهي والتقرب إلى الله تعالى بالنوافل فبهذا صح الخبر .

عَـــنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَـــمْعَهُ الَّـــذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[263] .

---

[260] -انظر التفتازاني، شرح المقاصد،ج٥/ص٧٣، ومكي، حسين عبد الرحيم، مذكرات التوحيد لطلبة الخامسة الثانوي، ص٩٣ .

[261] - الجرجاني، التعريفات، ص٣٥٠ ، والتفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص٢٢٠ .

[262] - - الجرجاني، التعريفات، ص٣٥٠ .

* لا يبلغ الولي درجة النبي ولا يسقط عنه التكاليف بكمال الولاية، ولا تكون ولاية غير النبي أفضل من النبوة .
التفتازاني، شرح المقاصد،ج٥ ، ص٧٧ .

[263] - رواه البخاري، صحيح البخاري،ج٥/ص٢٣٨٤ /رقم الحديث ٦١٣٧ .

المطلب الثالث: أقوال العلماء في الكرامة

لقد أجرى الله تعالى على أيدي بعض عباده خوارق للعادة يسميها العلماء المتأخرون الكرامات، وكان بعض العلماء المتقدمون يسمونها المعجزات أيضا .

وتكون تلك الأمور إكراما لصلاحهم وقوة إيمانهم أو سدا لحاجتهم، كالحاجة للطعام والشراب والأمن والتخلص من ضر الأعداء، وقد يعطيهم المولى تلك الكرامات نصرة لدينه ولرفعة كلمته وغلبتها[264] .

ومن ذلك الفاكهة التي كان يجدها زكريا عليه السلام عند مريم عليها السلام مما قصه القرآن الكريم .

قال تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

آل عمران: ٣٧

ومن ذلك قصة سارية[265] أيضا .

وفي الكرامة قولان:

الأول: جواز وقوع الكرامة :

فهي جائزة عند الأشاعرة[266] واقعة عقلا وسمعا خلافا للأستاذ أبي إسحاق والحليمي* من الاشاعرة وغير أبي الحسين من المعتزلة[267] ،وقد فصل الآمدي آراء القائلين بجواز وقوع الكرامات إلى ما يلي:

---

[264]- انظر الموسوعة العربية العالمية،الرياض،المملكة العربية السعودية،موسسة أعمال الموسوعية للنشر والتوزيع،ط١ ،١٩٩٦م، م٢٣/ص ٤٤٤ .

[265]- هو سارية بن زنيم بن عبد الله.وكان من قصته أن عمر رضي الله عنه أمره على جيش وسيره إلى فارس سنة ثلاث وعشرين، فوقع في خاطر سيدنا عمر وهو يخطب يوم الجمعة أن الجيش المذكور لاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة، وبالقرب منهم جبل، فقال في أثناء خطبته: يا سارية، الجبل الجبل ! ورفع صوته، فألقاه الله في سمع سارية فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد، ففتح الله عليهم. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ج١٢/ص٧٩ ، وانظر تأويل مختلف الحديث ١٦٢/١، وفيض القدير ٥٠٧/٤، والاستيعاب لابن عبد البر ١٦٠٥/٤،والإصابة للحافظ ٥/٣، ولسان الميزان ٣٠٠/٥، وتاريخ الطبري ٥٥٤/٢، ومعجم البلدان ٩٩/٥، وكشف الخفاء٢/٥١٥،٥١٤ ، ورواه أبو طاهر السلفي في الأربعين البلدانية ٩٩/٥،واللالكائي في الاعتقاد ١/ ٣١٤، نقلا عن الآمدي،سيف الدين، أبكار الأفكار ج٢/ص٦٨٨ .

[266]- البغدادي، أصول الدين، ص١٨٥ ، والجويني، الإرشاد، ص٢٧٠ .

* الحليمي (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٢ م) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: فقيه شافعي، قاض،كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر، مولده بجرجان ووفاته في بخارى.
الزركلي، الأعلام، م٢/ص٢٣٥، وابن خلكان ،وفيات الأعيان،م٢/ص١٣٧-١٣٨ .

[267]- انظر الدوري، قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، عمان- الأردن،دار العلوم،ط ١ ،٢٠٠٧م،ص٣٨٠ .

والـــذي ذهب إليه أكثر الأشاعرة : جوازه، ووافقهم على ذلك أبو الهذيل*، وعباد الصميري، ثم اختلف الأشاعرة، فذهب الأستاذ أبو إسحاق : إلى أن الكرمات الظاهرة على أيدي الأولياء، لا تبلغ مبلغ المعجزات الخارقة للعادة تفرقة بيـــنها، وبين المعجزات، وذهب الباقون : إلى جواز ذلك، ثم اختلف هؤلاء: فمنهم من قال إن الكرامات لا تقع مع القصد والاختيار، بل لو قصد الولي إيقاعها، لما وقعت تفرقة بينها وبين المعجزات .

وذهب الأكثرون منهم إلى جواز وقوعها مع الاختيار، ثم اختلف هؤلاء في جواز وقوعها مع الدعوى من الولي .

فذهب الأكثرون إلى المنع من ذلك، تفرقة بينها وبين المعجزات .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني** : ذلك غير ممتنع في العقل، لكن بشرط أن لا يكون ادعاؤه لذلك عن طريق التعظيم، والخيلاء، فإن ذلك ليس من شعار الأولياء، والصالحين، والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات، هو أن المعجزات مع دعوى النبوة، والكرامة مع دعوى الولاية، ولا منافاة، وعلى كل تقدير ومذهب، فالفرق بين الكرامات والمعجزات واضح، وقد اتفق الكل على امتناع تسمية الكرامات معجزات، وعلى تخصيص هذا الاسم بآيات الأنبياء، لما فيها من تعجيز الذين معهم التحدي عن المقابلة بمثلها بخلاف الكرامات، إذ لا تحدي فيها[268] .

وأما وقوعها فلقصة مريم وقصة آصف وقصة أصحاب الكهف وشيء منها لم يكن معجزة لفقد شرطه وهو مقارنة الدعوى والتحدي[269] .

---

* أبـــو الهـــذيل العلاف (١٣٥ - ٢٣٥ هـــ = ٧٥٣ - ٨٥٠ م) محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى، مولى عبد القيس، أبو الهذيل العلاف، من أئمة المعتزلة، ولد في البصرة واشتهر بعلم الكلام، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، وكان حسن الجدل قوي الحجة، سريع الخاطر، كف بصره في آخر عمره، وتوفي بسامراء .

الزركلي، الأعلام، م٧/ص ١٣١، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠/ص٥٤٢-٥٤٣ .

** القاضـــي الباقلاني (٣٣٨ - ٤٠٣ هـــ = ٩٥٠ - ١٠١٣ م) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر،من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الاشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها.

وجهه عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدي ملكها. الزركلي، الأعلام، م٦/ص ١٧٦، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧/ص١٩٠-١٩٣ .

[268]- انظر الآمدي، أبكار الأفكار، ج٢/ ص٧٠٦-٧٠٧ .

[269]- الايجي عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام، ص٣٧٠ .

وقد استدل الآمدي* [270] بالكتاب والسنة والإجماع على صحة جواز الكرامات ووقوعها في معرض عرضه لشبه القائلين بإحالة البعثة على الأنبياء — عليهم السلام — فذكر الأدلة التي تظهر القول بجواز خوارق العادات على أيدي الأولياء، وهي :

١–القرآن الكريم،فمن ذلك :

أ–ما أخبر به عن قصة أهل الكهف

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ الكهف: ٢٥

وما ظهر لهم من الآيات وخوارق العادات من اللبث مئات السنين ثم بعثهم من نومهم بعد طول مدة نومهم وهم لا يشعرون ·

ب–ما أخبر به عن أم موسى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ القصص: ١٠ ،

ج–إلقاء موسى عليه السلام في اليم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧ ،

د–ما أخبر به عن مريم من ضروب الكرامات

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم: ٢٥ ،

هـ–وجود فاكهة الصيف عندها في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف ·

---

* سيف الدين الآمدي (٥٥١ – ٦٣١ هـ = ١١٥٦ – ١٢٣٣ م) علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي، أصولي، أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام، وانتقل إلى القاهرة، فدرس فيها واشتهر، وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج مستخفيا إلى حماة ومنها إلى دمشق فتوفي بها. الزركلي، الأعلام، م٤/ص ٣٣٢، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢/ص٣٦٤–٣٦٧ ·

[270]– الآمدي، أبكار الأفكار، ج٢/ ص٦٨٧–٦٨٨ ·

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧

ولم يصر أحد من المسلمين ولا أحد من أرباب المقالات إلى أنهم كانوا أنبياء.

٢-السنة النبوية ، فمن ذلك:

أ- قوله صلى الله عليه وسلم : " إن من أمتي مخاطبون ومكلمون وإن عمر منهم"[271] .

ب- قصة الساحر والراهب والغلام وقصة أصحاب الأخدود :

روى الإمـــام مسلم... عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ صُهَيْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:" كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَـيْهِ غُلَامًـا يُعَلِّمُـهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالـرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَـشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ، فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْـضَلُ مِنِّـي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ: لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ: لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِـهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَـالَ: اللَّهُـمَّ اكْفِنِـيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ: لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ، فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى

---

[271]- رواه البخاري، عن أبي هريرة رقم الحديث ٣٢٨٢، و٣٤٨٦ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب)** ، ومحدثون :جمع محدث وهو الذي يجري الصواب على لسانه أو يخطر بباله الشيء فيكون بفضل من الله تعالى وتوفيق .، ومسلم، عن عائشة رضي الله عنها رقم الحديث٢٣٩٨ .

الْمَلك فَقَالَ لَهُ: الْمَلكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلك: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِه قَالَ: وَمَا هُوَ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيد وَاحِد وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيد وَاحِد وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ، فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا، فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ: لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"[272] .

ج-قصة أصحاب الغار:

فعَنْ نَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ:" بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ فَقَالَ: أَحَدُهُمْ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ، فَذَهَبَ بِهِ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ"[273] .

د- قصة جريج الراهب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ:" كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ قَالَ: حُمَيْدٌ فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي، فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي

272- صحيح مسلم ج٤/ص ٢٢٩٩/ حديث رقم ٣٠٠٥ .

273- صحيح مسلم ج٤/ ص٢٠٩٩/ حديث رقم ٢٧٤٣ .

الثَّانِيَة فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ، فَكَلِّمْنِي قَالَ: اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ قَالَ: وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ قَالَ: فَخَرَجَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْقَرْيَةِ، فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَـــذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ قَالَ: فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ، فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ قَالَ: فَأَخَـــذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ قَالَ: فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ، فَقَالَ: مَنْ أَبُـــوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ ثُمَّ عَلَاهُ" [274]

٥-سقيا حديقة الرجل الصالح :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قَالَ:" بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ: لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُـــولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ" [275] .

٣-الإجماع :

فهو أن الصحابة لم يزالوا متفاوضين في كرامات الأولياء وما كان منها لمن تقدم من الصلحاء ، وعباد بني إسرائيل ، و لم يزالوا على ذلك في كل عصر إلى حين ظهور المخالفين من غير نكير، فكان إجماعا.

وأمـــا ما اشتهر من ذلك عن الأولياء بالأخبار اليقينية الصادقة : "فالمشهور عن عمر – رضي الله عنه– من قصة سارية وعمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسارية بنهاوند، وغير ذلك من الحكايات المنقولة عن الأولياء وما ظهر على أيديهم من الغرائب والعجائب مما آحادها وإن كانت آحادا ، فنازلة منزلة التواتر في إفادة اليقين " [276].

[274]- صحيح مسلم، ج٤/ ص١٩٧٦/ حديث رقم ٢٥٥٠ .

[275]- صحيح مسلم، ج٤/ ص٢٢٨٨/ حديث رقم ٢٩٨٤ .

[276]- الآمدي، أبكار الأفكار، ج٢/ ص٦٨٧-٦٨٨ .

الثاني : إنكار الكرامة :

وهو مذهب الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني وأبو عبدالله الحليمي من الاشاعرة[277]، و أكثر المعتزلة[278] ، وابن حزم الظاهري[279] .

وقد احتج من لم يجوز الخوارق بأنها لا تتميز عن المعجزة فلا تكون المعجزة دالة على النبوة وينسد باب إثباتها، والجواب إنما تتميز بالتحدي مع ادعاء النبوة وعدمه[280] .

وللشهرستاني * في نهاية الإقدام في علم الكلام كلام منصف جميل ورائع بشأن الكرامة نذكره بنصه حيث قال:

"وأما كرامات الأولياء فجائز عقلاً ووارد سمعاً ومن أعظم كرامات الله تعالى على عباده تيسير أسباب الخير لهم وتعسير أسباب الشر عليهم، وحيثما كان التيسير أشد وإلى الخير أقرب كانت الكرامة أوفر، وما ينقل عن بعضهم من خوارق العادات، وصح النقل، وجب التصديق ولا يجوز الإنكار عليه أليس قد ورد في القرآن قصة عرش بلقيس، وقول ذلك الولي.

قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

النمل: ٤٠

أو لم تكن قصة أم موسى ومريم أم عيسى عليه السلام وما ظهر لهما من الخوارق من إلقاء موسى في اليم كرامةً لها ورزق الشتاء في الصيف ورزق الصيف في الشتاء وظهور النخلة في الصحراء من أعظم الكرامات لمريم عليها السلام

277- الإيجي، المواقف، ص١٧٠ .

278- انظر عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة،هامش ٨، ص٥٦٨ .

279- انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٣/ص١٧١ .

280- الايجي عبد الرحمن بن أحمد ، المواقف في علم الكلام، ص٣٧٠ ، وانظر التفتازاني، شرح العقائد النسفية، ص٢٢٦ ، والآمدي، أبكار الأفكار ج٢/ص٧٠٦- ٧٠٧ ، والجويني، الإرشاد ص ٢٦٦ وقد ذكر أن المعتزلة أطبقت على منع الكرامة، وانظر باقي الردود في الدوري،قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٨١ .

*الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ = ١٠٨٦ - ١١٥٣ م) محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، من فلاسفة الإسلام،كان إماما في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة،يلقب بالأفضل،ولدفي شهرستان(بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ، فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده، وتوفي بها. الزركلي، الأعلام، م٦/ص٢١٥، وانظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٠/ص٢٨٦-٢٨٨ .

ومـــا ينقل عن صالحي* هذه الأمة أكثر من أن يحصى وهي بآحادها إن لم تفدنا علماً بوقوعها فهي بمجموعها أفادتنا علماً قطعياً ويقيناً صادقاً بأن خوارق العادات قد ظهرت على أيدي أصحاب الكرامات.

واعلـــم أن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة لنبي إذا كان الولي في معاملاته تابعاً لذلك النبي وكل ما يظهر في حقه فهو دليل على صدق أستاذه وصاحب شريعته فلا تكون الكرامة قط قادحة في المعجزات بل هي مؤيدة لها دالة عليها راجعة عنها وعائدة إليها"[281] .

---

*ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من شأن الدبر التي سخرها الله عز وجل لحماية جسد عاصم بن ثابت من أن يقطع المشركون شـــيئا من جسده بعد استشهاده رضي الله تعالى عنه، وخبر العنب الذي كان يأتي خبيب الأنصارى رضي الله عنه فيأكل منه وهو مقيد بالحديد بمكة في غير موسم العنب، فقال:"حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ جَارِيَةَ الثَّقَفِـــيُّ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشَرَةً عَيْـــنًا وَأَمَّـــرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَةِ بَيْنَ عَسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُـــذَيْلٍ يُقَـــالُ لَهُمْ بَنُو لِحْيَانَ فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ التَّمْرَ فِي مَنْزِلٍ نَزَلُوهُ فَقَالُوا تَمْرُ يَثْـــرِبَ فَاتَّبَعُوا آثَارَهُمْ فَلَمَّا حَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى مَوْضِعٍ فَأَحَاطَ بِهِمْ الْقَوْمُ فَقَالُوا لَهُمْ انْزِلُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيكُمْ وَلَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ أَحَدًا فَقَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ مِنْهُمْ خُبَيْبٌ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُـــوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ وَاللَّهِ لَا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي بِهَؤُلَاءِ أُسْوَةً يُرِيدُ الْقَتْلَى فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَانْطُلِقَ بِخُبَيْبٍ وَزَيْدِ بْنِ الدَّثِنَةِ حَتَّى بَاعُوهُمَا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فَابْتَاعَ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ خُبَيْبًا وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَـــتَلَ الْحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّى أَجْمَعُوا قَتْلَهُ فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّى أَتَاهُ فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ قَالَتْ فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فَقَالَ أَتَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ وَمَـــا بِمَكَّـــةَ مِنْ ثَمَرَةٍ وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللَّهُ خُبَيْبًا فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ مِنْ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَـــيْنِ فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْسِبُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَبُو سِرْوَعَةَ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ وَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ أَنْ يُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا عَظِيمًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ فَبَعَثَ اللَّهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنْ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا " .

رواه البخاري،صحيح البخاري،ج٤/ص١٤٦٥ ،رقم الحديث ٣٧٦٧ .

[281]- الـــشهرستاني، عبد الكريم ، نهاية الإقدام في علم الكلام،حرره وصححه الفردجيوم، القاهرة-مصر،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص٤٩٧- ٤٩٨ ،وانظر ابن تيمية، المعجزة وكرامات الأولياء،دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م، ص٤٠-٤١ .

المطلب الرابع:الفرق بين المعجزة والكرامة

مع أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادة إلا أنه ثمة فروق بينهما وهي ما يلي:

١-إن الدعوى شرط في النبوة، وليست شرطا في الكرامة.

٢-إن الحاصل في النبوة ادعاء النبوة ، وفي الكرامة إما أن لا تحصل الدعوى أو إن حصلت لكنها لاتكون دعوى النبوة، بل دعوى الولاية التي تحصل ببركة متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، أو ببركة رعاية وحفظ وتعهد الأنبياء عليهم السلام في الصغر، كما هو ملاحظ من كرامات أم موسى وأم عيسى عليهما الصلاة والسلام[282] .

٣-إن المعجزة لاتكون لها معارضة، والكرامة قد تكون لها معارضة[283] .

٤-وقع الخلاف هل يجوز للولي أن يدعي الولاية بأن يقول أنا ولي الله وآية صدقي أن ينفلق البحر مثلا أو لا يجوز والصحيح الجواز وأنه لا تفترق المعجزة عن الكرامة إلا بدعوى الرسالة فقط .

فإخراج الكرامة بقيد التحدي الذي هو دعوى الخارق دليل مبني على القول بأنه لا يصح أن يكون هناك ولي يدعي الولاية ويقول آية صدقي كذا، وأما على القول بصحة ذلك فيفسر التحدي بدعوى الرسالة لأجل إخراج الكرامة وإلا كان التعريف غير مانع[284] .

٥-إن الولي إنما تظهر على يديه الكرامة، إذا كان مقرا بالرسول، مقرا بأن الكرامة التي تظهر له معجزة للرسول الذي يتبعه[285] .

٦-إن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول إن لم تصدقوني فعارضوني بمثلها . وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعي فيها[286] .

---

[282]-انظر التفتازاني، شرح المقاصد،ج٥/ص٧٢-٧٣ ،و الحامدي، إسماعيل بن موسى بن عثمان،حواش على شرح الكبرى للسنوسي،القاهرة-مصر،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى،١٩٣٦م،ص٤٤٧ .

[283]- الرازي،محمد بن عمر، الأربعين في أصول الدين، ج١/ص٣٨١ .

[284]- الدسوقي، الشيخ محمد،حاشية الدسوقي على أم البراهين لمؤلفها محمد السنوسي،القاهرة-مصر،مطبعة دار إحياء الكتب العربية،ط غير معروفة، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ص١٧٧ ، وانظر الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/٢٦٣ ، والجويني ، الإرشاد ص٢٦٦-٢٦٧ ، والجويني، العقيدة النظامية، ص٧٠ .

[285]- البزدوي، أصول الدين، ص٢٣٧ .

[286]-انظر رضا،محمد رشيد،الوحي المحمدي،بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي،ط١٠ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص٢١٢ .

فإن أطلع الله تعالى عليها بعض عباده كان ذلك تنبيها، لمن أطلعه الله تعالى عليها، على حسن منزلة صاحب الكرامة عنده، أو على صدق دعواه فيما يدعيه من الحال .

٧- إن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله[287].

ومـــن هنا ضل النصارى في اعتقادهم العصمة في تلاميذ المسيح عليه السلام عندما رأوا الكرامات التي أجراها الله تعـــالى على أيديهم بعد رفع المسيح عليه السلام -على فرض صدق وقوعها وهو أمر مشكوك في ثبوته تبعا للشك في صـــدق الأناجـــيل-، فـــتوهموا أن ظهور الكرامة يوجب العصمة لهم كالأنبياء عليهم السلام،فأوجبوا على أنفسهم طاعتهم ومتابعتهم في كل صغيرة وكبيرة مما يقولون ويأتون به، وإنما هي في الحقيقة تعتبر دليلا على صدق متابعة النبي ولا يلزم منها العصمة من كل ذنب ومعصية لمن ظهرت على يديه[288] .

فقـــيود الكرامة المعتبرة في الإسلام توصد الأبواب أمام كل مدع لفعل خارق من أهل الأهواء والأساطير والسحر فلا مجـــال لـــتأثير أي معـــتقد يخالف ما هو مقرر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بشأن موضوع خوارق العادات .

فـــلا بـــد من النظر لكل خارقة من المنظار الحقيقي الذي يجلي صورتها للعيان بما يتناسب مع مرجعية الوحي المتمثل بكتاب الله تعالى وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة وأزكى التسليم .

---

[287]- البغدادي، أصول الدين، ص١٧٤-١٧٥ .

[288]- انظر عتر، حسن ضياء الدين،المعجزة الخالدة، ص٣٦ ،و الموصلي،سامي أحمد،الظواهر الخارقة بين الدين والباراسيكولوجيا، بيروت-لبنان، دار النفائس،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص٣٠-٣١ .

المبحث السادس: المعونة

المطلب الأول: المعونة في اللغة

مادتها:عَوَنَ [289]

والعَوْنُ: الظَّهير علـــى الأمر والاسم العَوْن و الـــمَعانة و الـــمَعُونة و الـــمَعْوُنة و الـــمَعُون .

والعَـــوْنُ الظهـــير على الأمر والجمع الأعْوانُ و المَعُونَةُ الإعانة يُقال ما عنده معونة ولا مَعَانةٌ ولا عَوْنٌ و المَعُونُ أيضا المَعُونة ويقال ما أخلاني فلان من مَعاوِنه وهو جمع معونة ورجل مِعْوانٌ كثير المعونة للناس و استَعَانَ به فَأَعَانَهُ و عَاوَنَهُ وفي الدعاء رب أعِنّي ولا تُعِن علي و تَعَاوَنَ القوم أعان بعضهم بعضا، ويقال اعْتَوَنوا و اعْتانوا إِذا عاوَنَ بعضهم بعضاً والماعون : اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس والقصعة ونحو ذلك[290] .

المطلب الثاني: المعونة في الاصطلاح

المعونة في الاصطلاح: هي ما يظهر من قبل العوام تخليصا لهم عن المحن والبلايا[291] .

وعرفها الباجوري بأنها: ما يظهره الله تعالى على يد العوام تخليصا لهم من شدة[292] .

والملاحظ أن التعريف الأول أشمل؛ لأن المحن والبلايا تدخل فيها الشدة وغيرها.

ولكن تعريف الباجوري أدق إذ إنه يرفع الاشتباه الحاصل في التعريف الأول بأن الخارق يظهر على يد العوام من قبل ذواتهـــم فجـــاء قـــيد ما يظهره الله تعالى في الأخير لينفي ذلك الاشتباه وعلى ضوء ذلك يمكن صياغة تعريف جامع وحاصر للمعونة بأنها : ما يظهره الله تعالى على يد العوام تخليصا لهم من المحن والبلايا والشدائد* .

هـــذا وقد أجاز البغدادي ظهور المعونة على يد الفاسق للدلالة على صدقه في بعض ما يصدق فيه وكدليل وآية على براءة ساحته مما يقذف به ويذهب أيضا إلى أن المغوثات أو المعونات لسائر العباد[293] .

289- ابن منظور، لسان العرب ج١٣/ ص٢٩٨ .

290- انظر ابن منظور، لسان العرب ج١٣/ص٢٩٨،والرازي، مختار الصحاح ١٩٤/١، والمعجم الوسيط ج٢/ص ٦٤٠-٦٤١وص ٨٧٨ .

291- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص٣٠٦ .

292- الباجوري، إبراهيم ، شرح جوهرة التوحيد، ص٢٦٤ .

*-الـــمِـــحْنة: واحدة الـــمِـــحَنِ التـــي يُمْتَـــحَنُ بها الإنسانُ من بلـــية، ابن منظور،لسان العرب،ج ١٣/ ص ٤٠١،والبَلاء: الإختبار، يكون بالـــخير والشر، ابن منظور،لسان العرب،ج١٤/ص٨٤، الشِّدَّة: صعوبة الزمن، ابن منظور،لسان العرب،ج٣/ ص٢٣٤ .

293- البغدادي، أصول الدين، ص١٧٥، وص١٨٥ .

المطلب الثالث :الفروق بين المعونة وخوارق العادات

من خلال ما تقدم من تعريف المعونة في الاصطلاح يمكن إجمال أهم الفروق بينها وبين خوارق العادات بما يأتي:

١- المعـــونة تقع لعوام الناس* ولا يشترط فيها الصلاح والتقوى كالكرامة، ولا تكون كذلك مع دعوى النبوة كالمعجزة .

٢- المعـــونة تكون مما يظهره الله تعالى على يد العوام تخليصا لهم عن المحن والبلايا والشدائد، فهي نصرة من الله تعالى للضعفاء من عوام المسلمين . بخلاف المعجزة التي هي دليل صدق النبوة وفيها تقع الحجة على الخلق.

٣- ظاهر المعونة لا تحصل إلا في الشدائد، ولا يشترط ذلك في المعجزة أو الكرامة[294] .

* من هم دون الأولياء في الصلاح والتقوى .

[294]-انظر الفرت،محمد أبو الغيط،وحمد رواس قلعجي،العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة،الكويت،دار البحوث العلمية،ط١ ، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م، ص١٨٤-١٨٥ .

المبحث السابع:الإهانة

المطلب الأول: الإهانة في اللغة

مادتها:هَوَنَ [295]

والهُونُ: الـــخِزْيُ . وفـــي التنزيل العزيز:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾
فصلت: ١٧، أي ذي الـــخزي .
و الهُونُ، بالضم: الهَوَانُ .

والهُونُ والهَوانُ: نقـــيض العزِّ و تَهاوَنَ بِه: استـــخفَّ به، والاسم الهَوَانُ و الـــمَهانة .

والـــمَهانة من الـــحَقارة: فَعالة مصدر مَهُنَ مَهَانة إِذا كان حقـــيراً .

ورجل فـــيه مَهانة أَي ذُلٌّ وضعف . و استَهانَ به و تَهاوَنَ به: استـــحقره[296].

المطلب الثاني: الإهانة في الاصطلاح

وهي ما يظهر على يد الفاسق تكذيبا له .

كما وقع لمسيلمة الكذاب، فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة، وتفل في بئر لتعذب مياهه فغارت[297] .

وهناك تعريف آخر ذكره التهانوي وهو:

ما يظهر على يد الكفرة أو الفجرة من خرق العادة مخالفا لدعواه [298].

فيظهر أن الفرق بين الإهانة والمعجزة هو:

١ - أن الإهانة تدل على كذب مدعي النبوة، بخلاف المعجزة التي تبرهن بشكل قاطع على صدق النبي .

٢ - يظهـــر الخارق في الإهانة على عكس ما ادعاه مدعي النبوة مكذبا له، بينما تكون المعجزة مطابقة لوفق ما ادعاه النبي.

---

[295]- ابن منظور، لسان العرب، ج١٣/ ص٤٣٨ .

[296]- انظر ابن منظور،لسان العرب، ج١٣/٤٣٨-٤٤٠، والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، ج١/ص٢٩٣، والمعجم الوسيط، ج٢/ص١٠٠١ .

[297]- الباجوري إبراهيم ، شرح جوهرة التوحيد، ص ٢٦٤ .

[298]- التهانوي، محمد علي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، ج١/ص٢٨٦ .

المبحث الثامن: الاستدراج

المطلب الأول: الاستدراج في اللغة

مادته: دَرَجَ [299]

دَرَجَ الشيخ والصبي يَدْرُجُ دَرْجاً و دَرَجاناً و دَرِيجاً، فهو دارِج: مَشَيا مَشْيًا ضعيفاً ودَبًّا و دَرَجَ القومُ إذا انقرضوا؛ و الانْدِراجُ مثله واسْتَدْرَجَه، بمعنًى، أي أدناه منه على التدريج، واستدرجه : رقاه من درجة إلى درجة وفي التنزيل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٢

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ القلم: ٤٤

واستدرج فلانا :أي خدعه حتى حمله على أن يدرج،

ويقال: اسْتَدْرَجَتِ الناقةُ ولدَها إذا استتبعته بعدما تلقيه من بطنها[300] .

---

[299]- ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ ص٢٦٦ .

[300]- انظر ابن منظور، لسان العرب، ج٢/ ص ٢٦٦-٢٦٩، وإبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ج١/ص٢٧٧ .

المطلب الثاني: الاستدراج في الاصطلاح

ورد في كتاب التعريفات أكثر من تعريف للاستدراج وهي:

١-أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى انقضاء عمره للابتدال بالبلاء والعذاب،وقيل : الإهانة بالنظر إلى المآل.

٢-وهو أن تكون بعيدا من رحمة الله تعالى وقريبا من العقاب تدريجا.

٣-الدنو إلى عذاب الله تعالى بالإهمال قليلا فقليلا.

٤-هو أن يرفعه الشيطان درجة إلى مكان عال ثم يسقط من ذلك المكان حتى يهلك هلاكا[301] .

وعرف الباجوري الاستدراج بأنه : هو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكرا به[302] .

فالاستدراج : هو أمر خارق للعادة يظهر من يد الكافر أو الفاجر موافقا لدعواه، أو هو الخارق الذي يظهر من الكفار وأهل الأهواء والفساق .

والمشهور هو أنه : أمر خارق للعادة يقع من مدعي الرسالة .

فإن كان موافقا للدعوى والإرادة يسمى معجزة ، وإن كان مخالفا لدعواه وقصده فهو إهانة ، كما حصل مع مسيلمة الكـــذاب الذي قال له أتباعه : إن محمدا رسول الله تعالى قد تفل في بئر فارتفع فيه الماء إلى سطح البئر، فافعل أنت هكذا، ففعل ذلك في بئر فغار الماء فيه حتى جف .

وهناك من توسع وعمم في مفهوم الاستدراج حيث أطلقه على الذي يقع من الكفار والفساق وسماه استدراجا [303] .

وهناك من يرى أن الاستدراج هو: أمر خارق للعادة يظهر على يد فاسق مدع للألوهية على وفق مطلوبه، خديعة له وإمدادا له في الطغيان حتى إذا أخذه الله لم يفلته، ولا يعتبر ظهور الخارق على يديه تصديقا له؛ لأن كذبه يعرفه الجميع إذ إن الألوهية لا تكون في البشر، وهذا يخصص الاستدراج بمدعي الألوهية فقط، وهو الأنسب والله أعلم[304] .

---

[301]- الجرجاني، التعريفات، ص٧٧ .

[302]- الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، ص٢٦٤ .

[303]- التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ص ١٤٩-١٥٠ .

[304]-انظر الفرت،محمد أبو الغيط،وحمد رواس قلعجي،العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة،الكويت،دار البحوث العلمية،ط١ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ،ص١٨٥ بتصرف .

المطلب الثالث : أسماء الاستدراج في القرآن الكريم

ذكر التهانوي في موسوعته أن للاستدراج أسماء كثيرة في القرآن الكريم وهي:

١- الاستدراج ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

الأعراف: ١٨٢

و قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ القلم: ٤٤

٢- المكر، قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ٥٤

٣- الكيد، قال تعالى: ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٣

٤- الخداع ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ النساء: ١٤٢

٥- الإملاء ، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٨

٦- الإهلاك[305]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأنعام: ٤٤

[305]- التهانوي، محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج١/ص٧٣١-٧٣٢ .

المطلب الرابع: أهم الفروق بين الاستدراج وخوارق العادات

ممـــا سبق ذكره من تعاريف العلماء للاستدراج يمكن الوقوف على أبرز الفروق بين الاستدراج وخوارق العادات وهي:

١- الاستدراج يظهر على يد أهل الفسوق والعصيان بخلاف المعجزة التي تظهر على أيدي الأنبياء، والكرامة التي تظهر على يد الولي، والمعونة التي تعطى للعوام من المسلمين.

٢- مـــبنى الاســـتدراج على الاستئناس بالشعور بالاستعلاء والغرور والافتخار، بينما مبنى النبوة على الإعلان والظهور لإقامة الحجة على الخلق بصدق النبي وبيان سبل الهداية للناس، ومبنى الكرامة على الكتمان والثبات على الإيمان.

٣- الغايـــة من الاستدراج الخديعة والمكر بالفاسق والكافر، ومن المعجزة إثبات صدق النبي، ومن الكرامة بيان صحة الاعتقاد وتقوى العبد، ومن المعونة النصرة والتخليص من الشدائد والمحن للعوام من المسلمين[306].

[306]-انظر الفرت، محمد أبو الغيط، وحمد رواس قلعجي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، ص ١٨٥.

المبحث التاسع :السحر

المطلب الأول: السحر في اللغة

مادته: سَحَرَ [307]

و السِّحْرُ : الأخذة، وكل ما لطُف مأخذه ودق فهو سحر،ويقال: سَحَرَهُ عن الشيء أي: استماله وسلب لبه.

والسِّحْرُ: عَمَلٌ تُقُرِّبَ فـيه إلـى الشيطان، وبمعونة منه كل ذلك الأمر كينونة للسحر.

ومن السحر الأُخْذَةُ التـي تأْخُذُ العينَ حتى يُظَنَّ أن الأَمْرَ كما يُرَى، ولـيس الأصل علـى ما يُرى.

فالسِّحْرُ الأُخْذَةُ، وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه وَدَقَّ فهو: سِحْرٌ والـجمع أَسحارٌ سُحُورٌ سَحَرَه يَسْحَرُه سَحْراً سِحْراً سَحَّرَه ورجلٌ ساحِرٌ من قوم سَحَرَةٍ سُحَّارٍ سَحَّارٌ من قوم سَحَّارِينَ ولا يُكَسَّرُ .

السِّحْرُ: البـيان فـي فِطْنَةٍ .

وأَصـل السِّحْرِ صَرْفُ الشيء عن حقـيقته إِلـى غيره فكأَنَّ الساحر لـما أَرَى الباطلَ فـي صورة الـحق وخَيَّلَ الشيءَ علـى غير حقـيقته قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه[308] .

المطلب الثاني: السحر في الاصطلاح

عرفه ابن خلدون في المقدمة بمصطلح علوم السحر وهي : " علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر إما بغير معين أو بمعين من الأمور السماوية والأول هو السحر والثاني هي الطِّلَّسْمَاتُ " .

وعقب على ذلك بقوله :" وهذه علوم مهجورة عند أهل الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله تعالى من كوكب أو غيره"[309] .

أما الشعوذة أو الشعبذة : فهي تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراءون كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك[310] .

---

[307]- ابن منظور، لسان العرب، ج٤/ ص٣٤٨ .

[308]- انظر ابن منظور لسان العرب، ج ٣٤٨/٤ ، والرازي،مختار الصحاح، ج١/ص١٢٢، والمعجم الوسيط، ج١/ص٤١٩ .

[309]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص٥٤٩-٥٥٠ .

[310]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص٥٥٠ .

ولذلك قسم ابن خلدون النفوس الساحرة إلى مراتب ثلاث هي:

١-النفوس الساحرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر.

٢-النفوس الساحرة بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات، وهو أضعف رتبة من الأول.

٣-تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراءون ،كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك، كما يحكى عن بعضهم أنه يُري البساتين والأنهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة أو الشعبذة [311].

ويلاحظ على هذا التقسيم أنه قد أخذ بدرجة قوة تأثير السحر وهل له حقيقة في الخارج أم لا فالقسم الأول له تأثير وحقيقة في الخارج والثاني له حقيقة في الخارج كذلك ولكنه أضعف من الأول تأثيرا والقسم الأخير لا حقيقة له في الخارج وأنه مجرد تخييل.

وحسب ما تقدم فالسحر لا يعد من خوارق العادات لأن الساحر يمارس أنواعا من الرياضة وهي مرتبطة بتوجهه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين وبأنواع من التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل...، وهي في النهاية وجهة وعبودية إلى غير الله تعالى تؤدي للكفر والعياذ بالله تعالى[312] .

فالشعبذة / الشعوذة : هي خفة في اليد، يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها .

فالسحر بكل أنواعه ليس من خوارق العادات؛ لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه[313] .

[311]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص٥٥٠ .

[312]- انظر ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص٥٥٠-٥٥١ .

[313]- انظر الباجوري، إبراهيم ، شرح جوهرة التوحيد، ص٢٦٥-٢٦٦ .

المطلب الثالث: في حقيقة السحر

كما أسلفنا أن موضوع السحر يعتبر في الأساس خارجا عن موضوع خوارق العادات، وكتب التفسير مختلفة فيه أشد الاختلاف، والروايات الواردة فيه أكثرها من الإسرائيليات التي لم يصح منها شيء، ويكفي في هذا المقام أن نعرض حقيقة السحر، كما عرضها القرآن الكريم، وأن له تأثيرا سيئا على النفوس، وبالأخص التي ضعف إيمانها بالله تعالى.

فقد ذكر الله عز وجل في قصة سحرة فرعون أن السحرة جاءوا بسحر عظيم سحر أعين الناس ووقعت رهبته في نفوس الذين شاهدوه من الحاضرين منهم.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) ﴾ الأعراف: ١١٥ – ١٢٠ وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) ﴾ طه: ٦٥ – ٦٩

فلا يمنع أن يؤثر تخييل السحر في نفس الشخص المسحور، ولكن بإذن الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) ﴾ البقرة: ١٠٢

وكذلك الاستعاذة في سورة الفلق من شر السواحر اللواتي ينفثن في العقد يدل على حقيقة وصدق الالتجاء إلى الله تعالى لدفع ضرر خفي سببه يعلمه علام الغيوب ويجهله الإنسان[314].

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ الفلق: ١ – ٥

---

[314] انظر التفتازاني، شرح المقاصد، ج٥/ص٨٠.

هذا مع اتفاق المفسرين على أن سبب نزولها ما كان من سحر لبيد بن الأعصم للنبي- صلى الله عليه وسلم[315]، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ :"سُحِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ: أَشَعَرْتِ يَا عَائِشَةُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فيه قُلْتُ: وَمَا ذَاكَ يَـــا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ ثُمَّ قَالَ: أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ مَا وَجَعُ الـــرَّجُلِ قَـــالَ: مَطْـــبُوبٌ قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قَالَ: فِيمَا ذَا قَالَ : فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْـــحَابِهِ إِلَى الْبِئْرِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا نَخْلٌ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الـــشَّيَاطِينِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَأَخْرَجْتَهُ؟ قَالَ لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِيَ اللَّهُ وَشَفَانِي وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ مِنْهُ شَرًّا، وَأَمَرَ بِهَا فَدُفِنَتْ "[316] .

فالـــشفاء إنما يكون برفع العلة وزوال المرض- الذي هو تغيير مزاج و لم يؤثر على عقل النبي صلى الله عليه وسلم- ، فدل على أن السحر له حق وحقيقة؛ فهو مقطوع به بإخبار الله تعالى ورسوله على وجوده ووقوعه[317] .

وعلى هذا أهل الحل والعقد الذين ينعقد بهم الإجماع، ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان، وتكلم الناس فيه، و لم يبد من الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله[318].

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن الوقوف على أبرز ملامح أقوال أهل العلم في حقيقة السحر* كما يلي:

١-السحر أصله التمويه والتخييل ،

٢-السحر عند المعتزلة وطائفة من العلماء لا أصل له وهو نوع من الخداع وخفة اليد ،

٣-السحر عند أغلب أهل السنة حق وله حقيقة يخلق الله تعالى عنده ما يشاء وهو على هذا الوجه أنواع هي:

---

[315]- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي،القاهرة-مصر،دار الحديث،ط١ ،١٩٩٤م ، ج٢/ص٤٦ ،

[316]- البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج٥/ص ٢١٧٦رقم الحديث ٥٤٣٣ كتاب الطب، باب السحر ،

[317]-انظر ابن حجر،أحمد بن علي،فتح الباري بشرح صحيح البخاري،بيروت-لبنان،دار إحياء التراث العربي،ط٢ ،١٤٠٥هـــ-١٩٨٥ ،ج١٠ /ص١٨٥-١٩٠ ،

[318]- انظـــر القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢/ص٤٦، والجويني، عبد الملك بن عبد الله،الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص٢٧١ ،

* -هناك من ارجع اصول السحر إلى ثلاثة امور هي:

الأول : زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما يعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفسه ومن الضعف في نفس المسحور ومن سوابق شاهدها المسحور واعتقدها فإذا توجه إليه الساحر سُخر له وإلى هذا الأصل الإشارة بقوله تعالى في ذكر سحرة فرعون { سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ } الأعراف : ١١٦ .

الثاني : استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن وهذا يرجع إلى خصائص طبيعية كخاصية الزئبق ومن ذلك العقاقير المؤثرة في العقول صلاحاً أو فساداً والمفترة للعزائم والمخدرات والمرقدات على تفاوت تأثيرها ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى في سحرة فرعون : { إنما صنعوا كيدُ ساحر } طه : ٦٩ .

الثالث: الشعوذة واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج حتى يخيل الجماد متحركاً وإليه الإشارة بقوله تعالى :{ يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها تسعى } طه : ٦٦ ،

ابن عاشور،محمد الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،تونس،الدار التونسية للنشر،ط غير معروفة ،سنة النشر غير معروفة، ج١/ص٦٣٣ ،

أ-خفة اليد، كالشعوذة .

ب-إن من البيان لسحرا[319] .

ج- إن الساحر يستطيع أن يغير حقائق الأشياء فيقلب الحيوان من صورة إلى صورة ويجعل الإنسان حمارا ونحوه.

والزعم بقدرة الساحر على قلب حقيقة الأشياء؛ هذا في تقديري محض خيال ووهم لا برهان عليه[320] .

واختلف الفقهاء في قبول هذا الكلام فمنهم من نفاه ومنهم من قال به ومن قبل ذلك قال بقتل الساحر. ومن قال إن السحر تمويهات وتخييلات لم يقل بقتل الساحر.

د-إن السحر حقيقة ويمكن تعلمه وأنه يفرق بين المرء وزوجه[321] ، كما في سورة البقرة آية ١٠٢ .

ه-إن لبيد بن الأعصم سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة ... ، فكان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، ثم نزل جبريل عليه السلام ورقاه بالمعوذتين فبطل السحر .

و- يظهر الساحر قدرته على خرق العادات مما ليس في مقدور البشر من مرض وتفريق بين زوجين وزوال عقل ، ولكنها جميعا دون المعجزة ولا تحدث إلا بإذن الله تعالى وليس لها قاعدة منضبطة ، فأحيانا يستطيع الساحر أن يحدثها وأحيانا لا يستطيع .

ز- الحكم في السحر

فقد ذهب أغلب أهل الفقه إلى قتل الساحر إذا سحر في كلام فيه كفر، ولا تقبل توبته عند بعضهم وتقبل عند الآخرين ، وقال بعض الفقهاء : إن كان السحر من التخييل فعليه التعزير، وفي رواية عن الشافعي : لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره، ويقول تعمدت القتل، وإن قال لم أتعمده لم يقتل وكانت فيه الدّية كقتل الخطأ .
وإن أضر بالمسحور أدب الساحر على قدر الضرر الذي ألحقه بالمسحور[322].

---

[319]- عَـنْ زَيْـدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ جَاءَ رَجُلَانِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا" - البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج٥/١٩٧٦ رقم الحديث ٤٨٥١، والبيان : الفصاحة واللسن في القول وتحسينه، و سحرا : ما يشبه السحر من حيث جلب القلوب والغلبة على النفوس والتأثير عليها؛فحسن البيان فيه استمالة للقلوب والعقول.

[320]- انظر ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل،ج١/ ص١٨٢ ، ج٣/ ص١٧٠-١٧١ .

[321]-انظر الصابوني،محمد علي،روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن،دمشق-سوريا،دار القلم،ط٢ ،١٩٩٢م،ج١/ص٧٥ .

[322] -انظر القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢/ص٤٣-٥٠، وابن قدامة، عبد الله بن أحمد ،المغني،تحقيق وتعليق محمد سالم محيسن-وشعبان محمد إسماعيل،بيروت-لبنان،دار التراث العربي،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ج٨/ص١٥٠-١٥١ ،والبار، د.محمد علي ، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم دراسة مقارنة،ص٤٣١-٤٣٢،و بكن،فتحي،حكم الإسلام في السحر ومشتقاته،بيروت-لبنان،مؤسسة الرسالة،ط٦ ،١٤١٤هـ-١٩٩٤م،ص٢٠-٢٢ وص٣٦-٤٠ .

المطلب الرابع: الفرق بين السحر والمعجزة

١-السحر يوجد من الساحر وغيره، وقد يكون جماعة يعرفونه ويمكنهم الإتيان به في وقت واحد. والمعجزة لا يُمكن الله تعالى أحدا أن يأتي بمثلها وبمعارضتها.

٢-الساحر لا يتحدى ويدعي النبوة بسحره؛ فإذا تحدى بسحره يمكن معارضته، فالذي يصدر منه مختلف عن المعجزة، فإن المعجزة شرطها اقتران دعوى النبوة والتحدي بها[323] .

٣-الساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل سحره في أسباب الخير،قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ طه: ٦٩

بينما صاحب المعجزة لا يصدر منه الشر، ولا يستعمل المعجزة في أسباب الشر، وكأنهما على طرفي النقيض في أصل فطرتهما[324].

٤-السحر طريقه الاكتساب والتعلم وممارسة رياضة معينة ، بينما المعجزة سبيلها تفضل من الله تعالى العزيز الوهاب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غافر: ٧٨

ومن الفروق بين الشعبذة والمعجزة ما يلي :

١-أن الشعبذة تظهر لذوي العقول و تندلس على الغُرِّ الجهول، فخالفت المعجزة التي تُذْهَلُ لها العُقول .

٢-أن الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها، فيصير مكافئا لمن أحسنها و يعارضها بمثلها، و المعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها و لا يعارضه أحد بمثلها[325] .

---

[323]- انظر القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج٢/ص٤٧ .

[324]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون، ص٥٥٦،و ابن تيمية،أحمد،النبوات،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م،ص١٨٨-١٩٠ .

[325]- الماوردي،علي بن محمد،أعلام النبوة،ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه،الشيخ خالد عبد الرحمن العك،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط١٩٩٤،١م،ص٧٠ ،وانظر الشعراني،عبد الوهاب،اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر،القاهرة-مصر،المطبعة الميمنية،ط غير معروفة،١٣٠٦هـ،ج١/ص١٤٨ ،والطباطبائي،محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن،بيروت-لبنان،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م،ج١/ص٢٤١ ،حيث أشار إلى علوم خمسة خفية يتعاطاها السحرة ومنها ما هو مختص بالشعبذة ويسمى الريمياء .

المطلب الخامس: السحر في اليهودية

مفهوم السحر في اليهودية: هو محاولة التحكم في الطبيعة عن طريق صيغ سحرية خفية .

وهو قسمان في المعتقد اليهودي هما:

الأول: أبيض يهدف إلى حماية الإنسان من الأرواح الشريرة.

الثاني : أسود يهدف إلى إلحاق الأذى بالآخرين[326] .

هو من التأثيرات النفسانية، إذا كانت النفس شريرة، واستعملت هذه التأثيرات في الشر[327] .

وماهية السحر هي محاولة التأثير في الناس أو مجرى الأحداث، إما بوسائل الخداع والشعوذة، أو بتسخير قوى شيطانية،وذلك لجلب منفعة أو دفع مضرة،أو لإيقاع أذى بالغير أو لاستطلاع المستقبل والرجم بالغيب، وهو قد يكون بتوجيه اللعنات، أو بترديد التعاويذ، أو باستخدام التمائم والأحراز، أو بتحطيم نموذج للعدو مصنوع من الشمع أو الخشب أو الطين أو غير ذلك، أو بقراءة الطالع بالورق أو الكؤوس أو الرمل أو الحصى، أو رمي السهام، أو حركات الكواكب والنجوم، أو اتجاه الطيور في طيرانها، أو حركات الحيوانات، أو فحص أحشائها، أو غير ذلك من الأساليب التي لا طائل وراءها، ولا جدوى[328] .

وأساليب السحر/الشعوذة ،يعبر عنها في اليهودية بـ (دَرْض ها إموري): وهي تصرفات وسلوكيات تعود إلى شعوذة عبدة الأوثان-منها الرجم بالغيب وفقا لهذا المذهب-المحرمة على بني إسرائيل[329] .

وقد ورد هذا التحريم في تثنية ١٨: ٩-١٤ " ٩"مَتَى دَخَلْتَ الأَرضَ التي يُعطيكَ الربُّ إلَهُكَ، لا تتعَلَّمْ أنْ تفعَلَ مثلَ رجسِ أولئكَ الأُمَمِ. ١٠لا يوجَدْ فيكَ مَنْ يُجيزُ ابنَهُ أو ابنَتَهُ في النّارِ، ولا مَنْ يَعرُفُ عِرافَةً، ولا عائفٌ ولا مُتَفائلٌ ولا ساحِرٌ، ١١ولا مَنْ يَرقي رُقيَةً، ولا مَنْ يَسألُ جانًّا أو تابِعَةً، ولا مَنْ يَستَشيرُ الموتَى. ١٢لأنَّ كُلَّ مَنْ يَفعَلُ ذلكَ مَكروهٌ عِندَ الربِّ. وبسَبَبِ هذِهِ الأرجاسِ، الربُّ إلَهُكَ طارِدُهُمْ مِنْ أمامِكَ. ١٣تكونُ كامِلاً لَدَى الربِّ إلَهِكَ. ١٤إنَّ هؤلاءِ الأُمَمَ الذينَ تخلُفُهُمْ يَسمَعونَ للعائفينَ والعَرّافينَ. وأمّا أنتَ فلم يَسمَحْ لكَ الربُّ إلَهُكَ هكذا".

326- المسيري، عبد الوهاب محمد،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، ص١٩٠ .

327- ابن كمونه،سعد بن منصور،الجديد في الحكمة،دراسة وتحقيق حميد مرعيد الكبيسي،بغداد-العراق،مطبعة جامعة بغداد،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص٤٥٥ .

328- حبيب، دكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٤/ص٣٥٩ .

329- الشامي، د رشاد ،موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص٩٨ .

وعقوبة الساحر القتل رجما خروج٢٢: ١٨"١٨لا تدَعْ ساحِرَةً تعيشُ" .

وفي اللاويين٢٠: ٢٧ "وإذا كانَ في رَجُلٍ أو امرأةٍ جانٌّ أو تابِعَةٌ فإنَّهُ يُقتَلُ. بالحِجارَةِ يَرجُمونَهُ. دَمُهُ علَيهِ".

ولكن هذا يتعارض مع اعتقاد اليهود بأن المعجزات أجراها العرافون بسحرهم مع هارون في ضربة الضفادع ففي سفر الخروج٨:٦- ٧" ٦فمَدَّ هارونُ يَدَهُ علَى مياهِ مِصرَ، فصَعِدَتِ الضَّفادِعُ وغَطَّتْ أرضَ مِصرَ.٧وفَعَلَ كذلكَ العَرّافونَ بسِحرِهِمْ وأصعَدوا الضَّفادِعَ علَى أرضِ مِصرَ ."

وكـــذلك قدرة الأنبياء الكذبة على الإتيان بالخوارق ففي إرميا٢٧: ٩-١٠" ٩فلا تسمَعوا أنتُم لأنبيائكُمْ وعَرّافيكُمْ وحالِميكُمْ وعائفيكُمْ وسَحَرَتِكُمُ الذينَ يُكَلِّمونَكُمْ قائلينَ: لا تخدِموا مَلِكَ بابِلَ. ١٠لأنَّهُمْ إنَّما يتَنَبّأونَ لكُم بالكَذِبِ، لكَيْ يُبعِدوكُمْ مِنْ أرضِكُمْ، ولأطرُدَكُمْ فتهلِكوا" .

وكذلك مع واقع حالهم من اتباعهم لما تتلوه الشياطين على ملك سليمان، كما رصده القرآن الكريم[330] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ البقرة: ١٠٢

فقد غدا السحر اليهودي انعكاسا لطبيعة الحركة اليهودية التي تأثرت بما عايشت عند المصريين من السحر ومن امتزاج وثنية الكلدانيين وكذا السحر الذي تبلور في عقيدتهم في أثناء السبي البابلي حتى امتد ذلك لنصوص التوراة فالتعويذة في مـــزمور٩١: ١-١٦ "١اَلـــسّاكِنُ في سِترِ العَليِّ، في ظِلِّ القديرِ يَبيتُ. ٢أقولُ للرَّبِّ: "مَلجإي وحِصني. إلهي فأتَّكِلُ علَـــيهِ". ٣لأنَّهُ يُنَجّيكَ مِنْ فخِّ الصَّيّادِ ومِنَ الوَبإ الخَطِرِ. ٤بخَوافيهِ يُظَلِّلُكَ، وتحتَ أجنِحَتِهِ تحتَمي. تُرسٌ ومِجَنٌّ حَقُّهُ. ٥لا

[330]-انظر السقا، د. أحمد حجازي، هيكل سليمان عند المسلمين وأهل الكتاب، القاهرة-مصر، مكتبة النافذة، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٩ -٢٠ وص٢٩-٣١ .

تخشَى مِنْ خَوفِ اللَّيلِ، ولا مِنْ سهمٍ يَطيرُ في النَّهارِ،٦ولا مِنْ وبإٍ يَسلُكُ في الدُّجَى، ولا مِنْ هَلاكٍ يُفسِدُ في الظَّهيرَةِ. ٧يَسقُطُ عن جانِبِكَ ألفٌ، وربواتٌ عن يَمينِكَ. إلَيكَ لا يَقرُبُ.٨إنَّما بعَينَيكَ تنظُرُ وتَرَى مُجازاةَ الأشرارِ.٩لأنَّكَ قُلتَ:"أنتَ يارَبُّ مَلجإي". جَعَلتَ العَليَّ مَسكَنَكَ،١٠لا يُلاقيكَ شَرٌّ، ولا تدنو ضَربَةٌ مِنْ خَيمَتِكَ.١١لأنَّهُ يوصي مَلائكَتَهُ بكَ لكَيْ يَحفَظوكَ في كُلِّ طُرُقِكَ.١٢علَى الأيدي يَحمِلونَكَ لِئلا تصدِمَ بحَجَرٍ رِجلكَ.١٣علَى الأسَدِ والصِّلِّ تـطَأُ. الشِّبلَ والثُّعبانَ تدوسُ.١٤"لأنَّهُ تعَلَّقَ بي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأنَّهُ عَرَفَ اسمي.١٥يَدعوني فأستَجيبُ لهُ، معهُ أنا في الضِّيقِ، أُنقِذُهُ وأُمَجِّدُهُ.١٦مِنْ طول الأيّامِ أُشبِعُهُ، وأُريهِ خَلاصي".

هي من أهم التعويذات في العهد القديم لدفع أذى السحرة، فقد اتخذ سحرة اليهود من نصوص التوراة والأرقام وأبجدية العبرية مادتهم الخام للوصول إلى إشارة رمزية معبرة عن الصيغة المستخدمة في السحر؛ كي لا تفهم الشياطين مضمون عباراتهم في الصيغة السحرية التي تحمل طابع الرمز الخفي[331] .

وطلسم–حرز(سْجولا): ويقصد بمصطلح سْجولا صفة طيبة أو ميزة خاصة، أو علاج كامن في شخص ما أو في شيء ما يلحق الأذى أو يحقق المنفعة .

"وقد ورد في التلمود ذكر"حجر الحرز"أو"حجر الطلسم"الذي يحتوي على"طلسم":تحمي المرأة الحامل من سقوط حملها. وقد ورد ذكر العديد من"الطلاسم"في كتاب (لوحا العهد)(شْن لوحوت هبريت) .

وعند اليهود يعتبر ترديد بعض الآيات– من التوراة– ، والرقى لعلاج الأمراض المختلفة ولتقوية الذاكرة وما شابه ذلك هو بمثابة(سْجولا)(طلسم)"[332] .

ويرى ابن كمونة الفرق بين السحر والمعجزات عند من يجوز ذلك هو أن الساحر لو ادعى النبوة كاذبا لقيض الله تعالى من يعارضه وأن لا يمكنه من فعل السحر الذي كان متمكنا من فعله قبل ذلك .
وقد يشتبه المعجز بغيره من المخاريق والحيل على ضعفاء العقول، كما يفعله المشعبذون وأصحاب الحيل الطبيعية والهندسية[333] .

331– انظر المسيري عبد الوهاب محمد، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، ص١٩١ .

332– الشامي، د رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، ص٢١٥ .

333– ابن كمونة، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص١٠ .

المطلب السادس: السحر في النصرانية

يشجب العهد الجديد السحر والسحرة وكل ما يمت لذلك بصلة ويصنف السحر على أنه من أعمال الجسد البغيضة وذلك في غلاطية ٥: ١٩-٢٠ "١٩وأعمالُ الجَسَدِ ظاهِرَةٌ، الّتي هيَ: زِنىً، عَهارَةٌ، نَجاسَةٌ، دَعارَةٌ، ٢٠عِبادَةُ الأوثانِ، سِحرٌ، عَداوَةٌ، خِصامٌ، غَيرَةٌ، سخَطٌ، تَحَزُّبٌ، شِقاقٌ، بِدعَةٌ".

كما يشبه الأشرار الذين يقاومون الحق،بالسحرة الذين قاوموا موسى وذلك في تيموثاوس الثاني ٣: ٨-٩"٨وكَما قاوَمَ يَنّيسُ ويَمبريسُ موسَى، كذلكَ هؤلاءِ أيضًا يُقاوِمونَ الحَقَّ. أُناسٌ فاسِدَةٌ أذهانُهُمْ، ومِنْ جِهَةِ الإيمانِ مَرفوضونَ.٩ لكِنَّهُمْ لا يتقَدَّمونَ أكثَرَ، لأنَّ حُمقَهُمْ سيكونُ واضِحًا للجميعِ، كما كانَ حُمقُ ذَينِكَ أيضًا". ،وهم من جهة الإيمان مرفوضون ففي تسالونيكي٣: ٢"٢ولكي نُنقَذَ مِنَ النّاسِ الأرديِاءِ الأشرارِ. لأنَّ الإيمانَ ليس للجميعِ." وقد سعى تلاميذ المسيح لدفع السحرة إلى الإيمان ففي أعمال الرسل١٩:١٩ "١٩وكانَ كثيرونَ مِنَ الّذينَ يَستَعمِلونَ السِّحرَ يَجمَعونَ الكُتُبَ ويُحَرِّقونَها أمامَ الجميعِ. وحَسَبوا أثمانَها فوَجَدوها خَمسينَ ألفًا مِنَ الفِضَّةِ".

ومن ذلك إيمان سيمون الساحر في السامرة لما رأى الآيات التي أجراها تلامذة المسيح وذلك في أعمال الرسل٨: ٩-١٣ "٩وكانَ قَبلاً في المدينةِ رَجُلٌ اسمُهُ سيمونُ، يَستَعمِلُ السِّحرَ ويُدهِشُ شَعبَ السّامِرَةِ، قائلاً إنَّهُ شَيءٌ عظيمٌ!١٠ وكانَ الجميعُ يتبَعونَهُ مِنَ الصَّغيرِ إلى الكَبيرِ قائلينَ: "هذا هو قوَّةُ اللهِ العظيمَةُ".١١وكانوا يتبَعونَهُ لكَونِهِمْ قد اندَهَشوا زَمانًا طَويلاً بسِحرِهِ.١٢ولكن لَمّا صَدَّقوا فيلُبُّسَ وهو يُبَشِّرُ بالأُمورِ المُختَصَّةِ بملكوتِ اللهِ وباسمِ يَسوعَ المَسيحِ، اعتَمَدوا رِجالاً ونِساءً.١٣وسيمونُ أيضًا نَفسُهُ آمَنَ. ولَمّا اعتَمَدَ كانَ يُلازِمُ فيلُبُّسَ، وإذ رأى آياتٍ وقوّاتٍ عظيمَةً تُجرَى اندَهَشَ".

ومن ذلك قصة عليم الساحر في أعمال الرسل١٣: ٨-١٢" ٨فقاوَمَهُما عَليمٌ السّاحِرُ، لأنْ هكذا يُترجَمُ اسمُهُ، طالِبًا أنْ يُفسِدَ الواليَ عن الإيمانِ.٩وأمّا شاوُلُ، الّذي هو بولُسُ أيضًا، فامتَلأَ مِنَ الرّوحِ القُدُسِ وشَخَصَ إليهِ١٠وقالَ: "أيُّها المُمتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وكُلَّ خُبثٍ! يا ابنَ إبليسَ! يا عَدوَّ كُلِّ برٍّ! ألا تزالُ تُفسِدُ سُبُلَ اللهِ المُستَقيمَةَ؟١١فالآنَ هوذا يَدُ الرَّبِّ علَيكَ، فتكونُ أعمَى لا تُبصِرُ الشَّمسَ إلى حينٍ". ففي الحالِ سقَطَ علَيهِ ضَبابٌ وظُلمَةٌ، فجَعَلَ يَدورُ مُلتَمِسًا مَنْ يَقودُهُ بيَدِهِ.١٢فالوالي حينَئذٍ لَمّا رأى ما جَرَى، آمَنَ مُندَهِشًا مِنْ تعليمِ الرَّبِّ".

وما إلى ذلك من القصص التي تظهر فيها بطولات بولس وانتصاراته على السحرة لكي يكشف زيفهم [334].

ومـــن الملاحـــظ لم يكـــن فيما سبق من النصوص ما يشير لوضع رؤية تتصل بالسيد المسيح فيما يتعلق بالسحر والسحرة،كما تحدى موسى عليه السلام السحرة وأبطل سحرهم؛ فلذا يبدو أن أفعال السحرة لم تشكل أولوية في بعثة المسيح حسب ما تقدم من النصوص، وإنما نجدها تشكل تحديا لعمل التلاميذ بعد المسيح عليه السلام يحتاج فيه التلميذ إلى الامتلاء من الروح القدس وقوة الإيمان للتغلب على السحرة مما يمكنه من فعل آيات وقوات تثير الاندهاش حسب معتقد النصارى في عهدهم الجديد.

فالسحر أمر رديء محرم على النصارى فعله في الديانة النصرانية[335].

فقد جاء في ارميا٢٧: ٩ "٩فلا تسمَعوا أنتُم لأنبيائكُمْ وعَرّافيكُمْ وحالِميكُمْ وعائفيكُمْ وسَحَرَتِكُمُ الذينَ يُكلِّمونَكُمْ".

[334]- انظر حبيب دكتور القس صموئيل وأخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٤/ص٣٦١.

[335]-انظـر لأبي زيـد، الأرشمندريت بطرس،مرشد الوعاظ والكتاب إلى كنوز آيات الكتاب،مطبعة القديس بولس في حريصا،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ج١/ص٥٠٣-٥٠٦.

الفصل الثالث

مصدر خوارق العادات وخصوصيتها

تمهيد

المبحث الأول:

مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند المسلمين

المبحث الثاني:

مصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود

المبحث الثالث:

مصدر العجائب وخصوصيتها عند النصارى

تمهيد:

من أهم الفروق في خوارق العادات بين الإسلام، وبين اليهودية والنصرانية القطع بنسبة الخارقة إلى مصدر لا يقبل الشك بثبوته، فضلا عن إمكانية تحديد هوية من تجري الخارقة على يديه، وكيفية التمييز بين ما هو خارق وبين ما هو تمويه وحيلة أو أسطورة من نسج الخيال البشري[336].

وأضـــف إلى ذلك أنه لا بد من الاطمئنان إلى ضبط من نقل تلك الأحداث، وهل أداها كما شاهدها أو كما نقلت إلـــيه بدقـــة أم أن الراوي لتلك الأخبار المتعلقة بخوارق العادات قد أقحم تصوراته الشخصية وموروثاته التقليدية في وصـــف تلك الأحداث وكيفية حصولها التي لا مجال أمام العقل البشري إلا التسليم بصدقها وصدق من ظهرت على يديه إذا تبين له بالدليل القاطع أنها أمور تجري فوق حدود مقدرة البشر، ثم نقلها بأمانة لمن بعده من الأجيال بمصادر موثوقة وأسانيد متصلة لا تقبل النقض أو التصادم مع المسلمات العقلية أو العلمية أو التاريخية، لا كما زعم أهل التوراة بأن الأرض واقفة والشمس والقمر متحركان في معجزة يوشع مما جعلهم مثار نقد في العصر الحديث[337].

ففي يوشع ١٠: ١٣ " ١٣فَتَوقَّفَتِ الشَّمسُ وثَبَتَ القمرُ إلى أنِ انتَقَمَ الشَّعبُ مِنْ أعدائِهِم" .

فـــتعطش أمة الغضب لسفك الدماء والانتقام أنساها توازنها حتى مع النظر إلى الأرض التي يقاتلون من أجلها، فهم أجهل الخلق في تصورهم أن الأرض ثابتة، والمعجزة جرت على المتحرك من الكواكب بتوقف الشمس وثبوت القمر فقط من منطلق خيال كتاب العهد القديم الذين يخضعون الأحداث لتصوراتهم القاصرة، ولو على حساب مخالفة ما هو ثابـــت علميا وفلكيا وحتى دينيا كما هو مذكور في القرآن الكريم من أن لكل جرم حركته المعتادة في مداره الذي لا يتخطاه فكل في فلك يسبحون .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٣٧ - ٤٠

[336] –انظـــر مـــن ذلـــك مذبحـــة بيت شمس،صموئيل الأول٦ :١٩ ،وكيف عقب عليها عبدالله،عبد السلام محمد،هل الكتاب المقدس معـــصوم؟،القاهرة–مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٧م،ص٤٣،من حيث المبالغة والاختلاف بين ترجمات الكتاب المقدس في أعداد القتلى الذين نظروا لتابوت العهد حيث بلغ العدد في ترجمة البروتستانت سنة ٢٠٠٣م،"خمسين ألف رجل وسبعين رجلا" ا.

[337] –انظر سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة،ص٢٢٤ .

فالعلم الحديث يسلم لدقة وصف كتاب الله تعالى لحركة الكواكب السابحة في الفضاء، وأي تفسير لخوارق العادات وفــق تــصورات العقــل البشري أمر خارج عن حدود قدرة العقل البشري الذي يحتكم إلى الأسباب والمسببات، والخوارق تجري خارج حدود مرجعية العقل القاصر الذي دوره الإيمان والتصديق بما هو من عند الله تعالى بلا فلسفة تخرجه عن حدود وظيفته المناطة به.

إن معالم الوضوح والشفافية التي يتحدث عنها المسلمون حول مصدر خوارق العادات وخصوصيتها تقضي بشكل جــذري على كل مظاهر التشويش الطارئة على الفكر البشري، ومن ثم تدفعه نحو العمل بطاعة الله تعالى وحده لا شريك له بلا فتور أو تبعية لمخلوق.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ غافر: ٧٨

فالخارقــة عــند المسلمين إنما مصدرها أنها من عند الله تعالى وبإذنه يظهرها الله تعالى على أيدي أنبيائه أو أوليائه الصالحين، ولكن الأمر يخرج عن حدود الضبط عند أهل الكتاب فالخارقة تظهر على يد من يدعي النبوة من قضاة بني إسرائيل، كما هو مشهور عن صموئيل أو تجريها حتى قوى الطبيعة كالريح الشرقية في فلق البحر أو غير ذلك .

ثم لا بــد من بلورة القيود التي تفصل بين كل خارقة وغيرها بشكل لا يقبل الخلط بين خارقة وخارقة أخرى أو بين خارقة وغيرها مما هو من زعم البشر، وهذا ما نلمسه من ضرورة مراجعة شاملة لدراسة الخوارق في العهدين حتى يتم التمييز بين ما هو معجزة وبين ما هو إرهاص أو كرامة أو معونة أو ما هو استدراج أو إهانة أو سحر وغيره مما هو من عمل البشر ليستقيم معتقد اليهود والنصارى في خوارق العادات.

وكــذلك لا بد من البحث في خصوصية الخارق الذي يترك الأثر في نفوس المشاهدين والسامعين الذي يدفع بركب الإيمــان الحقيقــي الذي يثمر توحيدا خالصا لله تعالى يرغب في القرب منه عز وجل ويؤسس لحسن عبادته ويلفت الأنظــار إلى ضرورة الاستعداد ليوم المعاد بلا مخاصمة أو مجادلة عقيمة تشوه صورة الحق الذي هو مطلب العقلاء من البشر.

قال تعالى:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأعراف: ٧٣ . وقال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥ .

فالواجب يقتضي من أهل الكتاب الحذر من عواقب الغفلة عن عذاب الله تعالى، والمسارعة إلى إبراز معالم التوحيد الحقيقي الذي طمست معالمه في عهديهم القديم والجديد، والذي ينبغي أن يسيروا عليه بموجب الميثاق العام الذي قد أجمع عليه الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتوج بشهادة رب العالمين على ذلك الإقرار والشهادة النبوية .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١

وبموجب مواثيقهم الخاصة التي أخذها الله تعالى عليهم على لسان الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى فيهم، والتي منها ما أشار إليها القرآن الكريم .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٢ – ١٣

فعلى الرغم من كثرة الخوارق التي شاهدها بنو إسرائيل إلا إنها لم تثمر فيهم توحيدا خالصا، و لم تستخرج من قلوبهم لذة الشوق إلى بريق الحرية ولا أدل على ذلك من مسألة طلبهم من نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام بلا أدنى درجة مـــن الحياء أن يجعل لهم آلهة من الأصنام؛ كي يعبدوها وهذا بعد معاينتهم هلاك عدوهم الذي قتّل أبناءهم واستحيا نـــساءهم فرعونُ و من معه من جنده، ثم المَنُّ عليهم بنجاتهم من القتل أو الغرق بآية ربانية لا زالت رطبة في عقولهم المتصحرة التي فشلت في إنبات بذرة التوحيد الخالص في قلوبهم التي استعذبت الذل والجهل والعناد والهوان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٨

فمعجزة فلق البحر تلك الخارقة العظيمة شوه بنو إسرائيل حتى معالمها وأبرز آثارها وعبرها من فكرهم ووجدانهم ومن توراتهم المقدسة وهي التي تمثل في حقيقة الأمر الحلقة الفاصلة في نهاية تاريخ عبوديتهم الفرعونية.

وعند التمحيص نجد أنهم عجزوا حتى عن التخلص من آثار عبوديتهم التي استحكمت في عقولهم التي أصبحت عبادة الأصنام مطلبا لها، فالخارقة أثرها يكون في حدود دفع الأذى عنهم ولا يرتقي إلى مستوى إقامة التوحيد الخالص لأمة.

إن أفرادا من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم – صاغوا بثباتهم على الحق أروع المناهج لحياة إيمانية متكاملة البنيان أثمرت فيها بذور التقوى والتوحيد حيث رفضوا عبادة الأصنام وعلى الرغم من كثرتها وكثرة الداعين لعبادتها من أهل الجاهلـــية، ومـــع شدة التعذيب والأذى الذي لحق بهم وفقدانهم نعمة الأمن والنصير وهم من غير العرب أو حتى من الشعب المختار-حسب زعم اليهود-، كبلال الحبشي وصهيب الرومي رضي الله تعالى عنهم أجمعين، هذا فضلا عن استـــشهاد النساء في سبيل المحافظة على توحيد الله تعالى، كسمية زوجة ياسر رضي الله عنها، فهم حفظوا قل هو الله أحد فحفظهم الواحد الأحد الذي لم يلد و لم يولد و لم يتخذ صاحبة ولا ولدا.

وفي هـــذا الفـــصل سيتم بإذن الله تعالى الحديث عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند المسلمين ومصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود وعند النصارى

وعند المسلمين، والله الموفق لما يحبه ويرضاه وبه وحده نستعين.

المبحث الأول: مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند المسلمين

من الأمور التي أوضحتها الآيات الكريمة بأحسن بيان مصدر خوارق العادات في الإسلام حيث جلّت الحقيقة بشأن مصدرها بشكل لا لبس فيه ولا غموض، فجاء صريح الآيات الكريمة ليبين للناس أن مصدر خوارق العادات إنما ينحصر في كونها من عند الله تعالى، فلا قدرة لأحد من الخلق على إجراء الخارقة؛ لأنه قد تقرر بأن الآيات لا تظهر إلا بإذن الله تعالى وحده لا شريك له وبأمره تعالى وهذا ما أكدته الآيات الكريمة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) ﴾ الأنعام: ١٠٩

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) ﴾ العنكبوت: ٥٠

وبذلك يكون الإسلام قد رفع الحصانة عن معتقدات الأمم السابقة المتعلقة بمصدر خوارق العادات وخصوصيتها .

ويرى أهل العلم أن صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة أمور هي: العلم والقدرة والغنى وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده فإنه الذي أحاط بكل شيء علما وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله تَعَالَى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠) ﴾ الأنعام: ٥٠

وكذلك قال نوح عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١) ﴾ هود: ٣١

فهذا أول أولي العزم وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم وكلاهما تبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب كقوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ الأعراف: ١٨٧ ،وتارة بالتأثير كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) ﴾ الإسراء: ٩٠ ، وتارة يعيبون

عليهم الحاجة البشرية كقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) ﴾ الفرقان: ٧

فأمـــر الله تعالى الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله فيعلم ما علمه الله إياه ويستغني عما أغناه عنه ويقدر على ما أقدر عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة[338] .

ومـــن الأمـــور المعلومة أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، وجعلـــهم وســـائل بيـــنه وبين عباده، يعرفونهم بمصالحهم، ويحرضونهم على هدايتهم، ويأخذون بحجزاتهم عن النار، ويدلـــونهم على طريق النجاة، وكان المولى عز وجل فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله تعالى بوساطتهم، وهم لا يعلمونها إلا بتعليم الله تعالى إياهم وخبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصدق[339] .

فالرسل عليهم الصلاة والسلام وظيفتهم الإنذار من عذاب الله تعالى وتبليغ الدين والآيات إنما يظهرها الله تعالى على أيديهم بأمره وحده سبحانه وتعالى .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۗ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧) ﴾ الرعد: ٧

والخـــوارق من علم الغيب الذي اختص بعلمه الله تعالى وحده لا شريك له فلا علم لأحد من خلقه بشأنها إلا بالقدر الذي يوحي به الله تعالى لعباده المرسلين .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٢٠) ﴾ يونس: ٢٠

فالنبي متبع لما يوحى إليه من الله تعالى ولا يأتي بالخارقة من عند نفسه، وإنما هو متلقٍ للوحي ومتبع وهذا ما صرحت به الآيات الكريمة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ

---

[338] -الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة،١٩٨٨م، ص ٤٩٤-٤٩٥ .

[339] -ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص١٠١-١٠٢ بتصرف قليل.

عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ يونس: ١٥ – ١٦

فإذا كان هذا هو المقرر بشأن أم المعجزات القرآن الكريم وبحق سيد الأولين والآخرين عليه السلام، فلا مجال لأحد من الخلق أن يزعم أنه يستطيع أن يأتي بخارقة من عند ذاته، كما أن في القرآن الكريم -المعجزة المعنوية الباقية- ختما للمعجزات المادية فقد وضع الكتاب المبين حدا ونهاية لطلبات أهل الكفر المتكررة للمعجزات التي يطلبونها من الأنبياء عليه السلام، وبذلك تكون معجزة القرآن الكريم الباقية فيها الكفاية لمن يبحث عن الهداية .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ طه: ١٣٣

فالمعجزات المادية كانت تهدف إلى تدعيم موقف الأنبياء عليهم السلام في مهمة الإنذار والتخويف لعل أقوامهم يرجعون إلى رشدهم ويتخذون لأنفسهم مسلكا إلى الإيمان بالله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الإسراء: ٥٩

ولهذا نجد القرآن الكريم يرتقي بالعقول إلى ضرورة النظر إلى المشاهد الكونية المألوفة؛ لأنها تشارك الخوارق في الدلالة على قدرة الله تعالى وعجز البشر فقد استوفى البشر نصيبه من المعجزات المادية وتكررت النتائج المتشابهة لأهل الكفر والعناد في الإهلاك والتعذيب جزاء على التكذيب بآيات الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس: ١٠١

وينبغي العلم أيضا بأن عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات و لم يسخر له شيئا من الكونيات فلا ينقص ذلك من مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة فإن الخارق قد يكون مع الدين وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له، فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك ما هو مأمور

به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفا من النار أو طلبا للجنة - يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا!!

ثم إن الـــدين إذا صح علما وعملا فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، ولكن بإذن الله تعالى وحده الذي جعل لأهل التقوى مخرجا [340] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق: ٢ - ٣

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ يونس: ٦٢ - ٦٤

ومـــن الملاحظ أن تسمية القرآن الكريم للخوارق بالآيات أو بالبينة أو بالبرهان أو بالسلطان وعدم التصريح بتسمية المعجزة ربما يعطي مؤشرا إلى أن الهدف من الخوارق هو مزيد من الإيضاح والبيان لمعالم الهداية الربانية على صدق من اصطفاهم من خلقه، وليس في ظهور الخارقة ما يكره الخلق على قضية الإيمان بالله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ الشعراء: ٤

لأن ذلك يسلبهم حرية الاختيار ومع ذلك فالهداية لا تمنح إلا لمن أناب لله تعالى فرجع عن ضلاله وأبصر نور الهداية الربانية .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرعد: ٢٧

كمـــا أن ظهور الخارقة لا يلزم منه تغيير هوى النفس المعادي للحق فهي تبرهن على صدق الحق ولا تكره أحدا على اتباعه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ البقرة: ١٤٥

فقضية الإيمان ليس بالضرورة أن تقترن بظهور الخوارق؛ لأن الإيمان ينبعث من الرضا النفسي والانقياد الطوعي.

---

[340]- الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٩٧ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٩

والواقع يشهد في كثير من المشاهد على أهل الكفر رفضهم الإيمان بل وزيادتهم في الطغيان والعناد بعد حصول الخارقة على أيدي من بعثوا إليهم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ القمر: ١ – ٥

ولذا رفض القرآن الكريم طلب أهل الكفر المتكرر للآيات المقترحة؛ لأنه ينبعث من جهلهم بحقيقة الآيات والغاية منها، وهو طلب لا يراد منه الوصول لحقيقة معالم الهداية، ولقد تكرر مثل هذا الطلب على ألسنة أهل الجهل في عصور مختلفة ليؤكد حقيقة نفوسهم التي تأصل فيها العناد والتكبر على الحق على الرغم من وضوح براهينه، ففي رفض طلبهم قمعٌ لجهلهم وليس ردا على سؤال صادق بدر منهم[341] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ البقرة: ١١٨

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الأنعام: ٣٧

ولهذا كان من رحمة الله تعالى التدرج في مشهد إظهار الآيات أمام فرعون وقومه ليدفعهم إلى ركب الهداية فيردهم للحق ردا جميلا بلا عناد أو كبر .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الزخرف: ٤٦ – ٤٨

ولكنهم عاندوا وتكبروا حتى كان الثمن هو الغرق جزاء لمن كذب بآيات ربه ولم يؤمن بها مع أن المعجزة الواحدة منها كافية، وكفيلة بإقامة الحجة على أمة، ولكن من يكذب بمعجزة لا يعتبر بغيرها من المعجزات.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾ طه: ٥٦

---

[341]-انظر البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، ص٢٣٤ .

فمـــصدر الخوارق في الإسلام ينحصر في أنها من عند الله تعالى، وهي تجري وفق أمر الله تعالى وحده وبإذنه كما أسلفنا، **وهي مختصة بما هو:**

١-مقدمات تؤسس لنبوة نبي اختصه الله تعالى بالنبوة، وهي ما تسمى عندها بالإرهاصات .

٢- وربمـــا يكـــون معجزات وهي تعتبر دليلا على وحدانية الله تعالى، وعلى صدق وصحة نبوة الأنبياء عليهم السلام وصدق ما أتوا به من عند الله تعالى؛ وبذلك تقام الحجة على من بعثوا فيهم .

٣-وقد يخص الله تعالى بالخارقة بعض أوليائه من أهل التقوى والإيمان فتكون كرامة لهم من الله تعالى .

٤-وقد يخص المولى عز وجل بالخارقة بعض العوام تخليصا لهم من شدة، و هي ما تسمى بالمعونة .

٥-وإما أن تكون الخارقة لأجل بيان كذب من ادعى النبوة من المتنبئين، وهذه ما تسمى بالإهانة.

٦- وإما أن يخص الله تعالى بالخارقة من ادعى الألوهية لبيان عظيم فريته وسوء عاقبته، وهو ما يسمى بالاستدراج.

ولقد سبق الحديث عن قيود كل خارقة من هذه الخوارق التي تميزها عن غيرها من الخوارق بميزان علمي حقيقي دقيق في الفصل الثاني من هذه الرسالة حينما تم الحديث عن مفهوم خوارق العادات وأنواعها بين اليهودية والنصرانية والإسلام .

فالإســـلام بمنهجيته الواقعية التي سلكها حيال الحديث عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها يكون قد نبه كل منـــصف علـــى حقيقة بطلان كثير من المعتقدات المتعلقة بخوارق العادات عند اليهود والنصارى التي جمح بها الخيال وشـــبح الأسطورة حتى تصوروا وصوروا للآخرين أن بعض خلق الله تعالى يملكون القدرة على إظهار الخوارق بقوة ذاتية وهذا من أبشع صور الضلال، وحتى لو كان المقصد منها التعبئة لعوام الناس لمواجهات الأزمات أو غيرها .

لأن أمر الخوارق يتصل بعلم الغيب الذي اختص به الله تعالى فلا يطلع عليه أحد إلا بأمر الله تعالى وإذنه عز وجل، وهذا ما يبرهن على صدقه تعرض الأنبياء عليهم السلام للأذى ممن كفروا بدعوتهم فلو كان لهم قدرة ذاتية على فعل الخـــوارق لما استطاع أحد أن يمسهم بسوء، فإذا تقرر هذا فغير الأنبياء عليهم السلام من باب أولى لا يملكون قدرة ذاتية على فعل الخوارق، وإنما يظهرها الحكيم العليم على يدي من يشاء من عباده لحكمة أرادها سبحانه وتعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

المبحث الثاني: مصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود

إن الحديث عن مصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود يحتاج إلى نظرة متفحصة لنصوص العهد القديم التي تشعب فيها الحديث عن مصدر العجائب، والعهد القديم المصدر الوحيد الذي يُسلّم به اليهود لصحة نقل الخوارق التي جرت في عهد أنبياء بني إسرائيل، بالإضافة إلى أخذ الظروف المحيطة بحدوث الخوارق عند اليهود بعين الاعتبار التي غالبا ما تتمازج مع أسلوب العهد القديم من خلال سرده للأحداث بشكل قصصي أجوف يفتقد إلى المعلومة المفيدة، والدلالة، والعبرة التي يعز أن يستخلصها المطالع بما يلائم المغزى الديني من وراء إجراء الخارقة[342] .

وعند النظر في نصوص العهد القديم نجد أن مصدر العجائب عند اليهود منها ما يذكر أن الله يجريه بنفسه دفعا لضر عن بني إسرائيل أو لجلب نعمة مسلوبة عن بني إسرائيل أو لغير ذلك مما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى؛ ليكتسب الرب اسما أبديا بعد حدوث الخارقة عند اليهود، كما ورد ذلك في أشعياء ٦٣: ١٢ "١٢ أينَ الّذي سيَّرَ عنْ يَمينِ موسى ذِراعَهُ المَجيدةَ، وشقَّ المياهَ أمامَهُم ليعمَلَ لنفسِهِ إسماً أبديًّا" .

أومن خلال تفويض الأمر للملائكة لحصول الخارقة، أو من خلال عباد الله من الأنبياء والمرسلين، وكذلك الحال بالنسبة للمقابل من قوى الشر الشيطانية فهي تستطيع أيضا إجراء الخوارق،كالأنبياء الكذبة،وأهل العرافة،والسحرة .

ولذا فمن العسير أن نجد مسلكا خاصا أو حتى عاما يؤسس بشكل واضح لتحديد مصدر العجائب في العهد القديم وكل تقسيم إنما هو حصيلة اجتهاد شخصي من خلال استقراء لنصوص العهد القديم التي تتحدث عن أمور خارقة للعادة بشكل مسهب دون الفصل بين ما يكون من نبي أو عبد صالح أو قائد عسكري أو غير ذلك .

والذي ورد ذكره من عجائب في اليهودية حسب قاموس الكتاب المقدس[343] يمكن عرضه فيما يلي على حسب ترتيب ورودها في بعض أسفار العهد القديم، والتي هي :

١-سفر التكوين:خراب سدوم وعامورة١٩: ٢٤-٢٥،تحويل امرأة لوط إلى عمود ملح١٩: ٢٦،ولادة إسحاق ٢١: ١-٢ .

342-انظر السقار،د.منقذ،هل العهد القديم كلمة الله،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص١٠٩-١١١ .

343-انظر عبد الملك،د.بطرس،قاموس الكتاب المقدس،ط٩ ،ص٦٠٢-٦٠٤ .

٢-سفر الخروج:العليقة الملتهبة ٣: ٢-٥،تحويل عصا هارون إلى ثعبان ٧: ١٠-١٢ ،ضربات المصريين العشرة:تحويل الماء إلى دم٧: ١٩-٢١،الضفادع٨: ٥-٧،البعوض٨: ١٦-١٨،الذباب٨: ٢١-٢٣،وباء الحيوانات٩: ٣-٧ ، الدمامل٩: ٨-١١ ،البرد٩: ٢٢-٢٦،الجراد١٠: ١٢-١٥،الظلمة١٠: ٢١-٢٣،موت الأبكار١٢: ٢٩-٣٠ ،

٣-سفر الخروج :شق مياه البحر الأحمر ١٤: ٢١ -٣١ ،تحويل ماء نبع مارة المر إلى ماء عذب ١٥: ٢٣-٢٥ ،المن والسلوى ١٦: ١٣-٢٥ ،خروج الماء من الصخر ١٧: ٥-٧ ،

٤-سفر اللاويين: احتراق ناداب وابيهو لعصيانهما الله ١٠ :١-٢ ،

٥-سفر العدد: احتراق بعض الإسرائيليين لعصيانهم الله ١١ : ١-٣ ،ابتلاع الأرض قورح وداثان وأبيرام وقومهم ١٦ : ٣١-٣٣ ،إزهـــار عـــصا هارون زهرا ولوزا ١٧ :١-١٠ ،خروج الماء من الصخر مرة أخرى ٢٠ :٧-١١ ،حية النحاس تحيى الملدوغين بالحيات ٢١: ٨ -٩،تكلم حمارة بلعام وظهور الملاك ٢٢ : ٢٢-٣٥ ،

٦-ســـفر يشوع (هوشع): وقوف نهر الأردن وعبور بني إسرائيل ٣ : ١٤-١٧ ،سقوط أسوار أريحا ٦ : ٦-٢٠ ، وظهور النؤ والبرد ١٠: ١١ واستمرار ظهور الشمس ووقوف القمر ١٠ : ١٢-١٤ ،

٧-سفر القضاة: خروج الماء من الصخر(بدعاء شمشون) ١٥: ١٩ ،

٨-سفر صموئيل الأول:سقوط تمثال داجون أمام تابوت العهد ٥: ١-٤ ،ضربة البواسير والفيران ٥: ٦-١٢ و٦: ١ -٤ ،موت رجال بيتشمس ٦ : ١٩ ،الرعد يهزم جيش الفلسطينيين ٧ :١٠ -١٢ ،الرعد والمطر في أيام الحصاد ١٢ :١٨ ،

٩- سفر صموئيل الثاني:صوت الخطوات في أشجار البكاء ٥ :٢٣-٢٥ ،موت عزة لأنه أمسك بتابوت العهد ٦ :٧ -٨ ،

١٠-سفر الملوك الأول:تصلب يد يربعام وتهدم مذبحه ١٣ :٤-٦ ،الغربان تطعم إيليا ١٧ :٦ ،تموين الأرملة بالدقيق والزيت مدة المجاعة ١٧ :١٤-١٦ ،قيامة ابن الأرملة* ١٧: ١٧-٢٤ ،نزول النار على ذبيحة إيليا ١٨ :٣٨ ،نزول المطر بعد صلاة ايليا ١٨ :٤١-٤٥ ، ،نزول المطر بعد الصلاة استسقاء وليس بمعجزة ،

---

*-١ملوك١٧-٢٤"١٧وبَعدَ هذِهِ الأُمورِ مَرِضَ ابنُ المَرأةِ صاحِبَةِ البَيتِ واشتَدَّ مَرَضُهُ جِدًّا حتَّى لم تبقَ فيهِ نَسَمَةٌ.١٨فقالَتْ لإيليّا:"ما لي ولكَ يا رَجُلَ اللهِ! هل جِئتَ إلَيَّ لتَذكيرِ إثمي وإماتَةِ ابني؟".١٩فقالَ لها:"أعطيني ابنَكِ". وأخَذَهُ مِنْ حِضنِها وصَعِدَ بهِ إلَى العُلِّيَّةِ التي كانَ مُقـيمًا بها، واضجَعَهُ علَى سريرِهِ،٢٠وصَرَخَ إلَى الرَّبِّ وقالَ:"أيُّها الرَّبُّ إلَهي، أأيضًا إلَى الأرمَلَةِ التي أنا نازِلٌ عِندَها قد أسأتَ بإماتَتِكَ ابـنَها؟".٢١فـتَمَدَّدَ علَى الوَلَدِ ثَلاثَ مَرّاتٍ، وصَرَخَ إلَى الرَّبِّ وقالَ:"يارَبُّ إلَهي، لتَرجِعْ نَفسُ هذا الوَلَدِ إلَى جَوْفِهِ".٢٢فسَمِعَ الرَّبُّ لـصوتِ إيلـيّا، فرَجَعَتْ نَفسُ الوَلَدِ إلَى جَوْفِهِ فعاشَ.٢٣فأخَذَ إيليّا الوَلَدَ ونَزَلَ بهِ مِنَ العُلِّيَّةِ إلَى البَيتِ ودَفَعَهُ لأُمِّهِ، وقالَ إيليّا: "انظُري، ابنُكِ حَيٌّ".٢٤فقالَتِ المَرأةُ لإيليّا: "هذا الوقتَ عَلِمتُ أنَّكَ رَجُلُ اللهِ، وأنَّ كلامَ الرَّبِّ في فمِكَ حَقٌّ"". فهذه لها ما يشابهها عند النصارى

١١- سفر الملوك الثاني:إحراق رئيسي الخمسين ورجالهما ١: ١٠-١٢ ،ايليا ثم اليشع يشقان نهر الأردن ٢: ٧و٨و ١٤ ،صعود ايليا إلى السماء ٢: ١١ ،إبراء ماء أريحا بالملح ٢ : ٢١-٢٢ ،موت الصبيان الذين سخروا من اليشع ٢ : ٢٤ ،مياه فائضة تأتي لجيش بني إسرائيل ٣: ١٦-٢٠ ،زيادة الزيت للأرملة ٤: ٢-٧ ،قيامة ابن الشونمية من الموت ٤ : ٣٢-٣٧ ،اصلاح الأكل لبني الأنبياء بالدقيق ٤: ٣٨-٤١ ،اطعام بني الأنبياء واشباعهم بعشرين رغيفا ٤: ٤٢-٤٤ ،نقل البرص من نعمان إلى حيجزي ٥: ١٠-٢٧ ،طفو الحديد على وجه الماء ٦: ٥-٧ ،معرفة أفكار بنهدد وحزائيل ٦: ٨-١٢ ،إصابة جيش الآرميين بالعمى ٦: ١٨ ،إبراء الآرميين من العمى ٦: ٢٠ ،قيامة الميت الذي مس جثمان اليشع ١٣ :٢١ ،إبادة جيش سنحاريب ١٩ :٣٥ ،ارجاع الظل عشر درجات ٢٠: ٩-١١ ·

١٢- سفر أخبار الأيام الثاني : إصابة عزيا بالبرص ٢٦: ١٦-٢١ ·

١٣-سفر يونان:خلاص يونان من الغرق بواسطة حوت ٢: ١-١٠ ·

١٤-سفر دانيال: خلاص شدرخ وميشخ وعبدنغو من اتون النار ٣: ١٩-٢٧ ،خلاص دانيال من الأسود ٦ :١٦-٢٣ ·

ولـــذلك سأبذل وسعي في الاجتهاد لمحاولة الوصول إلى رؤية علمية محايدة تكشف النقاب عن مصدر العجائب وخصوصيتها في اليهودية في ظل ضبابية الحديث أيضا عن دقة ضبط الوعي والإدراك لما يكون نتيجة التلقي من الوحي السماوي بالإضافة إلى غياب نص التلقي الأصلي الذي أُوحي به لأنبياء بني إسرائيل فضلا عن القطع بمعرفة لغة الوحي الذي أنزل عليهم وبلغوه لبني إسرائيل·

ثم أن الحديث عن خصوصية خوارق العادات يتطلب النظر إلى جانب الحكمة الإلهية التي ترأف بضعف الإنسان القاصـــر، فـــتأخذ بيده بشكل يتدرج مع مستواه المعرفي الذي يبحث عن معالم الهداية من خلال ما يناسب مستوى

الميت ابن أرملة والنتيجة واحدة ثبوت النبوة المؤيدة بالمعجزة التي تجري بإذن الله تعالى لا غير مع الرفض لكثير من التفاصيل التي فيه سوء أدب مع الخالق، ومعاتبة تصل لحد الكفر، ولا سيما عبارة:"قد أسأتَ بإماتتِكَ ابنَها؟".

أما التي عند النصارى فهي تنسب للمسيح حيث ورد في لوقا ٧ : ١١-١٧ "١١وفي اليومِ التّالي ذَهَبَ إلى مدينةٍ تُدعَى نايينَ، وذَهَبَ معهُ كـــثيرونَ مِـــنْ تلاميذِهِ وجَمعٌ كثيرٌ.١٢فلَمّا اقتَرَبَ إلى بابِ المدينةِ، إذا مَيتٌ مَحمولٌ، ابنٌ وحيدٌ لأُمِّهِ، وهي أرمَلَةٌ ومعها جَمعٌ كثيرٌ مِنَ المدينةِ.١٣فلَمّا رآها الرَّبُّ تحَنَّنَ علَيها، وقالَ لها: "لا تبكي".١٤ثُمَّ تقَدَّمَ ولَمَسَ النَّعشَ، فوَقَفَ الحامِلونَ. فقالَ: "أيُّها الشّابُّ، لكَ أقولُ: قُمْ!".١٥فجَلَسَ المَيتُ وابتَدأ يتكلَّمُ، فدَفَعَهُ إلى أُمِّهِ.١٦فأخَذَ الجميعَ خَوفٌ، ومَجَّدوا اللهَ قائلينَ: "قد قامَ فينا نَبيٌّ عظيمٌ، وافتَقَدَ اللهُ شَعبَهُ".

فالتمجـــيد والرهبة لله بإجماع جموع النصارى،والمعجزة تبرهن على صدق نبوة النبي وليس على ألوهيته أو قدرته الذاتية على فعل الخارقة حـــسب صريح النصوص المتقدمة التي تقيم الحجة على اليهود والنصارى على ضرورة التسليم بأن مصدر الخارقة أنها تجري بأمر الله تعالى وحـــده لا شريك له وبإذنه، ودور النبي الدعاء والصلاة وصدق التوجه في طلب المعجزة من الله تعالى، ودور الخلق بعد قيام الحجة عليهم التصديق بنبوة من ظهرت على يديه الخارقة، ولزوم تصديقه بما يبلغهم عن ربهم عز وجل ·

ادراكـــه العقلي، فيتجلى اللطف الإلهي بمراعاة أحوال عباده حيث تكون الخارقة مناسبة لما غلب على أهل كل زمان ومـــا اشتهر بينهم من معارف وعلوم وصناعات، فكل خارقة نجدها مناسبة تماما للقوم الذين وقعت بينهم، لأنها أتت وفـــق الحكمة الإلهية التي تؤسس لأسباب الهداية في النفس الإنسانية، ولهذا غالبا ما نلاحظ أن الإيمان يعقب حصول الخارقة ممن شاهدوها ما لم يدفعهم الكبر أو العناد لنكران نور الهداية الأبلج – أي المضيء المشرق– الذي لا يحتجب عـــن أصـــحاب العقول السوية الذين يعقلون معنى ضرورة الانقياد لأمر الله الذي يظهره على أيدي أنبيائه الصادقين بتـــضرعهم وحـــسن توجههم وإخلاصهم لرب العالمين وهم الأمناء على تبليغ وحي السماء بلا خوف أو وجل من البشر وإن طغى .

فالـــيهود هم أكثر الأمم طلبا للخوارق ومشاهدة لها مع أنهم أقلها عددا؛ لأن طبيعتهم ترتكز على محور المادة و لم تتجاوز عقولهم حدود اللحظة التي يحيونها فلا أثر للتدرج بهم والترقي بهم في مدارج التحرر من آثار العبودية الفرعونية على الرغم من كل السبل التي سلكت معهم لكي يبلغوا درجة الفطام من حِجْرِ المادة المتأصلة في عقولهم وقلوبهم التي ترهب غير الله، فكان التيه جزاء وفاقا لأمة باتت تعشق العبودية و لم تستجب لأمر خالقها وباريها .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) ﴾

المائدة: ٢٦

فالجزاء من جنس العمل فهم لم يصبروا على أربعين ليلة مواعدة موسى عليه السلام؛ فكان التأديب لهم بعقاب أليم ناسب حالهم وذلك بقطع صلتهم بالعالم الخارجي لمدة أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا أسى على القوم الفاسقين.

إن طابع الحديث عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند اليهود سيتخذ محاور أربعة بإذن الله تعالى وهي:

١- العجائب التي مصدرها الله تعالى نفسه .

٢- العجائب التي تجريها الملائكة .

٣- العجائب التي تظهر على أيدي الأنبياء وأهل الصلاح .

٤- العجائب التي تجريها قوى الشر .

وفيما يلي بيان لذلك والله تعالى ولي التوفيق .

المصدر الأول: العجائب التي مصدرها الله تعالى نفسه

يعتقد أهل الكتاب أن: "الكلمة الإلهية تحمل في ذاتها قوة جبارة مطلقة لتحقيقها، فهي كلمة تصنع المعجزات، وبالطبع ليست هي الكلمة التي ترتبط بالمادة، أو بالتسجيل على الورق، ولكنها الكلمة الحية الصادرة عن الفم الإلهي*، والتي ترتبط به كل الارتباط ولا تنفصم عنه"[344].

فالكلمة الإلهية هي التي تجري المعجزات والعجائب عند أهل الكتاب بصفة عامة، والتي منها ما هو:

أ- متعلق في الخليقة

ففي أرميا ٤: ٢٣-٢٨

" ٢٣نَظَرتُ إلَى الأرضِ وإذا هي خَرِبَةٌ وخاليَةٌ، وإلَى السماواتِ فلا نورَ لها.٢٤نَظَرتُ إلَى الجِبالِ وإذا هي ترتَجِفُ، وكُلُّ الآكامِ تقَلقَلَتْ.٢٥نَظَرتُ وإذا لا إنسانَ، وكُلُّ طُيورِ السماءِ هَرَبَتْ.٢٦نَظَرتُ وإذا البُستانُ بَرِّيَّةٌ، وكُلُّ مُدُنِها نُقِضَتْ مِنْ وجهِ الربِّ، مِنْ وجهِ حُموِّ غَضَبِهِ.٢٧لأنَّهُ هكذا قالَ الربُّ:" خَرابًا تكونُ كُلُّ الأرضِ، ولكنَّني لا أُفنيها. ٢٨مِنْ أجلِ ذلكَ تنوحُ الأرضُ وتُظلِمُ السماواتُ مِنْ فوقُ، مِنْ أجلِ أنّي قد تكَلَّمتُ. قَصَدتُ ولا أندَمُ ولا أرجِعُ عنهُ".

و٢٧: ٥" ٥أنا صَنَعتُ الأرضَ والبَشَرَ والبَهائمَ الّتي علَى وجهِ الأرضِ بقُدرَتي العظيمةِ وذِراعي المَبسوطَةِ وأعطَيتُها لمَنْ حَسُنَ في عينيَّ" .

وفي مزمور ١٣٩: ١٤ "١٤أحمَدُكَ مِنْ أجلِ أنّي قد امتَزتُ عَجَبًا. عَجيبَةٌ هي أعمالُكَ، ونَفسي تعرِفُ ذلكَ يَقينًا" .

وفي دانيال ٤: ٣٥ "٣٥وحُسِبَتْ جميعُ سُكّانِ الأرضِ كلا شَيءَ، وهو يَفعَلُ كما يَشاءُ في جُندِ السماءِ وسُكّانِ الأرضِ، ولا يوجَدُ مَنْ يَمنَعُ يَدَهُ أو يقولُ لهُ:"ماذا تفعَلُ؟".

وهذا توسع من أهل الكتاب في إطلاق لفظ المعجزة على الخلق والإبداع للمخلوقات؛ فللمعجزة قيودها وشرائطها التي تميزها عن غيرها من الخوارق والآيات الكونية وأمور الخلق للأشياء من عدم هي مختصة بالخلاق العليم بديع السموات والأرض وما بينهما الله رب العالمين .

---

* نحن لا نوافق النصارى على هذا التعبير الموغل في التشبيه .

344- فوس، جرهاردوس، علم اللاهوت الكتابي، ص٣٦٠ .

ب- متصل بالقوى الطبيعية

وقد وردت الإشارة إلى ذلك في إرميا ٢٣: ١٩"١٩ها زَوبَعَةُ الربِّ. غَيظٌ يَخرُجُ، ونَوءٌ هائجٌ. علَى رؤوسِ الأشرارِ يَثورُ" .

فعقـــاب الأشرار هو سنة ربانية سواء حصل بالكوارث الطبيعية أو بغيرها، فلا يملك أحد أن يخصها بالقوى الطبيعية فقط .

ج- ممهد لخروج بني إسرائيل

ففي إرميا٢: ١-٧ :" ١وصارَتْ إلَيَّ كلِمَةُ الربِّ قائلاً:٢"اذهَبْ ونادِ في أُذُنَيْ أورُشَليمَ قائلاً: هكذا قالَ الربُّ: قد ذَكَرتُ لكِ غَيرَةَ صِباكِ، مَحَبَّةَ خِطبَتِكِ، ذَهابَكِ ورائي في البَرِّيَّةِ في أرضٍ غَيرِ مَزروعَةٍ.٣إسرائيلُ قُدسٌ للرَّبِّ، أوائلُ غَلَّـتِهِ. كُـلُّ آكِلـيهِ يأثَمونَ. شَرٌّ يأتي علَيهِمْ، يقولُ الربُّ".٤اسمَعوا كلِمَةَ الربِّ يا بَيتَ يعقوبَ، وكُلَّ عَشائرِ بَيتِ إسرائيلَ.٥هكذا قالَ الربُّ:"ماذا وجَدَ فيَّ آباؤُكُمْ مِنْ جَورٍ حتَّى ابتَعَدوا عَنّي وساروا وراءَ الباطِلِ وصاروا باطِلاً؟٦ولَمْ يقولوا: أين هو الربُّ الذي أصعَدَنا مِنْ أرضِ مِصرَ، الذي سارَ بنا في البَرِّيَّةِ في أرضِ قَفرٍ وحُفَرٍ، في أرضِ يُبوسَةٍ وظِلِّ المَـوتِ، في أرضٍ لم يَعبُرها رَجُلٌ ولم يَسكُنها إنسانٌ؟٧وأتَيتُ بكُمْ إلَى أرضِ بَساتينَ لتأكُلوا ثَمَرَها وخَيرَها. فأتَيتُمْ ونَجَّستُمْ أرضي وجَعَلتُمْ ميراثي رِجسًا".

وفي إرميا٣٢: ١٩-٢٥:" ١٩عظيمٌ في المَشورَةِ، وقادِرٌ في العَمَلِ، الذي عَيناكَ مَفتوحَتانِ علَى كُلِّ طُرُقِ بَني آدَمَ لتُعطِـيَ كُلَّ واحِدٍ حَسَبَ طُرُقِهِ، وحَسَبَ ثَمَرِ أعمالِهِ.٢٠الذي جَعَلتَ آياتٍ وعَجائبَ في أرضِ مِصرَ إلَى هذا اليومِ، وفي إسـرائيلَ وفي النـاسِ، وجَعَلـتَ لنَفسِكَ اسمًا كهذا اليومِ،٢١وأخرَجتَ شَعبَكَ إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصرَ بآياتٍ وعَجائـبَ، وبيَدٍ شَديدَةٍ وذِراعٍ مَمدودَةٍ ومَخافَةٍ عظيمَةٍ،٢٢وأعطَيتَهُمْ هذِهِ الأرضَ التي حَلَفتَ لآبائهِمْ أنْ تُعطيَهُمْ إيّاها، أرضًا تفيضُ لَبَنًا وعَسَلاً.٢٣فأتَوْا وامتَلكوها، ولم يَسمَعوا لصوتِكَ، ولا ساروا في شَريعَتِكَ. كُلُّ ما أوصَيتَهُمْ أنْ يَعمَلـوهُ لم يَعمَلـوهُ، فأوقَعتَ بهِمْ كُلَّ هذا الشَّرِّ.٢٤ها المَتارِسُ! قد أتَوْا إلَى المدينةِ ليأخُذوها، وقد دُفِعَتِ المدينةُ ليَدِ الكَلدانـيّينَ الذينَ يُحارِبونَها بسَبَبِ السَّيفِ والجوعِ والوَبإ، وما تكَلَّمتَ بهِ فقد حَدَثَ، وها أنتَ ناظِرٌ.٢٥وقد قُلتَ أنتَ لي أيُّها السَّيِّدُ الربُّ: اشتَرِ لنَفسِكَ الحَقلَ بفِضَّةٍ وأشهِدْ شُهودًا، وقد دُفِعَتِ المدينةُ ليَدِ الكَلدانيّينَ".

فالمعجـزات الـتي هي آيات وعجائب في اليهودية تصدر عن إله إسرائيل الذي يرعى شعب إسرائيل وحده وليمهد لخروجه من أرض مصر ليحظى بالجنة الدنيوية التي تفيض لبنا وعسلا التي حلف السيد الرب لآبائهم بأن يعطيهم أياها؛ فالغاية من وراء المعجزات في اليهودية تتمثل بعناية الرب بشعب اسرائيل دون غيرهم من وجهة نظر اليهود، ولو اتخذوا الباطل مسلكا لهم باطنا وظاهرا ! .

د- متعلق بالصحة الجسدية أو المرض

حـــيث ورد ت الإشارة إلى ذلك في إرميا٣٣: ٤-٦: " ٤لأنَّهُ هكذا قالَ الربُّ إلَهُ إسرائيلَ عن بُيوتِ هذهِ المدينة وعَنْ بُيوتِ مُلوكِ يَهوذا التي هُدِمَتْ للمَتاريسِ والمَجانيق:٥يأتونَ ليُحاربوا الكَلدانيِّينَ ويَملأُوها مِنْ جيَفِ الناسِ الذينَ ضَرَبْتُهُمْ بغَضَبي وغَيظي، والذينَ ستَرتُ وجهي عن هذهِ المدينةِ لأجلِ كُلِّ شَرِّهِمْ.٦هأنَذا أضَعُ علَيها رِفادَةً وعلاجًا، وأشفيهِمْ وأُعلِنُ لهُم كثرَةَ السَّلامِ والأمانَةِ" .

وفي تثنية ٢٨: ٥٩: "٥٩يَجعَلُ الربُّ ضَرَباتِكَ وضَرَباتِ نَسلِكَ عَجيبَةً. ضَرَباتٍ عظيمَةً راسِخَةً، وأمراضًا رَديَّةً ثابِتَةً".

ه- متعلق بالنبوات[345]

وذلك في خروج٧: ١٠:"١٠فدَخَلَ موسَى وهارونُ إلَى فِرعَونَ وفَعَلا هكذا كما أمَرَ الربُّ. طَرَحَ هارونُ عَصاهُ أمامَ فِرعَونَ وأمامَ عَبيدِهِ فصارَتْ ثُعبانًا.١فقالَ الربُّ لموسَى:"انظُرْ! أنا جَعَلتُكَ إلَهًا لفِرعَونَ ".

و إرميا ١٥ : ١٩" ١٩لذلكَ هكذا قالَ الربُّ:"إنْ رَجَعتَ أُرَجِّعكَ، فتقِفْ أمامي. وإذا أخرَجتَ الثَّمينَ مِنَ المَرذولِ فمِثلَ فمي تكونُ. هُم يَرجِعونَ إلَيكَ وأنتَ لا ترجِعُ إليهِمْ" .

ومـــنها ما يجريها الأنبياء الكذبة ففي تثنية ١٣: ١-٣ :"١"إذا قامَ في وسطِكَ نَبيٌّ أو حالِمٌ حُلمًا، وأعطاكَ آيَةً أو أُعجـــوبَةً،٢ولـــو حَدَثَتِ الآيَةُ أو الأُعجوبَةُ التي كلَّمَكَ عنها قائلاً: لنَذهَبْ وراءَ آلِهَةٍ أُخرَى لم تعرِفها ونَعبُدها،٣فلا تسمَعْ لكلامِ ذلكَ النَّبيِّ أو الحالِمِ ذلكَ الحُلمَ، لأنَّ الربَّ إلَهَكُمْ يَمتَحِنُكُمْ لكَيْ يَعلَمَ هل تُحِبّونَ الربَّ إلَهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلوبِكُمْ ومِنْ كُلِّ أنفُسِكُمْ" .

وكلام أهل الكتاب عن الخوارق بهذا الفهم يجعل مفهوم الخوارق يتسع ليشمل ما هو آية كونية كخلق السموات والأرض وما بينهما، وما يحصل نتيجة سنن طبيعية كالزلازل والبراكين، وما يتعلق بخلق الإنسان وغيره[346] .

وهذا يمثل إعلانا صريحا بأن أهل الكتاب لا يملكون القدرة على الحديث عن مصادر خوارق العادات بشكل منضبط فهـــم يقحمون كل ما من شأنه التهويل والتخويف والتضخيم لإلحاقه بخوارق العادات، ومن ذلك أسطورة شمشون الجبار الذي تكمن سر قوته في خصلات شعره في حين لا تذهب عنه قوته عندما يزني وهو مع ذلك كله مات منتحرا لينتقم لنفسه[347] .

إن اليهود اليوم بأمس الحاجة إلى منهجية شاملة تضبط المعايير المعتبرة لخوارق العادات في اليهودية بحيث لا تخرج عـــن الضوابط المعتبرة عند المحققين من أهل الإسلام، وعندها تخضع تلك الروايات التي يدعون فيها ثبوت أمر خارق للعادة لتمحيص دقيق فتتجلى خصوصية كل رواية، ومدى صلاحيتها لأن توصف بأنها تثبت خارقة أم لا .

---

[345]- انظر لوكير،هربرت،كل المعجزات في الكتاب المقدس ، ترجمة إدوارد وديع عبد المسيح،القاهر-مصر،دار الثقافة، ط٣ ، ٢٠٠٣م، ص١٦١وص١٥ .

[346]- انظر لوكير، هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص٢٨-٣١ .

[347]-انظر الريس،علي،تحريف مخطوطات الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ،ص٢٣٩-٢٤٠ .

المصدر الثاني: العجائب التي مصدرها الملائكة

فمن ذلك ما ورد في صموئيل الثاني ٢٤: ١٦ –١٧: "١٦وبَسَطَ المَلاكُ يَدَهُ علَى أورُشَليمَ ليُهلِكَها، فنَدِمَ الرَّبُّ عن الشَّرِّ، وقالَ للمَلاكِ المُهلِكِ الشَّعبَ: "كفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ". وكانَ مَلاكُ الرَّبِّ عِندَ بَيدَرِ أرونَةَ اليَبوسيِّ.١٧فكلَّمَ داوُدُ الرَّبَّ عندما رأى المَلاكَ الضّارِبَ الشَّعبَ وقالَ:"ها أنا أخطأتُ، وأنا أذنَبتُ، وأمّا هؤُلاءِ الخِرافُ فماذا فعَلوا؟ فلتَكُنْ يَدُكَ علَيَّ وعلَى بَيتِ أبي".

فالملاك هو الذي يهلك ببسط يده، والرب يندم عند اليهود، سبحانك هذا بهتان عظيم على عباد الله المكرمين الذين لا يعصون مولاهم فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون به من رب العالمين .

وفي دانـــيال ١١: ٣٦-٣٧ : "ويَفعَـــلُ المَلِكُ كإرادَتِهِ، ويَرتَفِعُ ويتَعَظَّمُ علَى كُلِّ إلهٍ، ويتَكلَّمُ بأُمورٍ عَجيبَةٍ علَى إلهِ الآلِهَةِ، ويَنجَحُ إلَى إتمامِ الغَضَبِ، لأنَّ المَقضيَّ بهِ يُجرَى.٣٧ولا يُبالي بآلِهَةِ آبائهِ ولا بشَهوَةِ النِّساءِ، وبكُلِّ إلهٍ لا يُبالي لأنَّهُ يتَعَظَّمُ علَى الكُلِّ" .

المصدر الثالث: العجائب التي مصدرها الأنبياء

ورد ذلك في سفر الخروج ٧ :٩ : "٩إذا كلَّمَكُما فِرعَونُ قائلاً: هاتيا عَجيبَةً، تقولُ لهارونَ: خُذْ عَصاكَ واطرَحها أمامَ فِرعَونَ فتصيرَ ثُعبانًا".

فموســـى هو الذي يأمر هارون بأخذ عصاه، ومن ثم يطرحها هارون أمام فرعون بلا أمر من الله تعالى؛ لأن موسى والعياذ بالله يقوم بدور الله وهارون يقوم بدور النبي فهو يفسر كلام موسى لفرعون[348] .

ويـــرى النــــصارى أن جملـــة المعجزات التي حصلت في العهد القديم أنها تمت إعلاناً عن وجود الله وطبيعته وقدرته فمعجزات موسى قد أُجريت إظهاراً لقدرة الله على إنقاذ شعبه من أرض مصر[349] .

ولـــيس لدعوة فرعون وقومه للإيمان بالله تعالى وتوحيده من قبل موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حديث يذكر عند اليهود والنصارى.

---

[348]- سبينوزا،رسالة في اللاهوت والسياسة،ص١٢٣ .

[349]- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٥ .

المصدر الرابع: **العجائب التي مصدرها قوى الشر**

وقد أظهر هذا المصدر ما جاء في سفرالخروج٧: ١١-١٢

"١١فـدَعا فِـرعَونُ أيضًا الحُكَماءَ والسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرّافو مصرَ أيضًا بسِحرِهِمْ كذلكَ.١٢طَرَحوا كُلُّ واحِدٍ عَصاهُ فصارَتِ العِصيُّ ثَعابينَ. ولكن عَصا هارونَ ابتَلَعَتْ عِصيَّهُم" .

و٢١-٢٢ "٢١وماتَ السَّمَكُ الذي في النَّهرِ وأنتَنَ النَّهرُ، فلم يَقدِرِ المِصريّونَ أنْ يَشرَبوا ماءً مِنَ النَّهرِ. وكانَ الدَّمُ في كُلِّ أرضِ مِصرَ.٢٢وفَعَلَ عَرّافو مصرَ كذلكَ بسِحرِهِمْ. فاشتَدَّ قَلبُ فِرعَونَ فلم يَسمَعْ لهُما، كما تكلَّمَ الربُّ."

و٨ :٧"٧وفَعَلَ كذلكَ العَرّافونَ بسِحرِهِمْ وأصعَدوا الضَّفادِعَ علَى أرضِ مِصرَ" .

ومنها عرافة عين دور التي لجأ إليها شاول، وذلك في صموئيل الأول ٢٨: ٧-١٤

"٧فقالَ شاوُلُ لعَبيدِهِ:"فتِّشوا لي علَى امرأةٍ صاحِبَةِ جانٍّ، فأذهَبَ إليها وأسألها". فقالَ لهُ عَبيدُهُ:"هوذا امرأةٌ صاحِبَةُ جانٍّ في عَينِ دورٍ".٨فتنَكَّرَ شاوُلُ ولَبِسَ ثيابًا أُخرَى، وذَهَبَ هو ورَجُلانِ معهُ وجاءوا إلَى المَرأةِ ليلاً. وقالَ: "اعرِفي لي بالجـانِّ وأصـعِدي لي مَنْ أقولُ لكِ".٩فقالَتْ لهُ المَرأةُ:"هوذا أنتَ تعلَمُ ما فعَلَ شاوُلُ، كيفَ قَطَعَ أصحابَ الجانِّ والـتَّوابِعِ مِنَ الأرضِ. فلماذا تضَعُ شَرَكًا لنَفسي لتُميتَها؟".١٠فحَلَفَ لها شاوُلُ بالربِّ قائلاً:"حَيٌّ هو الربُّ، إنَّهُ لا يَلحَقُـكِ إثمٌ في هـذا الأمرِ".١١فقالَتِ المَرأةُ:"مَنْ أُصعِدُ لكَ؟". فقالَ: "أصعِدي لي صَموئيلَ".١٢فلَمّا رأتِ المَرأةُ صَموئيلَ صَرَخَتْ بصوتٍ عظيمٍ، وكلَّمَتِ المَرأةُ شاوُلَ قائلَةً:"لماذا خَدَعتَني وأنتَ شاوُلُ؟".١٣فقالَ لها المَلِكُ:"لا تخافي. فماذا رأيتِ؟". فقالَتِ المَرأةُ لشاوُلَ: "رأيتُ آلِهَةً يَصعَدونَ مِنَ الأرضِ".١٤فقالَ لها:"ما هي صورَتُهُ؟" فقالَتْ:"رَجُلٌ شَـيخٌ صـاعِدٌ وهو مُغَطًّى بجُبَّةٍ". فعَلِمَ شاوُلُ أنَّهُ صَموئيلُ، فخَرَّ علَى وجهِهِ إلَى الأرضِ وسجَدَ.١٥فقالَ صَموئيلُ لشاوُلَ:"لماذا أقلَقتَني بإصعادِكَ إيّايَ؟". فقالَ شاوُلُ: "قد ضاقَ بي الأمرُ جِدًّا. الفِلِسطينيّونَ يُحارِبونَني، والربُّ فارَقَني ولم يَعُدْ يُجيبُني لا بالأنبياءِ ولا بالأحلامِ. فدَعَوْتُكَ لكَيْ تُعلِمَني ماذا أصنَعُ".

فلـم يكـن من اليسير أن يتخلص اليهود من اعتناقهم للخرافة، والتي غالبا ما يمزجونها بالسحر أو الأسطورة التي أخذوها من المعتقدات الوثنية .

المبحث الثالث: مصدر العجائب وخصوصيتها عند النصارى

لقد تعددت مصادر خوارق العادات في المسيحية، كما هو الحال في اليهودية، ولكن ظهرت مصادر أخرى لم تكن مذكورة في اليهودية، والتي هي:

أن العجائب يجريها المسيح بنفسه، ويجريها كذلك روح القدس، وهي تهدف في الظاهر إلى مساعدة المحتاجين والتخفيف عن آلامهم كعمل إنساني يتوجه نحو العاطفة والتركيز على الروحانيات التي إلى تظهر جانب التسامح من خلال التعبير عن قوة الإيمان، وتهدف في الخفاء تقرير حقيقة عند النصارى أن صفة الله ككلي القوة قد نسبت للمسيح من خلال ممارسة المسيح لقوته التي يشترك فيها مع الله،ويسري الأمر كذلك على الروح القدس للتشكل ثلاثة أقانيم كل منها مارس قوته المعجزية[350] .

ولهذا تكون مصادر العجائب وخصوصيتها عند النصارى هي: ما يجريه الله بنفسه، والتي أجراها الروح القدس، والتي مصدرها المسيح (مع الانتباه إلى أن لفظ الله في المسيحية يقصد به الآب والابن وروح القدس)، والتي أجراها الملائكة، والتي أجراها عبيد الله، والمعجزات التي مصدرها قوات الشر، وفيما يلي بيان لهذه المصادر كما ورد الحديث عنها في العهد الجديد.

المصدر الأول:العجائب التي مصدرها الله

يذهب النصارى إلى أن خلاصة التعليم المسيحي في علاقة الله بالكون، وفي إعلان نفسه لخلائقه العقلاء هي: "أنه إله الكون وصاحب السلطان على الطبيعة، وأنه يعتني بأمور البشر على الدوام،وقد أعلن نفسه بطُرقٍ مختلفة كإظهار ذاته للآباء في الزمن القديم، وسنّ القوانين الأخلاقية والطقسية والسياسية، وإرشاد شعبه، وإلهام الأنبياء والرسل وكشف حوادث المستقبل لهم وعصمته إياهم من الخطأ في التعليم والكتابة، ومنحهم سلطان صنع المعجزات. ثم أعلن ذاته لهم بإرسال ابنه إلى العالم متجسداً، وبتأسيس الكنيسة المسيحية بواسطة الروح القدس وحفظها من أبواب الجحيم، وإسنادها في شهادتها للحق، وفي عملها لخير البشر وإصلاحهم. وكل ذلك واضح في الكتاب المقدس. وهو يخالف كما يقولون جميع المذاهب الإلحادية التي ينكر بعضها الوحي وإعلان الله نفسه، ويقيم بعضها المادة مقامه أو

---

[350]- انظر لوكير،هربرت،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص١٤-١٥ .

يولّه الكون أو يكثر الآلهة. وتقول المسيحية إن من الطرق التي أظهر الله بها نفسه للبشر عمل المعجزات ليُثبت ما أعلنه لهم"[351].

ويستدل النصارى على ذلك بما ورد في أشعياء٩: ٦" ٦لأَنَّهُ يولَدُ لنا ولَدٌ ونُعطَى ابنًا، وتكونُ الرِّياسَةُ علَى كتِفِهِ، ويُدعَى اسمُهُ عَجيبًا، مُشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًّا، رَئيسَ السَّلامِ" .

وهذا النص لا دلالة ظاهرة فيه على المعجزات التي مصدرها الله بل هو دعوى بحدوث مخلوق على حسب تصور ذهن كاتب النص بمواصفات يشتم منها الغلو حتى في الاسم .

وكذلك بما جاء في يوحنا ١٤: ١٢" ١٢الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم: مَنْ يؤمِنُ بي فالأعمالُ الّتي أنا أعمَلُها يَعمَلُها هو أيضًا، ويَعمَلُ أعظَمَ مِنها، لأنّي ماضٍ إلى أبي".

وهذا النص يشير إلى كمال قدرة الله تعالى وليس لاستقلالية قدرة المسيح في فعل الخوارق، وإنما هي مؤشر يدفع للإيمان بصدق نبوته لا ألوهيته فهو حجة ملزمة للنصارى للإيمان بنبوة المسيح عليه السلام .

ومن ذلك ما جاء في لوقا ١ :٤٩- ٥٥ " ٤٩لأنَّ القديرَ صَنَعَ بي عَظائمَ، واسمُهُ قُدّوسٌ، ٥٠ورَحمَتُهُ إلى جيلِ الأجيالِ للّذينَ يتَّقونَهُ. ٥١صَنَعَ قوَّةً بذِراعِهِ. شَتَّتَ المُستَكبِرينَ بفِكرِ قُلوبهِمْ. ٥٢أنزَلَ الأعِزّاءَ عن الكَراسيِّ ورَفَعَ المُتَّضِعينَ. ٥٣أشبَعَ الجياعَ خَيراتٍ وصَرَفَ الأغنياءَ فارِغينَ. ٥٤عَضَدَ إسرائيلَ فتاهُ ليَذكُرَ رَحمَةً، ٥٥كما كلَّمَ آباءَنا لإبراهيمَ ونَسلِهِ إلى الأبدِ".

وفي يوحنا٣: ٢" ٢هذا جاءَ إلى يَسوعَ ليلاً وقالَ لهُ: "يا مُعَلِّمُ، نَعلَمُ أنَّكَ قد أتَيتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّمًا، لأنْ ليس أحَدٌ يَقدِرُ أنْ يَعمَلَ هذِهِ الآياتِ الّتي أنتَ تعمَلُ إنْ لم يَكُنِ اللهُ معهُ".

فهذا النص يجلي الحقيقة بأن ما جاء به المسيح من خوارق إنما هي من عند الله تعالى.

وخصوصية العجائب التي أجراها الله في الكتاب المقدس كما يراها أهل الكتاب أنها تصلح لبيان قدرة الله للسيادة على الطبيعة؛ فهو يفعل ما يراه صالحا في خليقته، وهو صاحب السيادة على مملكة الجماد*[352] .

---

[351]-أنس، القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٢٩١ .

* هذا قصور فهم من النصارى فمن الذي تكون له السيادة على غير مملكة الجماد !!

[352]- انظر لوكير، هربرت،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص١٧ .

المصدر الثاني: **العجائب التي مصدرها الروح القدس**

فقد قُسمت حوادث الكون عند النصارى على ما يأتي:

(١)مـــا يحدث بمقتضى القوانين الطبيعية التي سنّها الله، كنمو النبات والحيوان ودوران الكواكب، ومن هذا الحوادث الطبيعية قليلة الوقوع نسبياً، كالزلازل والبراكين ونحوهما، مما يتوقف عملها على مشيئة الله وعنايته.

(٢) ما ينتج من تأثير الروح القدس وفعل النعمة الإلهية في قلوب البشر، كالإنارة والتجديد والتقديس ونحو ذلك.

(٣) ما يحدث بقوة إلهية بطريقة خارقة للعادة، أو توجيه الطبيعة لهدف خاص، وهو المعجزة التي تُجرى في العالم المادي ليدركها البشر بالحواس فيتحقّقون من صدقها، كما أقام(أحيا بإذن الله تعالى) المسيح عليه السلام لعازر من الموت أمام أعين اليهود[353] .

ولفـــظ الروح القدس عند النصارى لا يقطع بدلالته على معين هل هو: روح الله كما هو في العهد القديم أم أقنوم مـــن أقانيم النصارى الثلاث أم هو مستقل عنها أو هو من الملائكة أو هو الذي يحل على التلاميذ بعد المسيح أو هو مجرد قوة[354].

[353]- أنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٢٩١ .

[354]-انظرأنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٢١٨-٢٢٨ .

المصدر الثالث: العجائب التي مصدرها المسيح

فعجائب المسيح- كما يراها النصارى- أنها تثبت أنه كان له سلطان فائق على الطبيعة، فلم يكن له سلطان على الرياح والبحر فحسب، بل إن نفس الإنسان وجسده كانا طوع أمره، فهو رب الحياة والموت[355] -نعوذ بالله من الكفر-وكل ما يتصل بهما من شباب وقوة وصحة وعمر وضعف ومرض .

هذه هي الحقيقة التي تثبتها المعجزات عند النصارى، فهي ليست مجرد دليل خارجي يتم لتأييد تعليم معين، ولكنها تعبر عن إيمان النصارى بأن المسيح امتلك قوى وسلطات لا يمتلكها سوى الله نفسه (معتقد النصارى)، ولكنها لا تقل أهمية في إثبات المهمة الخاصة التي جاء لأجلها، وهي أن يخلص الجنس البشري.

وهو لم يصنع هذه المعجزة لكي يؤمن به الناس بما يقوله عن نفسه، ولكن أعماله العجيبة والقوات التي صنعها كانت دليلاً قاطعاً على صدق هذه الأقوال، فقد أثبت أنه " المخلص " بإتمامه أعمال المخلص، بشفاء الناس رجالاً ونساءً من أمراضهم النفسية والجسدية، ومن المعلوم جيدا عند النصارى أن " الخلاص " — في معناه الحقيقي — أي خلاص الناس من الشرور والمفاسد التي سقطوا فيها، هو مفهوم لم يُعلن للعالم إلا في الإنجيل .

وكانت الرسالة الأساسية للمعجزات كما يرى النصارى هي إظهار المسيح في هذه الصورة، أي باعتبار أنه يريد ويقدر أن يخلص، وهم يعتقدون أن هذا هو مضمون ما قاله المسيح نفسه لتلميذي يوحنا المعمدان[356] متى١١: ٤-٦ " ٤فأجابَ يَسوعُ وقالَ لَهُما: "اذهَبا وأخبِرا يوحنَّا بما تسمَعانِ وتنظُرانِ:٥العُميُ يُبصِرونَ، والعُرجُ يَمشونَ، والبُرصُ يُطَهَّرونَ، والصُّمُّ يَسمَعونَ، والموتَى يَقومونَ، والمَساكينُ يُبَشَّرونَ.٦وطوبَى لِمَنْ لا يَعثُرُ فيَّ".

والمسيح عند النصارى مع أنه لديه قدرة ذاتية على فعل العجائب[357] ،فهو أيضا يمنح القدرة كذلك لغيره من تلاميذه[358] ليستطيعوا القيام بمهام إخراج الأرواح النجسة من البشر وشفاء المرضى وكل الضعفة؛ فهي أفعال موهوبة

355- انظر الدملوجي، فاروق،تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة،بيروت-لبنان،الأهلية للنشر والتوزيع،ط غير معروفة،٢٠٠٤م، ص٥٥٢-٥٥٦ .

356-حبيب الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص١٩٤ بتصرف .

357- لقد جاء في برنابا ما يناقض هذا الزعم حيث أجاب المسيح عليه السلام بصريح العبارة البرص الذين قالوا له أعطنا صحة في فصل ١٦/١٩ بقوله:"ألا ترون أني إنسان نظيركم" سعادة،د.خليل ترجمه من الإنكليزية،إنجيل برنابا،دراسة وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص٦٩ . فإنجيل برنابا مع عدم اعتراف النصارى به لكنه يسجل شهادة ضدهم .

358-انظر حومير،جاك وإلياني، سامي، دائرة المعارف المسيحية-المسيح ابن مريم،بيروت-لبنان،دار الكلمة،ط غير معروفة،١٩٦٦م ، ص٧٣-٨٧ .

لإبراء علل الأجساد للتوصل من خلالها إلى أسر أرواح من صنعت له تلك الخارقة مع مزج ذلك بالخرافة التي توحي بـــأن سبب الأمراض هي الروح النجس وإغفال جانب الحرص على تبليغ الدين وتبيين معالم الهداية الربانية للبشرية جمعاء .

مـــتى١٠: ١"١ثُمَّ دَعا تلاميذَهُ الاثنَيْ عشَرَ وأعطاهُمْ سُلطانًا على أرواحٍ نَجِسَةٍ حتَّى يُخرِجوها، ويَشفوا كُلَّ مَرَضٍ وكُلَّ ضُعفٍ" .

وهم يغالون حتى في شخص المسيح عليه السلام[359] حتى جعلوا له سلطانا كاملا على كل من في السموات والأرض، وقـــد ورد التصريح بذلك في متى٢٨ :١٨" ١٨فتقَدَّمَ يَسوعُ وكلَّمَهُمْ قائلاً: "دُفِعَ إلَيَّ كُلُّ سُلطانٍ في السَّماءِ وعلى الأرضِ" .

مع أن نظرة متفحصة في ظاهر نصوص العهد الجديد يتجلى منها موقع المسيح عليه السلام من فعل الخوارق ويتقرر بـــيان وظيفة المسيح عليه السلام وهي أنه مبلغ لدعوة التوحيد وينبذ عبادة الأصنام ويحرص على هداية الأمم، وكل ذلك يتم بحفظ الله تعالى له لا بقوته الذاتية كما يزعم النصارى.

اشعياء٤٢: ٦-٨ " ٦"أنا الربَّ قد دَعَوتُكَ بالبِرِّ، فأُمسِكُ بيَدِكَ وأحفَظُكَ وأجعَلُكَ عَهدًا للشَّعبِ ونورًا للأُمَمِ،٧لتفتَحَ عُـــيونَ العُمــــيِ، لتُخرِجَ مِنَ الحَبسِ المأسورينَ، مِنْ بَيتِ السِّجنِ الجالِسينَ في الظُّلمَةِ.٨"أنا الربُّ هذا اسمي، ومَجدي لا أُعطيهِ لآخَرَ، ولا تسبيحي للمَنحوتاتِ" .

وأنـــه قد دلل على نبوته وبعثته بما حصل له من فعل الخوارق المشاهدة التي تقطع بصدق نبوته ولم يذكر أنه قد فعلها باستقلال عن أمر الله تعالى[360] .

مـــتى١١: ٤-٦ " ٤فأجابَ يَسوعُ وقالَ لهُما: "اذهَبا وأخبِرا يوحنَّا بما تسمَعانِ وتنظُرانِ:٥العُميُ يُبصِرونَ، والعُرجُ يَمشونَ، والبُرصُ يُطَهَّرونَ، والصُّمُّ يَسمَعونَ، والموتَى يَقومونَ، والمَساكينُ يُـــبَشَّرونَ.٦وطوبَـــى لمَنْ لا يَعثُرُ فيَّ".

---

[359]-انظر ماكدويل،جوش،وبارت لارسون،حقيقة لاهوت يسوع المسيح،ترجمة سمير الشوملي،دار النشر غير معروفة، ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة،ص١٤-١٦وص٧٠-٧٢ .

[360]-انظر الغزالي،أبو حامد،الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل،تقديم وتحقيق وتعليق د.محمد عبد الله الشرقاوي،القاهرة-مصر،مكتبة الزهراء،ط٢ ،١٩٩٠م ،ص١٣٦-١٣٩ .

وكـــذلك شهادة الجموع الكثيرة التي شاهدت معجزة الشفاء على يد المسيح للمجنون الأعمى الأخرس بالاستفهام التقريـسري الـــذي صاحبه الذهول أن ما حصل له من شفاء إنما حصل على يد من ينتسب إلى نبوة معلومة للجميع ومقررة في عقولهم؛ فكأن لسان حالهم يستعلم عن ظهور امتداد متعلقات أفعال النبوة في نسل داود عليه السلام(حتى لو كان من جهة الأم) من فعل الخوارق، فالمشاهدة للخارقة دفعتهم للاستيضاح عن حال من فعلها؛ لأنها لا تقع إلا علــى يـــد من هو صاحب معجزة من الأنبياء وأقربهم لذاكرتهم هو ابن داود وفي نسبتهم المسيح لبشر تفسير طبيعي لإمكانية حصول المعجزات على أيدي من أكرمهم الله تعالى بالنبوة و لم ينسبوا المسيح إلى الله تعالى لسبق علمهم بأن الله تعالى أحد لم يلد و لم يولد وإنما يؤيد رسله بالمعجزات التي تبرهن على صدق من أرسلهم من المرسلين .

ففي متى١٢: ٢٢-٢٤ " ٢٢حينَئذٍ أُحضِرَ إليهِ مَجنونٌ أعمَى وأخرَسُ فشَفاهُ، حتَّى إنَّ الأعمَى الأخرَسَ تكَلَّمَ وأبصَرَ. ٢٣فــبُهِتَ كُــلُّ الجُموعِ وقالوا: "ألَعَلَّ هذا هو ابنُ داوُدَ؟".٢٤أمّا الفَرّيسيّون[361] فلَمّا سمِعوا قالوا: "هذا لا يُخرِجُ الشَّياطينَ إلاّ ببَعلزَبولَ رَئيسِ الشَّياطينِ".

وكذلك ربط حصول المعجزات باليقين على الله تعالى لا على القوة الذاتية؛ فهو سبب يقدم الدعاء وخالص المناجاة لله تعالى ثم الله تعالى يظهر الخارقة على يديه لتبرهن على صدق نبوته[362] .

جاء في غلاطية٣: ٥" ٥فالَّذي يَمنَحُكُمُ الرّوحَ، ويَعمَلُ قوّاتٍ فيكُم، أبأعمالِ النّاموسِ أمْ بخَبَرِ الإيمانِ؟" .

وكـــذلك النطق الصريح على لسان المسيح النبي البشر المرتبط بالمكان –الناصرة– بأن ما جاء به من معجزات كانت بإذن الله تعالى وليس بقوته الذاتية وقدرته الخارقة أو كما يتصوره النصارى في معتقدهم بأنه أقنوم من أحد أقانيم ثلاثة الآب والابن والروح القدس، فقد ورد في أعمال الرسل ٢: ٢٢ " ٢٢أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ اسمَعوا هذهِ الأقوالَ: يَسوعُ النّاصِريُّ رَجُلٌ قد تبَرهَنَ لكُم مِنْ قِبَلِ اللهِ بقوّاتٍ وعَجائبَ وآياتٍ صَنَعَها اللهُ بيَدِهِ في وسطِكُمْ، كما أنتُم أيضًا تعلَمونَ" .

ولوقا ١: ٤٩-٥٠ " ٤٩لأنَّ القديرَ صَنَعَ بي عَظائمَ، واسمُهُ قُدّوسٌ، ٥٠ورَحمَتُهُ إلى جيلِ الأجيالِ للّذينَ يتَّقونَهُ" .

---

[361]–أي المتشددون وهم فرقة يهودية يميلون إلى التشدد في العقيدة ويسمون "بالأحبار" يؤمنون بالبعث عكس الصدوقيين.
حمد، د.حسين علي،قاموس المذاهب والأديان، ص٢٣٠ .

[362]–انظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،تحقيق وتعليق د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر د.حمدان محمد الحمدان، الرياض–المملكة العربية السعودية، دار العاصمة للنشر والتوزيع،النشرة الأولى، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م، م٦/ص٤٠٣-٤٠٤ .

وأنه عليه السلام كان يقيم الحجة على اليهود بفعل المعجزات، كنبي مرسل ليصحح ما تبدل من معتقداتهم في السبت بالحجة والبرهان .

لوقا ١٣: ١٦-١٧" ١٦وهذِهِ، وهيَ ابنَةُ إبراهيمَ، قد رَبَطَها الشَّيطانُ ثَمانيَ عَشرَةَ سنَةً، أما كانَ يَنبَغي أنْ تُحَلَّ مِنْ هــذا الــرِّباطِ في يومِ السَّبتِ؟".١٧وإذ قالَ هذا أُخجِلَ جميعُ الَّذينَ كانوا يُعانِدونَهُ، وفَرِحَ كُلُّ الجَمعِ بجميعِ الأعمالِ المَجيدَةِ الكائنَةِ مِنهُ" .

وكــذلك تمجيد الجموع- من البشر والمفلوج بعد معجزة شفائه- الله تعالى لا المسيح إقراراً منهم بأن ما حصل إنما حصل بإذن الله تعالى .

لوقاه: ٢٤-٢٦ " ٢٤ولكن لكَيْ تعلَموا أنَّ لابنِ الإنسانِ سُلطانًا على الأرضِ أنْ يَغفِرَ الخطايا، قالَ للمَفلوجِ: "لكَ أقــولُ: قُمْ واحمِلْ فِراشَكَ واذهَبْ إلى بَيتِكَ!".٢٥ففي الحالِ قامَ أمامَهُمْ، وحَمَلَ ما كانَ مُضطَجِعًا علَيهِ، ومَضَى إلى بَيتِهِ وهو يُمَجِّدُ اللهَ.٢٦فأخَذَتِ الجميعَ حَيرَةٌ ومَجَّدوا اللهَ، وامتَلأوا خَوفًا قائلينَ: "إنَّنا قد رأينا اليومَ عَجائبَ!".

متى ٢١: ١٤ " ١٤وتقَدَّمَ إليهِ عُميٌ وعُرجٌ في الهَيكلِ فشَفاهُمْ" .

والمغــزى من المعجزات التي أجراها المسيح عند النصارى أنها تحدث بناء على كلمته وطاعة له ويستشهدون على ذلك بما جاء في متى ٨: ٢٣- ٢٧ "٢٣ولَمّا دَخَلَ السَّفينَةَ تبِعَهُ تلاميذُهُ.٢٤وإذا اضطِرابٌ عظيمٌ قد حَدَثَ في البحرِ حتَّى غَطَّتِ الأمواجُ السَّفينَةَ، وكانَ هو نائمًا.٢٥فتقَدَّمَ تلاميذُهُ وأيقَظوهُ قائلينَ: "يا سيِّدُ، نَجِّنا فإنَّنا نَهلِكُ!".٢٦فقالَ لهُــم: "ما بالُكُمْ خائفينَ يا قَليلي الإيمانِ؟". ثُمَّ قامَ وانتَهَرَ الرِّياحَ والبحرَ، فصارَ هُدوٌّ عظيمٌ.٢٧فتعَجَّبَ النّاسُ قائلينَ: "أيُّ إنسانٍ هذا؟ فإنَّ الرِّياحَ والبحرَ جميعًا تُطيعُهُ!".

ولكن أين مقام هذا الادعاء مع ما سبق الاستشهاد به من نصوص الإنجيل التي تقطع بأن ما حصل على يد المسيح عليه السلام إنما هو بأمر الله تعالى وبإذنه ثم أن هذا النص حجة على النصارى فهو يعلل خوف التلاميذ الذي حصل نتيجة خشية الهلاك من الموج بسبب قلة إيمانهم بالله تعالى وعدم يقينهم عليه وحده؛ فالمسيح عليه السلام إنما أقام لهم المعجزة كدليل على قوة إيمانه بالله تعالى، وأن من خاف الله تعالى وحده وقاه شر كل شيء لا مفتخرا بأنه له سلطان ذاتي على الرياح والبحر .

المصدر الرابع: العجائب التي مصدرها الملائكة

بالنسبة لأقانيم اللاهوت الثلاثة- الآب الابن وروح القدس- عند النصارى تعتبر القدرة الكلية سمة من سماتها، ولكن بالنسبة للملائكة والبشر، فالسلطان ممنوح لهم كتفويض، فهم يعتبرون أن الله خلق الملائكة وهم موجدون لتنفيذ إرادته وعلمه، فالقدرة الكلية لها خدامها في كل مكان، وحشود الملائكة يشكلون جنود السموات، والكتاب المقدس زاخر بفيض من الأخبار عن وساطة الملائكة في إجراء المعجزات (في معتقد النصارى) والتي منها[363] :

ما ورد في صموئيل الثاني ٢٤: ١٦ " ١٦وبَسَطَ المَلاكُ يَدَهُ علَى أورُشَليمَ ليُهلِكَها، فنَدِمَ الربُّ عن الشَّرِّ، وقالَ للمَلاكِ المُهلِكِ الشَّعبَ: "كفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ".

وهــل الإهلاك للمدن الظالمة إلا سنة إلهية وليست من أفعال الخوارق؛ لأن البشر بمقدوره تدمير مدن بأكملها من خـــلال قوة السلاح وليس ذلك بمعجزة لأحد ثم هذا النص فيه ما فيه من سوء الأدب مع الرب حيث يظهره بصورة البـــشر الـــذي يندم على فعل الشر وهذه صورة حقيقية معبرة عن نفسية من كتب هذا النص، وأنه من أجهل الخلق بصفات الكمال لله سبحانه وتعالى عما يفتريه الظالمون علوا كبيرا .

ومـــنها مـــا جـــاء في لوقا١: ١١-١٥ " ١١فظَهَرَ لهُ ملاكُ الرَّبِّ واقِفًا عن يَمينِ مَذبَحِ البَخورِ.١٢فلَمّا رآهُ زَكَريّا اضطَرَبَ ووَقَعَ علَيهِ خَوفٌ.١٣فقالَ لهُ المَلاكُ: "لا تخَفْ يا زَكَريّا، لأنَّ طِلبَتَكَ قد سُمِعَت، وامرأتُكَ أليصاباتُ ستَلِدُ لـــكَ ابنًا وتُسَمّيهِ يوحَنّا.١٤ويكونُ لكَ فرَحٌ وابتِهاجٌ، وكثيرونَ سيَفرَحونَ بوِلادَتِهِ،١٥لأنَّهُ يكونُ عظيمًا أمامَ الرَّبِّ، وخمرًا ومُسكِرًا لا يَشرَبُ، ومِنْ بَطنِ أُمِّهِ يَمتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ".

وهذا إن صح فهو بشرى تحملها لا معجزة تجريها .

وفي لــوقا١: ٣٥ " ٣٥فأجابَها المَلاكُ الرُّوحُ القُدُسُ يَحِلُّ علَيكِ، وقُدرَةُ العَليِّ تُظَلِّـــلُكِ، لذلكَ فالقُدّوسُ الذي يولَدُ مِنكِ يُدعَى ابنَ اللهِ" .

فالملاك هنا مبلغ بحلول الروح القدس على مريم ولم يأت بخارقة، ثم لماذا تنازل المسيح عن هذا الوصف -ابن الله- في أثـــناء تواجده بينهم وسمح لهم بأن يدعى بابن داود والمسيح ويسوع وابن الإنسان وغيرها من أوصاف البشر التي تعارض هذا الزعم منهم .

---

[363]-لوكير، هربرت،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص١٥ بتصرف .

وفي يوحـــنا ٥: ٣-٤ " ٣وكانَ في الأروِقَةِ جَماعةٌ مِنَ المَرضى، بَينَ عُميان وعُرجان ومَفلوجينَ، [يَنتَظِرونَ تَحريكَ الماءِ،٤لأنَّ ملاكَ الربِّ كانَ يَنزِلُ أحيانًا في البِركَةِ ويُحرِّكُ الماءَ. فكانَ الذي يَسبِقُ إلى النُّزولِ بَعدَ تَحريكِ الماءِ يُشفى مِنْ أيِّ مَرَض أصابَهُ]" .

وهذا أشبه بالخرافة فما الذي يقطع بأن الملاك هو الذي حرك الماء دون غيره من هواء أو ارتفاع درجة حرارة أو حان أو كائن بحري أو لأي سبب آخر[364] .

وفي أعمال الرسل ٥: ١٩-٢٠ " ١٩ولكنَّ مَلاكَ الرَّبِّ فَتَحَ أبوابَ السِّجنِ في الليلِ وأخرَجَ الرُّسُلَ وقالَ لَهُم،٢٠اذهَبوا إلى الهَيكَلِ وبَشِّروا الشَّعبَ بِتعاليمِ الحياةِ الجديدةِ".

فلسان حال هذا الادعاء يثير الاستفسار عن قدرة الرسل أنفسهم على صنع الخوارق التي يعتقدها النصارى فلماذا لم تتدخل هي لفتح أبواب السجن وهم مجتمعون؟ .

وفي أعمـــال الرسل ٧: ٣٥-٣٦ " ٣٥فموسى الذي أنكَرَهُ شَعبُهُ وقالوا لَه مَنْ جعَلَكَ رَئيسًا وَقاضيًا علَينا، هوَ الذي أرسَــلَهُ اللهُ رئيسًا ومُخَلِّصًا بِمَعونَةِ المَلاكِ الذي ظَهَرَ لَه في العُلَّيقَة،٣٦فأخرَجَ شَعبَهُ مِنْ مِصْرَ بِما صَنَعَهُ مِنَ العجائبِ والآياتِ في أرضِ مِصْرَ وفي البحرِ الأحمرِ وفي البرِّيَّةِ مُدَّةَ أربعينَ سَنَةً" .

فهنا تظهر رؤية النصارى للملائكة بأنها هي التي ظهرت لموسى في العليقة كتعبير واضح عن حاجة موسى لمعونتها له في قـــيادته وزعامته لبني إسرائيل، وأن العجائب والمعجزات هي من صناعة موسى بمعونة ملائكية حسب ظاهر النص المتقدم .

إن الملائكـــة عليهم السلام في الإسلام هم: رسل منفذون لأمر الله تعالى فليس لهم من الأمر شيء بل الأمر لله الـــواحد القهار وهم ينفذون أمره عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يـــشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون لا يعصون الله مـــا أمـــرهم ويفعلـــون ما يؤمرون ولا تنزل إلا بأمره تعالى ولا تفعل شيئا إلا من بعد إذنه سبحانه فهم عباد له مكرمون منهم الصافون ومنهم المسبحون ليس منهم أحد إلا وله مقام معلوم لا يتخطاه وهو على عمل قد أمر به لا يقـــصر عنه ولا يتعداه وأعلاهم الذين عنده سبحانه لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون[365] .

---

[364] -انظر الريس، علي،تحريف مخطوطات الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ،ص١٣٩-١٤٤ ، حيث أشار إلى أن وضع النص بين قوسين دلالة على الشك في صحة هذا النص فضلا عن عدم وجود هذا النص أصلا في أقدم المخطوطات! .

[365] - انظـــر ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت-لبنان، دار المعرفة،ط٢ ،١٩٧٥م ، ج٢ /١٢٧ .

المصدر الخامس: العجائب التي مصدرها عبيد الله(البشر)

فالوسائط البشرية عند النصارى لا تستطيع أن تعمل العجائب مباشرة،لأنها ليس لديها أي قوة إلهية،ولكنهم استطاعوا إجراء معجزات حسب السلطان الممنوح لهم من الله،فعبيد الله المكرمون، كموسى وهارون ويشوع وشمشون وصموئيل وإيليا وأليشع وإشعياء وبطرس واستفانوس وفيلبس وبولوس وبرنابا والرسل الأخرون والتلاميذ لم يكونوا سوى قنوات جرت فيها قوة الشفاء المعجزية[366] .

وفي معتقد النصارى أن السلطة الروحية التي كانت للمسيح قد انتقلت منه عن طريق الوراثة الروحية إلى الحواريين ومنهم إلى القديسين[367] .

والأدلة على فعل الخوارق من قبل التلاميذ وغيرهم ما ورد في لوقا ١٠: ٩ " ٩واشفوا المَرضَى الّذينَ فيها، وقولوا لَهُم: قد اقتَرَبَ مِنكُمْ ملكوتُ اللهِ" .

و١٧- ٢١" "١٧فرَجَعَ السَّبعونَ بفَرَحٍ قائلينَ: "يا رَبُّ، حتّى الشَّياطينُ تخضَعُ لنا باسمِكَ!".١٨فقالَ لَهُم: "رأيتُ الشَّيطانَ ساقِطًا مِثلَ البَرقِ مِنَ السَّماءِ.١٩ها أنا أُعطيكُمْ سُلطانًا لتَدوسوا الحَيّاتِ والعَقارِبَ وكُلَّ قوَّةِ العَدوِّ، ولا يَضُرُّكُمْ شَيءٌ.٢٠ولكِنْ لا تفرَحوا بهذا: أنَّ الأرواحَ تخضَعُ لكُم، بل افرَحوا بالحَريِّ أنَّ أسماءَكُمْ كُتِبَتْ في السَّماواتِ".

٢١وفي تِلكَ السّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسوعُ بالرّوحِ وقالَ: "أحمَدُكَ أيُّها الآبُ، رَبُّ السَّماءِ والأرضِ، لأنَّكَ أخفَيتَ هذِهِ عن الحُكَماءِ والفُهَماءِ وأعلَنتَها للأطفالِ. نَعَمْ أيُّها الآبُ، لأنْ هكذا صارَتِ المَسَرَّةُ أمامَكَ".

وكذلك ذكر كلام يوحنا الطفل في لوقا ١ : ٦٢ —٦٥ " ٦٢وسألوا أباهُ بالإشارَةِ ماذا يُريدُ أنْ يُسمّى الطِّفلُ،٦٣فطَلَبَ لوحًا وكتَبَ علَيهِ اسمُهُ يوحنّا. فتعَجَّبوا كُلُّهُم.٦٤وفي الحالِ انفَتَحَ فمُهُ وانطَلَقَ لِسانُهُ فتكَلَّمَ ومَجَّدَ اللهَ.٦٥فمَلأَ الخوفُ جميعَ الجيرانِ. وتحَدَّثَ النّاسُ بجميعِ هذِهِ الأُمورِ في جِبالِ اليَهوديَّةِ كُلِّها" .

وفي أعمال الرسل ٥: ١٢" ١٢وجَرَتْ على أيدي الرُّسُلِ آياتٌ وعَجائبُ كثيرَةٌ في الشَّعبِ. وكانَ الجميعُ بنَفسٍ واحِدَةٍ في رِواقِ سُلَيمانَ" .

---

[366]– لوكير، هربرت،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص١٦،وانظر كيفية الرد على مثل هذه المعتقدات،عبد القادر،د.محمد ممتاز،ترجمة ودراسة تحليلية،مخطوطات البحر الميت،القاهرة-مصر،العالمية للكتب والنشر،ط١ ،٢٠٠٦م، ص٥٤-٥٥ .

[367]– فتاح،د.عرفان عبد الحميد،النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها،عمان-الأردن،دار عمار،ط١ ،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م،ص ١٢٣ ، و عرموش ، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)، بيروت-لبنان،دار النفائس، ط٣ ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٤٥٣ حيث ذكر بولس وهبة عن المعجزة:" ويجريها(أي المسيح) في القديسين حتى اليوم" .

والذين قاموا بإجراء معجزات حسب معتقد النصارى صرحوا بشكل واضح أنهم لا يملكون قوة من ذواتهم ومن ذلك ما حصل مع بطرس والشحاذ الأعرج حينما أعلن أن ما حصل من خرق العادة لم يكن بسبب قوته الذاتية .

فقد جاء في أعمال الرسل ٣: ٢ –١٣ " ٢وكانَ رَجُلٌ أعرَجُ مِنْ بَطنِ أُمّهِ يُحمَلُ، كانوا يَضَعونَهُ كُلَّ يومٍ عِندَ بابِ الهَيكَلِ الّذي يُقالُ لهُ "الجَميلُ" ليَسألَ صَدَقَةً مِنَ الّذينَ يَدخُلونَ الهَيكَلَ.٣فهذا لَمّا رأى بُطرُسَ ويوحَنّا مُزمِعَينِ أنْ يَدخُلا الهَيكَلَ، سألَ ليأخُذَ صَدَقَةً.٤فتفَرَّسَ فيهِ بُطرُسُ مع يوحَنّا، وقالَ: "انظُرْ إلَينا!"٥فلاحَظَهُما مُنتَظِرًا أنْ يأخُذَ مِنهُما شَيئًا.٦فقالَ بُطرُسُ: "ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَبٌ، ولكن الّذي لي فإيّاهُ أُعطيكَ: باسمِ يَسوعَ المَسيحِ النّاصِريِّ قُمْ وامشِ!".٧وأمسَكَهُ بيَدِهِ اليُمنَى وأقامَهُ، ففي الحالِ تشَدَّدَتْ رِجلاهُ وكعباهُ،٨فوَثَبَ ووقَفَ وصارَ يَمشي، ودَخَلَ معهُما إلَى الهَيكَلِ وهو يَمشي ويَطفُرُ ويُسَبِّحُ اللهَ.٩وأبصَرَهُ جميعُ الشَّعبِ وهو يَمشي ويُسَبِّحُ اللهَ.١٠وعَرَفوهُ أنَّهُ هو الّذي كانَ يَجلِسُ لأجلِ الصَّدَقَةِ على بابِ الهَيكَلِ الجَميلِ، فامتَلأوا دَهشَةً وحَيرَةً مِمّا حَدَثَ لهُ.١١وبَينَما كانَ الرَّجُلُ الأعرَجُ الّذي شُفيَ مُتَمَسِّكًا ببُطرُسَ ويوحَنّا، تراكَضَ إليهِمْ جميعُ الشَّعبِ إلَى الرِّواقِ الّذي يُقالُ لهُ "رِواقُ سُلَيمانَ" وهُم مُندَهِشونَ.١٢فلَمّا رأى بُطرُسُ ذلك أجابَ الشَّعبَ: "أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ، ما بالُكُمْ تتَعَجَّبونَ مِنْ هذا؟ ولماذا تشخَصونَ إلَينا، كأنَّنا بقوَّتِنا أو تقوانا قد جَعَلنا هذا يَمشي؟" .

وكان عليهم أن يؤمنوا بقوة الله لإجراء ما هو مستحيل من وجهة النظر البشرية ولسان حالهم يظهر ذلك من خلال أن كثيرا من المعجزات حدثت بناء على أمر من صاحب السلطان أو عند الصلاة إليه[368] .

ومن ذلك ما جاء في متى ١٧: ١٤–٢١ " ١٤ولَمّا جاءوا إلَى الجَمعِ تقَدَّمَ إليهِ رَجُلٌ جاثيًا لهُ١٥وقائلاً: "يا سيِّدُ، ارحَمِ ابني فإنَّهُ يُصرَعُ ويتألَّمُ شَديدًا، ويَقَعُ كثيرًا في النّارِ وكثيرًا في الماءِ.١٦وأحضَرتُهُ إلَى تلاميذِكَ فلم يَقدِروا أنْ يَشفوهُ".١٧فأجابَ يَسوعُ وقالَ: "أيُّها الجيلُ غَيرُ المؤمِنِ، المُلتَوي، إلَى مَتَى أكونُ معكُمْ؟ إلَى مَتَى أحتَمِلُكُمْ؟ قَدِّموهُ إلَيَّ ههنا!".١٨فانتَهَرَهُ يَسوعُ، فخرجَ مِنهُ الشَّيطانُ. فشُفيَ الغُلامُ مِنْ تِلكَ السّاعَةِ.١٩ثُمَّ تقَدَّمَ التلاميذُ إلَى يَسوعَ على انفِرادٍ وقالوا: "لماذا لم نَقدِرْ نَحنُ أنْ نُخرِجَهُ؟".٢٠فقالَ لهُم يَسوعُ: "لعَدَمِ إيمانِكُمْ. فالحَقَّ أقولُ لكُم: لو كانَ لكُم إيمانٌ مِثلُ حَبَّةِ خَردَلٍ لكُنتُمْ تقولونَ لهذا الجَبَلِ: انتَقِلْ مِنْ هنا إلَى هناكَ فيَنتَقِلُ، ولا يكونُ شَيءٌ غَيرَ مُمكِنٍ لَدَيكُمْ.٢١وأمّا هذا الجِنسُ فلا يَخرُجُ إلّا بالصَّلاةِ والصَّومِ".

---

[368]– لوكير ، هربرت، كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص١٦ .

وفي يوحنا ١٤: ٢١" ٢١الَّذي عِندَهُ وصاياي ويَحفَظُها فهو الَّذي يُحِبُّني، والَّذي يُحِبُّني يُحِبُّهُ أبي، وأنا أُحِبُّهُ، وأُظهِرُ لهُ ذاتي".

وفي أعمال الرسل٦: ٨ " ٨وأمَّا استِفانوسُ فإذ كانَ مَملوًّا إيمانًا وقوَّةً، كانَ يَصنَعُ عَجائبَ وآياتٍ عظيمَةً في الشَّعبِ".

فهم يجمعون في مصطلحهم عبيد الله الرسل والقديسين والتلاميذ ومن هم دون ذلك حتى يتخصصوا في فعل معجزات الـــشفاء لأمة كثيرة الأسقام؛ فالغاية عندهم أصبحت تبرر الوسيلة يستوي في نظرهم من يقدم الشفاء مع ما يأتي به الأنبياء من معجزات، وهذا خلط بين من تظهر على أيديهم الخوارق، وعدم دقة نظر فيما يحصل من الخوارق وما تمتاز به عن غيرها من الأفعال التي يدعيها من هم دون الأنبياء .

المصدر السادس:العجائب التي مصدرها قوات الشر

جاء في علم اللاهوت النظامي:"المقصود بنسبة المعجزات أحياناً إلى المؤمنين أو الملائكة هو أنهم صنعوها بقوة الله لا بقـــوتهم، ولا يصحّ أن ننسب المعجزة الصحيحة إلى البشر الأشرار، ولا إلى الشياطين، ولكن ما ظهر من الغرائب في أعمالهم ليس معجزاتٍ صحيحة، بل عجائب كاذبة ناشئة عن خداعهم أو عن قوة الشيطان. وقد ميَّز الكتاب المقدس بين المعجزات الإلهية والعجائب التي يفعلها المحتالون بالمكر، أو بواسطة علوم غامضة، أو بما يعرفونه من قوانين الطبيعة مما يجهله الآخرون من عامة البشر"[369].

وينظر النصارى إلى قوى الشر ممثلة بالشيطان وأعوانه على أنهم استطاعوا تزييف الحق الإلهي من خلال استعراض القوة لعمل معجزات، فالكتاب المقدس يتحدث عن عجائب أجريت عن طريق ما يلي[370]:

١-ما تجريه قوة الشيطان .

منها في تسالونيكي الثاني ٢: ٨- ١٠: " ٨وحينَئذٍ سيُستَعلَنُ الأثيمُ، الَّذي الرَّبُّ يُبيدُهُ بنَفخَةِ فمِهِ، ويُبطِلُهُ بظُهورِ مَجيئه.٩الَّذي مَجيئُهُ بعَمَلِ الشَّيطانِ، بكُلِّ قوَّةٍ، وبآياتٍ وعَجائبَ كاذِبَةٍ، ١٠وبكُلِّ خَديعَةِ الإثمِ، في الهالِكينَ، لأنَّهُمْ لم يَقبَلوا مَحَبَّةَ الحَقِّ حتَّى يَخلُصوا" .

[369]– أنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٢٩١ .

[370]– انظر لوكير، هربرت،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ص١٦ .

وفي رؤيا يوحنا١٦: ١٤ :" ١٤فإنَّهُمْ أرواحُ شَياطينَ صانِعَةٌ آياتٍ، تَخرُجُ على مُلوكِ العالَمِ وكُلِّ المَسكونَةِ، لتجمَعَهُمْ لِقتالِ ذلكَ اليومِ العظيمِ، يومِ اللهِ القادرِ على كُلِّ شَيءٍ".

ولعل من تهويل قوة الشيطان أن صور النصارى الصراع في النصرانية بين قوتين متضادتين هما قوة الشياطين وقوة المسيح حيث ذكر في مرقس ١: ٣٩ " ٣٩فكانَ يَكرِزُ* في مجامعهمْ في كُلِّ الجليلِ ويُخرِجُ الشَّياطينَ".

٢-ما يجريه المسيح الكذاب والأنبياء الكذبة .

من ذلك ما ورد ذكره في متى ٢٤: ٢٤ " ٢٤لأنَّهُ سيَقومُ مُسَحاءُ كذَبَةٌ وأنبياءُ كذَبَةٌ ويُعطونَ آياتٍ عظيمَةً وعَجائبَ، حتَّى يُضِلّوا لو أمكَنَ المُختارينَ أيضًا".

فهذا إن صح فهو يشبه ما سيقوم به المسيح الكذاب في آخر الزمان والله تعالى أعلم .

وفي رؤيا يوحنا١٣: ١٣" ١٣ويَصنَعُ آياتٍ عظيمَةً، حتَّى إنَّهُ يَجعَلُ نارًا تنزِلُ مِنَ السَّماءِ على الأرضِ قُدّامَ النّاسِ" .

ويرى النصارى أن الفرق بين الأنبياء الحقيقيين(في النصرانية يوجد رسل) والأنبياء الكذبة هو أن:

أ- الأنبياء الحقيقيون فهم:

١-يعملون لأغراض روحية لخدمة الله وشعبه .

٢-لا يملكون إلا القليل .

٣-لا يتكلمون إلا برسائل صادقة .

٤-لا يتكلمون إلا بما يريدهم الله أن يقولوه ومهما كان غير محبوب للشعب .

ب- وأما الأنبياء الكذبة يمتازون عند النصارى بما يلي:

١-يعملون لأغراض سياسية لمنفعة ذواتهم .

٢-يشغلون مراكز ذات ثراء عظيم .

٣-يعلنون رسائل كاذبة .

٤-لا يتكلمون إلا بما يريد الشعب سماعه[371] .

---

* بمعنى يُعلم .

[371] - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، تعريب شركة ماسترميديا القاهرة-مصر، ١٩٩٧م، ص٧٥٣ .

ومـــن اللافت للنظر أن النصارى يعتقدون بنبوة حنة المعاصرة للمسيح التي ورد خبرها في لوقا ٢: ٣٦-٣٧"٣٦ وكانَـــتْ نَبيَّةٌ، حَـــنَّةُ بنتُ فنوئيلَ مِنْ سِبطِ أشيرَ، وهي مُتقدِّمَةٌ في أيّامٍ كثيرَةٍ، قد عاشَتْ مع زَوجٍ سبعَ سِنينَ بَعدَ بُكوريَّتِها.٣٧وهي أرمَلَةٌ نَحوَ أربَعٍ وثَمانينَ سنَةً، لا تُفارِقُ الهَيكَلَ، عابِدَةً بأصوامٍ وطَلِباتٍ ليلاً ونَهارًا" .

فأين يصنفها النصارى أهي مع الأنبياء الحقيقيين أم الكذبة أم لها تصنيف آخر عند النصارى ؟ .

٣-ما مصدره السحرة المصريون.

ورد ذلـــك في ســـفر الخروج٧ :١١ " ١١فدَعا فِرعَونُ أيضًا الحُكَماءَ والسَّحَرَةَ، ففَعَلَ عَرّافو مِصرَ أيضًا بسِحرِهِمْ كذلكَ"،و٢٢ " ٢٢وفَعَلَ عَرّافو مِصرَ كذلكَ بسِحرِهِمْ. فاشتَدَّ قَلبُ فِرعَونَ فلم يَسمَعْ لهُما، كما تكلَّمَ الرَّبُّ.١فقالَ الرَّبُّ لموسَى:"انظُرْ! أنا جَعَلتُكَ إلهًا لفِرعَونَ".

٤-ما مصدره أهل العرافة .

ومـــن ذلك قصة شاول وعرافة عين دور في صموئيل الأول ٢٨: ٧-١٤ " ٧فقالَ شاوُلُ لعَبيدِه:"فتِّشوا لي علَى امرأةٍ صاحِبَةِ جانٍّ، فأذهَبَ إليها وأسألَها". فقالَ لهُ عَبيدُهُ:"هوذا امرأةٌ صاحِبَةُ جانٍّ في عَينِ دورٍ".٨فتَنَكَّرَ شاوُلُ ولَبِسَ ثـــيابًا أُخرَى، وذَهَبَ هو ورَجُلانِ معهُ وجاءوا إلَى المَرأةِ ليلاً. وقالَ: "اعرِفي لي بالجانِّ وأصعِدي لي مَنْ أقولُ لكِ".٩ فقالَـــتْ لهُ المَرأةُ:"هوذا أنتَ تعلَمُ ما فعَلَ شاوُلُ، كيفَ قَطَعَ أصحابَ الجانِّ والتَّوابِعِ مِنَ الأرضِ. فلماذا تضَعُ شَرَكًا لنَفـــسي لتُميـــتَها؟".١٠فحَلَفَ لها شاوُلُ بالرَّبِّ قائلاً:"حَيٌّ هو الرَّبُّ، إنَّهُ لا يَلحَقُكِ إثمٌ في هذا الأمرِ".١١فقالَتِ المَرأةُ:"مَنْ أُصعِدُ لكَ؟". فقالَ: "أصعِدي لي صَموئيلَ".١٢فلَمّا رأتِ المَرأةُ صَموئيلَ صَرَخَتْ بصوتٍ عظيمٍ، وكلَّمَتِ المَـــرأةُ شـــاوُلَ قائلَةً:"لماذا خَدَعتَني وأنتَ شاوُلُ؟".١٣فقالَ لها المَلِكُ:"لا تخافي. فماذا رأيتِ؟". فقالَتِ المَرأةُ لشاوُلَ: "رأيتُ آلِهَةً يَصعَدونَ مِنَ الأرضِ". ١٤فقالَ لها:"ما هي صورَتُهُ؟" فقالَتْ:"رَجُلٌ شَيخٌ صاعِدٌ وهو مُغَطًّى بجُبَّةٍ". فعَلِمَ شاوُلُ أنَّهُ صَموئيلُ، فخَرَّ علَى وجهِهِ إلَى الأرضِ وسجَدَ".

لا شـــك أن التفكير الخرافي يعتبر الملجأ السهل والحل السحري للتأثير على الكيان البشري بغير طريق العقل، ولذلك يكثر الالتجاء إليه في حالة الأفكار والمعتقدات التي تخلو من المنطق وقوة البرهان[372] .

٥-ما مصدره السحرة .

ومـــن ذلك خبر سيمون الساحر في أعمال الرسل ٨: ٩-١١" ٩وكانَ قَبلاً في المدينةِ رَجُلٌ اسمُهُ سيمونُ، يَستَعمِلُ السِّحرَ ويُدهِشُ شَعبَ السّامِرَةِ، قائلاً إنَّهُ شَيءٌ عظيمٌ!١٠وكانَ الجميعُ يتبَعونَهُ مِنَ الصَّغيرِ إلَى الكَبيرِ قائلينَ: "هذا هو قوَّةُ اللهِ العظيمَةُ".١١وكانوا يتبَعونَهُ لكَونِهِمْ قد اندَهَشوا زَمانًا طَويلاً بسِحرِهِ".

---

[372]- الريس، علي،تحريف مخطوطات الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ،ص٢٢٦ بتصرف .

وكـذلك الحـديث عـن أسطورة سرت للنصارى من عهد اليهود القديم ألا وهي قدرة السحرة على إثارة الحيوان الأسطوري التنين لاوياثان ليتسبب بكسف الشمس[373]، وذلك في أيوب٣ : ٧-٩ "٧هوذا ذلكَ اللّيلُ ليَكُنْ عاقرًا، لا يُسمَعْ فيهِ هُتافٌ.٨ليَلعَنهُ لاعِنو اليومِ المُستَعِدّونَ لإيقاظِ التِّنّينِ.٩لتُظلِمْ نُجومُ عِشائهِ. ليَنتَظِرِ النورَ ولا يَكُنْ، ولا يَرَ هُدُبَ الصُّبحِ" .

والعجائب التي أجرتها قوات الشر على العموم تختص بما يلي عند النصارى :

أ-تدعيم الديانات الكاذبة .

ففـي تثنية ١٣: ١-٣ " ١"إذا قامَ في وسطِكَ نَبيٌّ أو حالِمٌ حُلمًا، وأعطاكَ آيَةً أو أُعجوبَةً،٢ولو حَدَثَتِ الآيَةُ أوِ الأُعجـوبَةُ التي كلَّمَكَ عنها قائلاً: لنَذهَبْ وراءَ آلِهَةٍ أُخرَى لم تعرِفها ونَعبُدها،٣فلا تسمَعْ لكلامِ ذلكَ النَّبيِّ أو الحالِمِ ذلكَ الحُلمَ، لأنَّ الربَّ إلَهَكُمْ يَمتَحِنُكُمْ لكَيْ يَعلَمَ هل تُحِبّونَ الربَّ إلَهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلوبكُمْ ومِنْ كُلِّ أنفُسِكُمْ " .

فميـزان صدق صاحب الخارقة في النصرانية حسب النص المتقدم هو الدعوة للتوحيد الخالص، والخوارق التي يظهرها الـرب علـى أيـدي دعاة الشرك من أنبياء-حسب زعم النص إذا قامَ في وسطِكَ نَبيٌّ أو حالِمٌ حُلمًا- وحالمين هي لامـتحان النصارى بصدق حبهم للرب، وبالتالي يميز النص السابق بين النبي الصادق والنبي الكاذب بالدعوة للتوحيد من عدمها مع أن كلاهما يعطي آية أو أعجوبة لمن يظهر بينهم .

ب- وهي مؤشر على الارتداد كذلك عند النصارى .

في تـسالونيكي الثاني ٢: ٣ " ٣لا يَخدَعَنَّكُمْ أحَدٌ على طريقَةٍ ما، لأنَّهُ لا يأتي إنْ لم يأتِ الارتِدادُ" و٩ " ٩الّذي مَجيئُهُ بعَمَلِ الشَّيطانِ، بكُلِّ قوَّةٍ، وبآياتٍ وعَجائبَ كاذِبَةٍ".

ج-وهي تخدع الهالكين وغير الأتقياء .

ففـي رؤيا يوحنا١٣: ١٤ " ١٤ويُضِلُّ السّاكِنينَ على الأرضِ بالآياتِ الّتي أُعطيَ أنْ يَصنَعَها أمامَ الوَحشِ، قائلاً للسّاكِنينَ على الأرضِ أنْ يَصنَعوا صورَةً للوَحشِ الّذي كانَ بهِ جُرحُ السَّيفِ وعاشَ ". و١٩: ٢٠ " ٢٠فقُبِضَ على الـوَحشِ والـنَّبيِّ الكَذّابِ معهُ، الصّانِعِ قُدّامَهُ الآياتِ الّتي بها أضَلَّ الّذينَ قَبِلوا سِمَةَ الوَحشِ والّذينَ سجَدوا لصورَتِهِ. وطُرِحَ الاثنانِ حَيَّينِ إلَى بُحَيرَةِ النّارِ المُتَّقِدَةِ بالكِبريتِ ".

والواجب على اليهود والنصارى بالنسبة للعجائب التي مصدرها قوات الشر عدم سماع أقوال أصحابها .

والنهـي ورد في سفر التثنية١٣: ٣ " ٣فلا تسمَعْ لكلامِ ذلكَ النَّبيِّ أو الحالِمِ ذلكَ الحُلمَ، لأنَّ الربَّ إلَهَكُمْ يَمتَحِنُكُمْ لكَيْ يَعلَمَ هل تُحِبّونَ الربَّ إلَهَكُمْ مِنْ كُلِّ قُلوبكُمْ ومِنْ كُلِّ أنفُسِكُمْ " .

ولكن أين المستجيب من النصارى لهذا الواجب ؟!.

---

[373]-انظر الربس، علي،تحريف مخطوطات الكتاب المقدس، ص٢٣٨ .

فيظهر مما تقدم عند النصارى أن :

(١) إمكـــان حدوث عجائب بواسطة الأرواح النجسة أو الأشرار،فالسحرة امتازوا بموهبة خفة اليد في عمل ما هو غريب عند الآخرين.

(٢) تتميز المعجزات الكاذبة عن الحقيقية بأنها صُنعت بقوة بشرية أو شيطانية لا بقوة إلهية، ولأجل إثبات تعاليم كاذبة أو ما يخالف الحق الإلهي[374].

والعلامات التي تميز المعجزات الصحيحة من الكاذبة عند النصارى هي:

(١) تُصنع المعجزة الصحيحة بقوة الله، وتوافق صفاتها أصلها الإلهي. فإذا درس النصارى معجزات العهدين يرون أنها تفوق قدرة البشر، وتليق أن تُنسب إلى الله، ويروا أن بينها وبين العجائب الكاذبة فرقاً شاسعاً.

وهم يلفتون فكر القارئ في معجزات العهدين، كالضربات العشر، وعبور البحر الأحمر، وإنزال النار على مذبح جبل الكرمل، وقتل جيوش سنحاريب، وصعود إيليا في مركبة نارية، وإقامة الأموات وإسكات العواصف والزلازل، وشفاء ألوف من أمراضهم وأسقامهم، وإشباعهم في وقت الجوع.

ويطلبون منه مقارنة هذه المعجزات العظيمة وهو يفكر في العجائب الكاذبة التي ذُكرت في أبوكريفا العهد الجديد عن المسيح وهو ولد، إذ حوّل الأولاد إلى صغار الماعز؛ لأنهم رفضوا أن يلعبوا معه، وقتل غيرهم لأنهم صدموه بدون قصد وهم يركضون، ولعن معلّمه؛ لأنه رفض أن يعلّمه الأبجدية العبرانية على الترتيب الذي استحسنه هو، وعمل من الطين عصافير حية أطلقها في الهواء فطارت[375]، ودخل دكان صباغ في غيابه ووجد فيه عدة قطع من النسيج يجب أن تُـــصبغ بألوان مختلفة، فطرحها كلها دفعةً واحدة في آنية الصبغ ثم أخرجها، وإذا كل قطعة مصبوغة باللون المطلوب صـــبغها بـــه! ولما كان طفلاً يرضع من أمه كان بالقرب منها نخلة، فأمرها أن تنحني لتأكل العذراء من بلحها فصار كذلك، وبعد أن أكلت وشبعت انتصبت النخلة بأمره كما كانت[376].

374- انس القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٣٠٠ بتصرف .

375-قال تعالى:﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران: ٤٩

376-قال تعالى:﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾ مريم: ٢٥، فخلق الطير بإذن الله تعالى، وتساقط الرطب على مريم عليها السلام من بعض الأخبار عن الخوارق عند النصارى التي يكذبها النصارى مع إن القرآن الكريم أكد ثبوتها ،كما في الآيات الكريمة السابقة .

(٢) صُنعت المعجزات الصحيحة لتثبت نظاماً جديداً أو لتُجري تقدّماً في نظام قديم مما لا يحقّ لأحدٍ أن يفعله إلا الله وحده، فالمعجزة في هذه الحالة ختمٌ على إعلان إلهي.

وهكذا كانت جميع معجزات العهد القديم عند النصارى إما لإثبات إعلانات جديدة، أو لإجراء تغييرات في أحوال الشعب الدينية، أو ردّهم إلى الله. وكذلك كانت معجزات العهد الجديد لإثبات تغيير عظيم في إبطال رسوم العهد القديم وإقامة نظام العهد الجديد. أما العجائب الكاذبة فلا تتعلق بشيء من ذلك.

(٣) تدل المعجزة الصحيحة على عظمة صانعها الأصلي وكانت قليلة الحدوث، فلم تُصنع إلا في أوقات خاصة. وتتميّز الصحيحة عن الكاذبة في أنك ترى فيها لأول وهلة غِنى نعمة الله واتساع قدرته وكثرة وسائطه، لأن الموتى يقومون والمرضى يُشفون والجياع يُشبعون، وتخضع القوات الطبيعية لكلمته والعناصر لأمره. أما أصحاب العجائب الكاذبة فمحصورون في دائرة ضيقة جداً لا يقدرون أن يتجاوزوها، خوفاً من الوقوع في صعوبات لا يقدرون أن يتخلّصوا منها. وليس بين العجائب الكثيرة التي ادَّعوها ما يستحق أن يُقارن بواحدة من معجزات الله!

أما الأزمنة الخاصة التي صُنعت فيها المعجزات الإلهية حسب معتقد النصارى فهي أربعة: ١- زمن موسى ويشوع ٢- وزمن إيليا وأليشع ٣- وزمن دانيال ورفاقه* ٤- وزمن المسيح والرسل، وذلك لشدة الحاجة إليها في تلك الأوقات. وفي غير هذه الأزمنة صنع الله معجزات قليلة. أما أهل العجائب الكاذبة فيصنعونها على الدوام.

(٤) تُصنع المعجزة الصحيحة علانية وتقبل الامتحان بالحواس البشرية. ولما كان المقصود منها إثبات الحق للبشر صُنعت أمام عيونهم بطريقة يمكنهم بها أن يتحققوا من صدقها. ومعجزات الكتاب المقدس جميعها من هذا النوع من وجهة نظر النصارى -مع العلم بأنهم لم يشاهدوا معجزات العهد القديم زمن حدوثها والتي يؤمنون بها جميعا-، خلافاً للعجائب الكاذبة التي لا تخلو أبداً من الشبهة، لأنها مصنوعة بخفة اليد البشرية والتدابير السابقة، وكلها إما أعمال طبيعية أو حيل خداعية لا يصنعونها إلا أمام الراغبين فيها والذين يميلون للاقتناع بها بسهولة.

(٥) للمعجزات الصحيحة شهادات كافية من شهود أفاضل مخلصين، وتتميّز عن سواها بثلاثة أمور:

(أ) خلو الشهود من الغرض ووجودهم في مكان صُنعها بدون اتفاق سابق بينهم، فكانت غير منتظرة منهم، وكانت تُصنع في الأسواق والبيوت والمجامع والصحاري، في النهار والليل أمام الجميع من الأحياء والأعداء، كالفريسيين والكتبة .

---

*معجزات العهد القديم مع إيمان النصارى بها جميعا فهي لا تقيم الحجة على النصارى ؛ لأنها مختصة بالذين شاهدوها في زمن حدوثها .

أما العجائب الكاذبة فإن الذين يدّعونها يصنعونها غالباً على انفراد أو بمحضر أشخاص من الشعب معيّنين سابقاً وفي أوقـات معلومة، وبذلك يسهل عليهم إتمام الترتيبات المسبّقة لصنعها، وهم يختارون الذين تُصنع أمامهم ليشهدوا بها لـصالح صانعيها والمستعدين لتصديقها، ولأن معجزات العهدين صحيحة(كما يرى النصارى) لم يخش الرسل من أن يستشهدوا بها.

(ب) إخلاص الشهود وتقواهم وحسن سيرتهم واحتمالهم المشقات والأخطار لأجل تأدية شهادتهم.

وهـذا كمـا يراه النصارى في رسل المسيح الأمناء الأتقياء، الذين عيّنهم الله وأرسلهم لينادوا بالمسيحية، وكثرة ما احتملوه بسبب شهادتهم من الاضطهاد، ومع ذلك لم ينكروا شهادتهم ولا كتموها.

ولكن كيف يقبل هذا الكلام ولا سند متصل للرواية عنهم؟ .

(ج) كان بعض الذين شاهدوا المعجزات من ألدّ أعداء المسيحية، ومع ذلك لم يقدروا أن يحرّفوا حقيقة المعجزة ويثبتوا بُطلانها، وقد مرت قرون دون أن يجسر أحدٌ من الملحدين أن ينكر حدوث المعجزات، بل سلموا بها، غير أنهم نسبوها إلى غير قوة الله. (مع ضرورة التأكيد على أن لفظ الله في المسيحية يقصد به الآب والابن وروح القدس)

(٦) تحـتمل المعجـزة الـصحيحة كل امتحان لتحقّق صدقها، وحدث ذلك في كل معجزات الكتاب حسب زعم النصارى. فلما شفى المسيح المولود أعمى، فحص أعداؤه هذه المعجزة بالتدقيق وتحققوا صدقها .

(٧) للمعجـزة الـصحيحة شهادة متواصلة من جيل لآخر، فلم تُفقد الأدلة عليها فكما يرى النصارى أن الله عين أشخاصـاً أمناء ليكتبوها في أسفار قانونية قرب وقت حدوثها، واستودع تلك الأسفار للكنيسة التي حافظت عليها بكل أمانة. وهو يقيم على الدوام أمناء ينادون بها، وعيَّن ما يُذكّر دائماً بصدق حدوثها كيوم الأحد الذي هو تذكار معجزة قيامة المسيح كما تذكر الأناجيل، وعيّن المعمودية والعشاء الرباني، والكنيسة بجملتها، والديانة المسيحية.

تلـك كلـها تذكارات غير منقطعة لا نظير لها في المجد والقوة، وليس بين الحوادث القديمة ما له من الشهادة الكافية كالمعجزات الصحيحة عند النصارى[377].

فممـا لاشك فيه أن مدخل الخلل في فهم اليهود والنصارى للخوارق يكمن في افتقارهم إلى مرجعية شاملة تجلي حقيقة القيود المعتبرة لكل خارقة من خوارق العادات حتى لا تلتبس بغيرها، ولا سيما في أمر توسعهم في إدخال ما هو ليس بمعجزة مع المعجزات، وهذا إسهاب في الإفراط منهم، ولهذا جمح بهم التصور العقلي المتأثر بحدود زمانه ومكانه ومـشاهداته ليخـضع الخوارق لمقاييسه وتصوراته القاصرة، فظهرت هذه المعتقدات العقيمة التي تمازج بين مفاهيم خـوارق العـادات بما يخدم معتقدات اليهود والنصارى في الألوهية والنبوة دون الرجوع إلى مرجعية الوحي الإلهي المعصوم .

377- أنس، القس جيمس، علم اللاهوت النظامي، ص٣٠١ -٣٠٢ .

الفصل الرابع

معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية والنصرانية والإسلام

المبحث الأول: دلالة الخوارق على صدق النبي في اليهودية والنصرانية والإسلام

المبحث الثاني : آية خلق آدم عليه السلام

المبحث الثالث: التناول القرآني لمعجزات الأنبياء عليهم السلام

المبحث الرابع: معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية

المبحث الخامس: معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في النصرانية

المبحث السادس: أثر خوارق العادات على دعوة الأنبياء عليهم السلام.

تمهيد:

في هذا الفصل سيتم بإذن الله تعالى الحديث عن معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في الإسلام واليهودية والنصرانية، وبـــيان دلالـــة الخوارق على صدق النبي في الإسلام واليهودية والنصرانية، وعن آية خلق آدم عليه السلام في المبحث الثاني، وفي المبحث الثالث نبين التناول القرآني لمعجزات الأنبياء عليهم السلام حيث نبين معجزة القرآن الكريم، ومن ثم نبين معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، معجزة نوح عليه الصلاة والسلام، معجزة هود عليه الصلاة والسلام، معجزة صالح عليه الصلاة والسلام، معجزات إبراهيم عليه الصلاة والسلام، معجزة لوط عليه الصلاة والسلام، معجزة شعيب عليه الصلاة والسلام، معجزات موسى عليه الصلاة والسلام، معجزات داود عليه الصلاة والسلام، معجزات سليمان عليه الصلاة والسلام، معجزة يونس عليه الصلاة والسلام، معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام .

ثم نذكر معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية في المبحث الرابع وهي: معجزة انتقال أخنوخ (إدريس عليه الـــصلاة والـــسلام)، معجزة الطوفان، معجزات إبراهيم عليه الصلاة والسلام، معجزات لوط عليه الصلاة والسلام، معجزات موسى عليه الصلاة والسلام، معجزة عصا هارون، ومعجزة يونان .

ونعرض في المبحث الخامس معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في النصرانية، وفي المبحث المبحث السادس نخصص الحديث فيه عن أثر خوارق العادات على دعوة الأنبياء عليهم السلام.

والله تعالى الميسر لكل ما يحبه ويرضاه وبه نستعين .

المبحث الأول: دلالة الخوارق على صدق النبي في اليهودية والنصرانية والإسلام

المطلب الأول: دلالة الخوارق على صدق النبي في الإسلام

إن دلالة المعجزة على تصديق الرسول، كدلالة الكون على خالقه ومبدعه مع أن أحدا لم ير ربه ومبدعه[378] ، ولذا فـإن العلم بصحة نبوة النبي فرع عن العلم بصحة المعجزة الدالة على صدقه في دعواه حيث لم يضطرنا الله تعالى إلى العلم بصدقه اضطرارا.

فـإذا ظهـر المعجز على يدي مدعي النبوة الذي هو من فعل الله تعالى بما ينقض العادة عند دعوى المدعي رسالته وكان الذي ظهر مطابقا لدعواه وقد سبق العلم بأن الله تعالى كان سامعا لدعواه عليه إرسالهُ إياه، وعالما بها، وبمعناها، ثم ظهر ما ادعاه عليه عُلِمَ بذلك أنه تعالى قصد بذلك تصديقه في دعواه وصار إظهاره لذلك مطابقا لدعواه بمنزلة قوله صدقت أو قوله لقوم صدق هو رسولي إليكم على وجه يفهم تصديقه له .

بل يكون التصديق له بالفعل أبعد من التهمة لأن قول القائل لغيره صدقت قد يكون على طريق الاستهزاء والتصديق له بالفعل لا يحتمل وجها سوى التصديق[379].

ويوضح الآمدي ذلك بقوله :

"ولـيس ذلك في ضرب المثال إلا كما لو كان بعض الملوك جالسا في رتبته قاعدا على سرير مملكته والناس يجتمعون لخدمـته قياما في طاعته فقام واحد من عُرْضِ* الناس وقال يأيها الناس إني رسول هذا الملك إليكم بكذا وكذا وآية صدقي على ذلك أني إذا طلبت منه أن يقوم ثلاث مرات أو يحرك كفه أو يده مثلا فعل ولو أراد واحد منكم لم يجد إلـيه سبيلا فإنه إذا أتى له بذلك لم يتمار أحد من الحضور ولا يداخله شك أو فتور أنه صادق فيما ادعاه حقيق فيما أتاه .

---

[378]-انظر الزرقاني،محمد عبد العظيم،مناهل العرفان في علوم القرآن،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٩٨٨م،ج١/ص٧٨ .

[379]- البغدادي،أصـول الـدين ، ص١٧٨، وانظر الجويني،عبد الملك بن يوسف، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة،تقديم وتحقـيق د.فوقـية حسين محمود،راجع التحقيق د.محمود الخضيري،القاهرة-مصر،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر- الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط١ ،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، ص١١٠، و الجويني، العقيدة النظامية، ص٦٧-٦٨،و التفتازاني، شرح المقاصد، ج٥/ص١٣-١٤ ،حيث ذكر أن وجه دلالتها نازلة "بمنزلة صريح التصديق" .

*- اي فيما بينهم .

والذي يؤكد ذلك إسناد تصديقه متوقف على مشيئة الباري تعالى وإرادته دون مشيئته هو إرادته سرعة اقترانها بدعوته وإلا فلـــو كانت المعجزة مستندة إلى حوله وقوته لم ينتهض من ذلك دليل على كونه رسول رب العالمين فإنه لم يترل اقتران المعجزة بدعواه مترلة التصديق له من الله تعالى كما إذا كانت المعجزة من خلق الله وفعله وداخلة تحت مشيئته وحوله والمكابر لذلك جاحد لما أنعم الله عليه من العقل السني والنطق النفساني .

وبعد ما تقترن المعجزة بدعواه على سبيل ما يجريه الله ويثبت صدقه في ذلك بطريق العلم بناء على ما احتفت به من القرائن الظاهرة والدلائل الباهرة فلا ينتهض عدمها بعد ذلك دليلا على كذبه وإبطاله رسالته وإلا لوجب أن ينقلب العلم جهلا"[380] .

ثم عقب بقوله: "ومن جرد نظره إلى هذا القدر من الاستدلال في الشاهد أيضا وجد من نفسه أن المدعى صادق في المقال وإن قطع النظر عن قرائن الأحوال"[381] .

كمـــا ذكر الجويني في الإرشاد في باب القول في الوجه الذي منه تدل المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ما نصه: " فإن قيل : فما وجه دلالتها إذا ؟ قلنا : هذا مما كثر فيه خبط من لا يحسن علم هذا الباب .

والمرضـــي عندنا أن المعجزة تدل على الصدق من حيث تتترل مترلة التصديق بالقول ، وغرضنا يتبين بفرض مثال ، فـــنقول : إذا تصدر ملك للناس ، وتصدر لتلج عليه رعيته ، واحتفل الناس واحتشدوا وقد أرهق الناس شغل شاغل، فلما أخذ كلٌ مجلسه ، وترتب الناس إلى مراتبهم انتصب واحد من خواص الملك ، وقال : معاشر الأشهاد ! قد حل بكم أمر عظيم ، وأظلكم خطب جسيم ، وأنا رسول الملك إليكم ، ومؤتمنه لديكم ، ورقيبه عليكم ، ودعواي هذه بمرأى من الملك ومسمع .

فـــإن كنت أيها الملك صادقا في دعواي ، فخالف عادتك وجانب سجيتك ، وانتصب في صدرك وبهوك ، ثم اقعد ، ففعـــل الملـــك ذلك على وفق ما ادعاه ومطابقة ما هواه، فيستيقن الحاضرون على الضرورة تصديق الملك إياه ويترل الفعل الصادر منه مترلة القول المصرح بالتصديق"[382] .

---

[380]- الآمـــدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم(٥٥١-٦٣١هـــ)، غاية المرام في علم الكلام،القاهرة-مصر،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،ط غير معروفة،١٩٧١م، ج١/ص ٣٢٨-٣٢٩ .

[381]- الآمدي، غاية المرام، ج١/ ص٣٢٩ .

[382]- الجويني عبد الملك ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص ٢٧٣-٢٧٤ .

وإيضاح ذلك أن المعجزة إنما تدل في حق من يعتقد الرب تعالى قادرا يفعل ما يشاء ، فيقول النبي في مخاطبة من سبق اعـــتقاده بوجود الآلهة : قد علمتم أن ابتعاث النبي غير منكر عقلا، وأنا رسول الله إليكم، وآية صدقي أنكم تعلمون تفـــرد الرب تعالى بالقدرة على إحياء الموتى، وتعلمون أن الله تعالى عالم بسرنا وعلانيتنا وما نخفيه من سرائرنا ونبديه مـــن ظواهرنا، وإنما أنا رسول الله إليكم، فإن كنت صادقا، فاقلب يا رب هذه الخشبة حية تسعى : فإذا انقلبت كما قال، وأهل الجمع عالمون بالله تعالى فحينئذ يعلمون على الضرورة أن الرب قصد بإبداع ما أبدع تصديقه، كما ذكرنا شاهدا[383].

فعلماء الكلام على أن المعجزة تدل على صدق النبي متى ظهرت مستوفية لجميع شروطها، ولكنهم تفاوتوا في وجهة نظرهم لدلالة المعجزة على صدق النبي هل هي دلالة عادية أم عقلية أم وضعية وذلك بحسب القرائن .

فيرى الجرجاني في شرح المواقف: أن دلالة المعجزة عند الأشاعرة على صدق مدعي النبوة دلالة عادية حيث يجري الله تعالى عادته بخلق الصدق عقيب ظهور المعجزة على يدي النبي بعد دعواه النبوة[384] .

ويـــذهب ابن خلدون إلى أن :" دلالة المعجزة على الصدق عقلية؛ لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال، فإذا لا تقع المعجزة مع الكاذب بإطلاق "[385] .

ومـــن ذهـــب أن دلالة المعجزة على صدق النبي تكون وضعية ، وذلك لأن المعجزة وضعت للدلالة على صدق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي نازلة مترلة قوله تعالى صدق عبدي فيما يبلغه عني، فالمعجزة تدل على صدق النبي دلالة وضعية كما أن لألفاظ الكلام دلالة وضعية على معانيها التي وضعت لها،وإذا علم صدق الرسل عليهم الصلاة و السلام بدلالة المعجزة، فقد وجب تصديقهم في كل ما أتوا به عن الله تعالى لقيام الحجة على العباد في ذلك كله[386] .

---

[383]- الجويني عبد الملك، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص٢٧٦-٢٧٧ .

[384]- انظر الجرجاني، شرح المواقف، ج٨/ص٢٥٢-٢٥٤ .

[385]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، مقدمة ابن خلدون، ص٥٥٦ .

[386]-انظر الحامدي، إسماعيل بن موسى بن عثمان،حواش على شرح الكبرى للسنوسي،القاهرة-مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٩٣٦م، ص٤٥٩-٤٦٦ ،و قاضي القضاة،عبد الجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل،تحقيق د.محمود الخضيري ود.محمود قاسم،القاهرة-مصر،المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط غير معروفة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م،ج١٥/ص١٨٥-١٨٧ .

وإذا ثبـــتت نبوة نبي فليزم منها إثبات جنس النبوة وصدق جميع الأنبياء عليهم السلام ويلزم الإيمان بهم جميعا لأنهم تميزوا عن غيرهم بتلك المعجزات القطعية الدلالة على صدقهم وعجز غيرهم عن الإتيان بمثلها،كما أن الأنبياء يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض فلا عذر لإنكار نبوة اقترنت بمعجزة[387] .

وللعلامـــة ابـــن خلدون- رحمه الله تعالى- كلام مفصل في دلالة الخوارق على صدق النبي حيث ناقش ذلك بين المـــتكلمين والحكماء في معرض ذكره لعلامات الأنبياء عليهم السلام فقال:" ومن علاماتهم أيضاً وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم، وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة، وليست من جنس مقدور العباد، وإنما تقع في غير محل قدرتهم. وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها على تصديق الأنبياء خلاف.

فالمتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بأنها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي، وإن كانت أفعال العباد عند المعتـــزلة صادرة عنهم إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أفعالهم، وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين إلا التحدي بها بـــإذن الله، وهو أن يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقه في مدعاه، فإذا وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بأنه صادق، وتكون دلالتها حينئذ على الصدق قطعية، فالمعجزة دالة بمجموع الخارق والتحدي، ولذلك كان التحدي جزءاً منها، وعبارة المتكلمين صفة نفسها، وهو واحد؛ لأنه معنى الذاتي عندهم.

والتحدي هو الفارق بينها وبين الكرامة والسحر، إذ لا حاجة فيهما إلى التصديق، فلا وجود للتحدي إلا إن وجد اتفاقـــاً، وإن وقع التحدي في الكرامة عند من يجيزها وكانت لها دلالة فإنما هي على الولاية وهي غير النبوة، ومن هنا مـــنع الأســـتاذ أبو إسحاق وغيره وقوع الخوارق كرامة فراراً من الالتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية، وقد أريناك المغايـــرة بينهما وأنه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي، فلا لبس، على أن النقل عن الأستاذ في ذلك ليس صريحاً، وربما حمل على إنكار أن تقع خوارق الأنبياء لهم بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه.

وأما المعتزلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم أن الخوارق ليست من أفعال العباد وأفعالهم معتادة، فلا فرق.

وأما وقوعها على يد الكاذب تلبيساً فهو محال.

387- انظر عتر، حسن ضياء الدين، المعجزة الخالدة، ص٨٥ .

أما عند الأشعرية فلأن صفة نفس المعجزة التصديق والهداية، فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة، والهداية ضلالة، والتصديق كذباً، واستحالت الحقائق، وانقلبت صفات النفس، وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكناً.

وأما عند المعتزلة فلأن وقوع الدليل شبهة و(وقوع) الهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله تعالى.

وأمـــا الحكمـــاء فالخارق عندهم من فعل النبي، ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في الإيجاب الذاتي ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الأسباب، والشروط الحادثة مستندة أخيراً إلى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختـــيار، وأن الـــنفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية، منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين. والنبي عندهم مجبول على التصريف في الأكوان مهما توجه إليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك.

والخارق عندهم يقع للنبي سواء أكان للتحدي أو لم يكن، وهو شاهد بصدقه من حيث دلالتها على تصرف النبي في الأكوان الذي هو من خواص النفس النبوية لا بأنه يتترل مترلة القول الصريح بالتصديق.

فلـــذلك لا تكون دلالتها عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين، ولا يكون التحدي جزءاً من المعجزة، ولم يصح فـــارقٌ لها عن السحر والكرامة، وفارقها عندهم عن السحر أن النبي مجبول على أفعال الخير مصروف عن أفعال الشر فلا يُلِمُّ الشرُّ بخوارقه، والساحر على الضد فأفعاله كلها شر، وفي مقاصد الشر.

وفارقهـــا عـــن الكرامة أن خوارق النبي مخصوصة كالصعود إلى السماء، والنفوذ في الأجسام الكثيفة، وإحياء الموتى، وتكليم الملائكة والطيران في الهواء، وخوارق الولي دون ذلك كتكثير القليل والحديث عن بعض المستقبل وأمثاله مما هو قاصر عن تصريف الأنبياء. ويأتي النبي بجميع خوارقه، ولا يقدر هو على مثل خوارق الأنبياء. وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقتهم ولقنوه عمن أخبرهم.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المترل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه، والقرآن هو بنفسه الوحـــي المدعى وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه. وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم*: " ما من نبي من الأنبياء إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحي إلي. فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"،

* أخـــرجه الـــبخاري عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)صحيح البخاري، ج٤/ص١٩٠٥ /رقم٤٦٩٦ .

يـــشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها أكثر لوضوحها، فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والأمة"[388] .

وبالمحصلة فلا بد للنبي من معجزة واحدة تدل على صدقه،فإذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه، وعجز من تحداهم عن معارضته بمثلها فقد لزمتهم الحجة،في وجوب تصديقه،ووجوب طاعته،فإن طالبوه بمعجزة سواها فالأمر إلى الله عز وجل إن شاء أيده بها،وإن شاء عاقب المطالبين له بها لتركهم الإيمان بمن قد ظهرت دلالة صدقه[389] .

وقد عقب ابن تيمية في الفتاوى على قوله تعالى:﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ هود: ١٤، بعد أن ذكر أن المعجزة تدل على صدق الرسول بقوله :" فَبَيَّنَ أَنَّ الْمُعْجِزَةَ تَـــدُلُّ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْمُعْجِزَةَ – الَّتِي هِيَ فِعْلٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ – تَدُلُّ بِنَفْسِهَا عَلَى ثُبُوتِ الصَّانِعِ كَسَائِرِ الْحَوَادِثِ بَلْ هِيَ أَخَصُّ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْحَوَادِثَ الْمُعْتَادَةَ لَيْسَتْ فِي الدَّلَالَةِ كَالْحَوَادِثِ الْغَرِيبَةِ ؛ وَلِهَذَا يُسَبَّحُ الرَّبُّ عِنْدَهَا وَيُمَجَّدُ وَيُعَظَّمُ مَا لَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُعْتَادِ وَيَحْصُلُ فِي النُّفُوسِ ذِلَّةٌ [مِنْ ذِكْرِ] عَظَمَتِهِ مَا لَا يَحْصُلُ لِلْمُعْتَادِ إذْ هِـــيَ آيَـــاتٌ جَدِيدَةٌ فَتُعْطَى حَقَّهَا وَتَدُلُّ بِظُهُورِهَا عَلَى الرَّسُولِ وَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهَا تَدْعُو إلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ . فَتَتَقَرَّرُ بِهَا الرُّبُوبِيَّةُ وَالرِّسَالَةُ لَا سِيَّمَا عِنْدَ مَنْ يَقُولُ دَلَالَةُ الْمُعْجِزَةِ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ ضَرُورِيَّةٌ . . . "[390] .

فهو يرى أن دلالة المعجزة على صدق الرسول يتقرر بها القول بالوحدانية والربوبية لله رب العالمين وصدق رسالة الرسول .

وهذه لفته جميلة منه رحمه الله تعالى حيث انطلق من دلالة المعجزة على صدق الرسول ليقرر تكامل الدلالة العظمى منها لتدل على توحيد الربوبية والألوهية، وصدق الرسالة التي جاء بها الرسول .

[388]– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون ١٠٣–١٠٥ .

[389]– البغدادي،عبد القاهر بن طاهر،الفرق بين الفرق،حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة–مصر،دار الطلائع،ط غير معروفة،٢٠٠٥م،ص٢٥٥ بتصرف قليل .

[390]–ابن تيمية،أحمد،مجموع الفتاوى،الرياض –المملكة العربية السعودية،دار عالم الكتب،ط غير معروفة،١٩٩١م،م١١/ص٣٧٩ .

المطلب الثاني: **دلالة الخوارق على صدق النبي في اليهودية**

يرى ابن كمونة[391] أن مما يدل على صدق المدعين للنبوات المعجزات،والمعجز على موجب اللغة :هو ما عجز البشر عنه و لم يتمكنوا منه؛إما لفقد قدرة أو علم أو آلة.

والمعجز في مصطلح جمهور أهل الشرائع هو الدال على صدق النبي في دعواه النبوة.

وله شروطٌ كثيرة في كونه دالا على النبوة منها ما يلي :

١-أن يعجز البشر عنها وعن ما يقاربها.

لأن ما يقدرون عليه يشترك فيه الصادق والكاذب، فيصح أن يقارن دعوى كل واحد منهما فلا يميز الصادق منهما، وكذا لو قدر على ما يقاربها فإنه قد يندر صاحب علم أو حرفة يفوق فيهما أهل زمانه وغيرهم، ولا يدل ذلك على نـــبوة لو فرضنا أنه تحدى به، وإنما يكون ذلك دليلا على النبوة لو بلغ في ذلك المبلغ الذي يقع معه الجزم بأن ما فعله ليس في مقدور نوع البشر الإتيان به أو بمُقاربه.

٢-أن تكون ناقضة للعادات.

لأنـــه إنما يدل على صدق الدعوى كونه ناقضا للعادة ولولا صدق الدعوة لما ظهرت المعجزة، فلا يمكن أن يقال:لولا صدق هذا النبي لما طلعت الشمس اليوم، لأنها طلعت اليوم لما له طلعت أمس.

٣-أن تكون في زمان التكليف.

وذلك لما ورد أنه عند أشراط الساعة تنتقض العادات؛فيكون لانتقاضها سبب هو غير صدق الدعوى.

٤-أن تكون في زمان دعوى النبوة.

فـــلا بد من حصول المعجزة في حال دعوى النبوة، لأن صدق الدعوى صفة للدعوى ولا يجوز حصول الصفة دون حصول الموصوف.

٥-أن تكون من فعل الله تعالى أو بأمره وتمكينه .

---

[391]- انظر ابن كمونة، سعد بن منصور،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص ٧-٨، والجديد في الحكمة، ص ٤٥٥ .

فهي بإذن الله تعالى؛ لأنه لا يدل على تصديق الدعوى على صدقها إلا إذا كان المصدق أو الآمر بالتصديق أو الممكن منه حكيما،ولا فرق عند العقلاء بين أن يعطي الإنسان خاتمه لمن يجعله علامة ودلالة على أنه رسوله وبين أن يمكنه من أخذه وهو يعلم أنه يدعي أنه رسوله، ولهذا استوى فعل التصديق والتمكين منه في الدلالة على الصدق.

فإذا اجتمعت هذه الشروط تحقق العلم -عند ابن كمونه- أن انتقاض العادة متعلق بالدعوى، ولأجله انتقضت، فيكون تصديقا للدعوى كما أنّ من قال لغيره إن كنت رسولك فضع يدك على رأسك، فإذا فعل ذلك كان جاريا مجرى قوله:صدقت في دعواك الرسالة، فإذا كانت المعجزة تصديقا لمدعي النبوة وكان الله تعالى لا يجوز أن يصدق كاذبا ثبت أنه صادق.

ويقسم ابن كمونة [392] المعجزات إلى قسمين هما:

القسم الأول:المعجزات القولية، وهذه يكون لها الخواص أطوع.

القسم الثاني:المعجزات الفعلية، وهذه يكون لها العوام أطوع، وهي لا تتم بدون القولية لضرورة الدعوى إلى الخير.

ويرى ابن كمونه أن من اليهود من دان باعتقاد لا بمجرد المعجزات بل بقرائن تنضم إليها فأنهم ادّعوا أن معجزات موسى عليه السلام وإن كانت عظيمة كثيرة ولكن لم يكن إيمان بني إسرائيل بمجردها، بل بسماعهم الخطاب من الله تعالى لموسى عليه السلام في جبل الطور-والعياذ بالله تعالى من إفكهم-فعلموا نبوته بالوجدان* كما يعلم النبي نبوة نفسه علما ضروريا،ثم نقلوا ذلك إلى من بعدهم نقلا متواترا، وزعموا أن بذلك حصل لهم الإيمان التام لا بطريق الاستدلال بما ظهر من المعجزات فإن معجزات موسى عليه السلام وإن كانت مما لا يسع عاقل تجويز الحيلة فيها كانفلاق البحر، وانقلاب الماء دما، وإهلاك كل بكر في بلد مصر من الناس والحيوان إلا ما كان مختصا ببني إسرائيل، والتظليل بالغمام، وإنزال المن مدة أربعين سنة على أمة عظيم عددها، وأمثال ذلك من معجزاته عليه السلام فهي لا تفيد إلا الظن الغالب عندهم، بينما الخطاب للأمة فأمر لم يحصل في غير نبوة موسى عليه السلام.

---

[392]- ابن كمونة، سعد بن منصور،الجديد في الحكمة، ص٤٥٧.

* الزعم بعلم النبوة بالوجدان باطل لا دليل عليه؛ لأن سماعهم كان عن طريق موسى عليه السلام لا كما زعم ابن كمونة.

ويذكـــر ابـــن كمـــونة أن مـــن الـــيهود من أوجب تصديق الله تعالى للمتحدي بالمعجزات بالصفات التي ذكرت للمعجـــزة،ولكنهم لا يـــسلمون تواتر معجزات مستجمعة للشرائط الموجبة للتصديق لغير موسى وغيره من الأنبياء التابعين له الذين يعترفون بنبوقم[393] .

ونجد القرآن الكريم يوبخ بني إسرائيل على طغيانهم وعدم انتفاعهم بدلالة المعجزات على صدق الأنبياء فكان ذلك مأخذا عليهم لجحدهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد عهدوا المعجزات الكثيرة التي جرت على أيـــدي أنبيائهم فهم أدرى بدلالتها على صدق الأنبياء من غيرهم، فكان واجبهم المسارعة للإيمان لا السعي في تحريف دلالة المعجزات التي تفيد علم اليقين بصدق من ظهرت على يديه؛ لأن ذلك يوجب شديد العقاب[394] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾ البقرة: ٢١١

ثم إن اســـتجابة السحرة لدلالة معجزة سيدنا موسى عليه السلام على صدقه لهي خير دليل ملزم لليهود بأن يـــسيروا على منهجهم في الاستجابة للحق عند ظهور براهينه، وعلى الرغم من الخطر الذي كان يتهدد السحرة من فرعون وجنده .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١١٧ - ١٢٢

---

[393]- انظر ابن كمونة، سعد بن منصور، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، ص٤٤-٤٥ .

[394]-انظر عتر، د.حسن ضياء الدين، المعجزة الخالدة عظمة معجزات القرآن-شهادة العالم بإعجاز القرآن-دراسة أسلوبه البياني-إعجازه العلمي والتشريعي والخلقي-آثاره في اللغة والأدب-نقض مزاعم المستشرقين،جميع الحقوق محفوظة للمولف،الطبعة الثانية، ١٩٨٩م ، ص٧٧-٧٩ .

المطلب الثالث: دلالة الخوارق على صدق النبي في النصرانية

تظهر دلالة الخوارق في النصرانية من خلال ما يعتقده النصارى كما يلي:

١-إنهـــا برهان لمجد المسيح، و لم يكن في أحواله الدنيوية ومعيشته الجسدية ما يدل على مجده الإلهي في نظر النصارى، ولذلك كان صنعه المعجزات بقوته الذاتية دليلاً قاطعاً على أنه قادر على كل شيء، وأن في يده كل سلطان، وأنه الله[395].(والعياذ بالله تعالى من إفكهم) .

٢- إنهـــا إعلان عن أهداف المسيح لخير البشر الروحي وإنقاذهم من شقاء الحال الذي سقطوا فيه، فكانت معجزاته شفاء أمراض البشر الجسدية ورفع بلاياهم وبركته عليهم وإصلاح أحوالهم. وأعلنت هذه أنه المنقذ العظيم من المصائب الروحية، وأنه سيطهّرهم من آثامهم ويُدخلهم الراحة السماوية، فكما وهب البصر لعيون العميان هكذا يهب البصيرة لقلـــوبهم، وكما أقام الموتى بالجسد هكذا يقيم موتى الخطايا ويقوي آمالهم بأنه سيترع سلطان إبليس وكل جنوده، ويخلص شعبه من عبودية ذلك العدو.

٣- إنهـــا دليل على سمو شأن الشريعة الأخلاقية وأهميتها، لأن المعجزات تُريَ النصارى أن ثبات القوانين الطبيعية أمر ثانـــوي عـــند الله بالنسبة إلى ثبات الشريعة الأخلاقية*، وأنه لا يتأخر عن توقيف قوانين الطبيعة لأهداف أخلاقية، ولإثـــبات سلطته على أرواح البشر. فإن المعجزات تدل على سمو الأهداف الأخلاقية على كل الطبيعيات، كما تدل على قوة (المسيح) وأمانته وحكمته ورحمته، فهو يُجري الأعمال الفائقة لخير البشر، كإعلان نفسه(أي المسيح حسب زعم النصارى) لهم وتحريرهم من عبودية الخطية.

كمـــا يـــستدل النصارى بالخوارق على صدق الكتاب المقدس ؛ لأن كَتَبَته من وجهة نظرهم أثبتوا صدق رسالتهم وتعالـــيمهم بصنعهم المعجزات علانية أمام أعين البشر. وبما أنهم كانوا أمناء يخافون الله، مجتهدين في العيشة الطاهرة وصـــنع الخير والإحسان لبني جنسهم، يُستبعد أن تكون معجزاتهم أكاذيب قصدوا بها خداع البشر، خاصةً إذا نظر النصارى لكثرة عددها وأشكالها، ولفظاعة نسبة الخداع إلى المسيح.
فالمعجزات هي ختم الله على كل تعاليم رُسُله عند النصارى.
قال القديس أغسطينوس: «لولا المعجزات لما كنتُ مسيحياً»[396].

---

[395]-انظر أسطورة الإله المتجسد، القرافي،أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،ص١٤٦ .

* تركيز النصارى على الجانب الروحاني على حساب العقل في فهمهم للخوارق هو في تقديري يشكل مدخل الغلو النصراني في توجيه دلالة الخوارق هذا الوجهة التي تخدم معتقداتهم في المسيح عليه السلام .

[396]- أنس ،القس جيمس،علم اللاهوت النظامي، ص٣٠٣- ٣٠٤ بتصرف .

المبحث الثاني: آية خلق آدم عليه السلام

مـــن المناسب قبل بدء الحديث عن معجزات الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- في اليهودية والنصرانية والإسلام أن نستحدث عن قاسم مشترك بين هذه الأديان الثلاث ألا وهو الحديث عن آية ربانية تتعلق في بداية خلق الإنسان مع الإشارة إلى بعض التفاوت في نقل تفاصيل أخبارها، ولا سيما التي جاءت بها التوراة عما هو مقرر في القرآن الكريم ، فقـــد جعـــل المولى عز وجل من خلق آدم عليه السلام آية ربانية تحمل عنوان القدرة الإلهية لكل الذرية من بعده التي تتوارث الخلافة التي أنيطت بأبيها عليه الصلاة والسلام على مر العصور إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها،

وحيث أخبر الله تعالى عن بعض الغيوب المتعلقة بخلق الإنسان ومنها ما كان من سجود الملائكة عليهم السلام لآدم عليه السلام، وكيف رفض إبليس اللعين المتكبر الاستجابة لأمر الله تعالى، وذكر بعض ما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام من تعليمه أسماء الأشياء كلها التي عجزت الملائكة عن معرفتها حيث: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ البقرة: ٣٢ ،

ففـــوق كل ذي علم عليم، وفي ذلك رمز لتزويد الإنسان بمفاتيح العلم التي ستساعده على التأهل للتعامل مع تلك المـــسميات التي سخرت لتيسير سبل القيام بواجبات الخلافة التي تقلدها الإنسان، ثم كان الابتلاء بالأكل من الشجرة لآدم عليه السلام وزوجه التي خلقها الله تعالى من ضلع آدم عليه السلام* بسبب فتنة الوسواس الخناس إبليس عليه لعنة الله تعـــالى، ثم الهبوط لدار التكليف والاجتباء لآدم عليه السلام وتوبة التواب الرحيم على عبده الذي لم يكن له عزمٌ على فعل المعصية ،

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ

---

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف: ١٨٩ ،

﴿ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٠ - ٣٧

والــشيء بالشيء يذكر فحينما غالى النصارى في شخص عيسى عليه السلام وافتروا الكذب برفعه عن رتبة البشر حيث ادعوا ألوهيته كانت الحجة قائمة عليهم إلى يوم الدين في ردهم إلى الخلق الأول لأصل الإنسان الترابي الذي هو القمة في الإعجاز لخلق البشر .

فإذا كان الأصل خلق بلا أب ولا أم و لم يخرج عن حدوده البشرية فمن باب أولى أن لا ينسب للفرع الذي خلق من أم بلا أب ما لم ينسب للأب الذي خلق بلا أم ولا أب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩

والتوراة كما هو ملاحظ عليها أغفلت من قصة آدم عليه السلام ذكر ما يلي:

١- عدم ذكر مراحل خلق آدم عليه السلام من تراب الذي جبل بالماء فأصبح طينا ثم تحول إلى حمإ مسنون فلما جف تحول إلى صلصال كالفخار ثم تم نفخ الروح فيه فأصبح بشرا سويا في أحسن تقويم،وجعل نسله من ماء مهين، كما ذكر ها القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ٥٩

فهذه الآية الكريمة تشير للمرحلة الترابية من خلق آدم عليه الصلاة والسلام وهي الأولى.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ ص: ٧١

وهذه الآية الكريمة تشير للمرحلة الطينية من خلق آدم عليه الصلاة والسلام وهي المرحلة الثانية .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الحجر: ٢٨ - ٢٩

وهذه الآية الكريمة تشير إلى المرحلة الثالثة وهي الحمأ المسنون وإلى المرحلة الرابعة وهي الصلصال الذي هو كالفخار وإلى المرحلة الخامسة من خلق آدم عليه الصلاة والسلام وهي تسويته ونفخ الروح فيه ثم تكريمه بسجود الملائكة عليهم السلام له امتثالا لأمر الله تعالى .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ السجدة: ٧ – ٨

وهذه الآية الكريمة تشير لأصل خلق الإنسان الترابي ممثلا بآدم عليه الصلاة والسلام وجعل نسله من ماء مهين .

٢-عدم ذكر حوار الملائكة والاستفسار عن الحكمة من خلق آدم عليه السلام في التوراة .

٣- لا إشارة في التوراة لأمر الملائكة بالسجود عند تسوية خلق آدم عليه السلام ولا إلى رفض إبليس عليه لعنة الله السجود لآدم ولا ذكر كذلك لوسوسته وإغوائه لآدم عليه السلام وزوجه، وإنما كل ذلك جرى بغواية الحية التي عوقبت بمسخها بشكلها الحالي عقابا لها بعد أن كانت كالبختية (الأنثى من الجمال)[397] كما هو معتقد اليهود في التوراة .

٤-الإشارة إلى موضع الجنة في التوراة أنها في الدنيا شرقي عدن ومهمة آدم هي العمل فيها وحفظها وخلق حواء من أجل أن تكون معينا له في عمله، وتلك الجنة لم يكن فيها شجر ولا حيوان قبل خلق آدم عليه السلام .

٥-لا ذكر لتوبة آدم عليه السلام بل يأكل بالتعب،وتضرب آلام المخاض على زوجه التي أغوتها الحية ....الخ

ورد في العهد القديم خبر قصة خلق آدم عليه السلام في سفر التكوين٢ : ٧-٢٥"٧ وجَبَلَ الربُّ الإلَهُ آدَمَ تُرابًا مِنَ الأرضِ، ونَفَخَ في أنفِهِ نَسَمَةَ حياة. فصارَ آدَمُ نَفسًا حَيَّةً.٨وغَرَسَ الربُّ الإلَهُ جَنَّةً في عَدنٍ شَرقًا، ووَضَعَ هناكَ آدَمَ الذي جَبَلهُ.٩وأنبَتَ الربُّ الإلَهُ مِنَ الأرضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهيَّةٍ للنَّظَرِ وجَيِّدَةٍ للأكلِ، وشَجَرَةَ الحياةِ في وسطِ الجَنَّةِ، وشَجَرَةَ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرِّ.١٠وكانَ نهرٌ يَخرُجُ مِنْ عَدنٍ ليَسقيَ الجَنَّةَ، ومِنْ هناكَ يَنقَسِمُ فيَصيرُ أربَعَةَ رؤوسٍ:١١اسمُ الواحِدِ فيشونُ، وهو المُحيطُ بجميعِ أرضِ الحَويلَةِ حَيثُ الذَّهَبُ.١٢وذَهَبُ تِلكَ الأرضِ جَيِّدٌ. هناكَ المُقلُ وحَجَرُ الجَزعِ.١٣واسمُ النَّهرِ الثّاني جيحونُ، وهو المُحيطُ بجميعِ أرضِ كوشٍ.١٤واسمُ النَّهرِ الثّالِثِ حِداقِلُ، وهو الجاري شَرقيَّ أشورَ. والنَّهرُ الرّابِعُ الفُراتُ.١٥وأخَذَ الربُّ الإلَهُ آدَمَ ووَضَعَهُ في جَنَّةِ عَدنٍ ليَعمَلها ويَحفَظَها.١٦وأوصَى الربُّ الإلَهُ آدَمَ قائلاً:"مِنْ جميعِ شَجَرِ الجَنَّةِ تأكُلُ أكلاً،١٧وأمّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرِّ فلا تأكُلْ مِنها، لأنَّكَ يومَ تأكُلُ مِنها موتًا تموتُ".١٨وقالَ الربُّ الإلَهُ:"ليس جَيِّدًا أنْ يكونَ آدَمُ وحدَهُ، فأصنَعَ لهُ مُعينًا نَظيرَهُ".١٩وجَبَلَ الربُّ الإلَهُ مِنَ الأرضِ كُلَّ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ وكُلَّ طُيورِ السماءِ، فأحضَرَها إلَى آدَمَ ليَرَى ماذا يَدعوها، وكُلُّ ما دَعا بهِ آدَمُ ذاتَ نَفسٍ حَيَّةٍ فهو اسمُها.٢٠فدَعا آدَمُ بأسماءٍ جميعَ البَهائمِ وطُيورَ السماءِ وجميعَ حَيَواناتِ البَرِّيَّةِ. وأمّا لنَفسِهِ فلم يَجِدْ مُعينًا نَظيرَهُ.٢١فأوقَعَ الربُّ الإلَهُ سُباتًا علَى آدَمَ فنامَ، فأخَذَ واحِدَةً مِنْ أضلاعِهِ ومَلأ مَكانَها لَحمًا.٢٢وبَنَى الربُّ الإلَهُ الضِّلعَ التي أخَذَها مِنْ آدَمَ امرأةً وأحضَرَها إلَى آدَمَ.٢٣فقالَ آدَمُ:"هذِهِ الآنَ عَظمٌ مِنْ عِظامي ولَحمٌ مِنْ لَحمي. هذِهِ تُدعَى امرأةً لأنَّها مِنِ امرِءٍ أُخِذَتْ".٢٤لذلكَ يترُكُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ ويَلتَصِقُ بامرأتِهِ ويكونانِ جَسَدًا واحِدًا.٢٥وكانا كِلاهُما عُريانَينِ، آدَمُ وامرأتُهُ، وهُما لا يَخجَلانِ".

397- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢ / ص٩ .

و خبر غواية الحية في العهد القديم جاء في تكوين ٣: ١-٢٤ "١وكانت الحَيَّةُ أحيَلَ جميعِ حَيَوانات البَرِّيَّة التي عَملها الـربُّ الإلَـهُ، فقالَتْ للمَرأة:"أحَقًّا قالَ اللهُ لا تأكُلا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الجَنَّة؟"٢فقالَتِ المَرأةُ للحَيَّة:"مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الجَنَّة نأكُـلُ،٣وأمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَة التي في وسط الجَنَّة فقالَ اللهُ: لا تأكُلا منهُ ولا تَمَسّاهُ لئلا تموتا".٤فقالَتِ الحَيَّةُ للمَرأة:"لن تموتا!٥بل اللهُ عالِمٌ أنَّهُ يومَ تأكُلان منهُ تنفَتِحُ أعيُنُكُما وتكونان كالله عارِفَين الخَيرَ والشَّرَّ".٦فرأتِ المَرأةُ أنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ للأكلِ، وأنَّها بَهِجَةٌ للعُيونِ، وأنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ للنَّظَر. فأخَذَتْ مِنْ ثَمَرِها وأكَلَتْ، وأعطَتْ رَجُلها أيضًا معها فأكَلَ.٧فانفَتَحَتْ أعيُنُهُما وعَلِما أنَّهُما عُريانانِ. فخاطا أوراقَ تينٍ وصَنَعا لأنفُسِهِما مآزِرَ.٨وسمعا صوتَ الربِّ الإلَهِ ماشيًا في الجَنَّةِ عِندَ هُبوب ريحِ النَّهارِ، فاختَبأ آدَمُ وامرأتُهُ مِنْ وجـهِ الربِّ الإلَـهِ في وسط شَجَرِ الجَنَّة.٩فنادَى الربُّ الإلَـهُ آدَمَ وقـالَ لهُ:"أين أنتَ؟".١٠فقالَ:"سمِعتُ صوتك في الجَنَّة فخَشيتُ، لأنِّي عُريانٌ فاختَبأتُ".١١فقالَ: "مَنْ أعلَمَكَ أنَّكَ عُريانٌ؟ هل أكَلتَ مِنَ الشَّجَرَة التي أوصَيتُكَ أنْ لا تأكُلَ منها؟"١٢فقالَ آدَمُ: "المَرأةُ التي جَعَلتَها مَعي هي أعطَتني مِنَ الشَّجَرَةِ فأكَلتُ".١٣فقالَ الربُّ الإلَهُ للمَرأة:"ما هذا الذي فعَلتِ؟". فقالَتِ المَرأةُ:"الحَيَّةُ غَرَّتني فأكَلتُ".
١٤فقـالَ الربُّ الإلَهُ للحَيَّة: "لأنَّكِ فعَلتِ هذا،مَلعونَة* أنتِ مِنْ جميعِ البَهائمِ ومِنْ جميعِ وُحوشِ البَرِّيَّة. علَى بَطنِكِ تسعَينَ وتُـرابًا تـأكُلينَ كُـلَّ أيّـامِ حَياتِك.١٥وأضَعُ عَداوَةً بَينَكِ وبَينَ المَرأةِ،وبَينَ نَسلِكِ ونَسلِها. هو يَسحَقُ رأسَـكِ،وأنتِ تسحَقينَ عَقِبَهُ".١٦وقالَ للمَرأة:"تكثيرًا أُكَثِّرُ أتعابَ حَبَلِكِ،بالوَجَعِ تلِدينَ أولادًا.وإلَى رَجُلِكِ يكونُ اشـتياقُكِ وهو يَسودُ علَيكِ".١٧وقالَ لآدَمَ: "لأنَّكَ سمِعتَ لقَولِ امرأتِكَ وأكَلتَ مِنَ الشَّجَرَةِ التي أوصَيتُكَ قائلاً:لا تأكُلْ منها،مَلعونَةٌ الأرضُ بسَبَبِكَ. بالتَّعَبِ تأكُلُ مِنها كُلَّ أيّامِ حَياتِكَ.١٨وشَوكًا وحَسَكًا تُنبِتُ لكَ،وتأكُلُ عُشبَ الحَقلِ.١٩بعَرَقِ وجهِكَ تأكُلُ خُبزًا حتَّى تعودَ إلَى الأرضِ التي أُخِذتَ مِنها. لأنَّكَ تُرابٌ، وإلَى تُرابٍ تعودُ".٢٠ودَعا آدَمُ اسـمَ امرأتِهِ "حَوّاءَ" لأنَّها أُمُّ كُلِّ حَيٍّ.٢١وصَنَعَ الربُّ الإلَهُ لآدَمَ وامرأتِهِ أقمِصَةً مِنْ جلدٍ وألبَسَهُما.٢٢وقالَ الـربُّ الإلَهُ:"هوذا الإنسانُ قد صارَ كواحِدٍ مِنّا عارِفًا الخَيرَ والشَّرَّ. والآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ ويأخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الحياة أيضًا ويأكُلُ ويَحيا إلَى الأبدِ".. ٢٣فأخرَجَهُ الربُّ الإلَهُ مِنْ جَنَّةِ عَدنٍ ليَعمَلَ الأرضَ التي أُخِذَ مِنها.٢٤فطَرَدَ الإنسانَ، وأقامَ شَرقيَّ جَنَّةِ عَدنٍ الكَروبيمَ، ولهيبَ سيفٍ مُتَقَلِّبٍ لحِراسَةِ طريقِ شَجَرَةِ الحياةِ".

فهذه حكاية التوراة عما يعتقد أهلها في قصة خلق آدم، وهي فيها ما فيها من الأمور التي تبرر سبل المعصية لتسهيل مهمـة آدم في العهـد القديم لكي يرتقي إلى رتبة الألوهية، والقدرة على التمييز بين الخير والشر بلا ذكر لنسيان أو لتوبـته، وهـذه من جوانب المخالفة الصريحة لما هو معول عليه في القرآن الكريم من آيات بينات قد أظهرت زيف وبطلان الخرافات والأساطير التي نسجها كتاب التوراة فيما هو متعلق بقصة آدم عليه الصلاة والسلام، والتي هي في حقيقة الأمر تكشف عن مدى تأثر الرواية التوراتية بوحي خيال من كتبها، كما يظهر ذلك بأنه لم يخرج في تصوره

* لـو كانـت الحية ملعونة بسبب الإغواء كما يزعم اليهود في عهدهم القديم لما جعل الله تعالى معجزة موسى عليه السلام العصا التي انقلبت لحية تسعى تلقف ما فعله السحرة، مع ضرورة العلم بأن أصل هذا الزعم من نسبة الغواية للحية، وليس لإبليس- لعنه الله تعالى- يكذبه القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ البقرة: ٣٦ .

انظر الباش، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة- دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ج١/ص٦٥ .

للإله والجنة والملائكة عن حدود الأوصاف البشرية، وما يتعامل معه البشر، وفي ذلك إشارة لارتباط إيمان كتبة التوراة بعالم الشهادة فقط وإغفال ذكر عالم الغيب وما يتعلق به من قضايا الإيمان، ومن ذلك مثلا علم الإله القاصر عن معرفة مكان آدم كما ذكرت التوراة، تكوين٣ : ٩ " ٩فنادَى الربُّ الإلَهُ آدمَ وقالَ لهُ:"أين أنتَ؟".

فالهبوط للأرض كان بحق إعلان بداية الصراع بين بني آدم الذي تقلد منصب الخلافة مع العدو اللدود إبليس عليه لعنة الله تعالى الذي أعلن تمرده على أمر الله تعالى وأخذ على عاتقه محاربة آدم وذريته إلى يوم الدين بعد أن كان السبب الرئيس في شقاء بني آدم وليست المرأة كما يزعم أهل الكتاب فقد عمل اللعين على الوسوسة من أجل إخراج آدم وزوجه من الجنة بكل حيلة ممكنة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص: ٧١ – ٨٣

فإذا كانت الملائكة عليهم الصلاة والسلام أول من نجح في الاستجابة لأمر السجود لآدم عليه السلام امتثالا لأمر الله تعالى،فقد كان إبليس أول من استحق لعنة الله تعالى إلى يوم الدين لغروره الذي دفعه للتكبر ورفض الاستجابة لأمر الله تعالى .

ومع هذا لم تنقطع الصلة بين السماء والأرض فقد كان استمرار نزول الوحي الإلهي يمثل عنوان اتصال بين الإنسان وخالقه عز وجل إلى أن ختمت النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ٣٥ – ٣٦

والقرآن الكريم عندما سكت عن قص أخبار بعض الرسل يلزم من ذلك أن هناك معجزات جرت لهم لم نعلم خبرها لأنها طويت مع غيب صفحات أهلها من الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى علينا في كتابه المبين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤

وبعـــد هـــذه الإشارات الخاطفة عن قصة سيدنا آدم عليه السلام فيما هو متلو في القرآن الكريم التي ترمي لرسم مقدمات تكشف عن بعض أسرار بداية حياة هذا المخلوق الذي كرمه الله تعالى وسخر له ما في الكون ليساعده على حمـــل الأمانة التي سيحاسب على التقصير فيها كل إنسان بلغ الحلم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم.

كما أنه لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الإشارة إلى معتقد اليهود والنصارى في قصة آدم عليه السلام ولا سيما التي تعطي انطباعا عن مدى تسلل الخرافات والمعتقدات الخفية في نفوس اليهود بصفة خاصة التي تظهر بعض ملامح الخلل الحاصـــل في معتقداتهم وانحسارها بفكرهم البشري القاصر الذي لم يتجاوز حدود الزمان والمكان الذي عاشوا فيه، فعـــندما تُعـــرض كثير من معتقداتهم على أي مقياس عرفته البشرية سواء كان دينيا أو عقليا أو علميا أو تاريخيا أو جغـــرافيا وغيرها من المقاييس،فلا بد من الوقوف في نهاية الأمر على كثير من المثالب التي تفرزها تلك المقاييس بكل تأكيد .

ولقد وافق النصارى اليهود فيما يتعلق بمعجزات الأنبياء وسيرهم التي نصت عليها التوراة، ولكنهم لهم زيادة على ما جاء في التوراة خصوصية الإسهاب في الحديث عن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام في الإنجيل، ورسله من بعده . وهم ينظرون لمعصية آدم بأنه ذاتي العصيان عند النصارى، ولا يفارقه العصيان هو وذريته إلا بالفداء الصليبي المزعوم عند النصارى، بينما القرآن الكريم يذكر معصية واحدة لآدم عليه السلام بتسويل من إبليس اللعين، ولا يسري أثرها على غيره من البشر، وقد اصطفاه الله تعالى وتاب الله تعالى على آدم منها، ولا وراثة لذريته للمعصية في الإسلام[398] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ طه: ١٢٢

وأمـــا بالنسبة لدراسة معجزات الأنبياء عليهم السلام في الإسلام ستأخذ -بإذن الله تعالى- مسار الحديث عن بعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي قصها القرآن الكريم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع عدم الإسهاب في ذكر قصصهم مع أقوامهم؛ لأن هدف البحث هو إبراز جانب المعجزة من أخبارهم التي قصها القرآن الكريم وهم : نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ونوح، هود،صالح، إبراهيم، لوط، شعيب، موسى، سليمان، داود، يونس وعيسى عليهم الصلاة والسلام والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

398- انظر الصادقي،محمد، عقائدنا، ص٣٣٢ .

المبحث الثالث: التناول القرآني لمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

المطلب الأول: معجزة القرآن الكريم

المقصد الأول: القرآن في اللغة

مادته: قَرَأَ [399]

القرآن في اللغة:مصدر قرأ، وهو على وزن فُعْلان.

ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾
القيامة: ١٦ - ١٨

ثم أصبح علما خاصا بالكتاب العزيز وعلى كل آياته الكريمة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾
الإسراء: ٩

وروعي في تسميته كتابا التلاوة بالألسن، والتدوين بالأقلام، وذلك من قبيل التسمية بالمعنى الواقع عليه، وفي ذلك إشـــارة بـــضرورة الاعتناء بحفظه في كلا الموضعين، أي في الصدور والسطور وفي ذلك تطبيق للوعد الإلهي الذي قد تكفل بحفظه[400] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

المقصد الثاني: القرآن في الاصطلاح

يعرف القرآن الكريم في الاصطلاح بأنه: هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة[401] .

وهناك تعريف يضيف قيوداً لم يذكرها التعريف السابق وهي: المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته. فيكون التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم أنه: هو كلام الله تعالى، المنزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلا متواترا بلا شبهة، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، المتعبد بتلاوته[402] .

---

[399]- ابن منظور، لسان العرب، ج١/ ص ١٢٨ .

[400]- انظر دراز، د. محمد عبدالله،النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن،دار القلم،ط٣ ،١٩٨٨م، ص١٢-١٣ .

[401]- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص٤٨٤ .

[402]- الدوري، قحطان عبد الرحمن، وعليان رشدي محمد، أصول الدين الإسلامي، ص٢٧٥-٢٧٦ .

المقصد الثالث:خصائص القرآن الكريم

للقرآن الكريم جملة من الخصائص نذكر منها ما يلي[403]:

١-أنه كلام الله تعالى المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢

وغيره من الكتب تعرض للتحريف والتبديل والزيادة والنقصان والتضارب والاختلاف؛ فكان له كلمة الفصل في فض النزاع في أكثر قضايا الخلاف، ولا سيما التي عند أهل الكتاب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ النمل: ٧٦

٢-يعتبر القرآن الكريم المعجزة الباقية التي فيها الكفاية في إقامة الحجة على العالمين بخلاف المعجزات السابقة التي تنحصر بقوم معينين ولا يبقى سوى الحديث عنها بعد وفاة النبي الذي ظهرت على يديه، فالقرآن الكريم معجزة مستمرة الظهور وهو دليل فيه الكفاية على صدق النذير المبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم في بعثته وبعد وفاته عليه الصلاة و السلام، فهو يخاطب العقول المتزنة والقلوب المؤمنة التي تخشع لنور الحق المبين من رب العالمين في كل زمان وإلى قيام الساعة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾
العنكبوت: ٥٠ – ٥١

٣- وهو يعد المعجزة الخالدة التي تقطع بصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقيم الحجة على المخالف ويوجب على المؤمنين به العمل بما فيه من أحكام وشرائع في دار التكليف؛ لأنه وقع العلم الضروري بصدقه وصدق ما جاء به من أحكام ولاسيما أن الذي ظهر على يديه نبي أمي أكرمه الله تعالى بالرسالة الخاتمة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٨

٤-وهو على خلاف حال الآيات المادية السابقة التي ظهرت على أيدي المرسلين عليهم السلام التي ينقطع بظهورها التكليف وينزل العقاب على الجاحدين لها ولا ينفع عندها الإيمان لمن لم يكن قد آمن من قبل[404] .

[403]– انظر عتر، حسن ضياء الدين،المعجزة الخالدة، ص١٠٦-١٢٣، وأبو زهرة محمد،المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٨٩-٣٩٦ .

[404]–انظر مسلم، د.مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، ص٢٦-٣١ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ غافر: ٨٤ – ٨٥

٤-لقد بنيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على معجزة القرآن الكريم، وإن كان قد ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام الكثير من المعجزات المادية التي ظهرت في أوقات خاصة،وأحوال خاصة، وعلى مرأى ومسمع من أهل زمانه،ما بلغ القدر المشترك منها حد التواتر، وإن كان تفاصيلها آحادا، كتسبيح الحصى في كفه، وتكليم الجمادات والحيوانات، ونبع الماء من الأصابع، وظهور البركة في الأطعمة والأشربة، وغير ذلك مما لا يحصى[405] .

ولكن تميز القرآن الكريم أنه كتاب الله تعالى وهو البرهان القاهر فقد قهر القوم الذين تحداهم بلغتهم وفصاحتهم التي اشتهروا بها وبرعوا بفنونها وأساليب بيانها ومع ذلك عجزوا أمام ما جاء من نور الحق المبين الذي نزل بلسانهم وهم أهل الذلاقة والبيان، ويلزم من ذلك أن غيرهم أعجز عن معارضته ولو اجتمعوا على ذلك[406] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٩

٥- وهو الكتاب الوحيد الذي وقع به التحدي من رب العالمين، فلم يجر التحدي بالكتب السابقة من توراة وإنجيل.

وقد وقع التحدي على مراحل فيها تهكم ظاهر بمن غالى بحدود قدرة الخلق التي تتصاغر أمام عظمة خالقها، فكانت المرحلة الأولى التحدي بالإتيان بمثله فعجزوا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

ثم تنزل معهم إلى الإتيان بعشر سور مثله، ولكنهم عجزوا كذلك.

405- انظر العدوي، الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالدردير ت١٢٠١هـ،شرح الخريدة البهية في علم التوحيد،تحقيق وتعليق عبد السلام عبد الهادي شنار،دمشق-سوريا،دار البيروتي،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ص١١٥ .

406- انظر الباقلاني، محمد بن الطيب ت٤٠٣هـ ،إعجاز القرآن ،بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١ ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٩-١٢ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

هود: ١٣ - ١٤

ثم استقر التحدي على الإتيان بسورة من مثله كسورة العصر[407] ، ولكنهم تيقنوا أنهم لن يفعلوا ذلك، فوجب الحذر من النار التي أعدت للكافرين، ولاسيما أن الدواعي قائمة على التحدي والأعذار منقطعة عنه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾

البقرة: ٢٣ – ٢٤

وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

يونس: ٣٨

٦–وهو الكتاب المصدق لما قبله من الكتب المهيمن عليها الناسخ لها .

فالقـــرآن الكريم من جنس الكتب السماوية السابقة،ولكنه انفرد بالإعجاز من بينها،وبقي الحارس الأمين لنصوص الوحـــي الإلهـــي من كل دخيل حيث يظهر ما تمس الحاجة إليه من بيان للحقائق والعقائد التي تعرضت للتحريف أو التـــبديل أو حتى للإخفاء من نصوص الكتب السماوية السابقة،فهو مصدق لما بقي منها على أصله، ومصحح لما طرأ عليها من تحريف وغيره[408] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

المائدة: ٤٨

---

[407]– انظر القدر المعجز من القرآن. القطان،مناع،مباحث في علوم القرآن،بيروت–لبنان،موسسة الرسالة،ط٢١ ،١٤٠٧هـــ–١٩٨٦م، ص٢٦٤ .

[408]–انظر نعناعه، د.رمزي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير، دمشق–سوريا، دار القلم، وبيروت –لبنان، دار الضياء،ط ١ ، ١٩٧٠م ، ص٢٩ –٣٠ .

٧-وهو الكتاب الموحى به من رب العالمين المفصل الآيات المتواتر النقل لإقامة الحجة على العالمين جميعا على مر العصور.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ هود: ١

وهو ذكرٌ للعالمين جميعا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ ﴾ يوسف: ١٠٤

وهو ذكر مبارك لا مجال للشك فيه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٥٠ ﴾ الأنبياء: ٥٠

٨-سمو مكانته وعلو شأنه فهو يعلو وما يُعلَى عليه[409].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ الحشر: ٢١

٩-وهو كتاب متعبد بتلاوته ولا تصح الصلاة إلا به؛ فبلغته قد توحدت لغة العبادة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ۝٢٠ ﴾ المزمل: ٢٠

١٠-وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه و لم يكل ذلك لأحد من خلقه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ الحجر: ٩

409- انظر الدوري، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٤٠٢-٤٠٣.

المقصد الرابع: إعجاز القرآن الكريم

حد الإعجاز: هو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر، ويعجزهم عن معارضته[410].

و الحقيقة الكبرى التي ينبغي السير على ضوئها بالنسبة لإعجاز القرآن الكريم: أنه قد تقرر عمليا عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله بكل ما يحمله لفظ الإعجاز من معنى حتى أن الحرف الواحد منه في موضعه من كتاب الله تعالى لا يغني عنه غيره ولو على مستوى مخرجه الصوتي في تماسك الكلمة وروعة بيانها[411] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **" مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"**[412] .

لإعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه وحي من عند الله تعالى أوجه عدة منها ما يلي[413] :

الأول: فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين .

فجميع ألفاظه فصيحة لا تعقيد فيها ولا غموض، لا تنبو عن السمع، وعباراته مطابقة لمقتضى الحال إلى أرفع مستوى من البلاغة، يحس بطلاوته ورقته وروعته وعذوبته مَنْ له أدنى ذوق باللسان العربي المبين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢

الثاني: نظمه العجيب وأسلوبه الغريب من قواطع آياته وفواصل كلماته .

فلو بحثنا عن مفردة أخرى لنضعها مكان مفردة من مفردات القرآن الكريم بحيث تبقي على الإعجاز القرآني لما استطعنا إلى ذلك سبيلا[414] .

---

[410]- الجرجاني، التعريفات، ص١٤٦ .

[411]- القطان،مناع،مباحث في علوم القرآن،بيروت-لبنان،مؤسسة الرسالة،ط٢١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٦م،ص٢٦٢-٢٦٤ بتصرف .

[412]-البخاري ،صحيح البخاري، ج٤/ص١٩٠٥/رقم الحديث٤٦٩٦ .

[413]- الكلبي، محمد بن أحمد بن جزيّ،التسهيل لعلوم التنزيل،بيروت-لبنان،دار الكتاب العربي،ط٤ ، ١٩٨٣م، ج١/ص١٤،و انظر أبو زهـرة ،المعجزة الكبرى القرآن، ص ٨٦-٩٢، والدوري قحطان عبد الرحمن وعليان رشدي محمد،أصول الدين الإسلامي، ص ٢٧٩-٣٠٧ ، ،وانظـر المـاوردي، علي بن محمد،أعلام النبوة،ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه،الشيخ خالد عبد الرحمن العك،بيروت-لبـنان،دار النفائس، ط ١ ، ١٩٩٤م، ص١٢٧-١٥٦،وطهماز،عبد الحميد محمود،المعجزة والإعجاز في سورة النمل،دمشق-سوريا،دار القلم -بيروت-لبنان،دار المنارة،ط١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص١٨-١٩ .

[414]-كما أنه لا ترادف في كلمات كتاب الله تعالى كالحمد والشكر،والخوف والخشية،والفعل والعمل...الخ فلكل كلمة قرآنية دلالتها الإعجازيـة فلا تنوب عنها كلمة أخرى .انظر عباس د.فضل حسن عباس وسناء فضل، إعجاز القرآن الكريم،عمان-الأردن، دار النشر غير معروفة،ط غير معروفة، ١٩٩١م، ص١٧٥-١٨٨ .

الثالث: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله .

فالقـــرآن الكريم معجز عجز الإنس والجن عن الإتيان ولو بسورة من مثله مع تحديه للعرب وهم أرباب الفصاحة والبيان شعرا ونثرا وانعدام المانع من معارضته من بكم أو خرس فضلا عن حرصهم الشديد على معارضته؛ لأنه يسفه عبادتهم،ويسخر من عقولهم طوال مدة نزوله[415] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨

الرابع: ما أخبر فيه عن الغيوب الماضية والحاضرة في زمن نزوله والغيوب المستقبلية التي لم تقع بعد[416] :

أ-فمـــن أخبار الغيب الماضي أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية حيث لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم ذلك من أحد ولا قرأه في كتاب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

العنكبوت: ٤٨

فأخـــبر عـــن قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم كآدم ونوح وإبراهيم وهود وصالح عليهم السلام وما حصل لأقوامهم من إهلاك بسبب كفرهم بآيات الله تعالى، ولم يكن ذلك مدونا في كتب أو يحفظه أحد قبيل زمن بعثة النبي الأمي عليه الصلاة والسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩

ب-كما أخبر عن غيب الحاضر، فتحدث عن الملائكة والجن، وعن الجنة والنار، وعن خفايا أحوال المنافقين كالغرض من اتخاذهم لمسجد الضرار.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ التوبة: ١٠٧

415-انظر الباقلاني،البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، ص٢٧-٣٠ .

416-انظر عتر، حسن ضياء الدين،المعجزة الخالدة،الطبعة الثانية، ١٩٨٩م، ص ٢٨٠-٣١٥ .

ج- ما أخبر فيه عن الغيوب المستقبلة التي وقعت على حسب ما قال.

ومن ذلك الإخبار عن نصر الروم في بضع سنين من انتصار الفرس عليهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ الروم: ١ - ٥

وقد انتصر الروم على فارس في السنة الثانية للهجرة بعد تسع سنوات من نزول الآية الكريمة، وقد كان حدثا مفاجئا؛ لأنه جاء على خلاف القرائن والدلالات الظاهرة وما هو مقدر في حسبان البشر حيث إن دولة الروم كانت تمر في تلك الأيام بمرحلة عسيرة بعدما تعرضت لهزيمة ساحقة على أيدي الفرس الذين كانت دولتهم في أوج مجدها، وكمال قدرتها وقوتها، وحزم حاكمها ورباطة جأشه وشدة سطوته، ومع ذلك تحقق ما أخبر به الكتاب العزيز ألا وهو نصر الروم على الفرس في بضع سنيين فسبحان علام الغيوب[417].

الخامس: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله وذكر صفاته وأسمائه الحسنى،

وما يجوز عليه وما يستحيل عليه ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده وإقامة البراهين القاطعة والحجج الواضحة والرد على أصناف الكفار، وذلك كله يعلم بالضرورة أنه لا يصل إليه بشر من تلقاء نفسه بل بوحي من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة وعظم جلاله ذلك التعظيم ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس: ٣

السادس: ما شرع فيه من الأحكام، وبين من الحلال والحرام وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمرة العلوم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ النحل: ٩٠

[417]- الندوي، محمد ولي الله، نبوءات الرسول ما تحقق منها وما يتحقق، قدم له سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي، القاهرة-مصر، دار السلام، ط٨، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص٢٢ بتصرف.

السابع: كونه محفوظا عن الزيادة والنقصان محروسا عن التغيير والتبديل على طول الزمان بخلاف سائر الكتب،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

الثامن: تيسيره للحفظ، وذلك معلوم بالمعاينة،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧

وهـــذا ما يفسر سرعة انتشاره بين الآفاق في زمن يسير من وقت ظهوره، فهو بحق غذاء العقول التي سمت عن سموم مرتع الجاهلية،

التاسع: كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة الترديد بخلاف سائر الكلام[418] ،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٤

العاشر: ما جاء فيه من الإشارات العلمية التي أكد صدقها العلم الحديث ،

ومن ذلك دوران الأرض،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

يس: ٣٨ - ٤٠

فجاءت المراصد الحديثة لتؤكد صدق الحقيقة العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم بأن كل الأجرام السماوية سابحة بما فيها الأرض وهي تسبح ضمن مدارها المحدد لها وليست ثابتة،

ومـــن ذلـــك مراحل خلق الجنين حيث كان يعتقد تخلقه دفعة واحدة في الماضي، فجاء العلم الحديث ليشهد بدقة الإعجاز القرآني المتكامل البناء في بيان مراحل خلق الجنين وذكر ترتيبها المعجز أيضا بألفاظ فيها براعة التصوير الحي لنمو الجنين كشف النقاب عن بعض أسرارها العلم الحديث فسبحان الله الخلاق العليم الذي أحاط بكل شيء علما،

418- روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما:" أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقرأ عليه القرآن فكأن رق له فبلغ ذلك أبا جهل ــ فذكر ما جرى بينهما ــ إلى أن قال الوليد: و الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني و لا أعلم برجزه و لا بقصيدته مني و لا بأشعار الجن و الله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا و الله إن لقوله الذي يقول حلاوة و إن عليه لطلاوة و إنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله و إنه ليعلو و ما يعلى و إنه ليحطم ما تحته" . البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين ،شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ،ج١/ص١٥٦ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾ المؤمنون: ١٢ – ١٦

فللقرآن الكريم وجوه إعجاز كثيرة لا تدخل تحت الحصر فهو المعجزة الخالدة والمصلحة لأهل كل زمان ومكان إن أحسنوا تدبرها والأخذ بما فيها جميعا .

ومن تلك الوجوه *لإعجاز القرآن الكريم أيضا ما يلي:

١-الإعجاز من جهة خلوه من التناقض.

٢-الإعجاز من جهة العلوم الخلقية والسياسية التي حواها.

٣-الإعجاز من جهة المعاني التي أخبر بها عن الملائكة والجن وخلق آدم عليه السلام وغير ذلك من أحداث الغيب مما يتعلق بالجنة والنار والثواب والعقاب وأمور المعاد.

٤-الإعجاز من جهة ما فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية والأمثال المضروبة، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا (٥٤) ﴾ الكهف: ٥٤

---

* أغلب وجوه إعجاز القرآن الكريم تعود إلى ما يلي :

١-فصاحة ألفاظه وبلاغة عباراته، وعجيب نظمه.

٢- تأثيره وسلطانه على القلوب، وأخذه بمجامع الأفئدة.

٣-إخباره بوقائع غيبية في الماضي والحاضر والمستقبل.

٤- حقائقه العلمية التي جاء العلم الحديث يؤكدها .

٥-معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه.

٦-القرآن الكريم خالد خلود الدهر، والله تعالى أعلى وأعلم .

انظر الدوري،قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٩١-٤١٧ .

فكل آية في كتاب الله تعالى تدل على نبوة النبي الأمي الذي جاء بهذا الكتاب الكريم بلفظ عربي مبين، وعلى صدق ما جاء به، وقد علمت الخاصة والعامة من الأمم علما متواترا بأنه هو الذي تحدى بهذا الكتاب المعجز أهل الفصاحة والبيان الذين نزل بلغتهم فعجزوا عن معارضته مما يدل على أن سواهم أعجز عن معارضته[419] .

و لم يسلم في نهاية الأمر للعرب أي وجه خطر لهم من وجوه إمكانية معارضة القرآن الكريم من النقد والبطلان .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣

وفي هذا القدر من أوجه إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه وحي من عند الله تعالى ما يفي بالغاية إذ لم يكن المقصد استيفاء جميع وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ لأن هذا مطلب عزيز المنال يفتح منه الله تعالى المنان على أهل العلم في كل زمان بقدر ما تستوعب عقولهم من مستجدات للمعارف والعلوم المتنوعة التي تنير لهم جانبا من الطريق الموصل لفهم أسرار آيات القرآن الكريم كتاب الله تعالى العزيز الحكيم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لقمان: ٢٧

هذا وقد دب الشوق في نفوس أهل العلم لتدبر آياته حتى شغفت قلوبهم في الحديث عن سماته الرفيعة فوصفوه بأنه: "هو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، وهو شفاء الصدور، والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره، بهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه، إلى ما ينشط السامع، ويقرط المسامع، من تجنيس أنيس، وتطبيق لبيق، وتشبيه نبيه، وتقسيم وسيم، وتفصيل أصيل، وتبليغ بليغ، وتصدير بالحسن جدير، وترديد ماله مزيد، إلى غير ذلك مما أجرى من

419- انظر عبد المحسن، عبد الراضي بن محمد،منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى،القاهرة-مصر،الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،ط١ ،١٤١٢هـ-١٩٩٢م، ص٣٥٠ .

الـــصياغة البديعة، والصناعة الرفيعة، فالآذان بأقراطه حالية، والأذهان من اسماطه غير خالية، فهو من تناسب ألفاظه، وتناسق أغراضه، قلادة ذات اتساق، ومن تبسم زهره وتنسم نشره، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق، كل كلمة منه لها من نفسها طرب، ومن ذاتها عجب، ومن طلعتها غرة، ومن بهجتها درة، لاحت عليه بهجة القدرة، ونزل ممـــن لـــه الأمر ، فله على كل كلام سلطان وأمر، بهر تمكن فواصله، وحسن ارتباط أواخره وأوائله، وبديع إشارته، وعجـــيب انتقالـــته، من قصص باهرة، إلى مواعظ زاجرة، وأمثال سائرة، وأدلة على التوحيد ظاهرة، وأمثال بالتتريه والتحمـــيد ســـائرة، ومواقع تعجب واعتبار، ومواطن تتريه واستغفار، إن كان سياق الكلام ترجية بسط، وإن كان تخويفا قبض، وإن كان وعدا أبهج، وإن كان وعيدا أزعج، وإن كان دعوة حدب، وإن كان زجرة أرعب، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان ترغيبا شوّق، هذا، وكم فيه من زوايا وفى زواياه من خبايا ويطمع الحبر في التقاضي فيكشف الخبر عن قضايا فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بإبداع معنى وأغرب أسلوب.

لا يستقصي معانيه فهم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه، والموفق من وفقه الله لتدبره، واصطفاه للتذكير به وتذكره، فهو يرتع منه في رياض، ويكرع منه في حياض"[420] .

فهو بحق كتاب الهداية المعجز الذي فيه غاية الكفاية للبشرية جمعاء . قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ العنكبوت: ٥١ .

---

[420]– الزركشي، محمد بن عبد الله ،البرهان في علوم القرآن، ،بيروت–لبنان،دار المعرفة،الطبعة الثانية،١٩٧٢م، ج١، ص٤–٥ .

المطلب الثاني: معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم

لقد تواتر عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه ادَّعى النبوة بلا خلاف من أحد تواترا ألحقه بالعيان والمشاهدة، كما أنه أظهر المعجزات وبذلك ثبتت نبوته عليه الصلاة والسلام[421]، ومعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نوعان هما:

النوع الأول: القرآن الكريم، وهو خالد خلود الدهر ماثل للعيان في كل حين وآن .

ومعجزة القرآن الكريم أعظم معجزات نبينا الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم –،بل أعظم معجزات الرسل عليهم السلام على الإطلاق، وهو معجزة تحوي الآلاف من المعجزات الواحدة منها تكفي لإقامة الحجة على العالمين، فكيف بها وهي مجتمعة جميعا في كتاب الله تعالى إلى قيام الساعة[422] .

فكتاب الله تعالى لا نظير له؛ فهو معجزة تخاطب النفوس والعقول، وهو منيع الجانب لا يطرأ عليه الخلل أو التنقاض؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤١ – ٤٢

وقد تحدى الله تعالى بالقرآن الكريم فصحاء العرب حيث كانت الفصاحة بضاعتهم النفيسة، ولكنها كسدت أمام عظمة إعجاز القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾
البقرة: ٢٣ – ٢٤

فالقرآن الكريم جاء على نمط مخالف لما جاءت عليه معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهو آية قاهرة واختصت به الرسالة الأخيرة الخاتمة ليبقى معها ما بقيت الدنيا منهاج عقيدة وشريعة وأخلاق وحياة متكاملة .

---

[421]– انظر الدوري،قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، عمان– الأردن، دار العلوم، ط١ ، ٢٠٠٧م، ص٣٨٦ .

[422]–انظر القرافي،الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،المستشار:توفيق علي وهبة،القاهرة–مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص١٠٥ ،وانظر النبهاني،يوسف بن إسماعيل،حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين،حلب–سوريا،مكتبة دار الفلاح،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة،ج١/ص٣ وما بعدها .

إن القرآن الكريم معجز في بنائه التعبيري وتنسيقه الفني، فكله في مستوى واحد في الإعجاز مع تنوع وجوه الإعجاز فيه لا تفاوت ولا اختلاف بين أجزائه،معجز في بنائه الفكري،معجز في يسر دخوله إلى القلوب والنفوس ولمس مفاتيحها،معجز في دقة وصفه لنواميس الكون التي أبدعها الخالق اللطيف الخبير[423] .

والقرآن الكريم مهيمن على كل ما سبقه من الكتب يصدق صدق ما جاء فيها،ويزيف ويكذب كل ما تسرب إليها من الأوهام والخرافات والأساطير التي نسجها خيال المفترين ؛فهو المعجزة الخالدة والحجة الدامغة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه منزل من حكيم حميد بلسان عربي مبين، وهو الميزان الدقيق الذي توزن به عقائد الأمم السابقة، وهو الكتاب الذي حفظ سيرة الأنبياء عليهم السلام من كل تشويه وفرية، وأنصف جهدهم في مقام الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ الدين، وكشف عن مدى حرصهم على هداية أقوامهم على الرغم من كل صدود وجحود، فهو المقوم لكل اعوجاج وتحريف طرأ على الكتب السماوية التي سبقته فآيته فيها فصل الخطاب وحسن البيان مع غاية الإعجاز.

النوع الثاني: معجزات مادية، كمعجزات الرسل والأنبياء السابقين قصيرة الأمد زالت بزوال أيامها*، وبموت من شاهدها ،ولم يبق منها إلا العبرة للمعتبرين[424] .

وقد أجرى الله سبحانه وتعالى على يدي الرسول الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم – معجزات مادية كثيرة عدها بعض العلماء فبلغت أكثر من ألف[425] ، وألّف فيها علماء التوحيد والتفسير والسيرة كتبا كثيرة، وهي أعظم المعجزات دلالة حيث إنها تشهد بصدق كل من تقدمه من الأنبياء والمرسلين مع تواتر نقلها بشكل يقطع بصحة ثبوتها[426] .

423- الموسوعة العربية العالمية، م٢٣/ص٤٤٣، وانظر البغدادي، أصول الدين، ص١٨٢-١٨٤،والجويني، لمع الأدلة، ص١١١-١١٢ .

*وجملة المعجزات (المادية) راجعة لمعان ثلاثة هي : إيجاد معدوم، كخروج الناقة من الجبل بدعاء صالح عليه السلام، وإعدام موجود كإبراء الأكمه، والأبرص بدعاء عيسى عليه السلام، وتحويل حال الموجود كقلب عصا موسى ثعبانا، وكل معجزة كانت لنبي من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكان ما يماثلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إظهارها له ميسرا مسلما .

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،تحقيق الأستاذ محمد علي النجار،القاهرة-مصر، الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الرابع،١٣٨٣هـ،ج١/ص٦٦-٦٧ .

424- انظر الدوري،قحطان، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، ص٣٨٦-٣٨٨ .

425-انظر الأصبهاني،أبو نعيم،دلائل النبوة،حققه د.محمد رواس قلعجي-عبد البر عباس،بيروت-لبنان ،دار النفائس،ط١ ،١٤١٩هـ-١٩٩٩م ،والفيروزآبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،ج١/ص٦٧ ،ومراد،دمصطفى، معجزات الرسول ألف معجزة من معجزات الرسول،الأزهر-القاهرة،دار الفجر للتراث،ط١ ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، ص١٤-٤٣٣ .

426-انظر ابن قيم الجوزية، محمد،، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،ص٢٦٩-٢٧٠ .

والذي أفاده الإمام الجويني أن :"للرسول صلى الله عليه وسلم آيات لا تحصى سوى القرآن؛كانشقاق القمر وإنطاق العجماء، ونبع الماء من خلال الأصابع، وتسبيح الحصى،وتكثير الطعام القليل، وآحاد هذه المعجزات لا تثبت تواترا،ولكن مجموعها يفيد العلم قطعا لاختصاصه بخوارق العادات،كما أن آحاد البذل من حاتم لا تثبت تواترا، ولكن مجموعها يفيد العلم على الضرورة بسخائه، وكذلك القول في جسارة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه،وشجاعته، وأما انشقاق القمر، فقد أنبأت عنه آية من كتاب الله تعالى ثبت نقلها تواترا، فهذا القدر بالغ فيما نرومه"[427] .

ومعجزة الإسراء مما تواتر ذكره كذلك في القرآن الكريم، كمعجزة انشقاق القمر[428] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾ القمر: ١ – ٦

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"اشْهَدُوا"[429] .

فللنبي صلى الله عليه وسلم معجزات كثيرة غير معجزة القرآن الكريم منها ما ورد ذكرها في القرآن الكريم، كمعجزة الإسراء التي ذكرت آنفا، فلا سبيل للشك بصحة ثبوتها ولا بطريق نقلها،فهي بذلك تفيد وجوب العلم

---

[427]– الجويني، عبد الملك، الإرشاد، ص٢٩٦ ،وانظر البيهقي،أحمد بن الحسين،دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،بيروت- لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ج١/١٩ .

[428]–انظر الهندي،رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي،مختصر كتاب إظهار الحق،اختصار وتدقيق حقق الكتاب د.محمد أحمد ملكاوي،الرياض-المملكة العربية السعودية،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وكالة شؤون المطبوعات والنشر،ط غير معروفة،١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص١٩٥ .

[429]– أخرجه البخاري، في الأنبياء : باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر،ج٣/ص١٣٣٠ /رقم الحديث ٣٤٣٧ .

والعمل معا بالقدر الذي ثبت تواتره منها[430]،وهناك معجزات مادية كثيرة وصلت إلينا عن طريق الخبر الصحيح حيث اتسع النقل لمجموعها إلى ما يزيد على حد التواتر في القدر المشترك بينها وهو ثبوت المعجزة[431] ،والتي منها ما يلي:

١- معجزة نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم:

عَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ:رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ فَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ يَدَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّئُوا مِنْهُ قَالَ: فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّئُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ[432] .

٢- معجزة تكثير الطعام القليل:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ:

قَالَ : أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَـيْءٍ فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَـهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ" فَقُلْتُ: نَعَمْ قَالَ" بِطَعَامٍ "قَالَ : فَقُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَنْ مَعَهُ:" قُومُوا" فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَـا طَلْحَـةَ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ الطَّعَامِ مَا نُطْعِمُهُمْ فَقَالَتْ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَبُو طَلْحَةَ وَرَسُـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ" فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ فَفُتَّ وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لَهَا فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ:" ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ" فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ:" ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ" فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا

---

[430]-انظر شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة،القاهرة-مصر،دار الشروق،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة،ص٥٨ .

[431]-انظر الجرجاني، شرح المواقف،ج٨/ص٢٨٣ ، والبوطي،محمد سعيد رمضان،كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق،دمشق-سوريا،دار الفكر،ط٩ ،١٤١١هـ-١٩٩٢م، ص٢٢٠ .

[432]- أخرجه البخاري، في الوضوء:باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة،ج١/ص٧٤/رقم الحديث ١٦٧ .

حَتَّـــى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ قَالَ:" ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ" فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ثُمَّ أَذِنَ لِعَشَرَةٍ فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ ثَمَانُونَ رَجُلًا[433] .

٣–معجزة حنين الجذع

... عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ أَخْبَرَنِي حَفْصُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:"كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ"[434] .

وغير ذلك الكثير من المعجزات المادية التي وعتها كتب الحديث والتفسير والشمائل وكتب دلائل النبوة[435] ،والتي بتنوعها تمثل مظاهر الرحمة الربانية بتأييد النبي صلى الله عليه وسلم ببينات متنوعة مما يسهل سبل الهداية فتنجذب النفوس لدعوته، مما يسري عن نفسه الشريفة شيئا من حدة الصدود الذي كان يواجهه به أهل الشرك، وفي ذلك تكريم له ولأمته من بعده، وتصديق لدعوته؛ وتدحض مفتريات الكافرين المعاندين لرسل رب العالمين.

---

[433]– أخرجه البخاري، في الأطعمة : باب من أكل حتى شبع ج٥/ص٢٠٥٧ / رقم ٥٠٦٦ .

[434]– أخرجه البخاري، ج٣/ص١٣١٤،رقم الحديث ٣٣٩٢ .

[435]–انظر من ذلك الأصبهاني،أبو نعيم،دلائل النبوة،حققه د.محمد رواس قلعجي–عبد البر عباس،بيروت–لبنان ،دار النفائس،ط١ ، ١٤١٩هـــ–١٩٩٩م ، الجزء الأول والثاني حيث فيه بيان تخريج الروايات والحكم عليها .

المطلب الثالث: معجزة نوح عليه الصلاة والسلام

لقد اختار الله تعالى نوحا عليه الصلاة والسلام من بين قومه لينذرهم عذاب الله تعالى حيث عكف قومه على عبادة الأصنام من دون الله تعالى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ نوح: ٢٣

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا صَارَتْ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ[436].

فتمادوا في غيهم وعتوا عن أمر ربهم ومكروا مكرا كبارا ،ورفض الملأ من قومه الإيمان بدعوته التي تدعو إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له،وصاروا إلى احتقار من اتبعه من المؤمنين معه وطالبوه بطردهم،فأبى عليه الصلاة والسلام أن يجيبهم إلى طلبهم خوفا من الله تعالى وإن فعل ذلك فلا ناصر له يدفع عنه عقاب الله تعالى.

وبـين عليه الصلاة والسلام لهم إنما جاءهم بالهداية وإن لم يكن له المال، و لم يدع أنه ملك وإنما هو بشر اصطفاه الله تعـالى لدعوتهم وتبليغهم أمر الله تعالى وهو على بينة من ربه عز وجل ولا يطرد من آمن بالله تعالى ولا يطلب أجرا على دعوته وهذه دلائل على إخلاصه وصدقه في دعوته التي يبتغي أجرها من الله تعالى[437].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ هود: ٢٧ – ٣١

---

[436] - البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، بيروت-لبنان، دار ابن كثير ،الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م، ج٤/ص١٨٧٣/رقم الحديث٤٦٣٦ .

[437] -انظر ابن كثير إسماعيل، قصص الأنبياء، اعتنى به محمود بن الجميل، محتوية على تعليقات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني،القاهرة-مصر،مكتبة الصفا، الطبعة الأولى،٢٠٠١م ، ص٥٤، و النجار عبد الوهاب، قصص الأنبياء،بيروت-لبنان،دار الجيل،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص٤٧ .

وقد اجتهد نوح عليه الصلاة والسلام في دعوته وبذل منتهى وسعه حتى يؤمن قومه بالله تعالى ويذروا عبادتهم للأصنام وطـال بـه الـزمن ونهج معهم مناهج شتى في الدعوة إلى الله تعالى حيث دعاهم سرا وعلانية وهو يغاديهم بالنصح ويـراوحهم بالعظة ويذكرهم بأسباب النجاة من التوبة والاستغفار الذي يفتح لهم أبواب النعم من الماء المدرار ووفرة الأموال وكثرة الذرية .

وتارة يلفت أنظارهم إلى عناية الله تعالى بهم فقد خلقهم أطوارا مختلفة وهيأ لهم السموات والأرض وجعل القمر نورا والشمس سراجا ولكنهم عصوا نوحا عليه الصلاة والسلام واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا (١٢) مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا (٢٤) ﴾ نوح: ١ – ٢٤

وقـد أخبر المولى عز وجل نوحا أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن وقد اجتهد عليه الصلاة والسلام طيلة تسعمائة وخمسين سنة على دعوتهم ولكنهم لم يفلحوا في الاستجابة لنداء الإيمان[438] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾
هود: ٣٦

وتوجه عليه الصلاة والسلام بالدعاء على قومه حينما عتوا وتجبروا وأذوا فقال .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا (٢٨) ﴾
نوح: ٢٦ – ٢٨

---

[438] – انظر النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء،ص٤٨-٤٩ .

ومن قبح طبعهم وسفاهة عقولهم استعجلوا طلب العذاب بدلا من التوجه لطلب التوبة والاستغفار أو الإصغاء لنصحه عليه الصلاة السلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٣٢) ﴾ هود: ٣٢

فكان رد نوح عليهم بما أخبر الله تعالى في كتابه العظيم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) ﴾ هود: ٣٣ – ٣٤

وأمر الله تعالى نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام بصنع السفينة حتى تكون أداة النجاة له ومن آمن معه من الغرق الذي سيأتي على بقية قومه، فصاروا يسخرون منه ومن عمله استبعادا منهم لوقوع الغرق وكان نوح عليه الصلاة والسلام مستحديا لهم يسخر منهم لعلمه بقرب نهايتهم وسوء عاقبة أمرهم بسبب غفلتهم عن الحق وبلادتهم عن أخذ أسباب النجاة لأنفسهم قبل فوات الأوان .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩) ﴾ هود: ٣٧ – ٣٩

فلما أتم بناء السفينة وظهرت العلامة على قرب نزول العذاب وهي نبع الماء من مستوقد النار أمره الله تعالى أن يحمل في السفينة من آمن معه من المؤمنين ومن كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول بالهلاك مع الكافرين،ولما انهمرت السماء بالأمطار وتفجرت ينابيع الأرض حملت المياه السفينة وأخذت تجري برحمة الله تعالى بهم في موج كالجبال حتى استقرت على الجودي بعد انتهاء الطوفان وذهاب الماء في باطن الأرض وهلاك الكافرين بمن فيهم ابن نوح الذي كان مع الكافرين فلم ينتفع بنسبه لأبيه النبي إذ انقطع نسبه الإيماني فلا نسب بين الكفر والإيمان، فالكفر عمل غير صالح للنجاة من عذاب الله تعالى ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم[439] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ٱرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ

---

[439]– انظر النجار عبد الوهاب، قصص الأنبياء، ص٥٠ .

﴿ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٤ ﴾ هود: ٤٠ – ٤٤

فمعجزة نوح عليه الصلاة والسلام هي النجاة في السفينة التي أمره الله تعالى بصناعتها بعد إعلامه أنه لن يؤمن من قـومه إلا مـن قـد آمن من قومه وذلك حصيلة جهد تسعمائة وخمسين سنة من الدعوة المتواصلة لتوحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له والتحذير من عبادة الأصنام ولكنهم عصوه وسخروا منه ولا سيما عندما أخذ بصنع سفينة النجاة من الغرق ٠

وقـد صنع نوح عليه الصلاة والسلام السفينة من ألواح خشبية مشدودة بعضها إلى بعض ومحكمة بقوة المسامير التي استخدمت في صناعتها وهي ما عبر عنها القرآن الكريم بالدسر ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ ﴾ القمر: ١٣

وقـد نجّـى الله تعالى في تلك السفينة التي صنعها النبي نوح عليه الصلاة والسلام امتثالا لأمر الله تعالى عباده المؤمنين ونـوحا وأهله إلا من سبق عليه القول منهم وهما امرأته وابنه، والأزواج التي حملها معه في السفينة من المخلوقات ثم أغرق الباقين من قومه؛ لأنهم كفروا بربهم وكذبوا رسوله الذي استمر في دعوتهم ألف سنة إلا خمسين عاما ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥ ﴾ نوح: ٢٥

فهذه آية ربانية تدل على قدرة الله تعالى على نصر رسله وعباده المؤمنين وإن كانوا ضعفاء في نظر أهل البطر وكفار الـنعم،فأهل الإيمـان تكتب لهم النجاة في سفينة خشبية بصناعة بدائية لم يسبق لها وأن جرت في الماء أو اختبرت في القدرة على الجريان في الأمواج العاتية التي هي كالجبال في الحجم؛ ولكنها معجزة ربانية حفظت السفينة وحمولتها من الغرق طوال مدة الطوفان حتى استقرت على جبل الجودي فسبحان من حفظها وأرساها وتركها آية للعالمين[440] ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٥ ﴾ العنكبوت: ١٤ – ١٥

وفي حقيقة الأمر هناك ما يشير إلى أن الله تعالى أظهر الدليل المعجز على صدق نبوة نوح عليه السلام دون ذكره تفصيلا كالسفينة ورد التصريح بذلك بلفظ بينة من ربي على لسان نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨ ﴾ هود: ٢٨ .

440- انظر أبو زهرة ،محمد، المعجزة الكبرى القرآن،دار الفكر العربي،ط لا يوجد،١٩٧٠م، ص٣٩٦-٣٩٧ ٠

المطلب الرابع: معجزة هود عليه الصلاة والسلام

لقـــد انفـــرد القـــرآن الكريم بذكر قصة هود عليه الصلاة والسلام مع قومه عادٍ الذين كانوا عربا جفاة كافرين، متمـــردين عتاة في عبادة الأصنام، فأرسل الله تعالى فيهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله تعالى وحده وإلى إفراده بالعبادة والإخلاص له، فكذبوه وخالفوه، وتنقصوه، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

فلمـــا أمرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته واستغفاره، ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة، وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة اعترض عليه الكفرة من قومه[441] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (٦٦) ﴾ الأعراف: ٦٥ - ٦٦

أي هـــذا الأمر الذي تدعونا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر والرزق، ومع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك،فرد على فريتهم أنه ليس به سفاهة وهو رسول من رب العالمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٧) ﴾ الأعراف: ٦٧

أي: ليس الأمر كما تظنون وتتوهمون ولا كما تعتقدون وإنما أنا مبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾ الأعراف: ٦٨

والبلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ، وعدم الزيادة فيه والنقص منه، ويستلزم أداءه بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة لا لبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب.

وهـــو مـــع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقومه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم، لا يبتغي منهم أجـــرا؛ بل هو مخلص لله عز وجل في الدعوة إليه والنصح لخلقه، لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله، فإن خير الدنيا والآخرة كله في يديه وأمره إليه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) ﴾ هود: ٥١

---

[441] - ابن كثير، إسماعيل، قصص الأنبياء، ص٧٧ بتصرف .

أي: أما لكم عقل تميزون به وتفهمون أني أدعوكم إلى الحق المبين الذي تشهد به فطركم التي خلقتم عليها، وهو دين الحق الذي بعث الله به نوحا، وأهلك من خالفه من الخلق،وها أنا أدعوكم إليه ولا أسألكم أجرا عليه، بل أبتغي ذلك عند الله مالك الضر والنفع.

وقال قوم هود له فيما قالوا كما أخبر عنهم القرآن الكريم ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ هود: ٥٣ - ٥٤

يقولون ما جئتنا بخارق يشهد لك بصدق ما جئت به، وما نحن بالذين نترك عبادة أصنامنا عن مجرد قولك ؛ بلا دليل أقمته ولا برهان نصبته، وما نظن إلا أنك مجنون فيما تزعمه،وعندنا أنه إنما أصابك هذا لأن بعض آلهتنا غضب عليك فأصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب ذلك،وهو قولهم: ﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ هود: ٥٤

فتحداهم هودٌ عليه الصلاة والسلام بالبراءة من شركهم وأنهم أعجز من أن يبلغوا حد ضره؛ لأنه متوكل على الله تعالى وبذلك يظهر صدقه لأنهم عجزوا عن أن ينالوا منه وهم قوم وهو بينهم وحده عليه الصلاة والسلام ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ هود: ٥٤ - ٥٦

وهذا تحد منه لهم، وتبرؤ من آلهتهم وتنقص منه لها،وبيان أنها لا تنفع شيئا ولا تضر، وأنها جماد حكمها حكمه وفعلها فعله، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر فها أنا بريء منها لاعنٌ لها ٠

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ فأنـــتم جميعا بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه وتقدروا عليه، ولا تؤخروني ساعة واحدة ولا طرفة عين فإني لا أبالي بكم ولا أفكر فيكم، ولا أنظر إليكم.

وهذا الدليل بعينه قد استدل به نوح عليه الصلاة والسلام قبله به على قومه[442]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

يونس: ٧١

442- ابن كثير، إسماعيل، قصص الأنبياء، ص٧٧-٧٩ بتصرف ٠

فهذه معجزة ظاهرة ، فهود عليه الصلاة والسلام هو وحده يتحدى قومه إن استطاعوا أن يصلوا إلى قتله أو إيذائه سبيلا فليفعلوا ذلك بلا تأخير أو تأجيل وذلك؛ لأنه كان واثقاً من أن الله تعالى يحفظه ويصونه من كيدهم. فهــو متوكل على الله،وواثق بجنابه الذي لا يضيع من لاذ به واستند إليه، فلست أبالي مخلوقا سواه، لست أتوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه، فدل على صدقه فيما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا إليه.

وهذا وحده برهان قاطع على أن هودا عبدالله ورسوله، وأنهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله؛ لأنهم لم يصلوا إليه بسوء ولا نالوا منه مكروها مع أنه سبق لهم العلم أنه قد تبرأ من شركهم وأنهم لن يمسوه بسوء حتى جاءتهم الآية عقابا على إجرامهم أن دمرهم الله تعالى بريح عقيم صرصر عاتية فيها عذاب أليم سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما متتابعات كوامل حتى أصبحوا فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية لا يرى إلا آثار مساكنهم وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة [443] .

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ﴾ الأحقاف: ٢٤ – ٢٥

وقد ذكر الله تعالى خبر إهلاك عاد في غير ما آية مجملا ومفصلا والآية الكريمة السابقة فصلت ذكر إهلاكهم وذلك بعد أن نجى الله تعالى هودا عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه برحمة منه [444] .

قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢) ﴾

الأعراف: ٧٢

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا قَالَتْ :كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَصَفَتْ الرِّيحُ قَالَ:" اللَّهُمَّ إِنِّــي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ" قَالَتْ : وَإِذَا تَخَيَّلَتْ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ{ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا }[445]

---

[443]– انظر أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٩٧ .

[444]–انظر ابن كثير ، قصص الأنبياء، ص٨٠–٨١ .

[445]– القشيري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج٢/٦١٦/رقم الحديث ٨٩٩ .

المطلب الخامس: معجزة صالح عليه الصلاة والسلام

بعث الله تعالى نبيه وعبده صالحا عليه الصلاة والسلام إلى ثمود وهم قبيلة مشهورة، وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وهي تقع في ما يسمى الآن بمحافظة العلا في شمال المملكة العربية السعودية .

وقد مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين في العام التاسع للهجرة.

وكانت ثمود بعد قوم عاد، وكانوا يعبدون الأصنام ككفار عاد .

فـــدعاهم نـــبي الله تعالى صالح عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن يتركوا عبادة الأصنام والأنداد ولا يشركوا بالله تعالى شيئا.

فآمـــنت به طائفة منهم، وكفر أكثرهم، ونالوا منه بالمقال والفعال، وهموا بقتله، وقتلوا الناقة التي جعلها الله حجة عليهم ومعجزة لنبيه وعبده صالح عليه الصلاة والسلام ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر جزاء لمن كان قد كفر[446] .

كما قص خبرهم كتاب الله العظيم قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا
تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ
تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾
قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن
رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن
لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ٧٣ – ٧٩

وكثيرا ما يقرن الله تعالى في كتابه العظيم بين ذكر عاد وثمود، كما في سورة :براءة-٧٠، وإبراهيم-٩، والفرقان-٣٨، و ص١٢-١٣، و ق١٢-١٣، والنجم٥٠-٥١، والفجر٦-٩.

ويقال إن هاتين الأمتين لا يعرف خبرهما أهل الكتاب، وليس لهما ذكر في العهدين .

446- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٨٦ بتصرف ،وانظر البلتاجي،محمد الأنور أحمد،محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الكامل. والرحمة المهداة قبسات نورانية.. ومعجزات حسية،القاهرة-مصر،مكتبة وهبة،ط١ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م،ص٤٠٦-٤١٣ .

ولكن في القرآن ما يدل على أن موسى أخبر عنهما، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ إبراهيم: ٨ - ٩

فالظاهر أن هذا من تمام كلام موسى مع قومه، ولكن لما كان هاتان الأمتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيدا، ولا اعتنوا بحفظه، وإن كان خبرهما مشهورا في زمان موسى عليه السلام[447] .

ويؤكد ذلك قصة مؤمن آل فرعون حينما حذر قومه من العذاب الذي وقع بالأمم السابقة ومنهم ثمود .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ غافر: ٣٠ - ٣١

وفي هذا المقام نورد ما لابد منه من ذكر قصتهم وما كان من أمرهم وحالهم، وكيف نجى الله نبيه صالحا عليه الصلاة والسلام ومن آمن به، وقطع دابر القوم الذين ظلموا بكفرهم وعتوهم أمر ربهم ومخالفتهم رسولهم عليه السلام بسعيهم المبيت لعقر الناقة التي حذرهم نبيهم عليه الصلاة والسلام من أن يمسوها بسوء .

فثمود كانوا على قرب عهد بما حل بعاد ولكنهم لم يعتبروا بما حل بهم من العذاب الأليم ،فذكرهم صالح عليه الصلاة والسلام بضرورة عبادة الله تعالى وحده وأن يقابلوا النعم التي أسبغها الله تعالى عليهم بالعرفان لا بالإفساد[448] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ الأعراف: ٧٣ - ٧٤

فالله تعالى إنما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من أمرهم، وتعملوا بخلاف عملهم.

وأباح لكم هذه الأرض تبنون في سهولها القصور، وتنحتون من الجبال الصماء بيوتا فارهين حاذقين في صنعتها وإتقانها وإحكامها فلم يخلق مثلها في البلاد .

447- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٨٨ .

448- انظر القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي،القاهرة-مصر،دار الحديث،ط١ ، ١٩٩٤م،م٧/ص٢٢٩-٢٣١ .

فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح، والعبادة له وحده لا شريك له، وإياكم ومخالفته والعدول عن طاعته عز وجل، فإن عاقبة ذلك وخيمة.

ولهذا وعظهم بقوله تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) ﴾ الشعراء: ١٤٦ – ١٥٢

وقال لهم أيضا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) ﴾ هود: ٦١

فالله تعالى هو الذي خلقكم فأنشأكم من الأرض، وجعلكم عمارها، ومنحكم إياها بما فيها من الزروع والثمار، فهو الخالق الرزاق، وهو الذي يستحق العبادة وحده لا ما سواه، فأقلعوا عما أنتم فيه وأقبلوا على عبادته، فإنه يقبل منكم الاستغفار والتوبة النصوح ويتجاوز عنكم فهو قريب مجيب،ولكنهم رفضوا دعوته وترغيبه لهم بل وتكبروا على الحق وتطاولوا على شخصه الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ ﴾ هود: ٦٢

فهم يقولون: كنا نرجو أن يكون عقلك كاملا قبل هذه المقالة، وهي دعاؤك إيانا إلى إفراد العبادة، وترك ما كنا نعبده من الأنداد، والعدول عن دين الآباء والأجداد ولهذا قالوا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٢) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) ﴾ هود: ٦٢ – ٦٣

وهذا تلطف منه عليه الصلاة والسلام لهم في العبارة ولين الجانب، وحسن تأتٍ في الدعوة لهم إلى الخير.

أي: فما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ؟ ماذا يكون عذركم عند الله تعالى ؟ وماذا يخلصكم بين يديه وأنتم تطلبون أن أترك دعاءكم إلى طاعته ؟ وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب عليَّ، ولو تركته لما قدر أحد منكم ولا من غيركم أن يجيرني منه ولا ينصرني،فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له، حتى يحكم الله بيني وبينكم.

وقالوا له أيضا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) ﴾ الشعراء: ١٥٣ أي من المسحورين، يعنون مسحورا لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى إفراد العبادة لله وحده، وخلع ما سواه من الأنداد.

واعترضوا على بشريته وطالبوه بدليل صدقه آية من عند الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٤ - ١٥٦

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقد ذكر المفسرون أن ثمود اجتمعوا يوما في ناديهم، فجاءهم رسول الله صالح فدعاهم إلى الله، وذكرهم وحذرهم ووعظهم وأمرهم، فقالوا له: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة هناك - ناقة، من صفتها كيت وكيت وذكروا أوصافا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها، وأن تكون عشراء طويلة، من صفتها كذا وكذا فقال لهم النبي صالح عليه الصلاة والسلام: أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم، أتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما أرسلت به ؟ قالوا: نعم،فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك.

ثم قام إلى مصلاه فصلى لله عز وجل ما قدر له، ثم دعا ربه عز وجل أن يجيبهم إلى ما طلبوا.

فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء ، على الوجه المطلوب الذي طلبوا، أو على الصفة التي نعتوا.

فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا ومنظرا هائلا، وقدرة باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم، واستمر أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم"[449] .

ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾ الإسراء: ٥٩

فهي معجزة ربانية واضحة بينة ومع ذلك كفروا بها فاستحقوا العذاب؛ لأنهم جحدوها و لم يتبعوا الحق بسببها.

ولهذا قال لهم صالح عليه السلام: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ هود: ٦٤

فهو يبين لهم عظم شأنها حيث أضافها لله سبحانه وتعالى إضافة تشريف وتعظيم، كقوله بيت الله و عبد الله .

﴿ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ أي: دليلا على صدق ما جئتكم به ﴿ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ .

فاتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم، ترعى حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يوما بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم.

---

[449] - ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٨٩-٩٠ .

ويقال إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الشعراء: ١٥٥، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةُۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ القمر: ٢٧ - ٢٨

فالناقة معجزة ربانية فيها اختبار لهم أيؤمنون بها أم يكفرون ؟ والله أعلم بما يفعلون.

فانتظر ما يكون من أمرهم واصطبر على أذاهم فسيأتيك الخير بعد حين على هذا الابتلاء ٠

فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع زعماؤهم،واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة، ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم فاتفقوا على قتل الناقة مع سبق علمهم بتحذير صالح عليه الصلاة والسلام لهم من أن يمسوها بسوء ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ﴾ القمر: ٢٩ ،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ الشمس: ١١ – ١٥ ،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الأعراف: ٧٧

فجمعوا في كلامهم هذا الأخير بين كفر بليغ من وجوه[450] منها:

١- أنهم خالفوا الله ورسوله في ارتكابهم النهي الأكيد في عقر الناقة التي جعلها الله لهم آية ومعجزة بينة على صدق نبيه صالح عليه الصلاة والسلام.

٢-أنهم استعجلوا وقوع العذاب بهم فاستحقوه من وجهين:

أحدهما: الشرط عليهم في قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ هود: ٦٤

وفي آية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٦

وفي الأخرى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ الأعراف: ٧٣ والكل حق.

والثاني: استعجالهم على ذلك ﴿ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الأعراف: ٧٧

٣- أنهم كذبوا الرسول الذي قد قام الدليل القاطع على نبوته وصدقه، وهم يعلمون ذلك علما جازما، ولكن حملهم الكفر والضلال والعناد على استبعاد الحق ووقوع العذاب بهم.

---

[450]- انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٩٢ ٠

فلهذا قال لهم صالح كما ذكره القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ هود: ٦٥، فلم يصدقوه أيضا في هذا الوعد الأكيد.

بل لما أمسوا هموا بقتله وأرادوا – فيما يزعمون – أن يلحقوه بالناقة.

وسعى رهطهم المفسد لقتل صالح عليه الصلاة والسلام وكتم ذلك عن أقربائه،ولكنهم خاب مسعاهم وحل بهم غضب رب العالمين فأهلكهم وهم لا يشعرون .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ النمل: ٤٨ – ٥١

فأخذهم العذاب بالصيحة بعد ثلاثة أيام من قتلهم الناقة بعد أن نجى الله تعالى صالحا والذين آمنوا معه برحمة منه .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۗ أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ ﴾ هود: ٦٥ – ٦٨

فلما مضى الأجل جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم، ورجفة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس، وسكنت الحركات، وخشعت الأصوات، وحقت الحقائق، فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يقيموا فيها في سعة ورزق وغناء ، فهم جثث لا أرواح فيها ولا حراك بها ألا بعدا لثمود .

وقد أخبر المولى عز وجل عن صالح عليه الصلاة والسلام أنه خاطب قومه بعد هلاكهم وتوليه عنهم بما ذكره القرآن الكريم حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ٧٩

فهو عليه الصلاة والسلام لم يقصر في أمر دعوتهم فقد جهد في هدايتهم بكل ما أمكنه من قوة، وحرص على ذلك بقوله وفعله ونيته، ولكن لم تكن سجاياهم لتقبل الحق ولا تريده، فلهذا صاروا إلى ما هم فيه من العذاب الأليم المستمر بهم المتصل إلى الأبد، وليس لصالح عليه الصلاة والسلام فيهم حيلة ولا له بدفع العقاب عنهم قدرة فقد سبق تكرار التحذير لهم،والذي وجب عليه من أداء الرسالة والنصح لهم قد فعله وبذله لهم، ولكن الله يفعل ما يريد[451] .

---

[451]–انظر القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن،م٧/ص٢٣٢–٢٣٣ .

ويقال إن صالحا عليه السلام انتقل إلى حرم الله فأقام به حتى مات[452] .

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِ الْحِجْرِ: " لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ"[453] .

فناقة صالح عليه الصلاة والسلام اشتملت على جملة من الأوصاف والخصائص درج أهل العلم على ذكرها الواحد منها يكفي للقطع بأنها خارقة للعادة، وأنها معجزة تدل على أنها من عند الله تعالى ويمكن أن نجمل تلك الأوصاف والخصائص فيما يلي[454] :

١-خروجها من صخرة صماء إذ لو اجتمع الثقلان لما استطاعوا إخراج نملة من صخرة فضلا عن ناقة .

٢-خروجها من الصخر وهي حامل بلا فحل من الإبل،ثم تمخضت عن فصيل لها.

٣-خرجت الناقة على الأوصاف التي حددها زعماء ثمود مسبقا وذلك أبلغ في الإعجاز .

٤-ظهور الناقة بكامل أوصافها المحددة لها من قبيلة ثمود دفعة واحدة بلا تدرج في النمو .

٥-شربها في يومها ماء قبيلة ثمود،وتكفي سائر أفراد القبيلة من لبنها بالإضافة لفصيلها .

٦-عدم حاجتها إلى سائس يرشدها إلى عملها أو يحفظها من أن تند عن قبيلة ثمود .

٧-وهي فتنة لقوم ثمود فلا يمسها أحد بسوء أينما توجهت؛لأن بقاء القبيلة مرتهن بسلامتها من الأذى فهي بحق تمثل صمام أمان لبقائهم سالمين،فلم يترل بهم العذاب الأليم إلا بعد عقرهم لها،وهذا مخالف للعادة أيضا إذ لو عقرت ثمود كل الإبل سواها لما نزل بها العذاب،فلم تجر العادة باستئصال أمة لقتلها حيوانا،فدل على أن تلك الناقة لها خصوصية في إقامة الحجة على قوم ثمود في وجوب متابعتهم لصالح عليه الصلاة والسلام وتصديقه في كل ما أبلغهم من رسالات الله تعالى فهي معجزة بينة واضحة الدلالة؛لأنها من عند الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٧ - ١٥٩

---

[452]- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٩٠-٩٤٠ بتصرف .

[453]- البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج٤-ص١٦٠٩/رقم الحديث٤١٥٨ .

[454]-انظر النجار ، قصص الأنبياء، ص٨٢-٨٧ ،و أبو زهرة محمد، المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٩٨ .

المطلب السادس: معجزات إبراهيم عليه الصلاة والسلام

المقصد الأول: معجزة جعل الله تعالى النار بردا وسلاما على إبراهيم* عليه الصلاة والسلام

إبـــراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو من أولي العزم من الرسل، وله منزلة عظـــيمة عند أصحاب الديانات الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام وحتى عند مشركي العرب؛ فلذلك نفى القرآن الكريم ارتباطه عليه الصلاة والسلام بغير عقيدة التوحيد.

قَالَ تَعَالَى:﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧

فإبـــراهيم عليه الصلاة والسلام هو جد الموحدين من المسلمين و اليهود والنصارى؛ لأن أنبياءهم تلتقي في نسب إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإسماعيل عليه الصلاة والسلام هو جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم،وإسحاق رزق بـــيعقوب عليه الصلاة والسلام وهو الذي يلقب بإسرائيل وإليه ينتسب أسباط بني إسرائيل الذين كان فيهم عدد من الأنبياء، وقد ختموا بعيسى عليه الصلاة والسلام .

بعـــثه الله تعـــالى بين قوم يعبدون الكواكب والأصنام ، سوى إبراهيم الخليل وامرأته وابن أخيه لوط عليهم الصلاة والسلام.

فكان الخليل عليه الصلاة والسلام هو الذي أزال الله تعالى به تلك الشرور، وأبطل به ذاك الضلال ؛ فإن الله سبحانه وتعالى قد آتاه رشده في صغره، وابتعثه رسولا واتخذه خليلا في كبره،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٥١ - ٥٢

فقد كان أهلا لذلك الاصطفاء فأخذ يتدرج في بناء العقيدة من خلال الحوار الهادئ مع أبيه ومحاجته لعبدة الكواكب بالـــبراهين العقلية التي تبدد ظلمات الكفر ثم تحطيمه لأصنام قومه حتى أُلقي في النار؛ وذلك في سبيل الدفاع والمحاجة عن العقيدة التي قد آمن بها وحرص على تبليغها بكل وسيلة ممكنة ،وكذلك حاجَّ حاكم زمانه حتى أفحمه، وتنقل من بلد لآخر مهاجرا في سبيل الله تعالى يؤسس لعقيدة التوحيد التي طمست معالمها بين أهل زمانه.

---

*- من الموسف حقا أن الكتاب المقدس برمته لم يتعرض لذكر ما يشير لهذه المعجزة للخليل عليه السلام والتي استفاض خبرها وطال أمد مقـــدماتها بملازمة الدعوة إلى التوحيد . انظر الباش، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة- دمشق، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م،ج١/ص١٣٢-١٣٣ .

فحـــرص عليه الصلاة والسلام على دعوة أبيه وجرت مناظرة بينه وبين أبيه الذي كان يعبد الأصنام فكانت أول دعوته لأبيه الذي هو أحق الناس بالنصيحة والإخلاص فيها فحذره من عبادة غير الله تعالى وحذره من عبادة الشيطان وولايـــته التي توجب عذاب الله تعالى الرحمن، وقدم له البرهان العقلي على بطلان عبادته للأصنام، ولكنه لم يستجب لنداء الإيمان وهدده بالرجم والهجران، ولما تبين لإبراهيم عليه الصلاة والسلام عداوة أبيه لله تعالى تبرأ منه مع أنه كان قد سبق أن استغفر له لوعده له بذلك .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا
يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ
الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا
(٤٥) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ
لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي
شَقِيًّا (٤٨) ﴾ مريم: ٤١ - ٤٨

فدعا أباه إلى الحق بألطف عبارة وأحسن إشارة؛ بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان التي لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر مكانه، فكيف تغني عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر أو من نفع أو ضر ؟[455]

ثم ناظر قومه في عبادتهم للأصنام،حتى توعدهم وكسرها عليهم، وأهانها وبين بطلانها،قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ
رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا
آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ
(٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ
أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا
بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن
كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ
وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ

455-انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٩٧-٩٨ ،والنجار عبد الوهاب، قصص الأنبياء، ص ١٠٣-١٠٦ .

كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى
بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنبياء: ٥١ — ٧١

يخبر الله تعالى عن إبراهيم خليله عليه السلام، أنه أنكر على قومه عبادة الأوثان وحقرها عندهم وصغرها وتنقصها، وما كانت حجتهم إلا اتباع الآباء والأجداد، وما كانوا عليه من عبادة الأنداد من دون الله تعالى.

فـأعلن أن المـستحق للعبادة هو الله تعالى وحده لا شريك له وتبرأ من عبادة الأصنام وتوعدهم بتحطيمها وأقسم ليكيدن تلك الأصنام التي يعبدونها بعد أن يولوا مدبرين إلى عيدهم.

فعرَّضَ لهم في الكلام حتى توصل إلى مقصوده من إهانة أصنامهم، ونصرة دين الله الحق، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام التي تستحق أن تكسر وأن تهان غاية الإهانة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾
الصافات: ٨٨ — ٩٨

فلما خرجوا إلى عيدهم، ذهب إليها مسرعا مستخفيا عن الأنظار، فقال لها على سبيل التهكم والازدراء ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون كما قصه القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ الصافات: ٩٠ - ٩٣

فكـسرها وجعلها حطاما إلا كبيرا لهم من الأصنام لعلهم إليه يرجعون فهو أراد عليه الصلاة والسلام تقديم البرهان العملـي لقومه على بطلان عبادتهم للأصنام التي لا تملك الدفاع عن نفسها فكيف يطلب منها دفع الأذى عن غيرها ففاقـد الشيء لا يعطيه، وقيل وضع القدوم في يد كبير الأصنام إشارة إلى أنه عَظُمَ عليه أن تعبد معه هذه الصغار من الأصنام ! فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبوداتهم قالوا وتساءلوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين.

وهـذا فـيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون، وهو ما حل بآلهتهم التي كانوا يعبدونها، فلو كانت آلهة لدفعت عن أنفسها من أرادها بسوء .

فحاولـوا التخفـيف مـن وطأة الحدث فهم يسألون وهم الذين يدلون بالإجابة للإعلام والتهويل أمام الجماهير من أتباعهم؛فقالوا سمعنا فتى يذكرها بالعيب والتنقيص لها والازدراء بها، فهو المتوعد لها ومحطمها.

قالـــوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون؛ فالمحاكمة في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد، لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه، ويعاينون ما يحل به من الاقتصاص منه الذي سيزجر غيره في نظرهم عن محاولة تكرار فعله ٠

ولعلـــه كان هذا من أكبر مقاصد الخليل عليه السلام أن يعلم القوم كلهم بالأمر بعد عودتهم، فيقيم على جميع عُباد الأصنام الحجة على بطلان ما هم عليه بالبرهان العملي؛ لأن المواعظ على ما يبدو لم تثمر فيهم خيرا ٠

فلمـــا اجتمعوا وجاءوا به كما ذكروا سألوه أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم فأجابهم على سبيل التهكم بهم بل فعله كبيرهم هذا ؟ وعرض بالقول لإقامة الحجة عليهم فقال: فاسألوهم إن كانوا ينطقون ؟

فعادوا على أنفسهم بالملامة، فقالوا إنكم أنتم الظالمون في عبادتها فأدركتهم الحيرة والدهشة بذلك ٠

ثم نكـــس القـــوم على رؤوسهم ورجعوا إلى الفتنة؛ لأن التعصب الأعمى يغيب معالم الهداية، فقالوا يا إبراهيم لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون، فكيف تأمرنا بسؤالها !.

فعند ذلك قال لهم الخليل عليه الصلاة والسلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٦

فهـــنا عـــزموا على إلقاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار عقابا له على فعلته[456] ، ولكن جعلهم الله تعالى هم الأســـفلين والأخسرين في مسعاهم وفي عقابهم وفي مآلهم ٠ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الصافات: ٩٧ - ٩٨

فعدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا، و لم تبق لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال قوتهم وسلطانهم فاختاروا أشد العقوبات التحريق بالنار مبالغة منهم في العقوبة[457]، لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم، فأعجزهم الرب جل جلالـــه وأعلى كلمته ودينه وبرهانه فجعل النار بردا وسلاما على خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع أن العادة جارية على أن النار محرقة فهي معجزة ربانية حفظت إبراهيم عليه الصلاة والسلام من كيد الكفار وأظهرت قدرة الله تعالى الذي بيده مقاليد السموات والأرض وإذا أراد شيئا إنما يقول له كن فيكون فحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل ٠

456-ذكر العقاد، عباس محمود، في كتابه: إبراهيم أبو الأنبياء، دار الهلال ، ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة، ص٣٩-٤٥، مرويات أهل الكتاب فيما يتعلق بقصة إحراق إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يرجح تأثرهم بالمصادر العربية في ص٤٣ إذ أن التوراة لم تذكر أن إبراهيم عليه السلام ألقي في النار ٠

457-انظر الرازي،محمد بن عمر بن الحسين،التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١١هـ-١٩٩٠م،ج٧/ص١٧٣ ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٩

فالـــنار مخلوقة لله تعالى وهي ممتثلة لأمر الله تعالى لا تتعداه فخالفت عادهّا في الإحراق وكانت بردا وسلاما على إبـــراهيم علـــيه الصلاة والسلام مع أنها قد اضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط في زماهم ولو كانت بردا فقط لمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام من شدة البرد ولكنها أيضا جعلت سلاما فلم تضره و لم تحرقه عليه الصلاة والسلام، فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا، وأرادوا أن يغلبوا فغلبوا فهم الأخسرون في الدنيا والآخرة.[458] .

روى الـــبخاري[459] عَـــنْ ابْنِ عَبَّاسٍ{ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ }قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَقَالَهَا مُحَمَّـــدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } .آل عمران ١٧٣

فهـــذه معجزة ربانية حفظ فيها الله تعالى نبيه من الإحراق مع أن قومه قد أعدوا له من الأسباب المادية ما يكفي لإحراق العشرات من البشر ولكن ثبت عجزهم عن إحراق إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو شخص واحد .

---

[458] -انظـــر طبّاره، عفيف عبد الفتاح،مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياقم، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ١٩٨٥م،ص١١٢-١١٥ .

[459] - رواه البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج٤-ص١٦٦٢/رقم الحديث٤٢٨٧ .

المقصد الثاني: معجزة عدم ذبح سكين إبراهيم عليه الصلاة والسلام لابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام

من المقرر في كثير من النصوص الحديث عن مشاركة إسماعيل لأبيه عليهما الصلاة والسلام في أعمال وأحداث وأدعية حصلت على أرض مكة المكرمة مما يؤكد ارتباط إقامة إسماعيل عليه الصلاة والسلام بأرض مكة المكرمة لحكمة أرادها الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ البقرة: ١٢٥ – ١٢٩

ومن ذلك الأثر المروي عن ابن عباس في صحيح البخاري[460] فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَفِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةَ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَّى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ : آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا . قَالَ : نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا . ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: { رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ }

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ : يَتَلَبَّطُ* فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنْ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا" فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنْ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنْ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا" قَالَ :فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ :لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ

---

[460]– رواه البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج٣-ص١٢٢٧/رقم الحديث٣١٨٤ .

*أي اضطجع وتمرغ . ابن منظور، لسان العرب، ج/٧/ص٣٨٨ .

وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنْ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُـــرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّيْنِ فَإِذَا هُمْ بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ فَقَالَتْ :نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ ابْـــنُ عَبَّاسٍ :قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :"فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَ" فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَـــزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُـــوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَـــسَأَلَ امْـــرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ :خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ :نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَـــشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ :فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا فَقَالَ : هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ :نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ :نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ :غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ :ذَاكِ أَبِي وَقَـــدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ :خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ :كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ :نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ: اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ: الْمَاءُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْـــمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ " قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُـــو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْـــشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ: نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ: وَتُعِينُنِي قَالَ: وَأُعِينُكَ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَـــى مَا حَوْلَهَا قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنْ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ :{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } .

ومن الملاحظ أنه ليس في هذا الحديث ذكر قصة الذبيح وأنه هو إسماعيل .

وهو كما يقول ابن كثير رحمه الله تعالى :"وهذا الحديث من كلام ابن عباس وموشح برفع بعضه، وفي بعضه غرابة*، وكأنه مما تلقاه ابن عباس عن الإسرائيليات"[461].

---

* فهذا الحديث موقوف على ابن عباس كما هو واضح من سنده في البخاري "وحدثني عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عـــن أيـــوب السختياني وكثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير قال ابن عباس" ولم يرفع ابن عباس للنبي صلى الله عليه وسلم إلا ما تحته خط في متن الرواية كما هو مصرح به، وما عدا ذلك فهو موقوف على ابن عباس؛ فربما أخذ بعـــض تفاصيل الأحداث من أهل الكتاب على سبيل التفسير والإيضاح، فهذه التي عبر عنها ابن كثير بالغرابة بمعنى النقل لبعض تفاصيل الأخبار من مرويات أهل الكتاب، والله تعالى أعلم .

[461]- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١١٥ .

وعـــند التحقيق نجد أن الذبيح هو إسماعيل على الصحيح*، كما في سورة الصافات من إشارات تدل على ذلك فلا يعدل عن بيان القرآن الكريم لمجرد أخبار نقلت بلا تمحيص فالحق أحق أن يتبع .

ففي مقام ذكر قصة الذبيح قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ
بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا
تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)
سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ
(١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣) ﴾ الصافات: ٩٩ - ١١٣

يذكـــر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه لما هاجر من بلاد قومه، سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا فبشره الله تعالى بغلام حليم، وهو إسماعيل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه أول من ولد له، وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل بأنه هو أول ولد له و هو بكره كذلك عليه الصلاة والسلام.

وقوله تعالى: " فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ " أي شب وصار يسعى في مصالحه كأبيه؛فلما كان هذا، رأى إبراهيم عليه السلام في المـــنام أنـــه يؤمر بذبح ولده هذا ، فالرؤيا وحي وإلا لما جاز لإبراهيم عليه السلام الإقدام على ذبح ولده بناء عليها.

وفي هذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر، وقد طعن في السن، بعد ما أمر بأن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر، وواد ليس به حسيس ولا أنيس، ولا زرع ولا ضرع،فلا ديار ولا نافخ نار . فامتـــثل أمر الله في ذلك، وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه، فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقهما من حيث لا يحتسبان.

ثم لما أمر بعد هذا كله بذبح ولده هذا الذي قد أفرده عن أمر ربه، وهو بكره و وحيده الذي ليس له غيره، أجاب ربه وامتثل أمره، وسارع إلى طاعته.

---

* لقد ورد في إنجيل برنابا أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق في الفصل ٤٤: ١-١١، انظر سعادة،د.خليل ترجمه من الإنكليزية،إنجيل برنابا،دراسة وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م، ص٩٧-٩٨ .

ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسرا ويذبحه قهرا: " قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ ".

فبادر الغلام الحليم بامتثال الأمر وسر والده الخليل إبراهيم بجميل صبره وتسليمه لأمر الله تعالى، فقال: " يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ".

وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد[462] .

فلما أسلما لأمر الله وعزما على ذلك وتله للجبين أي ألقاه على وجهه على الأرض استسلما لأمر الله.

فأمَرَّ السكين على حلقه فلم تقطع شيئا، فالأصل أن السكين إذا وضعت على الحلقوم بشدة وسرعة تمرير تقطعه لا محالة وتقطع الأوداج معه ويحصل الذبح لكن هنا السكين خالفت عادتها فلم يحصل من ذلك شيء أبدا فدل أن هذا الأمر خارق للعادة، فيه حفظ لسلامة إسماعيل عليه الصلاة والسلام من الذبح، وتصديق لإبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي امتثل أمر ربه بلا تردد،فعند ذلك نودي من الله عز وجل: " أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا " أي قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرتك إلى أمر ربك، وبذلك ولدك للقربان، كما سمحت ببدنك للنيران، وكما أن مالك مبذولٌ للضيفان ! ولهذا قال تعالى: " إن هذا لهو البلاء المبين " أي الاختبار الظاهر البين لخليل الله تعالى وابنه عليه الصلاة والسلام . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ النساء: ١٢٥

وهو الحنيف المسلم الذي لم يكن يهوديا ولا نصرانيا و لم يكن من المشركين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ٦٧ - ٦٨

وقوله تعالى : " وفديناه بذبح عظيم " أي وجعلنا فداء ذبح ولده ما يسره الله تعالى له من العوض عنه.

---

[462]- انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١١٦-١٢٠ .

المقصد الثالث:معجزة إحياء الموتى

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٠

يوجز ابن كثير القول في هذه المعجزة الربانية التي أجراها الله تعالى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله:

"إن الله عز وجل أجابه إلى ما سأل، فأمره أن يعمد إلى أربعة من الطيور،واختلفوا في تعيينها على أقوال، والمقصود حاصل على كل تقدير، فأمره أن يمزق لحومهن وريشهن، ويخلط ذلك بعضه في بعض، ثم يقسمه قسما، ويجعل على كل جبل منهن جزءا ففعل ما أُمر به،ثم أُمر أن يدعوهن بإذن ربهن، فلما دعاهن جعل كل عضو يطير إلى صاحبه، وكل ريشة تأتي إلى أختها، حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه، وهو ينظر إلى قدرة الذي يقول للشيء كن فيكون،فأتين إليه سعيا، ليكون أبين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيرانا.

ويقال إنه أمر أن يأخذ رؤوسهن في يده، فجعل كل طائر يأتي فيلقي رأسه فيتركب على جثته كما كان، فلا إله إلا الله، وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علما يقينيا لا يحتمل النقيض، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عيانا، ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ! فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه غاية مأموله"[463] .

فهذه معجزة أجراها الله تعالى على يد إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهي خارقة للعادة؛فالطير بعد تمزيقه لا يعود للحياة في العادة، ولكن جرت المعجزة بإحياء أربعة من الطير بأمر الله تعالى اختلطت لحومها مع بعضها البعض في وقت واحد على يد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهي تدل على قدرة الله تعالى على بعث الخلائق من بعد الموت، و لم تكن لشك منه عليه الصلاة والسلام في قدرته عز وجل[464] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ البقرة: ٢٦٠"[465] .

463- ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٢٧-١٢٨ ،وانظر الرازي،محمد بن عمر بن الحسين،التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١١هـ-١٩٩٠م، ج٧/ص٣٣-٣٨ .

464- انظر طبّاره،عفيف عبد الفتاح،اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث الحاضرة مع قصص أنبياء الله تعالى إبراهيم ويوسف وموسى عليهم الصلاة والسلام،راجعه خليل سكر،وحسين يوسف غزال،بيروت-لبنان،دار العلم للملايين،ط٢ ،١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ،ص١١٧ .

465- رواه البخاري، الجامع الصحيح المختصر، ج١٣-ص٤٩٣/رقم الحديث٤١٧٣ .

المطلب السادس: معجزة لوط عليه الصلاة والسلام

لوط عليه الصلاة والسلام عمه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام آمن معه، وهاجر معه إلى الأرض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنبياء: ٧١

بعثه الله تعالى إلى أهل سدوم ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية، وأردؤهم سريرة وسيرة، وكانوا مع ذلـك يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، ويأتون في ناديهم، وهو مجتمعهم ومحل حديثهم وسمرهم، المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف أصنافه، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون.

فهم أول من فعل فاحشة لم يسبقهم إلى فعلها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأعراف: ٨٠ - ٨١

فدعاهم لوط عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش المنكرات، والأفاعيل المستقبحات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم، واستمروا على فجورهم وكفرانهم، ولم يستجيبوا له ولم يؤمـنوا بـه حتى ولا رجل واحد منهم، ولم يتركوا ما عنه نهوا، بل استمروا على حالهم، ولم ينتهوا عن غيهم وضلالهم، وهموا بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم بحجة أنهم أناس يتطهرون، وما حملهم على مقالتهم هذه إلا العناد واللحاج وسوء الأدب النابع من إسرافهم في بحور القذارة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد[466] ، فطهره الله وأهله إلا امـرأته، وأخرجهم منها أحسن إخراج، فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم، فسأل من رب العالمين وإله المرسلين أن ينصره على القوم المفسدين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾
العنكبوت: ٢٨ - ٣٠

---

[466]-انظر الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٢/ص١٢١ .

فغار الله لغيرته، وغضب لغضبته ؛ واستجاب لدعوته، وأجابه إلى طلبته، وبعث رسله الكرام، وملائكته العظام، فمروا علـــى الخليل إبراهيم وبشروه بالغلام العليم، وأخبروه بما جاءوا له من الأمر الجسيم والخطب العميم بإهلاك قوم لوط وإنهم آتيهم عذاب غير مردود[467] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ هود: ٧٤ - ٧٦

ولمـــا جاءت رسل الله تعالى إلى لوط عليه الصلاة والسلام ود أن لو كان له بقومه قوة، أوْ لَهُ منعة وعشيرة ينصرونه عليهم، ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على خبث مراودتهم له عن ضيفه المكرمين فطمس الله تعالى العزيز الجبار أعيـــنهم فلم يبصروا الملائكة وبذلك تخلص لوط عليه الصلاة والسلام من شرهم وأذاهم،فطمس أعينهم تعتبر معجزة بينة أيد الله عز وجل بها نبيه لوط عليه السلام وأواه المولى عز وجل إلى ركن شديد،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ القمر: ٣٧

فتقدمت الملائكة إلى لوط عليه السلام، آمرين له بأن يسري هو وأهله من آخر الليل ولا يلتفت منهم أحد عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه إلا امرأته لأنها ساء عملها بكفرها فهي مع القوم الهالكين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ هود: ٧٧ - ٨١

وتركهم الجبار في ديارهم خامدين، لكن بعد ما صيرها عليهم بحرة منتنة ذات أمواج، لكنها عليهم في الحقيقة نار تـــأجج، وحسـر يـــتوهج، وماؤها ملح أجاج فأحل الله بهم من البأس الذي لا يرد ما لم يكن في خلدهم وحسبانهم، وجعلهم آية في العالمين، وعبرة يتعظ بها الألباء من العالمين، فهي جريمة تعدت حدود كل المقاييس والأعراف وهي من الجهل والتخلف ما لا يقدم على فعله البهائم، فقد أسرفوا في شهواتهم حتى كانوا قرناء الشيطان، ومن لم يتعظ وفعل فعلتهم الشنعاء فهو يشاطرهم العقاب الذي يتكرر مع أهل الفجور، وفي ذلك غاية الزجر لكل معتد أثيم.

---

[467] – انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٣٨– ١٤١ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ هود: ٨٢ - ٨٣

فأمـــر الحق تبارك وتعالى برفع جميع قراهم إلى عنان السماء، ثم أمر بقلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود الشديد الصلب القوى يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء، وهي مسومة معلمة أمطـــرها المولى عز وجل على رؤوس المجرمين من قوم لوط فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الذين جعلهم المولى عز وجل آية للعالمين وآثار الدمار والعذاب ماثلة للعيان إلى الآن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الصافات: ١٣٧ - ١٣٨

وهي فيما يعرف ببحيرة لوط أو البحر الميت الذي لا يحيى فيه أي كائن بحري لشدة ملوحته وما يجاوره من الأرض لا ينـــبت فـــيها النبات، فهو عقاب رباني ناسب جرمهم الذي جعلهم يستحقون الاستئصال فقد فسدت فطرتهم وساء طبعهم حتى لم يظهر من بينهم رجل عاقل رشيد يهتدي للحق أو يساعد حتى على الإصغاء إليه[468] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ الأعراف: ٨٣ - ٨٤

فهذه معجزة ربانية ذكرها الله تعالى في أكثر من موضع في كتابه المبين ما زالت آثارها مشاهدة بالأبصار لكل من أراد الاعتبار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾ الـــشعراء: ١٧٤ - ١٧٥ .

فقـــد أنهـــت تلك المعجزة مسيرة الإفساد والخبث المستشري، الذي أقام عليه قوم فسد طبعهم فهم دون مرتبة الحيوان، وساء عملهم على الرغم من وجود نبي كريم بعثه الله تعالى إليهم يذكرهم بسوء عاقبة فعلتهم تلك، ولكن لا تغـــني الآيـــات والـــنذر عن قوم لا يؤمنون، فتارة يهددونه بالإخراج وأخرى بالرجم، مع حرصه البالغ في النصح لهم،فجاءت المعجزة التي لم تعهد من قبل بعد استنفاذ كل وسائل الإصلاح الممكنة مع قوم أدمنوا المعصية وأسكرهم قـــبح جـــرمهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ الحجر: ٧٢ ، فلا أمل لهم في الشفاء، وزين لهم الـــشيطان فجـــورهم حتى غدا الطهر والعفاف في عرفهم جريمة تستحق العقاب،ولم يتورعوا عن المجاهرة في المعاصي والمـــسارعة لطلبها بلا حياء من نبي الله تعالى وملائكته الأطهار، فهم لم يسبقهم أحد من العالمين لجرمهم هذا فكان العقـــاب الألـــيم بمعجـــزة ربانية لم يسبق أن عاقب بها أحدا من العالمين، وذلك بقلب قراهم وجعل عاليها سافلها وإمطـــارهم بحجارة من سجيل منضود بعد أن كتب الله تعالى النجاة للوط عليه الصلاة والسلام وأهل بيته المسلمين الذين سرى بهم بقطع من الليل بلا التفات للقوم الظالمين، وأصاب امرأته ما أصاب القوم الكافرين جزاء وفاقا[469] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الذاريات: ٣٥ - ٣٧ .

---

[468]- انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٤١-١٤٥، و طباره، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص١٤٢-١٥٠ .

[469]- انظر النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء ،ص١٤٦-١٥٠، وأبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص٣٩٨-٣٩٩ .

المطلب الثامن: معجزة شعيب عليه الصلاة والسلام

كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين التي هي قريبة من أرض معان التي هي من مدن المملكة الأردنية الهاشمية الآن، وهي تقرب من بحيرة قوم لوط، والتي تسمى الآن بالبحر الميت، وكانوا بعدهم بمدة قريبة من الزمن.

وكان أهل مدين كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة، وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها،وكانوا من أسوأ الناس معاملة ؛ يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص. فـــبعث الله تعالى فيهم رجلا منهم، وهو رسول الله شعيب عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي تلك الأفعال القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في طرقاتهم، فآمن به بعضهم وكفر أكثرهم، حتى أحل الله بهم البأس الشديد، وهو الولي الحميد[470] .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥ – ٨٧

فهم كما أخبر المولى عز وجل على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام خطيب الأنبياء أنهم قد جاءتهم بينة من ربهم أي معجزة وإن لم يصرح بها وهي ذات دلالة وحجة واضحة يلزم منها وفاء الكيل والوزن بالقسط والعدل في معاملة العباد وترك الإفساد في الأرض والوعيد بالعذاب لمن خالف ذلك، وهي كذلك برهان قاطع على صدق ما جاءهم به وأنه رسول رب العالمين، فالمعجزة التي أجراها الله تعالى على يديه وإن لم ينقل إلينا تفصيلها، كانت هذه الآية﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قد دلت عليها إجمالا[471] .

---

[470]– ابـــن كثير ، قصص الأنبياء، ص١٤٩–١٥٠ بتصرف، وانظر الشوكاني،محمد بن علي بن محمد،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،القاهرة–مصر،دار الحديث،ط١ ،١٤١٣هـ–١٩٩٣م،ج٣/ص١٩٨–١٩٩ .

[471]– انظر النجار، قصص الأنبياء ، ص١٨١، وهو يميل إلى أن البينة الطريقة الواضحة المقبولة في العقول وهي شريعة من الله تعالى أتاهم بها. وهذا تخصيص منه للنص يحتاج إلى أدلة تثبته وإن كان مقصده إيضاح معنى البينة .

ثم ذكرهم عليه الصلاة والسلام بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد القلة، وحذرهم من حلول نقمة الله تعالى بهم من سلب النعم إن هم خالفوا ما أرشدهم إليه ودلهم عليه من إقامة الوزن بالقسط وعدم بخسهم الناس أشياءهم، وعنفهم أشد تعنيف؛ لأن قليل الحلال يغني عن كثير الحرام .

قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ هود: ٨٥ - ٨٦

ولكنهم عاندوا وحاولوا الاستخفاف به، وبدعوته عليه الصلاة والسلام من خلال الاستهزاء بحلمه ورشده وبصلاته؛ لثني عزمه عن نصرة الحق وللإبقاء على التمسك بباطلهم الموروث[472] .

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ هود: ٨٧

ولكنه عليه الصلاة والسلام بادرهم بحسن الجواب الذي فيه ثقة بنصر الله تعالى فهو يحرص على التدرج في الإقناع؛ لأنه قدوتهم الحسنة، ولا يخالفهم فيما ينهاهم عنه، وهو رسول من رب العالمين غايته الإصلاح ما استطاع إليه سبيلا .

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود: ٨٨

وحذرهم من عاقبة كرههم المزعوم من أن يترل بهم من العذاب مثل ما نزل على المكذبين من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وهم على قرب مكان وقرب عهد بما أصاب قوم لوط، فالأولى بهم المبادرة إلى التوبة والاستغفار لا التمادي في العناد .

قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ هود: ٨٩ - ٩٠

ولكنهم تجردوا من كل ذرة إحساس وتوعدوا نبي الله تعالى شعيبا بالرجم، وما يمنعهم في تقديرهم إلا الخوف من عشيرته، ولم يلتفتوا إلى قدرة الجبار وأن الذي يتوعدونه هو رسول من رب العالمين .

[472] -انظر طبّاره، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص٢٠٠-٢٠١ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾ هود: ٩١ - ٩٣

فاستفتح على قومه بطلب تعجيل ما يستحقونه من العذاب، والله لا يرد دعاء رسله إذا استنصروه على الذين جحدوه وكفروه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ الأعراف: ٨٨ - ٨٩

وقد جمع الله تعالى عليهم أنواعا من العقوبات، وصنوفا من المثلات، وأشكالا من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظلة أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات .

ولكنه تعالى أخبر عنهم في كل سورة بما يناسب سياقها ويوافق طباقها؛ في سياق قصة الأعراف أرجفوا نبي الله وأصحابه، وتوعدوهم بالإخراج من قريتهم، أو ليعودن في ملتهم راجعين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الأعراف: ٩١

فقابل الإرجاف بالرجفة، والإخافة بالخيفة، وهذا مناسب لهذا السياق ومتعلق بما تقدمه من السياق.

وأما في سورة هود، فذكر انهم أخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وذلك لأنهم قالوا لنبي الله على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص منه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ هود: ٨٧

فناسب أن يذكر الصيحة التي هي، كالزجر عن تعاطي هذا الكلام القبيح، الذي واجهوا به هذا الرسول الكريم الأمين الفصيح، فجاءتهم صيحة أسكتتهم مع رجفة أسكنتهم .

وأما في سورة الشعراء، فذكر أنه أخذهم عذاب يوم الظلة، وكان ذلك إجابة لما طلبوا، تقريبا إلى ما إليه رغبوا، فإنهم قالوا -كما أخبر عنهم القرآن الكريم- :قال تعالى:﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الشعراء: ١٨٥ - ١٨٨

قال الله تعالى وهو السميع العليم:﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٨٩

فأظلتهم سحابة، فاجتمعوا تحتها ليستظلوا بظلها، فلما تكاملوا فيه أرسلها الله تعالى ترميهم بشرر وشهب، ورجفت بهم الأرض، وجاءتهم صيحة من السماء، فأزهقت الأرواح .

وقـــد ذكر الله عن أهل الأيكة من المذمة ما ذكره عن أهل مدين من التطفيف في المكيال والميزان، فدل على أنهم أمة واحدة، أهلكوا بأنواع من العذاب بالرجفة والصيحة وعذاب يوم الظلة ثم ذكر في كل موضع ما يناسب من الخطاب كما أسلفنا ولو كانوا أكثر من أمة للزم أن يكونوا ثلاثة من الأمم على مقتضى أنواع العذاب وهذا أمر مستبعد والله تعالى أعلى وأعلم[473] .

فشعيب عليه الصلاة والسلام دعا قومه إلى مكارم الأخلاق وحسن المعاملات، وأيده الله تعالى بآية بينة لم يكشف النقاب عن تفاصيلها،فلزمتهم الحجة بذلك واستحقوا عقاب الله تعالى بالعذاب بالصيحة التي جعلتهم جثثا هامدة بلا أرواح كأنهم لم يقيموا في ديارهم من قبل، ولكن بعد أن نجا الله تعالى شعيبا والذين آمنوا معه، وقد نعى شعيبا قومه الصرعى الذين اجتهد في نصحهم وبلغهم رسالات ربهم، ولكن لا أسف على نهاية الكافرين بآيات الله تعالى .

473- انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٥٢-١٥٣، وأبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص٤٠٠-٤٠١ .

المطلب التاسع: معجزات موسى عليه الصلاة والسلام

توطئة:

ذكر القرآن الكريم العديد من معجزات موسى الكليم عليه الصلاة والسلام، والتي منها ما كان في مقام بدء إعلان بعثته وتوجيه رسالته إلى فرعون الذي طغى من أجل الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وإرسال بني إسرائيل معه إلى الأرض المقدســـة، فكانـــت المعجزات التي أيده الله تعالى بها برهانا أبلج على صدقه وصدق أخيه هارون عليهما الـــصلاة والسلام، وهي حجة على فرعون وقومه المعاندين لرب العالمين، وكذلك هي حجة على بني إسرائيل الذين كانـــوا يتعايشون مع أحداث تلك المعجزات، ومنها ما تعلق ببني إسرائيل خاصة فكان منها ما هو رحمة بهم ومنها ما هـــو تهويل وتخويف لهم لردعهم وزجرهم عن انحرافاتهم العقدية المتوالية، وبذلك يمكن تقسيم معجزات موسى عليه الصلاة والسلام إلى ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول: المعجزات المتعلقة بفرعون وقومه .

القسم الثاني: معجزات الرحمة لبني إسرائيل .

القسم الثالث: معجزات التهويل والتخويف للعصاة من بني إسرائيل .

وهـــذا تقسيم اجتهدت فيه من أجل وضع عناوين عامة يندرج تحتها عدد من معجزات موسى عليه الصلاة والسلام بشكل يحصر الحديث عن معجزاته عليه الصلاة والسلام ويصفيها عن الامتزاج بالطابع القصصي فيعطي القارئ إضاءة جديـــدة عن معجزات موسى عليه الصلاة والسلام،ومع هذا فهي معجزات متكاملة البناء تبرهن على دعوة التوحيد ووجـــوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهي تدل على صدق موسى وأخيه عليهما الصلاة والسلام كذلك، وفيها تخليص لبني إسرائيل من آثار الرق الفرعوني الذي ترسب في نفوس وقلوب بني إسرائيل بعد نجاتهم وغرق فرعون ومن معه من الجنود .

وهـــذا التقـــسيم سنتحدث عنه إن شاء الله تعالى في ثلاثة مقاصد: المقصد الأول المعجزات المتعلقة بفرعون وقومه والمقصد الثاني معجزات الرحمة لبني إسرائيل والمقصد الثالث معجزات التهويل والتخويف للعصاة من بني إسرائيل والله ولي التوفيق .

المقصد الأول: المعجزات المتعلقة بفرعون وقومه .

فقد ذكر القرآن الكريم أن الله تعالى أجرى تسع معجزات على يدي عبده وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام أمام فـــرعون وقومه؛ لكي يخشى فرعون الله تبارك وتعالى ويترك ما عليه من الضلال والتكبر على دعوة التوحيد، ويطلق ســـراح بـــني إسرائيل مع موسى عليه الصلاة والسلام، ولكنه بالغ في النفرة من اتباع الحق مع كثرة المعجزات التي شاهدها، وهي تقطع بشكل بين بأن موسى عليه الصلاة والسلام رسول من عند رب العالمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الإسراء: ١٠١

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ النمل: ١٢

والمعجزات التسع هي : العصا، اليد البيضاء،الطوفان،الجراد،القمل،الضفادع،الدم،السنون،والنقص من الثمرات* .

وهذه المعجزات التسع يمكن الحديث عنها في ثلاثة أقسام وهي:

القسم الأول:معجزتا العصا واليد البيضاء .

فهاتان المعجزتان أظهرهما الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام في الوادي المقدس طوى وهو متوجه بأهله من مدين إلى مصر .

فهمـــا يحمـــلان جانب إعلان بدء بعثة موسى عليه السلام وفيهما تأنيس لموسى عليه الصلاة والسلام من خوف المطالـــبة بدم المصري الذي قتله خطأ قبل عشرة سنين، ويظهر ذلك التأنيس من خلال سؤال المولى عز وجل له عن العصا التي بيمينه ثم أمره بضم يده إلى جناحه لتخرج بيضاء من غير سوء، كما أن ذلك المشهد فيه إعداد لموسى عليه الصلاة والسلام الذي سيظهر هذه الآيات أمام متكبر جبار مفسد في الأرض مُستضعِفٍ لطائفة من العالمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ طه: ١٧ - ٢٢

*-تخـــصيص التسع بالذكر لا يقدح في ثبوت الزائد عليها من المعجزات، مع العلم أن الإجماع منعقد على ذكر سبعة منها وهي: العصا، اليد البيضاء،الطوفان،الجراد،القمل،الضفادع،الدم، وبقي الاختلاف في تحديد الباقي بين أهل العلم .

انظر البيهقي، أحمد بن الحسين،دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٠٨هـــ-١٩٨٨م، ج١/ص٧-٨ .

فهذه معجزة خارقة للعادة عصا يحملها موسى عليه الصلاة والسلام بيده وهي جماد لا حياة فيها فبمجرد أن أمره الله تعـالى بإلقائها تحولت لحية تسعى، ثم عندما أمره الله تعالى بأن يمسك بها ويأخذها عادت كما كانت عصاه التي يحملـها فهـذه معجزة ربانية تحمل دلالات عظيمة من أن الذي أجراها هو الله تعالى الذي لا إله إلا هو، وأن الذي أجـريت على يديه هو نبي مكلم اصفاه الله تعالى، وهو مكلف برسالة جديدة، وهنا تظهر بشرية موسى عليه الصلاة والسـلام من خلال خوفه كبشر من هول المشهد ثعبان عظيم يهتز في أسرع حركة وهو قد انقلب وتحول من عصا بـيده معهودة له وهو الذي ألقاها أيضا،فولى هاربا من هول ذلك المنظر و لم يلتفت لذلك المشهد مرة أخرى. قال تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

النمل: ١٠

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص: ٣١

فأمره الله تعالى بالرجوع لأنه لا مكان للخوف بعد هذا اليوم فهو الآن رسول رب العالمين لا ينبغي له أن يخاف وهو آمن فهو يحمل دليل صدقه بالإضافة إلى معجزة أخرى وهو أن يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء تتلألأ كالبدر.

قال تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ القصص: ٣٢

فهو الآن يحمل معه دليلا صدقه عليه الصلاة والسلام العصا واليد البيضاء؛ فتوجه إلى فرعون وقومه لعلهم يتقون ملبيا بذلك أمر رب العالمين الذي شد عضده بأخيه هارون، واستجاب لحل عقدة من لسانه؛ لكي يفقه فرعون وملؤه كلام موسى عليه الصلاة والسلام الذي يحمل معه الشيء المبين.

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ طه: ٤٢ – ٤٨

وبعد طول حوار مع فرعون تجبر وعاند فادعى أنه الرب الأعلى، وما علم إلها غيره لقومه، وحذر موسى من أن يتخذ إلهـا غير فرعون عليه لعنة الله تعالى، فتكبر على دعوة الحق،فعندها أظهر له موسى عليه الصلاة والسلام دليلا صدقه وأنه رسول رب العالمين العصا التي انقلبت إلى ثعبان مبين واليد البيضاء[474] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ الشعراء: ٢٩ – ٣٧

فقـد أقام الكليم على فرعون اللئيم الحجة الدامغة ولكنه استعلى على الحق وتكبر وحاول أن يطمس معالم الحقيقة فـاتهم موسـى عليه الصلاة والسلام بأنه ساحر عليم،فتواعدا في يوم الزينة لكي يتحدى فرعون معجزة موسى عليه الـصلاة والـسلام وأخذ ينادي في البلاد لحشر كل ساحر عليم ويدفع الأجور ويعد بالتقريب إن كان السحرة هم الغالـبون، فعند ذلك قال لَهُمْ مُوسَى: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ) وهو يوم عيدهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم؛ ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء، ومعجزات الأنبياء، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية، ولهـذا قـال: { وَأَنْ يُحْـشَرَ النَّاسُ } أي: جميعهم { ضُحًى } أي: ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضـح، وهكذا شأن الأنبياء، كل أمرهم واضح، بيّن، ليس فيه خفاء ولا ترويج؛ ولهذا لم يقل "ليلا" ولكن نهارًا ضحى[475] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ طه: ٥٦ - ٥٩

ولقد حذر الكليم وأنذرهم من العذاب الأليم، ولكن أسرَّ السحرة النجوى بينهم، وخيروه فيمن يبدأ أولا فأمرهم أن يلقوا سحرهم الذي سيبطله الله تعالى فلا يفلح الساحر حيث أتى .

[474] –انظر ملكاوي، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل،عقيدة التوحيد في القرآن الكريم،الرياض–المملكة العربية السعودية،دار ابن تيمية للنشر،ط٢ ،١٤١٢هـ–١٩٩٢م،ص١٩٨–٢٠١ .

[475] – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٥/ ص٢٩٩ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ طه: ٦٥ - ٦٩

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ١١٥ – ١٢٠

فشتان ما بين المعجزة والسحر فالأخير فيه الحيلة ظاهرة فهو إفك وكذب مبين يسهل معرفة سببه، والمعجزة فيها الحقيقة هي الغالبة فالعصا ما إن أمر الله تعالى نبيه موسى بإلقائها حتى انقلبت إلى ثعبان مبين تلقف بسرعة البرق الخاطف كل ما صنع السحرة من حيل وأباطيل وتخييلات لعصيهم وحبالهم التي سحروا أعين الناس بها[476] ،فعندها أيقن السحرة أن ما ظهر على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر، وإنما هو أمر خارق للعادة فهم أعلم الناس بحقيقة السحر، ولذلك أجمعوا كلهم على الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له –وهم قد جمعوا من نواحي مختلفة– بلا مناقشة وبلا مجادلة فما أن شاهدوا تلك المعجزة حتى خروا سجدا لله رب العالمين بلا رجوع أو استشارة من فرعونهم القديم الذي أقسموا بعزته قبل قليل .

فهم أفاقوا من غفلتهم وخافوا من عذاب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا حقيقة المعجزة التي شاهدوها فلم يلتفتوا إلى تهديد ووعيد فرعون العنيد[477] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ الشعراء: ٤٤ – ٥١

---

[476]-انظر الشعراني،عبد الوهاب،اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر،القاهرة–مصر،المطبعة الميمنية،ط غير معروفة،١٣٠٦هـ، ج١/ص١٤٧ .

[477]-انظر طبّاره،عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن،ص٢٣٦ ،وابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٢٢–٢٢٧ ،وأبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، ص٤٠٢–٤٠٣ .

فأمـــر المعجـــزة لا يحتاج معه العاقل إلى تردد في قبول الإيمان والإقبال عليه؛ لأن ظهور المعجزات فيه فصل الخطاب، فالـــسحرة كانـــوا أول المؤمنين بالله رب العالمين بعد أن كانوا رأس حربة المتكبرين في التصدي للحق، فهم جهروا بالإيمـــان أمـــام كل المجتمعين و لم يخشوا أحدا من العالمين؛ لأنهم عاينوا البرهان القاطع في الدلالة التي يعجز البشر عن تحديه، وهذا هو شأن دلالة المعجزات عند كل عاقل لبيب أن يخر ساجدا لله رب العالمين[478] .

القسم الثاني: معجزتا السنين ونقص الثمرات .

وقـــد ذكـــرهما الله تعـــالى في قـــوله تعالى﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٠

لقـــد ابتلى الله تعالى قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين، التي فيها الجدب، والقحط سنة بعد ســـنة، ونقص من الثمرات، وابتلاهم مع الجدب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل منها لعلهم يذكرون، فتكون عظة لهم وتذكيرًا لهم، ليعودوا عن ضلالتهم، ويفزعوا إلى ربهم الجبار بالتوبة والاستغفار .

ولكنهم كلما جاءتهم سني العافية والخصب نسبوا ذلك لأنفسهم،وإن كانت سني عذاب وقحط وجدب نسبوا ذلك لموســـى عليه الصلاة والسلام تشاؤما منه ومن أتباعه -زعما منهم-، وما علموا أن ما أصابهم هو آية ربانية بحكمته ومشيئته التي ترصد كفرهم وعدم إيمانهم بالله تعالى فالواجب عليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى ويعتبروا من حصول هذه الآيات قبل فوات الأوان [479] .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ الأعراف: ١٣١

القسم الثالث: وهي معجزات الطوفان،الجراد،القُمَّل،الضفادع،والدم .

وهذه المعجزات قد ذكرت في آية كريمة من القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٣

---

[478] -انظر ابن تيمية،أحمد،معارج الوصول،القاهرة-مصر،المطبعة العامرة الشرقية،ط١ ،١٣٢٣هـــ ،ص٧ .

[479] - انظر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،٢٠٠٠ م، ج١٣/ص٤٥-٤٨ ،والزمخشري،محمود بن عمر،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج٢/ص١٣٩ .

لقد توالت المعجزات بالظهور على فرعون وقومه وما تظهر معجزة إلا وفيها من البلاء ما هو أشد من المعجزة السابقة ولعل في ذلك تضييقا لمداخل المعاصي في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم ليتقبلوا الهداية الربانية، فأجرى الله تعالى معجزات الطوفان وهو الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم وزروعهم، وأضر بهم ضررا كثيرا والجراد فأكل ثمارهم وزروعهم، ونباتهم وَٱلْقُمَّلَ قيل: إنه الدباء، أي: صغار الجراد، والظاهر أنه القمل المعروف، وَٱلضَّفَادِعَ فملأت أوعيتهم، وأقلقتهم، وآذتهم أذية شديدة، وَٱلدَّمَ إما أن يكون الرعاف، أو أن ماءهم الذي يشربون انقلب دما، فكانوا لا يشربون إلا دما، ولا يطبخون إلا بدم، مع أن بني إسرائيل لم يصبهم من ذلك شيء بالكلية وهذا من تمام المعجزات الباهرات لأن المعهود أن البلاء إذا وقع يعم الصالح والطالح والعادة جارية أن لا خصوصية في سنوات الجدب ولا سيما في عهد يوسف عليه الصلاة والسلام أصاب أهله ما أصاب أهل مصر من عموم القحط مع أنهم كانوا في مساكنهم مقيمين .

فهذه أدلة وبينات توالت في الظهور عليهم تدل على أن ما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام هو حق وصدق من عند الله تعالى، وهي تؤكد على أنهم كانوا قوما كاذبين ظالمين، فهم أهل إجرام استكبروا على كل مشاهد الاعتبار من تلك المعجزات، وكلما وقع عليهم العذاب من الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، التي هي رجز وعذاب، تشفعوا بموسى عليه الصلاة والسلام بأن يدعو الله تعالى في كل مرة أن يرفع عنهم البلاء ويعاهدوه على الإيمان بالله تعالى وإرسال بني إسرائيل معه لقاء ذلك، وهم في حقيقة الأمر كذبة ينقضون عهدهم في كل مرة بعد رفع العذاب عنهم، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب، وظنوا من جهلهم أن العذاب إذا رفع لا يصيبهم غيره والله تعالى الحليم القدير لا يعجل عليهم بالهلاك[480] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾
الأعراف: ١٣٤ – ١٣٥

فهم كلما كشف المولى عز وجل عنهم العذاب إلى أجل مسمى نكثوا و لم يؤمنوا[481] .

---

[480]– انظر البغوي، الحسين بن مسعود،،معالم التتريل، ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ج٣/ص٢٦٧-٢٦٩،و البلتاجي،محمد الأنور أحمد،محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الكامل، والرحمة المهداة قبسات نورانية، ، ومعجزات حسية،ص٤١٥-٤١٦ .

[481]–انظر الزمخشري،محمود بن عمر،الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج٢/ص١٤٢-١٤٣ .

المقصد الثاني: معجزات الرحمة لبني إسرائيل ٠

وهذه المعجزات التي يمكن إدراجها تحت مسمى معجزات الرحمة لبني إسرائيل هي:

١–معجزة فلق البحر

لقـــد أوحـــى الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يسري ببني إسرائيل ليلا من أرض مصر إلى الأرض المقدسة بفلسطين بعد عدم استجابة فرعون لأمر الله تعالى والذي لم يتعظ بالمعجزات التي أظهرها الله تعالى على يدي موســـى علــيه الـــصلاة والسلام، وهو بعد هذا في حرص مستمر لمواصلة مسيرته في الاضطهاد والتقتيل الذي أخذ يلاحقهم ويطاردهم في خروجهم هذا ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الشعراء: ٥٢

فلمـــا علم فرعون بأمرهم جيش الجيوش وأسرع في طلبهم لصدهم عن الخروج من أرض مصر فأدركهم عند شاطئ البحر الأحمر[482] ودنا منهم وأذهل الأمر بني إسرائيل وأيقنوا الهلاك فهم لا عهد لهم بقتال ولا يملكون السلاح ولا مفر لهم فالبحر من أمامهم والعدو من خلفهم وقالوا لموسى عليه الصلاة والسلام إنهم لمدركون ولكنه عليه الصلاة والسلام زجـــرهم لأنه يثق بالله تعالى الحفيظ الذي سيجعل له مخرجا قريبا، فأوحى الله تعالى لموسى أن اضرب بعصاك البحر، فـــضرب بعصاه البحر فانفلق البحر إلى فلقتين يمنة ويسرة كالطود العظيم وطريقهم يَبِسٌ فلما رأى بنو إسرائيل تلك المعجزة الربانية الخارقة للعادة سارعوا في طلب النجاة فجازوا البحر وأمر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على حاله تلك إلى أن توسط فرعون وجنوده البحر أمر الله تعالى البحر أن ينطبق عليهم فأغرقهم أجمعين فلم ينج منهم إلا بدن فرعون و لم يهلك أحد من بني إسرائيل ٠

فهـــذه معجزة ربانية خارقة للعادة أجراها الله تعالى على يدي رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وذلك بأمره أن يضرب بعصاه البحر فانفلق البحر إلى فلقتين وقف الماء كجبل عظيم شاهق وييبس قاع البحر فأصبحت أرضه يابسة

---

[482]–يرى موريس بوكاي: أنه ليس بالإمكان تحديد مكان انفلاق البحر لانعدام الآثار الدالة على ذلك، بوكاي،موريس،القرآن والتوراة والإنجـــيل والعلم الحديث دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،ص٢٩١–٢٩٢ ،وهناك من يميل إلى أن تكون نقطة العبور في الطـــرف الجـــنوبي لخليج السويس المقابل لجبل الطور الذي تلقى عنده موسى عليه الصلاة والسلام كلمات الله تعالى. انظر الهندي،رحمة الله،إظهار الحق،دراسة وتحقيق وتعليق د.محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي،القاهرة–مصر،دار الحديث،ط٣ ،١٩٩٤م،ج١/ص١٢٤–١٢٥ ٠

صلبة يمكن السير عليها بيسر ثم يمر بنو إسرائيل وحدهم وينجون أجمعين من الغرق ومن مطاردة فرعون لهم، وبعد أن توسط فرعون وجنوه البحر أمر الله تعالى البحر أن يعود كما كان فغرق فرعون ومن معه أجمعين[483] .

ففـــي هذه المعجزة دلالات عظيمة على أن الأمر الخارق يجريه الله تعالى بأمره وحده عز وجل، فالذي أوحى لموسى عليه الصلاة والسلام بضرب البحر بعصاه هو الله تعالى، والذي جعل ماء البحر ينفلق ويقف كالطود العظيم هو الله تعالى، والذي جعل قاع البحر ييبس هو الله تعالى، والذي أمر موسى بترك البحر على حاله هو الله تعالى، والذي أطبق البحـــر علـــى فرعون وجنوده هو الله تعالى، والذي أبقى بدن فرعون سالما بلا روح هو الله تعالى فسبحان الله العلي العظيم الذي رحم قوماً، وأهلك آخرين بمعجزة ما زالت بعض آثارها مشاهدة في المتاحف عبرة للمعتبرين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ الشعراء: ٦١ – ٦٨

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ طه: ٧٧ – ٧٩

ولقد حاول فرعون أن يطلب النجاة في لحظات الترع الأخير وعند معاينته للموت وأخذ يصرخ أنه آمن بالذي آمنت به بنو إسرائيل، ولكن لم ينفعه ذلك شيئا؛ فالوقت الآن وقت عذاب وانتقام لا تنفع فيه توبة وندم،وجعل الله تعالى من جـــسد فرعون آية ظاهرة للعالمين تدل على قدرة العزيز الرحيم، فلو كان فرعون إلها لما غرق ومات وهذا جسده بلا روح فـــيه تسري شاهد على ضعفه وقلة حيلته مع ما أوتي من أسباب وأنهار وملك لمصر، ولكنه جعل عبرة لكل من أراد الاعتـــبار مـــن بعده، فهذه معجزة ربانية تدفع الوهم عن حقيقة فرعون فالجسد قذفه البحر كاملا لم ينقص منه عضو و لم يسلط عليه شيء يفنيه أو حتى يغير من ملامحه فجسده معجزة باقية عثر عليها وهي مشاهدة الآن بالمتحف المصري[484] تدل على قدرة رب العالمين الذي إنما يقول للشيء كن فيكون.

[483]-انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٤٤-٢٤٥ .

[484]- انظر النجار، قصص الأنبياء، ص٢٤٠-٢٤١ .

والطريف في أمر العثور على جثته في عام ١٩٠٠م في قبر امنحتب الثاني في مكان يسمى بالأقصر في مصر أنه وجدت عبارة تشير إلى أنه لم يكن قبره مهيأ كما يجب لدفن ملك مثله؛لأن موته لم يكن منتظرا فلم يهيأ له قبر خاص[485] ٠

وفي تقديري هذا تأكيد على أن نجاة جثة فرعون هي معجزة ربانية كما جاء في القرآن الكريم، وليست بسبب التحنيط الذي يعتقد أنه السبب في الحفاظ على جسده طوال هذه المدة من الهلاك، فهم لم يقدروا على تهيئة القبر بالشكل المناسب في عرفهم، فهم من باب أولى أعجز من أن يكونوا قد رتبوا ما يبقي الجسد بجهدهم البشري مما يؤكد لنا حقيقة معجزة بقاء جسد فرعون إنما هي آية ربانية تدل على قدرة الله تعالى وحده لا شريك له، وفي ذلك عبرة للمعتبرين ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ يونس: ٩٠ – ٩٢

٢- معجزات تفجير اثنتي عشرة عينا،وتظليل بني إسرائيل بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم ٠

ولقد ذكرت هذه المعجزات الأربعة جميعا في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠

فحين كان بنو إسرائيل في شدة وعطش وخافوا الهلاك طلبوا من موسى عليه الصلاة والسلام أن يستسقى لهم،فأوحى الله تعالى إليه أن يضرب بعصاه الحجر فخرجت اثنتا عشرة عينا منه على عدد أسباطهم يشرب كل سبط منهم من عين واحدة منها٠

فهذه المعجزة خارقة للعادة فالعصا جماد والحجر جماد، ومع هذا يخرج الماء السائل من الجماد ٠

وكذلك معجزة تظليل الغمام لبني إسرائيل في الصحراء فقد جعل الله تعالى الغمام الذي هو أشبه بالسحاب يقيهم من حر الشمس الحارقة أثناء مسيرهم في الصحراء فيسيرون في ظل الغمام بلا مشقة أوعناء٠

485- طبّاره،عفيف عبد الفتاح،اليهود في القرآن،ص٢٢٠ ،وانظر بوكاي،موريس،القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثه،دراسة وتقديم خالد محمد عبده،الجيزة-مصر،مكتبة النافذة،الطبعة الأولى،٢٠٠٨م،ص٢٠٣-٢٠٥ ٠

وكذلك إنزال المن عليهم وهو طل أبيض يترل من السماء على شجر أو حجر، ويحلو، فيشبه العسل، ويجف جفاف الصمغ، ومعه أيضا السلوى الذي هو طائر يشبه السماني فيسهل اصطياده، وهذه معجزات أجراها الله تعالى رحمة ببني إسرائيل لعلهم يشكرون المنعم عز وجل ولا يكفرونه[486] .

٣-معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل بضربه ببعض أجزاء البقرة التي أمروا بذبحها .

وهذه المعجزة ذكرها الله تعالى في كتابه المبين وكشف فيها عن مماطلة اليهود وكثرة جدلهم وهم بحاجة إلى ما يسكن ثورتهم لمعرفة قاتل قتيلهم الذي لم يعرف قاتله فأمرهم الله تعالى بذبح البقرة التي ذبحوها وما كادوا يفعلون .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٦٧ – ٧٣

فهذه معجزة ربانية خارقة للعادة فإنسان قتيل ميت يضرب ببعض أجزاء بقرة مذبوحة ميتة فيؤدي لإحياء القتيل الذي تكلم ونطق وكشف عن هوية قاتله ويطوي ملف التنازع بشأن قتله ثم يعود كما كان ميتا.

وهي كذلك معجزة ربانية تدل على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، وهي تكشف عن غلظ قلوب بني إسرائيل وقسوتها حتى إنها لم تتأثر بمشاهدة المعجزات على الرغم من كثرتها فلم تلن قلوبهم التي أشربت عبادة العجل الذهبي مع أمـــرهم بذبحهم البقرة الصفراء التي ينبغي أن تكون قد استأصلت من قلوبهم ما أشربوه في قلوبهم القاسية من تكريمهم وتقديسهم للعجل الذهبي، فقلوبهم هي أشد قسوة من الحجارة فهي لم تتأهل لأن ينبع فيها خالص الإيمان[487] .

[486]– انظر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢/ص٩٠-٩٦ .

[487]– انظر قصة بقرة بني إسرائيل في ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٢٦٩ – ٢٧٠، وطبّاره، عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن، ص٢٤٣-٢٤٥ .

المقصد الثالث: معجزات التهويل والتخويف للعصاة من بني إسرائيل ٠

والمعجزات التي يمكن أن تسمى معجزات تهويل وتخويف لعصاة بني إسرائيل هي :

١-معجزة رفع جبل الطور فوق بني إسرائيل ليُعطوا الميثاق على ما في الألواح ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ البقرة: ٦٣

فلما جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام بالألواح التي أمرهم بالأخذ بكل ما فيها بقوة وعزم فقالوا: انشرها علينا فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة قبلناها٠

فقال لهم: بل اقبلوها بما فيها، فراجعوا مرارا، فأمر الله تعالى الملائكة فرفعوا الجبل فوق رؤوس بني إسرائيل حتى صار كأنه غمامة فوقهم فقيل لهم: إن لم تقبلوها بما فيها وإلا سقط الجبل عليكم، فعندها قبلوها خشية من الهلاك[488] ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ الأعراف: ١٧١

٢-معجزة بعث سبعين من بني إسرائيل إلى الحياة بعد موتهم بالصاعقة ٠

وذلـــك بسبب عدم إيمانهم بموسى وتصديقه فيما يبلغهم عن الله تعالى في الميقات وطلبهم من موسى عليه الصلاة والـــسلام رؤية الله تعالى جهرة، فأرسل الله تعالى عليهم الصاعقة، فماتوا جميعا وهم كانوا قد اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام من خيار بني إسرائيل لميقات الله تعالى من أجل الاعتذار عن عبادة قومهم للعجل الذهبي؛ فيتوبون إلى الله تعالى ويستغفرونه ويسألونه تعالى قبول التوبة لقومهم من خلفهم[489] ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٥

فتشفع فيهم الكليم موسى عليه الصلاة والسلام إلى الله تعالى فبعثهم الله تعالى من بعد موتهم لعلهم يشكرون ٠

---

[488]-انظر طبّاره، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص٢٤٨ ٠

[489]- انظر النجار، قصص الأنبياء ،ص ٣٤٨-٣٥٠ ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٥٥ - ٥٦

فهـــذه معجزة ربانية خارقة للعادة بعث سبعين رجلا من موقم برد أرواحهم إلى أجسادهم بعد أن تضرع موسى عليه الصلاة والسلام لله رب العالمين وفيها آية ظاهرة على قدرة الله تعالى الذي إنما يقول للشيء كن فيكون ·
كما أن فيها تأديبا للسفهاء جهلة بني إسرائيل الذين لم يخرجوا في مقاييسهم عن حدود المحسوس، فما قدروا الله حق قدره ·

٣-معجزة تيه بني إسرائيل أربعين سنة في الصحراء ·

وهـــذه المعجـــزة كانت عقابا لبني إسرائيل على رفضهم دخول الأرض المقدسة مع موسى وأخيه هارون عليهما الـــصلاة والسلام فعاقبهم الله بالتيه لمدة أربعين سنة لا يهتدون لمخرج من تلك الصحراء، وهذه نهاية المطاف مع بني إسرائيل تمرد على أوامر الله تعالى وعدم طاعة لأنبيائه وسوء ظن وعدم ثقة بوعد الله تعالى[490] ·

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ المائدة: ٢٤ – ٢٦

فهذه معجزة خارقة للعادة تيه لأمة بأسباطها مدة أربعين سنة؛ لأنها طغت وفسقت عن أمر ربها فهم لا يهتدون ولا يجدون من يهديهم إلى مخرج من مكانهم ذلك، ولعلها معجزة توحي بأن هذه الأمة الغضبية لا ينفع معها إلا العزل عن بقية الخلق حتى لا تنتقل عدواهم للآخرين، فهم قد استوفوا كل سبل الإصلاح، ولكنهم بطبعهم الفاسد لا يستجيبون لأي محاولة علاج، ولو كانت على يدي رسل الله تعالى الكرام عليهم الصلاة والسلام ·

[490]-انظر طبّاره، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص٢٤٩ ·

المطلب العاشر: معجزات داود عليه الصلاة والسلام

النبي داود عليه الصلاة والسلام من أنبياء بني إسرائيل، واشتهر أمره على إثر قتله لجالوت الذي تسبب بهزيمة جنود جالوت بإذن الله تعالى، ومن هنا حظي داود برعاية القائد الملك طالوت له وقد آتاه الله تعالى الملك والنبوة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١

وقد أنزل الله تعالى عليه الزبور . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ الإسراء: ٥٥

وآتاه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب، وعلمه مما يشاء ، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص: ٢٠

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم للنبي داود عليه الصلاة والسلام ما يلي:

١-أن الله تعالى سخر معه الجبال والطير يسبحن معه في العشي والإبكار .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ ﴾ ص: ١٨ - ١٩

فقد آتاه الله تعالى صوتا حسنا يسبح الله تعالى ويحمده ويرتل به الزبور في العشي والإبكار، فترجع معه الجبال التسبيح والتحميد، وتجتمع معه الطير فتردد معه التسبيح والترتيل فسبحان من جعل الجبال الرواسي والطير السابحة يسبحن بلسان واحد كالعقلاء بحمده تعالى بالعشي والإبكار مع نبي الله تعالى داود عليه الصلاة والسلام .

٢-أن الله تعالى ألان له الحديد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ: ١٠ - ١١

فهذه معجزة أجراها الله تعالى لعبده ونبيه داود عليه الصلاة والسلام فهو يتصرف بالحديد المسخر له بإذن الله تعالى كالشمع المذاب بين يديه عليه الصلاة والسلام فلا يحتاج لنار أو مطرقة، فيصنع منه الدروع التي هي أهم وسائل الوقاية للجسد من ضربات الأعداء، فينسجه بالشكل المحكم من حلقات متساوية يتصل بعضها ببعض مما يسهل حركة المجاهد ويقيه من ضربات الأعداء بإذن الله تعالى في ميادين الجهاد في سبيل الله تعالى[491] .

---

[491]-انظر حبنكة، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها ، دمشق-سوريا، دار القلم، الطبعة السابعة،١٩٩٤م، ص ٤٠٦، والنجار، قصص الأنبياء، ص٣٦٨-٣٦٩ ،والملاح،ندم،العقائد الإسلامية،القدس-فلسطين،مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية،ط غير معروفة،١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ص١١٩ .

المطلب الحادي عشر: معجزات سليمان عليه الصلاة والسلام

فالنبي الملك سليمان هو ابن داود عليه الصلاة والسلام و وارثه حيث آتاه الله تعالى الملك ميراثا عن أبيه عليه الصلاة والسلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل: ١٦

وهو الذي دعا الله تعالى أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده عليه الصلاة والسلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ ص: ٣٥

وهو الذي حُشِرَ إليه جنوده من الجن والإنس والطير، وملك حيا وميتا عليه الصلاة والسلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ سبأ: ١٤

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم للنبي الملك سليمان عليه الصلاة والسلام ما يلي:

١-إدراكه كلام النمل .

وهي معجزة تقطر رحمة من نبي ملك يسرع بابتسامة تبعث الأمان إلى نفوس الخائفين حتى لو كانت نملة* .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل: ١٨ – ١٩

٢-عُلِّمَ منطق الطير .

ومن ذلك قصته مع الهدهد حينما توعده بسبب عدم تواجده بين يديه عند تفقده للطير، وهذا مما اختص به الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام القدرة على مخاطبة الطير فهذه معجزة ربانية خارقة للعادة تكشف عن التوحيد الذي يدين به الطير على لسان الهدهد .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ

* فهل تصدق بعد هذا البيان فرية العهد القديم من نسبته لسليمان عليه السلام القتل للأبرياء، كقائد جيشه وأخيه !! .

ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ النمل: ٢٢ – ٢٦

٣-تسخير الله تعالى الريح له عليه الصلاة والسلام .

فقد سخر الله تعالى الريح لسليمان عليه الصلاة والسلام تجرى بأمره مسيرة شهرين في اليوم الواحد حسب المصالح التي يراها .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنبياء: ٨١

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ ﴾ سبأ: ١٢

٤-أن الله تعالى أسال له عين القطر .

فكان النحاس يتدفق له من عين خاصة به فيستخدمه في البناء والصناعات المتعددة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ ﴾ سبأ: ١٢

٥-تسخير الجن للعمل بين يديه .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سبأ: ١٢ – ١٣

وكـــذلك تسخير الشياطين لخدمته في أعمال البناء والغوص في البحار ومنهم المقيدون بالأغلال لكف أذاهم أو عقابا لهم على تمردهم وعدم طاعتهم لأوامر الملك النبي سليمان عليه الصلاة والسلام.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ ص: ٣٧ – ٤٠

فهـــذا الملك كله هيأه الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام، وأباح له التصرف فيه على الوجه الذي يريده، وله كذلك القرب من الله تعالى وحسن المآب في جنان الخلود[492] .

[492]- انظر طبّاره، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم ،ص٢٨٦-٢٨٧ ، وحبنكة ،العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٤١٠-٤١١ .

المطلب الثاني عشر: معجزة يونس عليه الصلاة والسلام

يونس بن متى عليه الصلاة والسلام هو من المرسلين من بعد سليمان عليه الصلاة والسلام وقبل عيسى عليه الصلاة والسلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ الصافات: ١٣٩

أرسله الله تعالى إلى أهل نينوى- تقع قريبا من نهر دجلة، تجاه مدينة الموصل- ليردهم إلى عبادة الله تعالى، وذلك بعد أن دخلت إليهم عبادة الأوثان، فلم يستجيبوا له، فأوعدهم بالعذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا إلى الله تعالى .

وظـــن أنه قد أنهى مهمته في التبليغ وخرج مغاضبا من إعراضهم وعدم استجابتهم لأمر الله تعالى قبل حلول أمر الله تعـــالى فيهم ،فلما رأى قومه بوادر نزول العذاب قد اقتربت ففزعوا إلى الله تعالى، وندموا وتابوا إلى الله تعالى فنفعهم ذلك عند الله تعالى ورفع عنهم العذاب لما علم من صدق توبتهم، فعادوا موحدين لله تعالى رب العالمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ يونس: ٩٨

أمـــا يونس عليه الصلاة والسلام فقد ركب السفينة التي هاج بها البحر وماج، فقال أهل السفينة إن فينا مذنبا فدعوا للاقتراع مرارا وفي كل مرة يقع السهم على يونس عليه الصلاة والسلام، فألقوه في البحر -حتى يسكن عنهم غضب الرب-، فالتقمه الحوت وهو مليم ولم يصب منه لحما ولم يهشم له عظما وسار به في عباب البحر حيا فدعا يونس الله عز وجل، وهو يسبح ويستغفر الله تعالى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨

فاســـتجاب الله تعالى له،ونجاه من الغم، ثم قذفه الحوت بأمر الله تعالى على ساحل البحر وهو سقيم، وأنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين تقيه الحر وتحفظه من أذى الحشرات وتكون له غذاء،فعلم عليه الصلاة والسلام أن ما أصابه هو تأديب له على خروجه الذي هو خلاف الأولى حينما ظن أنه قد أنهى مهمته في التبليغ وخرج مغاضبا من إعراضهم وعدم استجابتهم لأمر الله تعالى، فلا بد من الثبات والصبر على أمر الدعوة إلى الله تعالى حتى يأتي أمر الله تعالى، وأن

الله تعـــالى قد نجاه بمعجزة خارقة للعادة إذ إن ابتلاع الحوت للبشر مميت في العادة، ولكنها رحمة الله تعالى بنبيه الذي كان محافظا على صلته بالله تعالى، فتعرف إلى الله تعالى في رخائه فأنقذه الله تعالى مما ابتلاه فيه في وقت شدته بمعجزة خارقة للعادة حيث خالف الحوت عادته فلم يقتل يونس عليه الصلاة والسلام، وهو في بطن الحوت .

وقد سماه الله تعالى ذا النون أي بمعنى صاحب الحوت، ثم بعثه الله تعالى إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا بالله تعالى[493].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾

الصافات: ١٣٩ – ١٤٨

فهـــذه معجزة خارقة للعادة أن يلتقم الحوت نبياً لمدة من الزمن ويبقى في بطنه حياً ثم بعد ذلك يلقيه من بطنه إلى العراء ،فينبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين لتحفظه من سقمه، فهذا في غاية الإعجاز وهذا أمر خارق للعادة يدل علـــى لطف الله تعالى بعبده يونس عليه الصلاة والسلام، وأن الحوت قد أطاع أمر الله تعالى في التقامه وحفظه ونبذه ليونس عليه الصلاة والسلام .

---

[493]- حبنكة، عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٤٢٣-٤٢٤ بتصرف .

المطلب الثالث عشر: معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام

لقـــد كانت مقدمات ظهور عيسى عليه الصلاة والسلام خارقة للعادة من الحمل به من غير أب، وكلامه في المهد صبيا وهي إن كانت من الإرهاصات التي تؤسس للدلالة على نبوته فلا غرابة في ذلك، فهو لم يختص وحده بمثل هذه الخوارق، فمثله كمثل آدم عليه الصلاة والسلام من قبله إذ خلق من تراب بلا أب ولا أم وخلقت حواء من آدم عليه الصلاة والسلام من أب بلا أم وخلق عيسى عليه الصلاة والسلام من أم بلا أب وفي ذلك دلالة على قدرة الله تعالى، و تأكـيد على وحدة الأصل البشري الترابي، ولعل في ذلك حكمة أرادها الله تعالى من تربية للجانب الروحي إذ أن خلق عيسى تجاوز الأسباب المادية الظاهرة في خلق الإنسان من نطفة، وفي ذلك تأكيد على قضايا الإيمان بالبعث وأن هناك حياة أخرى يحاسب فيها المحسن على إحسانه ويجازى فيها المسيء على إساءته، وبذلك يتم وضع حد للغلو في الجانـــب المادي الذي كان متفشيا بين أهل زمانه، وفي ذلك برهان ساطع على لزوم الاستعداد لاستقبال رسالته التي ستبرئ بإذن الله تعالى المجتمع اليهودي آنذاك من المعتقدات الوثنية التي طغت على عقولهم وقلوبهم على حد سواء .

ولقد ذكر القرآن الكريم عددا من معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام، وهي تؤكد على عدم استقلاليته عليه الصلاة والسلام بالقدرة على الإتيان بالمعجزات فهو كما أعلن عن نفسه في القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ مريم: ٣٠ .

فهو بشر لا يتعدى حدود بشريته وعبوديته الخالصة لله رب العالمين فهذه حقيقته أعلنها من منبر مهد الطفولة فهو عبد الله وهو نبي مصطفى من عند الله تعالى ودعوته دعوة توحيد خالص لله رب العالمين، أيده المولى عز وجل بجبريل عليه السلام الروح القدس، وأنزل عليه الإنجيل، وهو من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، بعثه الله تعالى لخراف بني إسرائيل الضالة، وقد أيد الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام بالعديد من المعجزات بعد بعثته عليه الصلاة والسلام والتي هي ما يلي[494] :

[494]- انظر طبّاره، مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، ص٣٢٤-٣٢٥ .

١-معجزة خلقه من الطين كهيئة الطير،فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله تعالى* ·

وهـــذه المعجزة قد ذكرها الله تعالى في قوله :﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ المائدة: ١١٠

فهـــو ينفخ في الطين المصور كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون، ولقد ذكرت آية كريمة على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام أنه يقر بأن تلك المعجزة كانت بإذن الله تعالى وليس بقدرته الذاتية ·

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ آل عمران: ٤٩

فهـــو يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخُ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل، الذي جعل هذا من معجزاته التي تدل على أن الله تعالى أرسله لبني إسرائيل [495] .

فمعجزته هذه من نوع مولده عليه السلام التي ترمي لإحياء الناحية الروحية وإقامة الدليل على وجود الروح، تلك التي أنكـــرها أكثر بني إسرائيل فخلق شكل الطير من الطين المادي، ثم النفخ فيه، فيحيا بإذن الله تعالى للفت الأنظار إلى حقيقة الروح التي هي سر الله تعالى في خلقه يلمس أثرها ولا يعلم أحد كنهها[496] .

والعجب كل العجب من كتاب الأناجيل حيث أسرفوا في سرد معجزات المسيح عليه السلام، ولكنهم لم يذكروا من قريب أو من بعيد حتى ولو بالإشارة هذه المعجزة التي صرح بها القرآن الكريم والتي هي من أبين معجزاته عليه الصلاة والسلام، ولا غرابة في ذلك فهم نسوا حظا مما ذكروا به[497] ·

٢-معجزة إبرائه عليه الصلاة والسلام الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى ·

والأكمه : هو الذي يولد أعمى و لم يرَ ضوءا قط ولا سبيل لأحد من الحكماء إلى مداواته ·

---

*وهي معجزات تؤكد على بشرية المسيح عليه السلام وأنه رسول الله تعالى وعبده، وأنه ليس لديه قدرة ذاتية على فعل المعجزات حيث جـاء التصريح بلفظ بإذني أربع مرات في ثلاث منها، وهي معجزة خلقه من الطين كهيئة الطير، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله تعالى، معجزة إبرائه عليه الصلاة والسلام الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، معجزة إحيائه عليه الصلاة والسلام الموتى بإذن الله تعالى ·

[495]- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩ م، ج٢/ص٤٤ بتصرف ·

[496]- شلبي،د. أحمد،المسيحية،القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٢م،ص٦٦ بتصرف ·

[497]- الباش،حسن،العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل،ج١/ص١٠٤ بتصرف ·

والأبـــرص: هـــو مـــن أصيب بالبرص الذي فيه بـــياض يقع فـــي الـــجسد وصار داؤه عضالاً فهو من الأمراض المستعصية التي يعجز الطب عن علاجها[498] ، أعاذنا الله تعالى وإياكم منه، وَمَنَّ على المرضى بالشفاء إنه سميع مجيب . فكـــان عليه الصلاة والسلام يدعو الله عز وجل لشفاء الأكمه و الأبرص ثم يضع يده على المريض، ويمسح فيبرأ من مرضـــه بإذن الله تعالى فلا سلطة لعيسى عليه الصلاة والسلام على المرض، ولكنه يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء لطلب الشفاء فيشفى المريض بإذن الله تعالى[499] . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ المائدة: ١١٠

٣- معجزة إحيائه عليه الصلاة والسلام الموتى بإذن الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٤٩

وذلك بدعائه لله تعالى بأن يحيي ذلك الميت فيحيا الميت بإذن الله تعالى وفي ذلك دلالة على قدرة الله تعالى على بعث الخلائق في يوم القيامة ولذلك ورد التعبير بلفظ تخرج في قوله تعالى :﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ المائدة: ١١٠

وفي ذلـــك دلالـــة واضحة على أن المعجزات كانت تهدف إلى توضيح معالم الإيمان الحقيقي وبالأخص قضايا الإيمان بالغـــيب والتي منها إثبات حقيقة الروح وإمكان عودتها بإذن الله تعالى للأجساد ثانية، فيندفع الريب عن النفوس التي ضعف إيمانها، وفي ذلك أبلغ حجة على العباد، فالميت إنما يحيا بإذن الله بمعجزة ربانية ليشهد على قدرة الله تعالى على الـــبعث مـــن بعد الموت، وليس على ألوهية عيسى، فالحذر كل الحذر من معصية الله عز وجل بالتهرب من فرائض الإيمان وأركانه وبالأخص أمور الغيب التي تقتضي التسليم والإيمان وفي ذلك أبلغ دعوة للتربية الروحية [500] .

٤-معجزة إخباره عليه الصلاة والسلام عن الغيوب .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران: ٤٩ .

---

[498]- انظر ابن كثير، قصص الأنبياء، ص٤١٨ .

[499]-انظر أبو زهرة،محمد،محاضرات في النصرانية تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم،القاهرة-مصر،دار الفكر العربي،ط غير معروفة،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ،ص٢٢ .

[500]-انظر أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص٢٤ .

فعيسى عليه الصلاة والسلام كان يخبر بني إسرائيل بما يأكلون وبما هو مدخر من الأطعمة عندهم في بيوتهم ابتداءً بإعلام الله تعالى إياه، وهذا بخلاف فعل الكهان* الذين يأتيهم السائل فيتكلفون في محاولة معرفة الغيوب الحاضرة من خلال السعي لمعرفة بعض القرائن من حال السائل والتماسهم الحيلة لاستخراج ما هو مغيب عنهم بمحاولة الاتصال ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه .

وفي معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام هذه أبلغ دلالة بأنه رسول من رب العالمين الذي يؤيده بالوحي الذي يخبره عن بعض الغيوب المتعلقة بأحوال بني إسرائيل، ولعل في ذلك إشارة للفت أنظار بني إسرائيل إلى ضرورة الإيمان المطلق بالله تعالى الذي هو عالم الغيب والشهادة وهو الذي يعلم السر وأخفى [501] .

ولقد أغفلت الأناجيل ذكر هذه المعجزة من سجل معجزات المسيح عليه السلام في الإنجيل .

٥-معجزة نزول المائدة من السماء .

وهذه معجزة ربانية كان سببها أن الحواريين سألوا عيسى عليه الصلاة والسلام إنزال مائدة من السماء عليهم؛ ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم فتكون لهم عيدا ،ودليلا على صدقه يشهدون عليه .

فوعظهم عيسى عليه الصلاة والسلام في ذلك، وخشي عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حقها فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل.

فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال من أجل أن يجابوا إلى ما طلبوا.

فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها ، وجعلت تدنو قليلا قليلا، وكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وأن يجعلها بركة وسلامة،فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يديه عليه السلام[502] .

فأكلوا* منها باسم الله تعالى خير الرازقين من تلك المعجزة الربانية الخارقة للعادة التي تدل على قدرة الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً

---

*الكاهن:هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب. الجرجاني ،التعريفات، ص٢٦٤ .

[501]– انظر الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٦/ص٤٣٢-٤٣٣ .

[502]– ابن كثير ، قصص الأنبياء، ص٤٢١-٤٢٣ بتصرف، وانظر ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم،ص٢٠٤-٢٠٨ .

* قال الطبري:"وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول. وجائز أن يكون كان سمكًا وخبزًا، وجائزٌ أن يكون كانَ ثمرًا من ثمر الجنة، وغيرُ نافع العلم به، ولا ضارّ الجهل به، إذا أقرّ تالي الآية بظاهر ما احتمله التنزيل". الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١١/ص٢٣٢ .

﴿ مِنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٥

يعلق الدكتور أحمد شلبي على طلب الحواريين بجملة من التساؤلات فيقول:"ولست أدري كيف يتشكك الحواريون في رسالة عيسى عليه السلام مع براهينه الماضية، وهم الذين اتبعوه من دون بني إسرائيل؟وإذا كان هذا شأن الحواريين، فكيف يكون شأن العامة؟ ثم لماذا كانت المائدة هي الوسيلة الوحيدة ليصدقوا، مع أنها ليست أقوى من إحياء الموتى ولا إبراء الأكمه والأبرص؟ "[503] .

٦- معجزة رفعه عليه الصلاة والسلام إلى السماء .

فإذا كانت طلائع ظهور عيسى عليه الصلاة والسلام محفوفة بخوارق العادات،كما تبين ذلك في بداية الحديث عن معجزاته عليه الصلاة والسلام ،فإن نهاية وجود عيسى عليه الصلاة والسلام على الأرض ختمت بمعجزة رفعه إلى السماء،وفي ذلك تكريم له عليه الصلاة والسلام من أن يمس بأذى قتلة الأنبياء والمرسلين الذين ما تورعوا في الإعلان عن خبث نواياهم بأن توجهوا إلى الذي ألقى عليه الله تعالى شبه عيسى فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدون أنهم قتلوا عيسى ابن مريم قاتلهم الله أنى يؤفكون[504] .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾
النساء: ١٥٧ - ١٥٨

فدلالة نصوص القرآن الكريم تقطع بأن ما جرى على يدي عيسى عليه الصلاة والسلام رسول الله تعالى من معجزات خارقة للعادة إنما تم بإذن الله تعالى، كدليل على صدقه في دعواه الرسالة،فهذه عقيدة ثابتة يؤمن بها جميع المسلمين،وهذا هو شأن معجزات كل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إنما يجريها الله تعالى على أيديهم بإذنه،ودورهم فيها هو التضرع والتوجه بخالص الدعاء إلى الله تعالى ،وهي عندما تظهر تدل على أنهم بشر قد اصطفاهم الله تعالى ليبلغوا رسالاته للعالمين وليس للدلالة على ألوهيتهم كما يزعم النصارى بالنسبة للمسيح عليه السلام، ولقد حذر الكتاب العزيز أهل الكتاب من الغلو في شخص عيسى عليه الصلاة والسلام رسول الله تعالى .

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ النساء: ١٧١ .

---

[503]- شلبي،د. أحمد،المسيحية،القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٢م،ص٦٤-٦٥ .

[504]-انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢/ص٤٤٩ ،والملاح،نديم،العقائد الإسلامية،القدس-فلسطين،مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية،ط غير معروفة،١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ص١٣٦-١٣٩،حيث فصل الرد على دعوى النصارى صلب المسيح عليه السلام .

المبحث الرابع: معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في اليهودية

توطئة:

لقـــد سرد العهد القديم الحديث عن المعجزات بشكل تأريخي و لم يقتصر على نسبة المعجزات للأنبياء وحدهم فغير الأنبياء نسب إليهم كذلك شيئا من المعجزات أيضا[505]، وفي هذا المبحث سنعرض بإذن الله تعالى جانبا من المعجزات التي يعتقد أهل الكتاب بنسبتها للأنبياء في العهد القديم .

فـــلا بد هنا من عرض ما يعتقد به أهل الكتاب من معجزات مدونة في عهدهم القديم لأنبياء ورد ذكرهم في التوراة بعـــضهم ورد ذكرهم تفصيلا عند المسلمين، والبعض الآخر ورد ذكرهم في التوراة فقط، وأهل الكتاب يعتقدون بما جرى على أيديهم من خوارق للعادات، والتي غالبا ما تتصل بالحديث عن هلاك الأعداء وتدميرهم، وأن الإله يظهر نصرته بشكل معجزي لشعب إسرائيل الذي يعاني من الاضطهاد والضعف والهوان ومع ذلك لا تترك فيهم أثرا حقيقيا للإيمان (بيهوه) إلههم الذي يعتقدون به في توراتهم .

وفـــيما يلـــي نعـــرض لبعض تلك الأحداث الخارقة للعادة التي أشار إليها العهد القديم لأنبياء ورد ذكرهم فيه وبعضهم لم يرد لهم في الإسلام ذكر ، مع محاولة الإشارة إلى بعض الملاحظات التي تتعلق بتلك الأفعال الخارقة للعادة التي تُسند إليهم في العهد القديم، ولا سيما عند تعارضها مع ما هو مقرر في القرآن الكريم كتاب الله تعالى المهيمن على كل ما سواه من الكتب .

فـــنورد في هـــذا المبحث-بإذن الله تعالى- ما يتعلق بمعجزة انتقال أخنوخ (إدريس عليه الصلاة والسلام)، ومعجزة الطـــوفان، و معجزات إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومعجزات لوط عليه الصلاة والسلام، و معجزات موسى عليه الصلاة والسلام، ومعجزة عصا هارون عليه السلام،و معجزة يونان .

---

[505]-انظـــر لوكير،هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس ،القاهر-مصر،دار الثقافة، ط٣ ، ٢٠٠٣م ،ص١٠٦-١١١ ،فيما يتعلق بالمعجزات التي حدثت في فترة قضاء شمشون .

المطلب الأول : معجزة انتقال أخنوخ (إدريس عليه الصلاة والسلام) .

فقد ورد في سفر التكوين أن الله تعالى أخذ أخنوخ و لم يبين كيفية الأخذ له .

تكـــوين٥: ٢٤" ٢٤وسارَ أخنوخُ مع اللهِ، ولم يوجَدْ لأنَّ اللهَ أخَذَهُ"، .وفي عبرانيين ١١: ٥ "٥بالإيمانِ نُقِلَ أخنوخُ لكَيْ لا يَرَى الموتَ، و لم يوجَدْ لأنَّ اللهَ نَقَلَهُ. إذ قَبلَ نَقلِهِ شُهِدَ لهُ بأنَّهُ قد أرضَى اللهَ ".

جاء التعبير بالنقل وذلك لاكتمال إيمانه فهو سارَ مع الله تعالى في الاستمرار على فعل الخير،فلا يرى الموت كما هو معتقد أهل الكتاب في سبب هذا النقل أو الأخذ.

وقد ورد ذكر نبوءة لأخنوخ حول الذين لا يؤمنون بالمسيح، كما يعتقد النصارى في المسيح، وذلك في يهوذا ١: ١٤ -١٥ " ١٤وتنَـبَّأ عـــن هؤلاءِ أيضًا أخنوخُ السّابِعُ مِنْ آدَمَ قائلاً: "هوذا قد جاءَ الربُّ في رَبَواتِ قِدّيسيهِ، ١٥ليَصنَعَ دَيـــنونَةً على الجميعِ، ويُعاقِبَ جميعَ فُجّارِهِمْ على جميعِ أعمالِ فُجورِهِمُ الّتي فجَروا بها، وعلى جميعِ الكَلِماتِ الصَّعبَةِ الّتي تكَلَّمَ بها علَيهِ خُطاةٌ فُجّارٌ".

وإن كان التعبير بأخنوخ عن إدريس عليه السلام فقد ذكر في القرآن الكريم أن الله تعالى رفعه مكانا عليا وكيفية رفعه غيب لا يعلمها إلا الله تعالى و لم يرد لفظ نقله أو أخذه كما هو مذكور عند أهل الكتاب .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾ مريم: ٥٦ - ٥٧

المطلب الثاني : معجزة الطوفان .

حيث ورد خبر الطوفان في سفر التكوين ٧ : ١- ٢٤ :" ١وقالَ الربُّ لنوحٍ:"ادخُلْ أنتَ وجميعُ بَيتِكَ إلَى الفُلكِ،
لأنّي إيّاكَ رأيتُ بارًّا لَدَيَّ في هذا الجيلِ.٢مِنْ جميعِ البَهائمِ الطّاهِرَةِ تأخُذُ معكَ سبعَةً سبعَةً ذَكَرًا وأُنثَى. ومِنَ البَهائمِ
الّتي لَيسَتْ بطاهِرَةٍ اثنَينِ: ذَكَرًا وأُنثَى.٣ومِنْ طُيورِ السماءِ أيضًا سبعَةً سبعَةً: ذَكَرًا وأُنثَى. لاستِبقاءِ نَسلٍ علَى وجهِ كُلِّ
الأرضِ.٤لأنّـــي بَعـــدَ سبعَةِ أيّامٍ أيضًا أُمطِرُ علَى الأرضِ أربَعينَ يومًا وأربَعينَ ليلَةً. وأمحو عن وجهِ الأرضِ كُلَّ قائمٍ
عَمِلتُهُ".٥ففَعَلَ نوحٌ حَسَبَ كُلِّ ما أمَرَهُ به الربُّ.٦ولَمّا كانَ نوحٌ ابنَ سِتِّ مِئَةِ سنَةٍ صارَ طوفانُ الماءِ علَى الأرضِ،٧
فدَخَلَ نوحٌ وبَنوهُ وامرأتُهُ ونساءُ بَنيهِ معهُ إلَى الفُلكِ مِنْ وجهِ مياهِ الطّوفانِ.٨ومِنَ البَهائمِ الطّاهِرَةِ والبَهائمِ الّتي لَيسَتْ
بطاهِـــرَةٍ، ومِنَ الطُّيورِ وكُلِّ ما يَدِبُّ علَى الأرضِ:٩دَخَلَ اثنانِ اثنانِ إلَى نوحٍ إلَى الفُلكِ، ذَكَرًا وأُنثَى، كما أمَرَ اللهُ
نـــوحًا.١٠وحَـــدَثَ بَعدَ السَّبعَةِ الأيّامِ أنَّ مياهَ الطّوفانِ صارَتْ علَى الأرضِ.١١في سنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حياةِ نوحٍ، في
الـشّهرِ الـــثّاني، في اليومِ السّابِعَ عشَرَ مِنَ الشَّهرِ في ذلكَ اليومِ، انفَجَرَتْ كُلُّ يَنابيعِ الغَمرِ العظيمِ، وانفَتَحَتْ طاقاتُ
السماءِ.١٢وكانَ المَطَرُ علَى الأرضِ أربَعينَ يومًا وأربَعينَ ليلَةً.١٣في ذلكَ اليومِ عَينِهِ دَخَلَ نوحٌ، وسامٌ وحامٌ ويافَثُ
بَـــنو نـــوحٍ، وامـــرأةُ نـــوحٍ، وثَلاثُ نساءِ بَنيهِ معهُمْ إلَى الفُلكِ.. ١٤هُمْ وكُلُّ الوُحوشِ كأجناسِها، وكُلُّ البَهائمِ
كأجناسِها، وكُلُّ الدَّبّاباتِ الّتي تدِبُّ علَى الأرضِ كأجناسِها، وكُلُّ الطُّيورِ كأجناسِها: كُلُّ عُصفورٍ، كُلُّ ذي جَناحٍ.
١٥ودَخَلَتْ إلَى نوحٍ إلَى الفُلكِ، اثنَينِ اثنَينِ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ فيهِ روحُ حياةٍ.١٦والدّاخِلاتُ دَخَلَتْ ذَكَرًا وأُنثَى، مِنْ كُلِّ

ذي جَـــسَد، كمـــا أمَرَهُ اللهُ. وأغلَقَ الربُّ عليه.١٧وكانَ الطّوفانُ أربَعينَ يومًا علَى الأرضِ. وتكاثَرَتِ المياهُ ورَفَعَتِ الفُلكَ، فارتَفَعَ عن الأرضِ.١٨وتَعاظَمَتِ المياهُ وتكاثَرَتْ جدًّا علَى الأرضِ، فكانَ الفُلكُ يَسيرُ علَى وجهِ المياه.. ١٩ وتَعاظَمَتِ المياهُ كثيرًا جدًّا علَى الأرضِ، فتغَطَّتْ جميعُ الجِبالِ الشّامِخَةِ التي تحتَ كُلِّ السماء.٢٠خَمسَةَ عشَرَةَ ذراعًا في الارتفـــاعِ تعاظَمَـــت المياهُ، فتغَطَّت الجبالُ.٢١فماتَ كُلُّ ذي جَسَد كانَ يَدبُّ علَى الأرضِ مِنَ الطُّيورِ والبَهائمِ والوُحوشِ، وكُلُّ الزَّحّافاتِ التي كانتْ تزحَفُ علَى الأرضِ، وجميعُ الناس.٢٢كُلُّ ما في أنفِهِ نَسَمَةُ روحِ حياةٍ مِنْ كُلِّ مـــا في اليابِـــسَةِ ماتَ.٢٣فمَحا اللهُ كُلَّ قائمٍ كانَ علَى وجهِ الأرضِ: الناسَ، والبَهائمَ، والدَّبّاباتِ، وطُيورَ السماءِ. فانمَحَتْ مِنَ الأرضِ. وتبَقَّى نوحٌ والذينَ معهُ في الفُلكِ فقط.٢٤وتعاظَمَتِ المياهُ علَى الأرضِ مِئَةً وخَمسينَ يومًا".

وفي عـــبرانيين ١١ : ٧ " ٧بالإيمـــانِ نوحٌ لَمّا أُوحيَ إلَيهِ عن أُمورٍ لم تُرَ بَعدُ خافَ، فبَنَى فُلكًا لخَلاصِ بَيتِهِ، فبهِ دانَ العالَمَ، وصارَ وارِثًا للبِرِّ الّذي حَسَبَ الإيمانِ".

وفي ١بطـــرس ٣: ٢٠ " إذ عَصَتْ قَديمًا، حينَ كانَتْ أناةُ اللهِ تنتَظِرُ مَرَّةً في أيّامِ نوحٍ، إذ كانَ الفُلكُ يُبنَى، الّذي فيهِ خَلَصَ قَليلونَ، أيْ ثَماني أنفُسٍ بالماءِ".

وفي ٢بطرس ٢: ٥ " ٥ولم يُشفِقْ على العالَمِ القَديمِ، بل إنَّما حَفِظَ نوحًا ثامِنًا كارِزًا* للبِرِّ، إذ جَلَبَ طوفانًا على عالَمِ الفُجّارِ".

ومـــن الملاحـــظ علـــى معجزة الطوفان في العهد القديم أن التعبير بهذا المصطلح يوحي بأنه أمر حدث وهو أشبه بالكارثة الطبيعية التي يكتنفها جانب الأسطورة من خلال معتقدهم بإن للسماء طاقات تفتح، وهذا ما لا يقره العلم الحديث، فالأصل الحديث عن سفينة النجاة للمؤمنين التي أمر الله تعالى نوحا بصناعتها، والتي تشكل ملاذا آمنا لكل المخلوقات التي على متنها في ظل طوفان عظيم أتى على قمم الجبال أهلك كل ذي حياة على الأرض .

كما أن الحديث عن الأرقام من حيث عدد الناجين في السفينة وهم ثمانية فقط حسب نص التوراة في تكوين ٧ : ١٣ والإنجيل في ١بطرس٣ : ٢٠ بتحديدهم بهذا العدد، فإذا قد تقرر بأن الذين دخلوا السفينة من أهل نوح فقط هم: نـــوح وزوجته وبنوه الثلاث وزوجاتهم فيصبح بذلك عددهم ثمانية . فأين الذين معه بعد ذلك؟ فهذا دليل قاطع على كذب من وضع هذا العدد للناجين في السفينة وعلى عدم فقهه في أبسط أمور الحساب من الجمع فكيف به لو تحدث عن جدول الضرب !!! .

إن مـــثل هذه الملاحظات تدل على أن الذي ينقل هذه الأحداث ينقلها من وحي بيئته ومن خلال تصوراته العقلية الـــتي يـــشهد علـــى كذبها ارتفاع قمم الجبال وعلم الحساب، فضلا عن تصادمه مع ما جاء ذكره في القرآن الكريم بنصوص قاطعة الدلالة، ومن ذلك الحديث عن وقت حدوث الطوفان وأنه في سنة ستمائة من عمر نوح فهذا يكذبه

---

* بمعنى داعيا للإيمان .

صريح القرآن بأن نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، فهناك فرق ثلاثمائة وخمسون عاما عن مدة لبث نوح عليه السلام في قومه بين رواية العهد القديم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ العنكبوت: ١٤

كمـــا أن القرآن الكريم قطع بهلاك امرأة نوح وابنه فكانوا مع القوم الكافرين وكتاب التوراة يصرون على نجاتهم مع نوح في السفينة وكأنها سفينة نوح الخاصة بنجاة أهل بيته وحدهم دون أحد من العالمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ التحريم: ١٠

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود: ٤٢ – ٤٣

فقـــصة الـــتوراة عن معجزة الطوفان فيها جانب من الحقيقة التي شابها الكثير من التحريفات التي تصادمت مع العلم والحـــساب وغيرهمـــا، ولما هو ثابت بنص القرآن الكريم، ولو أردنا الاستفاضة في ذكر مخالفات نص التوراة لمعجزة الطـــوفان لما وقفنا عند هذا الحد[506] وإنما قصدت الإشارة إلى بعض من المخالفات كنموذج يستطيع المطالع لنصوص الكتاب المقدس الوقوف على مثل هذه المخالفات بل ربما وأكثر والتي منها محاولة إسناد المعجزة لأسباب مادية من ريح وانـــسداد ينابـــيع الغمر وطاقات السماء وذلك في تكوين ٨: ١-٣ " وأجازَ اللهُ ريحًا علَى الأرضِ فهَدأتِ المياهُ.. ٢ وانسَدَّتْ يَنابيعُ الغَمرِ وطاقاتُ السماءِ، فامتَنَعَ المَطَرُ مِنَ السماءِ.٣ورَجَعَتِ المياهُ عن الأرضِ رُجوعًا مُتواليًا" .

506-انظر بوكاي،موريس،القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،دراسة وتقديم خالد محمد عبده،الجيزة-مصر،مكتبة النافذة،الطبعة الأولى،٢٠٠٨م،ص ٢٧٨-٢٨٢ .

المطلب الثالث: معجزات إبراهيم عليه الصلاة والسلام ·

وقد ذكر العهد القديم العديد من معجزات إبراهيم عليه السلام والتي منها ما يلي :

١-معجزة ضرب فرعون ·

وهذه الضربة لفرعون أشار إليها سفر التكوين ١٢: ١٠-٢٠ " ١٠وحَدَثَ جوعٌ في الأرضِ، فانحَدَرَ أبرامُ إلَى مِصرَ لِيَتَغَرَّبَ هناكَ، لأنَّ الجوعَ في الأرضِ كانَ شَديدًا. ١١وحَدَثَ لَمّا قَرُبَ أنْ يَدخُلَ مِصرَ أنَّهُ قالَ لسارايَ امرأتِهِ:"إنِّي قد عَلِمتُ أنَّكِ امرأةٌ حَسَنَةُ المَنظَرِ. ١٢فيكونُ إذا رآكِ المِصريّونَ أنهُم يقولونَ: هذِه امرأتُهُ. فيَقتُلونَني ويَستَبقونَكِ. ١٣قولي إنَّكِ أُختي، ليكونَ لي خَيرٌ بسَبَبِكِ وتحيا نَفسي مِنْ أجلِكِ". ١٤فحَدَثَ لَمّا دَخَلَ أبرامُ إلَى مِصرَ أنَّ المِصريِّينَ رأَوْا المَرأةَ أنَّها حَسَنَةٌ جِدًّا. ١٥ورآها رؤَساءُ فِرعَونَ ومَدَحوها لَدَى فِرعَونَ، فأُخِذَتِ المَرأةُ إلَى بَيتِ فِرعَونَ، ١٦فصَنَعَ إلَى أبرامَ خَيرًا بسَبَبِها، وصارَ لهُ غَنَمٌ وبَقَرٌ وحَميرٌ وعَبيدٌ وإماءٌ وأُتُنٌ وجِمالٌ. ١٧فضَرَبَ الرَّبُّ فِرعَونَ وبَيتَهُ ضَرَباتٍ عظيمَةً بسَبَبِ سارايَ امرأةِ أبرامَ. ١٨فدَعا فِرعَونُ أبرامَ وقالَ:"ما هذا الذي صَنَعتَ بي؟ لماذا لم تُخبِرني أنَّها امرأتُكَ؟ ١٩لماذا قُلتَ: هي أُختي، حتَّى أخَذتُها لي لتَكونَ زَوجَتي؟ والآنَ هوذا امرأتُكَ! خُذها واذهَبْ!". ٢٠فأوصَى علَيهِ فِرعَونُ رِجالاً فشَيَّعوهُ وامرأتَهُ وكُلَّ ما كانَ لهُ".

فلـم تفصح التوراة عن طبيعة تلك الضربات العظيمة التي أخذت فرعون وبيته بسبب محاولته أخذ سارة التي وضعها إبراهيم بظروف الغربة الصعبة من أجل التخلص من وطأة الجوع الحاصل في أرضه، ومن ثم نسبة التحايل لإبراهيم في التوراة لكي يسلط البلاء على فرعون مصر مما يجعله يفتدي نفسه بدعوة من إبراهيم الذي لم يستطع أن يدفع عن نفسه مخاطـر المجاعة وخوفه على نفسه من المصريين إلا بالحيلة التي فيها مخاطرة بزوجته والتي كشف أمرها فرعون، فقرعه فرعون مصر من أجل ذلك،فلم يستطع أن ينطق ولو بكلمة واحدة يدافع فيها عن موقفه ذلك، وكأنه يقر بجريمته أمام فرعون، وكل هذا في سبيل الحصول على غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال !!! ·

وقد كررت التوراة نسبة مثل هذه الحادثة لإبراهيم مع أبيمالك* والتي تسببت بغلق أرحام نسائه وجواريه حتى دعا إليه إبراهيم وذلك في تكوين٢٠ : ١-١٨" ١وانتَقَلَ إبراهيمُ مِنْ هناكَ إلَى أرضِ الجَنوبِ، وسكَنَ بَينَ قادِشَ وشورَ، وتَغَرَّبَ في جَرارَ. ٢وقالَ إبراهيمُ عن سارَةَ امرأتِهِ:"هي أُختي". فأرسَلَ أبيمالِكُ مَلِكُ جَرارَ وأخَذَ سارَةَ. ٣فجاءَ اللهُ إلَى أبيمالِكَ في حُلمِ اللَّيلِ وقالَ لهُ:"ها أنتَ مَيِّتٌ مِنْ أجلِ المَرأةِ التي أخَذتَها، فإنَّها مُتَزَوِّجَةٌ ببَعلٍ". ٤ولكن لم يَكُنْ أبيمالِكُ قـد اقتـرَبَ إليها، فقالَ:"يا سيِّدُ، أأُمَّةً بارَّةً تقتُلُ؟ ٥ألَمْ يَقُلْ هو لي: إنَّها أُختي، وهي أيضًا نَفسُها قالَتْ: هو أخي؟ بسَلامَةِ قَلبي ونَقاوَةِ يَدَيَّ فعَلتُ هذا". ٦فقالَ لهُ اللهُ في الحُلمِ:"أنا أيضًا عَلِمتُ أنَّكَ بسَلامَةِ قَلبِكَ فعَلتَ هذا. وأنا أيضًا أمسَـكتُكَ عن أنْ تُخطِئَ إلَيَّ، لذلكَ لم أدَعكَ تمَسُّها. ٧فالآنَ رُدَّ امرأةَ الرَّجُلِ، فإنَّهُ نَبيٌّ، فيُصَلّيَ لأجلِكَ فتحيا. وإنْ كُنتَ لَستَ تَرُدُّها، فاعلَمْ أنَّكَ موتًا تموتُ، أنتَ وكُلُّ مَنْ لكَ". ٨فبَكَّرَ أبيمالِكُ في الغَدِ ودَعا جميعَ عَبيدِهِ، وتكلَّمَ بكُلِّ

*- هو من الألفاظ التي لم يقطع اليهود والنصارى بدقة مدلولها على شخص بعينه، ويغلب على الظن عندهم أنه كان لقبا لملوك أهل فلسطين · انظر قاموس الكتاب المقدس،بيروت-لبنان، دار الجيل،ط٩ ،١٩٩٤ ، ص٢٣ ·

هذا الكلامِ في مَسامعِهِمْ، فخافَ الرِّجالُ جدًّا.٩ثُمَّ دَعا أبيمالِكُ إبراهيمَ وقالَ لهُ:"ماذا فعَلتَ بنا؟ وبماذا أخطأتُ إلَيكَ حتَّـى جَلَبتَ علَيَّ وعلَى مَملكَتي خَطيَّةً عظيمَةً؟ أعمالاً لا تُعمَلُ عَمِلتَ بي".١٠وقالَ أبيمالِكُ لإبراهيمَ: "ماذا رأيتَ حتَّى عَمِلتَ هذا الشَّيءَ؟".١١فقالَ إبراهيمُ:"إنِّي قُلتُ: ليس في هذا المَوضِعِ خَوفُ اللهِ البَتَّةَ، فيَقتُلونَني لأجلِ امرأتي. ١٢وبالحَقيقَةِ أيضًا هي أُختي ابنَةُ أبي، غَيرَ أنَّها لَيسَتِ ابنَةَ أُمِّي، فصارَتْ لي زَوجَةً.١٣وحَدَثَ لَمّا أتاهَني* اللهُ مِنْ بَيتِ أبي أنِّي قُلتُ لها: هذا مَعروفُكِ الذي تصنَعينَ إلَيَّ: في كُلِّ مَكانٍ نأتي إليهِ قولي عَنِّي: هو أخي".١٤فأخَذَ أبيمالِكُ غَنَمًا وبَقَـرًا وعَبـيدًا وإماءً وأعطاها لإبراهيمَ، ورَدَّ إليهِ سارَةَ امرأتَهُ.١٥وقالَ أبيمالِكُ:"هوذا أرضي قُدّامَكَ. اسكُنْ في ما حَسُنَ في عَينَيكَ".١٦وقالَ لسارَةَ:"إنِّي قد أعطَيتُ أخاكِ ألفًا مِنَ الفِضَّةِ. ها هو لكِ غِطاءُ عَينٍ مِنْ جِهَةِ كُلِّ ما عِندَكِ وعِندَ كُلِّ واحِدٍ، فأُنصِفتِ".١٧فصَلَّى إبراهيمُ إلَى اللهِ، فشَفَى اللهُ أبيمالِكَ وامرأتَهُ وجَواريَهُ فوَلَدنَ.١٨لأنَّ الربَّ كانَ قد أغلَقَ كُلَّ رَحِمٍ لبَيتِ أبيمالِكَ بسَبَبِ سارَةَ امرأةِ إبراهيمَ."

٢-معجزة تنور الدخان ومصباح النار ،**

وذلك في سفر تكوين ١٥ : ١٧-١٨" ١٧ثُمَّ غابَتِ الشَّمسُ فصارَتِ العَتَمَةُ، وإذا تنّورُ دُخانٍ ومِصباحُ نارٍ يَجوزُ بَينَ تِلكَ القِطَعِ١٨ في ذلكَ اليومِ قَطَعَ الرَّبُّ مع أبرامَ ميثاقًا قائلاً:"لنَسلِكَ أُعطي هذِهِ الأرضَ، مِنْ نَهرِ مِصرَ إلَى النَّهرِ الكَبيرِ، نَهرِ الفُراتِ ".

ومعجزة تنور الدخان ومصباح النار توردهما التوراة من أجل التأكيد على عهد الله مع إبراهيم بإعطاء نسله الأرض من الفـرات إلى النيل،بعد غياب شمس اليوم الذي ذبح فيه ما أمر بذبحه من الحيوانات والطيور لكي تظهر علامة الوعد لإبـراهيم وفي ذلك تكلف ظاهر،ففي تكوين ١٥:٩ " ٩فقالَ لهُ:"خُذْ لي عِجلَةً ثُلاثيَّةً، وعَنزَةً ثُلاثيَّةً، وكبشًا ثُلاثيًّا، ويَمامَةً وحَمامَةً".

ولنا أن نتساءل هل وعد الرب يحتاج إلى معجزة من هذا النوع ثم لماذا لم يثق إبراهيم بوعد الله له حتى يطلب الدليل على ذلك الوعد بمعجزة تكون بسبب قرابين يدفع عنها الجوارح من الطير ؟.

٣-معجزة ولادة سارة لإسحاق عليه السلام.

فقد وردت البشرى بذلك حسب العهد القديم بعد أن بلغت سارة من العمر تسعين عاما والنساء عادة لا يلدن في مـثل هـذا العمـر وإبراهيم عليه السلام كان له مائة عام من العمر وذلك في تكوين ١٧: ١٥-١٩"١٥وقالَ اللهُ لإبراهيمَ:"سارايُ امرأتُكَ لا تدعو اسمَها ساراي، بل اسمُها سارَةُ.١٦وأُبارِكُها وأُعطيكَ أيضًا مِنها ابنًا. أُبارِكُها فتكونُ أُمَمًا، ومُلوكُ شُعوبٍ مِنها يكونونَ".١٧فسَقَطَ إبراهيمُ علَى وجهِهِ وضَحِكَ، وقالَ في قَلبِهِ:"هل يولَدُ لابنِ مِئَةِ سنَةٍ؟ وهَـلْ تلِدُ سارَةُ وهي بنتُ تِسعينَ سنَةً؟".١٨وقالَ إبراهيمُ للهِ:"لَيتَ إسماعيلَ يَعيشُ أمامَكَ!".١٩فقالَ اللهُ:"بَلْ سارَةُ امرأتُكَ تلِدُ لكَ ابنًا وتدعو اسمَهُ إسحاقَ. وأُقيمُ عَهدي معهُ عَهدًا أبديًّا لنَسلِهِ مِنْ بَعدِهِ" .

وكـذلك وردت البشرى في حديث الزوار الثلاثة لإبراهيم تكوين ١٨ : ٩-١٥ "٩وقالوا لهُ:"أين سارَةُ امرأتُكَ؟". فقـالَ:"هـا هي في الخَيمَةِ".١٠فقالَ :"إنِّي أرجِعُ إلَيكَ نَحوَ زَمانِ الحياةِ ويكونُ لسارَةَ امرأتِكَ ابنٌ". وكانَتْ سارَةُ

---

* إبراهيم عليه الصلاة والسلام خرج من بين قومه مهاجرا إلى الله تعالى، ولم يقع في تيه كما زعمت أمة التيه ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۚ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٦ .

** أي بمعنى الفرن .

سامعةً في باب الخيمة وهو وراءه. ١١وكانَ إبراهيمُ وسارَةُ شيخين مُتقدِّمين في الأيّام، وقد انقطَعَ أنْ يكونَ لسارَةَ عادَةٌ كالنِّساء. ١٢فضَحِكَتْ سارَةُ في باطنها قائلَةً: "أبَعدَ فنائي يكونُ لي تنعُّمٌ، وسيِّدي قد شاخ؟". ١٣فقالَ الربُّ لإبراهيمَ: "لماذا ضَحِكَتْ سارَةُ قائلَةً: أفبالحَقيقَةِ ألِدُ وأنا قد شختُ؟ ١٤هَلْ يَستَحيلُ علَى الربِّ شيءٌ؟ في الميعادِ أرجعُ إلَيكَ نَحوَ زَمانِ الحياةِ ويكونُ لسارَةَ ابنٌ". ١٥فأنكَرَتْ سارَةُ قائلَةً: "لم أضحَكْ". لأنَّها خافَتْ. فقالَ: "لا! بل ضَحِكتِ".

وهذه الحادثة تكشف النقاب عن جهل اليهود بربهم وتصورهم له، كملك بين ملائكة يسأل عن مكان سارة وهي تنكر ما أسرته أمام الرب .

وقد ذكر العهد القديم مولد إسحاق في تكوين ٢١ : ١ –٨ " ١وافتَقَدَ الربُّ سارَةَ كما قالَ، وفَعَلَ الربُّ لسارَةَ كما تكلَّمَ. ٢فحَبِلَتْ سارَةُ ووَلَدَتْ لإبراهيمَ ابنًا في شَيخوخَتِهِ، في الوقتِ الذي تكلَّمَ اللهُ عنهُ. ٣ودَعا إبراهيمُ اسمَ ابنِهِ المَولودِ لهُ، الذي ولَدَتهُ لهُ سارَةُ "إسحاقَ". ٤وختَنَ إبراهيمُ إسحاقَ ابنَهُ وهو ابنُ ثَمانيَةِ أيّامٍ كما أمَرَهُ اللهُ. ٥وكانَ إبراهيمُ ابنَ مِئَةِ سنَةٍ حينَ وُلِدَ لهُ إسحاقُ ابنُهُ. ٦وقالَتْ سارَةُ: "قد صَنَعَ إلَيَّ اللهُ ضِحكًا. كُلُّ مَنْ يَسمَعُ يَضحَكُ لي". ٧وقالَتْ: "مَنْ قالَ لإبراهيمَ: سارَةُ تُرضِعُ بَنينَ؟ حتَّى ولَدتُ ابنًا في شَيخوخَتِهِ!". ٨فكبِرَ الوَلَدُ وفُطِمَ. وصَنَعَ إبراهيمُ وليمَةً عظيمَةً يومَ فِطامِ إسحاقَ ".

وهذه البشرى بميلاد إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ورد ذكرها في القرآن الكريم، ولكن بلا عهد[507] بحقهم في أرض فلسطين، أو إنكار للضحك، وهي بشرى تحملها ملائكة وليس بشرى الرب، كما زعمت التوراة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ هود: ٧١ – ٧٣

٤– معجزة بئر هاجر .

وحصلت هذه المعجزة بعد أن تاهت في صحراء بئر سبع التي تركها فيها وابنها زوجها إبراهيم عليه السلام– حسب رواية العهد القديم التي تتعارض مع ما هو مقرر في الإسلام من حصولها في مكة المكرمة والبئر هو بئر زمزم، كما أن التوراة ذكرت أن الغلام سكن برية فاران التي هي في مكة– فسمع الله صوت الغلام وقد ذكر العهد القديم هذه المعجزة في تكوين ٢١: ١٤–٢١ " ١٧فسَمِعَ اللهُ صوتَ الغُلامِ، ونادَى مَلاكُ اللهِ هاجَرَ مِنَ السماءِ وقالَ لها: "ما لكِ يا هاجَرُ؟ لا تخافي، لأنَّ اللهَ قد سمِعَ لصوتِ الغُلامِ حَيثُ هو. ١٨قومي احمِلي الغُلامَ وشُدِّي يَدَكِ بهِ، لأنِّي سأجعَلُهُ أُمَّةً عظيمَةً". ١٩وفَتَحَ اللهُ عَينَيها فأبصَرَتْ بئرَ ماءٍ، فذَهَبَتْ ومَلأَتِ القِربَةَ ماءً وسقَتِ الغُلامَ. ٢٠وكانَ اللهُ مع الغُلامِ فكبِرَ، وسكَنَ في البَرِّيَّةِ، وكانَ يَنمو راميَ قَوسٍ. ٢١وسكَنَ في بَرِّيَّةِ فارانَ، وأخَذَتْ لهُ أُمُّهُ زَوجَةً مِنْ أرضِ مِصرَ " .

فهذه على فرض صحتها هي تعد إرهاصا لإسماعيل عليه السلام و كرامة لهاجر عليها السلام.

---

[507] – ما تضمنه العهد من مقررات حسب زعم اليهود في العهد القديم هي: اختيار بني إسرائيل من بين الأمم لحمل رسالة الإله القدير، ومن هنا برزت أسطورة شعب الله المختار،الأخذ بالختان؛ كعلامة على الدخول في العهد والميثاق،الوعد لإبراهيم وبنيه من بعده بإعطائهم أرض فلسطين،انظر فتاح،د.عرفان عبد الحميد،اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عمان–الأردن،دار عمار،ط١ ، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م،ص٢٦–٢٧ .

المطلب الرابع: معجزات لوط عليه الصلاة والسلام.

ومن تلك المعجزات التي تتعلق بلوط عليه السلام في العهد القديم ما يلي:

١-معجزة إصابة أهل سدوم بالعمى .

وقد ذكرت في تكوين ١٩ :٩-١١ " ٩فقالوا: "ابعُدْ إلَى هناكَ". ثُمَّ قالوا:"جاءَ هذا الإنسانُ ليَتَغَرَّبَ، وهو يَحكُمُ حُكمًا. الآنَ نَفعَلُ بكَ شَرًّا أكثَرَ مِنهُما". فألَحّوا علَى الرَّجُلِ لوطٍ جِدًّا وتقَدَّموا ليُكَسِّروا البابَ، ١٠فمَدَّ الرَّجُلانِ أيديَهُما وأدخَلا لوطًا إليهِما إلَى البَيتِ وأغلَقا البابَ. ١١وأمّا الرِّجالُ الذينَ علَى بابِ البَيتِ فضَرَباهُمْ بالعَمَى، مِنَ الصَّغيرِ إلَى الكَبيرِ، فعَجِزوا عن أنْ يَجِدوا البابَ " .

وفي عمى أهل سدوم فعل الخارقة للملائكة وليس لله تعالى ،والذي ذكره القرآن طمس على الأعين وليس العمى .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ القمر: ٣٧

٢-معجزة هلاك سدوم وعمورة وامرأة لوط .

وهذه المعجزة ذكرت في تكوين ١٩:١٥-٢٦ " ١٥ولَمّا طَلَعَ الفَجرُ كانَ المَلاكانِ يُعَجِّلانِ لوطًا قائلَينِ:"قُمْ خُذِ امرأتكَ وابنتيكَ المَوْجودَتَينِ لئلا تهلِكَ بإثمِ المدينةِ". ١٦ولَمّا توانَى، أمسَكَ الرَّجُلانِ بيَدِهِ وبيَدِ امرأتِهِ وبيَدِ ابنتيهِ، لشَفَقَةِ الرَّبِّ علَيهِ، وأخرَجاهُ ووَضَعاهُ خارِجَ المدينةِ. ١٧وكانَ لَمّا أخرَجاهُمْ إلَى خارِجٍ أنَّهُ قالَ:"اهرُبْ لحَياتِكَ. لا تنظُرْ إلَى ورائكَ، ولا تقِفْ في كُلِّ الدّائرَةِ. اهرُبْ إلَى الجَبَلِ لئلا تهلِكَ". ١٨فقالَ لهُما لوطٌ: "لا يا سيِّدُ. ١٩هوذا عَبدُكَ قد وجَدَ نِعمَةً في عَينَيكَ، وعَظَّمتَ لُطفَكَ الذي صَنَعتَ إلَيَّ باستِبقاءِ نَفسي، وأنا لا أقدِرُ أنْ أهرُبَ إلَى الجَبَلِ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدرِكُني فأموتَ. ٢٠هوذا المدينةُ هذِهِ قريبَةٌ للهَرَبِ إليها وهي صَغيرَةٌ. أهرُبُ إلَى هناكَ. أليستْ هي صَغيرَةً؟ فتحيا نَفسي". ٢١فقالَ لهُ:"إنّي قد رَفَعتُ وجهَكَ في هذا الأمرِ أيضًا، أنْ لا أقلِبَ المدينةَ التي تكلَّمتَ عنها. ٢٢أسرِعِ اهرُبْ إلَى هناكَ لأنّي لا أستَطيعُ أنْ أفعَلَ شَيئًا حتَّى تجيءَ إلَى هناكَ". لذلكَ دُعيَ اسمُ المدينةِ "صوغَرَ". ٢٣وإذ أشرَقَتِ الشمسُ علَى الأرضِ دَخَلَ لوطٌ إلَى صوغَرَ، ٢٤فأمطَرَ الرَّبُّ علَى سدومَ وعَمورَةَ كِبريتًا ونارًا مِنْ عِندِ الرَّبِّ مِنَ السماءِ. ٢٥وقَلَبَ تلكَ المُدُنَ، وكُلَّ الدّائرَةِ، وجميعَ سُكّانِ المُدُنِ، ونَباتَ الأرضِ. ٢٦ونَظَرَتِ امرأتُهُ مِنْ ورائهِ فصارَتْ عَمودَ مِلحٍ" .

فهذه المعجزة كانت بأن أمطر عليهم الرب كبريتا ونارا من السماء وقلب تلك المدن فهلك جميع سكانها باستثناء لوط وابنتيه،وأما امرأته فقد نظرت من ورائه فصارت عمود ملح ٠

فتفاصيل هذه المعجزة مخالفة لما جاء في القرآن إذ لم يرد ذكر الكبريت والنار ،وتحول امرأة لوط لعمود ملح ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ هود: ٨٢ – ٨٣

فقلـــب القرى مذكور دون إشارة إلى الأسماء التي وردت في التوراة ثم إمطارهم بحجارة من سجيل منضود مسومة مـــن عـــند رب العالمين،وامرأة لوط أصابها من العذاب ما قد أصاب قوم لوط من العذاب لا كما زعمت التوراة من صيرورتها لعمود ملح بسبب التفاتها من وراء لوط عليه السلام ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ هود: ٨١

المطلب الخامس: معجزات موسى عليه الصلاة والسلام .

ومن المعجزات التي جاء نَسْبُها لموسى عليه السلام في العهد القديم ما يلي :

١ - معجزة العصا

وهي تنسب لموسى عليه السلام و أحيانا تنسب إلى هارون عليه السلام، ويطلق على سحرة مصر بالعرافين في العهد القديم،وهم يلقون عصيهم بعد ظهور المعجزة بلا محاورة ولا قرائن تحدي لموسى عليه السلام .

ومن ذلك في خروج ٤ :١-٥ " ١فأجابَ موسَى وقالَ:"ولكن ها هُم لا يُصَدِّقونَني ولا يَسمَعونَ لقَولي، بل يقولونَ: لم يَظهَرْ لكَ الربُّ".٢فقالَ لهُ الربُّ:"ما هذه في يَدِكَ؟". فقالَ:"عَصًا".٣فقالَ:"اطرَحها إلَى الأرضِ". فطَرَحَها إلَى الأرضِ فصارَتْ حَيَّةً، فهَرَبَ موسَى مِنها.٤ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى:"مُدَّ يَدَكَ وأمسِكْ بذَنَبِها". فمَدَّ يَدَهُ وأمسَكَ بهِ، فصارَتْ عَصًا في يَدِهِ.٥"لكَيْ يُصَدِّقوا أنَّهُ قد ظَهَرَ لكَ الربُّ إلَهُ آبائهِمْ، إلَهُ إبراهيمَ وإلَهُ إسحاقَ وإلَهُ يعقوبَ".

فالنص المتقدم يشير إلى تحول العصا التي كانت بيد موسى عليه السلام إلى حية ثم أمره الرب بالإمساك بذنبها فصارت عصا بيده ،كمعجزة تدل على صدق موسى وأن الرب قد ظهر له .

وفي خروج٧: ٨-١٣ "٨وكلَّمَ الربُّ موسَى وهارونَ قائلاً:٩"إذا كلَّمَكُما فِرعَونُ قائلاً: هاتيا عَجيبَةً، تقولُ لهارونَ: خُذْ عَصاكَ واطرَحها أمامَ فِرعَونَ فتصيرَ ثُعبانًا".١٠فدَخَلَ موسَى وهارونُ إلَى فِرعَونَ وفَعَلا هكذا كما أمَرَ الربُّ. طَرَحَ هارونُ عَصاهُ أمامَ فِرعَونَ وأمامَ عَبيدِهِ فصارَتْ ثُعبانًا.١١فدَعا فِرعَونُ أيضًا الحُكَماءَ والسَّحَرَةَ، فَفَعَلَ عَرّافو مِصرَ أيضًا بسِحرِهِمْ كذلكَ.١٢طَرَحوا كُلُّ واحِدٍ عَصاهُ فصارَتِ العِصيُّ ثَعابينَ. ولكن عَصا هارونَ ابتَلَعَتْ عِصيَّهُمْ.١٣ فاشتَدَّ قَلبُ فِرعَونَ فلم يَسمَعْ لهُما، كما تكَلَّمَ الربُّ" .

فهنا يأمر الرب موسى عليه السلام عند مخاطبته لفرعون وطلبه لمعجزة أن يأمر هارون عليه السلام بطرح عصاه التي تصير ثعبانا، ودعا فرعون الحكماء والسحرة متحديا لهما ففعل عرافو مصر بسحرهم كذلك فصارت عصيهم ثعابين،ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم، وتكبر فرعون فلم يسمع لهما لأن الرب قسَّا قلب فرعون فلم يؤمن.

فالملاحظ على هذه النصوص خلوها من دعوة التوحيد إلى الله تعالى، ومن ثمرة تجنى من وراء إجراء الخارقة، ثم هناك التباس هل العصا لهارون أم لموسى أم لكل منهم عصاه، كما أنه لا يوجد ذكر لاجتماع الناس في يوم الزينة، وهناك تسوية بين مفاهيم الحكماء والعرافين والسحرة،ثم لا توجد إشارة إلى أن ما فعله السحرة فيه حيلة وخدعة ورهبة، بل تم تبسيط الحادثة بابتلاع عصا هارون لعصي السحرة وليس إلى سحرهم فضلا عن إغفال جانب المعجزة في تحول العصا إلى ثعبان مبين قد بان من مشاهدته الحق للسحرة الذين آمنوا برب العالمين .

٢- معجزة اليد البرصاء ٠

ورد نسبة هذه المعجزة لموسى عليه الصلاة والسلام في العهد القديم في سفر الخروج ٤: ٦-٨ "٦ثُمَّ قالَ لهُ الربُّ أيضًا:"أدخِلْ يَدَكَ في عُبِّكَ". فأدخَلَ يَدَهُ في عُبِّهِ ثُمَّ أخرَجَها، وإذا يَدُهُ بَرصاءُ مِثلَ الثَّلجِ.٧ثُمَّ قالَ لهُ:"رُدَّ يَدَكَ إلَى عُبِّكَ". فرَدَّ يَدَهُ إلَى عُبِّهِ ثُمَّ أخرَجَها مِنْ عُبِّهِ، وإذا هي قد عادَتْ مِثلَ جَسَدِهِ.٨"فيكونُ إذا لم يُصَدِّقوك و لم يَسمَعوا لصوتِ الآيَةِ الأولَى، أنَّهُم يُصَدِّقونَ صوتَ الآيَةِ الأخيرَةِ " ٠

ربما في سبيل تخليص بني إسرائيل من عبودية فرعون تطاول كتاب العهد القديم حتى في نسبة المعجزات المنفرة لموسى عليه السلام طمعا في نفي فرعون لهم من أرض مصر، لأنهم أصبحوا أصحاب معجزات مرضية تشكل خطرا على سلامة سكان مصر،وهذا يؤكد حقيقة الظاهرة المرضية التي تسربت لأيديهم التي تعبدت لأنفسهم المريضة،فمن الواضح أنهم قد حرفوا كلمة البيضاء إلى برصاء ؛لأن القرآن الكريم قد صرح بأن يده عليه السلام تخرج بيضاء من غير سوء،كما أن الله تعالى لم يتحل لموسى عليه الصلاة والسلام وإنما أمره أن يدخل يده في جيبه ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ طه: ٢٢

فكتاب الله تعالى ينطق بالحق فمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام الأخرى هي اليد البيضاء التي لا مرض فيها قطعا، وليست البرصاء، كما جاء في العهد القديم،وهي يضمها إلى منطقة الجيب وليس إلى عبه كما زعم كُتاب العهد القديم[508] ،كما أن هذا الزعم يتعارض مع مقتضيات عصمة الأنبياء عليهم السلام فأي عيب منفر أكثر من البرص ٠

٣- الضربات العشر ٠

يذكر العهد القديم عددا من الضربات التي حلت بفرعون وقومه بسبب رفضه إطلاق شعب إسرائيل مع موسى عليه السلام وهذه الضربات كما وردت في العهد القديم هي :

الضربة الأولى : ضربة الدم ٠

وقد ورد ذكرها في خروج ٤ :٩ " أنَّكَ تأخُذُ مِنْ ماءِ النَّهرِ وتسكُبُ علَى اليابِسَةِ، فيَصيرُ الماءُ الذي تأخُذُهُ مِنَ النَّهرِ دَمًا علَى اليابِسَةِ".، وفي خروج ٧: ١٧-٢٤ " ١٧هكذا يقولُ الربُّ: بهذا تعرِفُ أنِّي أنا الربُّ: ها أنا أضرِبُ بالعَصا التي في يَدي علَى الماءِ الذي في النَّهرِ فيَتَحَوَّلُ دَمًا.١٨ويَموتُ السَّمَكُ الذي في النَّهرِ ويَنتِنُ النَّهرُ. فيَعافُ المِصريّونَ أنْ يَشرَبوا ماءً مِنَ النَّهرِ".١٩ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى:"قُلْ لهارونَ: خُذْ عَصاكَ ومُدَّ يَدَكَ علَى مياهِ المِصريِّينَ، علَى أنهارِهِمْ وعلَى سواقيهِمْ، وعلَى آجامِهِمْ، وعلَى كُلِّ مُجتَمَعاتِ مياهِهِمْ لتَصيرَ دَمًا. فيكونَ دَمٌ في كُلِّ أرضِ مِصرَ في الأخشابِ

[508]-انظر ابن قيم الجوزية، محمد،، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،خرج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد،القاهرة-مصر،مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م، ص١٦٦ ٠

وفي الأحجار". ٢٠ففعلَ هكذا موسَى وهارونُ كما أمَرَ الربُّ. رَفَعَ العَصا وضَرَبَ الماءَ الذي في النَّهرِ أمامَ عَيْنَيْ فِرعَونَ وأمامَ عُيونِ عَبيدِه، فتحَوَّلَ كُلُّ الماءِ الذي في النَّهرِ دَمًا. ٢١وماتَ السَّمَكُ الذي في النَّهرِ وأنتَنَ النَّهرُ، فلم يَقدِرِ المِصريّونَ أنْ يَشرَبوا ماءً مِنَ النَّهرِ. وكانَ الدَّمُ في كُلِّ أرضِ مِصرَ. ٢٢وفَعَلَ عَرّافو مِصرَ كذلكَ بسِحرِهِمْ. فاشتَدَّ قَلبُ فِرعَونَ فلم يَسمَعْ لهُما، كما تكلَّمَ الربُّ. ٢٣ثُمَّ انصَرَفَ فِرعَونُ ودَخَلَ بَيتَهُ ولم يوَجِّهْ قَلبَهُ إلَى هذا أيضًا. ٢٤وحَفَرَ جميعُ المِصريِّينَ حَوالَيِ النَّهرِ لأجلِ ماءٍ ليَشرَبوا، لأنَّهُمْ لم يَقدِروا أنْ يَشرَبوا مِنْ ماءِ النَّهرِ ".

الضربة الثانية: صعود الضفادع

وقد وردت في خروج ٨: ١-٧ " قالَ الربُّ لموسَى:"ادخُلْ إلَى فِرعَونَ وقُلْ لهُ: هكذا يقولُ الربُّ: أطلِقْ شَعبي ليَعبُدوني. ٢وإنْ كُنتَ تأبَى أنْ تُطلِقَهُمْ فها أنا أضرِبُ جميعَ تُخومِكَ بالضَّفادِعِ. ٣فيَفيضُ النَّهرُ ضَفادِعَ. فتصعَدُ وتدخُلُ إلَى بَيتِكَ وإلَى مخدَعِ فِراشِكَ وعلَى سريرِكَ وإلَى بُيوتِ عَبيدِكَ وعلَى شَعبِكَ وإلَى تنانيرِكَ وإلَى مَعاجِنِكَ. ٤علَيكَ وعلَى شَعبِكَ وعَبيدِكَ تصعَدُ الضَّفادِعُ". ٥فقالَ الربُّ لموسَى:"قُلْ لهارونَ: مُدَّ يَدَكَ بعَصاكَ علَى الأنهارِ والسَّواقي والآجامِ، وأصعِدِ الضَّفادِعَ علَى أرضِ مِصرَ". ٦فمَدَّ هارونُ يَدَهُ علَى مياهِ مِصرَ، فصَعِدَتِ الضَّفادِعُ وغَطَّتْ أرضَ مِصرَ. ٧وفَعَلَ كذلكَ العَرّافونَ بسِحرِهِمْ وأصعَدوا الضَّفادِعَ علَى أرضِ مِصرَ".

الضربة الثالثة: غزو البعوض

وقد وردت في خروج ٨: ١٦-١٩ " ١٦ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى:"قُلْ لهارونَ: مُدَّ عَصاكَ واضرِبْ تُرابَ الأرضِ ليَصيرَ بَعوضًا في جميعِ أرضِ مِصرَ". ١٧ففَعَلا كذلكَ. مَدَّ هارونُ يَدَهُ بعَصاهُ وضَرَبَ تُرابَ الأرضِ، فصارَ البَعوضُ علَى الناسِ وعلَى البَهائمِ. كُلُّ تُرابِ الأرضِ صارَ بَعوضًا في جميعِ أرضِ مِصرَ. ١٨وفَعَلَ كذلكَ العَرّافونَ بسِحرِهِمْ ليُخرِجوا البَعوضَ فلم يستطيعوا. وكانَ البَعوضُ علَى الناسِ وعلَى البَهائمِ. ١٩فقالَ العَرّافونَ لفِرعَونَ:"هذا إصبَعُ اللهِ". ولكن اشتَدَّ قَلبُ فِرعَونَ فلم يَسمَعْ لهُما، كما تكلَّمَ الربُّ" .

الضربة الرابعة: أسراب الذباب*

وقد وردت في خروج ٨: ٢٠-٣١ " ٢٠ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى:"بَكِّرْ في الصَّباحِ وقِفْ أمامَ فِرعَونَ. إنَّهُ يَخرُجُ إلَى الماءِ. وقُلْ لهُ: هكذا يقولُ الربُّ: أطلِقْ شَعبي ليَعبُدوني. ٢١فإنَّهُ إنْ كُنتَ لا تُطلِقُ شَعبي، ها أنا أُرسِلُ علَيكَ وعلَى عَبيدِكَ وعلَى شَعبِكَ وعلَى بُيوتِكَ الذُّبّانَ، فتمتَلِئُ بُيوتُ المِصريِّينَ ذُبّانًا. وأيضًا الأرضُ الّتي هُم علَيها. ٢٢ولكن أُمَيِّزُ في ذلكَ اليومِ أرضَ جاسانَ حَيثُ شَعبي مُقيمٌ حتَّى لا يكونَ هناكَ ذُبّانٌ. لكَيْ تعلَمَ أنّي أنا الربُّ في الأرضِ. ٢٣وأجعَلُ فَرقًا بَينَ شَعبي وشَعبِكَ. غَدًا تكونُ هذِهِ الآيَةُ". ٢٤ففَعَلَ الربُّ هكذا، فدَخَلَتْ ذُبّانٌ كثيرَةٌ إلَى بَيتِ فِرعَونَ وبُيوتِ عَبيدِهِ. وفي كُلِّ أرضِ مِصرَ خَرِبَتِ الأرضُ مِنَ الذُّبّانِ. ٢٥فدَعا فِرعَونُ موسَى وهارونَ وقالَ:"اذهَبوا اذبَحوا لإلهِكُمْ في هذِهِ الأرضِ". ٢٦فقالَ موسَى:"لا يَصلُحُ أنْ نَفعَلَ هكذا، لأنَّنا إنَّما نَذبَحُ رِجسَ المِصريِّينَ للرَّبِّ إلهِنا. إنْ ذَبَحنا رِجسَ المِصريِّينَ أمامَ عُيونِهِمْ أفَلا يَرجُمونَنا؟ ٢٧نَذهَبُ سفَرَ ثَلاثَةِ أيّامٍ في البَرِّيَّةِ ونَذبَحُ للرَّبِّ إلهِنا كما يقولُ لَنا". ٢٨

---

* فهذه مما لا نصدق اليهود فيها ولا نكذبهم و نتوقف في الحكم عليها .

فقالَ فِرعَونُ:"أنا أُطلقُكُمْ لتذبَحوا للربِّ إلَهِكُمْ في البَرِّيَّة، ولكن لا تذهَبوا بَعيدًا. صَلِّيا لأجلي".٢٩فقالَ موسَى:"ها أنا أخرُجُ مِنْ لَدُنكَ وأُصَلّي إلَى الربِّ، فترتَفِعُ الذُّبّانُ عن فِرعَونَ وعَبيدِه وشَعبِه غَدًا. ولكن لا يَعُدْ فِرعَونُ يُخاتِلُ حتَّى لا يُطلِقَ الشَّعبَ ليَذبَحَ للربِّ".٣٠فخرجَ موسَى مِنْ لَدُنْ فِرعَونَ وصَلَّى إلَى الربِّ.٣١ففَعَلَ الربُّ كقَول موسَى، فارتَفَعَ الذُّبّانُ عن فِرعَونَ وعَبيدِهِ وشَعبِه. لم تبقَ واحِدَةٌ.٣٢ولكن أغلَظَ فِرعَونُ قَلبَهُ هذِهِ المَرَّةَ أيضًا فلم يُطلِقِ الشَّعبَ ".

الضربة الخامسة: إهلاك المواشي

وقد وردت في خروج٩ :١-٧ " ١ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى:"ادخُلْ إلَى فِرعَونَ وقُلْ لهُ: هكذا يقولُ الربُّ إلَهُ العِبرانيِّينَ: أطلِقْ شَعبي ليَعبُدوني.٢فإنَّهُ إنْ كُنتَ تأبَى أنْ تُطلِقَهُمْ وكُنتَ تُمسِكُهُمْ بَعدُ،٣فها يَدُ الربِّ تكونُ علَى مَواشيكَ التي في الحَقلِ، علَى الخَيلِ والحَميرِ والجِمالِ والبَقَرِ والغَنَمِ، وبأً ثَقيلاً جِدًّا.٤ويُمَيِّزُ الربُّ بَينَ مَواشي إسرائيلَ ومَواشي المِصريِّينَ. فــلا يَموتُ مِنْ كُلِّ ما لبَني إسرائيلَ شَيءٌ".٥وعَيَّنَ الربُّ وقتًا قائلاً:"غَدًا يَفعَلُ الربُّ هذا الأمرَ في الأرضِ".٦ففَعَلَ الــربُّ هــذا الأمرَ في الغَدِ. فماتَتْ جميعُ مَواشي المِصريِّينَ. وأمّا مَواشي بَني إسرائيلَ فلم يَمُتْ مِنها واحِدٌ.٧وأرسَلَ فِرعَونُ وإذا مَواشي إسرائيلَ لم يَمُتْ مِنها ولا واحِدٌ. ولكن غَلُظَ قَلبُ فِرعَونَ فلم يُطلِقِ الشَّعبَ ".

الضربة السادسة: الدمامل المتقيحة

وقد وردت في خروج٩ :٨-١١" ٨ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى وهارونَ:"خُذا مِلءَ أيديكُما مِنْ رَمادِ الأتونِ، وليُذَرِّهِ موسَى نَحوَ السماءِ أمامَ عَينَيْ فِرعَونَ،٩ليَصيرَ غُبارًا علَى كُلِّ أرضِ مِصرَ. فيَصيرَ علَى الناسِ وعلَى البَهائمِ دَماملَ طالِعَةً ببُثورٍ في كُلِّ أرضِ مِصرَ".١٠فأخَذا رَمادَ الأتونِ ووَقَفا أمامَ فِرعَونَ، وذَرّاهُ موسَى نَحوَ السماءِ، فصارَ دَماملَ بُثورٍ طالِعَةً في الناسِ وفي البَهائمِ.١١و لم يَستَطِعِ العَرّافونَ أنْ يَقِفوا أمامَ موسَى مِنْ أجلِ الدَّماملِ، لأنَّ الدَّماملَ كانتْ في العَرّافينَ وفي كُلِّ المِصريِّينَ ".

الضربة السابعة: سقوط البرد

وقد وردت في خروج٩ :١٧-٢٦ " ١٧أنتَ مُعانِدٌ بَعدُ لشَعبي حتَّى لاتُطلِقَهُ.١٨ها أنا غَدًا مِثلَ الآنَ أُمطِرُ بَرَدًا عظيمًا جِدًّا لم يَكُنْ مِثلُهُ في مِصرَ منذُ يومِ تأسيسِها إلَى الآنَ.١٩فالآنَ أرسِلِ احمِ مَواشيَكَ وكُلَّ ما لكَ في الحَقلِ. جميعُ الناسِ والبَهائمِ الذينَ يوجَدونَ في الحَقلِ ولا يُجمَعونَ إلَى البُيوتِ، يَنزِلُ علَيهِمِ البَرَدُ فيَموتونَ".٢٠فالذي خافَ كلِمَةَ الربِّ مِنْ عَبيدِ فِرعَونَ هَرَبَ بعَبيدِهِ ومَواشيهِ إلَى البُيوتِ.٢١وأمّا الذي لم يوَجِّهْ قَلبَهُ إلَى كلِمَةِ الربِّ فترَكَ عَبيدَهُ ومَواشيَهُ في الحَقلِ.٢٢ثُمَّ قالَ الربُّ لموسَى:"مُدَّ يَدَكَ نَحوَ السماءِ ليكونَ بَرَدٌ في كُلِّ أرضِ مِصرَ: علَى الناسِ وعلَى البَهائمِ وعلَى كُــلِّ عُشبِ الحَقلِ في أرضِ مِصرَ".٢٣فمَدَّ موسَى عَصاهُ نَحوَ السماءِ، فأعطَى الربُّ رُعودًا وبَرَدًا، وجَرَتْ نارٌ علَى الأرضِ، وأمطَرَ الربُّ بَرَدًا علَى أرضِ مِصرَ.٢٤فكانَ بَرَدٌ، ونارٌ مُتَواصِلَةٌ في وسطِ البَرَدِ. شَيءٌ عظيمٌ جِدًّا لم يَكُنْ مِثلُهُ في كُلِّ أرضِ مِصرَ منذُ صارَتْ أُمَّةً.٢٥فضَرَبَ البَرَدُ في كُلِّ أرضِ مِصرَ جميعَ ما في الحَقلِ مِنَ الناسِ والبَهائمِ. وضَرَبَ البَرَدُ جميعَ عُشبِ الحَقلِ وكسَّرَ جميعَ شَجَرِ الحَقلِ.٢٦إلا أرضَ جاسانَ حَيثُ كانَ بَنو إسرائيلَ، فلم يَكُنْ فيها بَرَدٌ ".

الضربة الثامنة: غزو الجراد .

وقد وردت في خروج ١٠:١٣-٢٠ " ١٣فمَدَّ موسَى عَصاهُ علَى أرضِ مِصرَ، فجَلَبَ الربُّ علَى الأرضِ ريحًا شَرقيَّةً كُلَّ ذلكَ النَّهارِ وكُلَّ اللَّيلِ. ولَمّا كانَ الصَّباحُ، حَمَلَتِ الرِّيحُ الشَّرقيَّةُ الجَرادَ، ١٤فصَعِدَ الجَرادُ علَى كُلِّ أرضِ مِصرَ، وحَلَّ في جميعِ تُخومِ مِصرَ. شَيءٌ ثَقيلٌ جِدًّا لم يَكُنْ قَبلهُ جَرادٌ هكذا مِثلهُ، ولا يكونُ بَعدَهُ كذلكَ، ١٥وغَطَّى وجهَ كُلِّ الأرضِ حتَّى أظلَمَتِ الأرضُ. وأكلَ جميعَ عُشبِ الأرضِ وجميعَ ثَمَرِ الشَّجَرِ الذي ترَكَهُ البَرَدُ، حتَّى لم يَبقَ شَيءٌ أخضَرُ في الشَّجَرِ ولا في عُشبِ الحَقلِ في كُلِّ أرضِ مِصرَ". ١٦فدَعا فِرعَونُ موسَى وهارونَ مُسرِعًا وقالَ: "أخطأتُ إلَى الرَّبِّ إلهِكُما وإلَيكُما. ١٧والآنَ اصفَحا عن خَطيَّتي هذِهِ المَرَّةَ فقط، وصَلّيا إلَى الرَّبِّ إلهِكُما ليَرفَعَ عَنّي هذا الموتَ فقط". ١٨فخرجَ موسَى مِنْ لَدُنْ فِرعَونَ وصَلَّى إلَى الرَّبِّ. ١٩فرَدَّ الرَّبُّ ريحًا غَربيَّةً شَديدَةً جِدًّا، فحَمَلَتِ الجَرادَ وطَرَحَتهُ إلَى بحرِ سوفَ. لم تبقَ جَرادَةٌ واحِدَةٌ في كُلِّ تُخومِ مِصرَ. ٢٠ولكن شَدَّدَ الرَّبُّ قَلبَ فِرعَونَ فلم يُطلِقْ بَني إسرائيلَ".

الضربة التاسعة: الظلام الكثيف

وقد وردت في خروج ١٠ :٢١- ٢٣ "٢١ثُمَّ قالَ الرَّبُّ لموسَى: "مُدَّ يَدَكَ نَحوَ السماءِ ليكونَ ظَلامٌ علَى أرضِ مِصرَ، حتَّى يُلمَسُ الظَّلامُ". ٢٢فمَدَّ موسَى يَدَهُ نَحوَ السماءِ فكانَ ظَلامٌ دامِسٌ في كُلِّ أرضِ مِصرَ ثَلاثَةَ أيّامٍ. ٢٣لم يُبصِرْ أحَدٌ أخاهُ، ولا قامَ أحَدٌ مِنْ مَكانِهِ ثَلاثَةَ أيّامٍ. ولكن جميعُ بَني إسرائيلَ كانَ لهُم نورٌ في مَساكِنِهِمْ ".

الضربة العاشرة: موت الأبكار

وقد وردت في خروج١٢: ٢٩-٣١ "٢٩فحَدَثَ في نِصفِ اللَّيلِ أنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ كُلَّ بكرٍ في أرضِ مِصرَ، مِنْ بكرِ فِرعَونَ الجالِسِ علَى كُرسيِّهِ إلَى بكرِ الأسيرِ الذي في السِّجنِ، وكُلَّ بكرِ بَهيمَةٍ. ٣٠فقامَ فِرعَونُ ليلاً هو وكُلُّ عَبيدِهِ وجميعُ المِصريِّينَ. وكانَ صُراخٌ عظيمٌ في مِصرَ، لأنَّهُ لم يَكُنْ بَيتٌ ليس فيه مَيِّتٌ. ٣١فدَعا موسَى وهارونَ ليلاً وقالَ: "قوموا اخرُجوا مِنْ بَينِ شَعبي أنتُما وبَنو إسرائيلَ جميعًا، واذهَبوا اعبُدوا الرَّبَّ كما تكَلَّمتُمْ".

إن بعض هذه الضربات أشار إليها القرآن الكريم على أنها آيات مفصلة مرسلة من رب العالمين، وليست ضربات وهي :الدم والضفادع والجراد وأما باقي الضربات فقد انفرد العهد القديم بذكرها وذكر تفاصيلها السابقة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٣

إن التعبير بلفظ الضربات عن المعجزات يكشف عن شهية الانتقام من الآخر المتأصلة في نفوس بني إسرائيل وإغفالهم جوانب الحكمة من إرسال تلك المعجزات؛ لأن الرب بزعمهم هو الذي يشدد قلب فرعون فلا يطلق شعب إسرائيل مع موسى وأخيه عليهما السلام فكأنما تساق المعجزات له من باب العبث أمام تقسية الرب لقلبه الذي لا يستجيب . ثم إن إســـناد المعجزات لأسباب طبيعية كالغزو للجراد أو البعوض، ومد اليد، وذر رماد الحيوانات يكشف عن جهل كتاب العهد القديم عن عدم تفريقهم بين ما هو كارثة طبيعية تستند إلى أسباب مادية تفسر وجودها وكيفية حدوثها وبين ما هو خارق للعادة لا يستند لأسباب طبيعية، لأنه يجري بأمر الله تعالى وحده ووفق علمه وإرادته لإقامة الحجة على العالمين أو إهلاكا للطاغين المكذبين من الكفرة المجرمين المعاندين لآيات الله تعالى، وفي ظهور الخارق للعادة على أيدي المرسلين عليهم السلام دلالة على قدرة الله تعالى وصدق عباده المرسلين فيما يبلغونه عن رب العالمين.

ثم إذا كـــان عرافو مصر يستطيعون فعل مثل تلك الضربات بسحرهم فما الفرق إذا بين ما هو مقدور للبشر وبين ما يكون فعلا خارقا للعادة يدل على صدق الأنبياء والمرسلين عند كُتَّاب العهد القديم ؟ .

٤- معجزتا عمود السحاب وعمود النار .

وهما ذكرا في سفر الخروج ١٣: ٢١-٢٢ "٢١وكانَ الربُّ يَسيرُ أمامَهُمْ نهارًا في عَمودِ سحاب ليَهديَهُمْ في الطريقِ، ولـــيلاً في عَمودِ نارٍ ليُضيءَ لَهُم. لكَيْ يَمشوا نهارًا وليلاً.٢٢ لم يَبرَحْ عَمودُ السَّحابِ نهارًا وعَمودُ النّارِ ليلاً مِنْ أمامِ الشَّعبِ".

فتصوير لرب يتولى قيادة شعب إسرائيل من خلال السير أمامهم في عمود سحاب نهارا وفي عمود نار يضيء لهم ليلا أن الخارقـــة تحدث بتدخل مستمر من الرب لشعب لا يؤمن إلا بما هو محسوس ومشاهد فهم بذلك أصبح المعتاد لهم والمألـــوف هـــو مشاهدة الخارقة ليلا ونهارا،ثم ماذا عن إرشاد موسى وهارون عليهما السلام المؤيد بالوحي من رب العالمين لبني إسرائيل إذا كان الرب يسير أمام شعب إسرائيل؟ .

والله عز وجل ذكر في القرآن الكريم معجزة تظليل الغمام على بني إسرائيل، و لم يرد ذكر عمود السحاب وعمود النار في القرآن الكريم . قَالَ تَعَالَى:﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ ﴾ الأعراف: ١٦٠

٥- معجزة البحر الأحمر .

ويصور العهد القديم سبب هذه الحادثة هو ندم فرعون على السماح لشعب إسرائيل بالخروج بعد الضربات العشر وذلك؛ لأن الرب قَسَّىَ قلبه حتى يسعى بكل جنده وراءهم لكي يقضي عليهم جميعا .

فعـــندما عـــاين بنو إسرائيل فرعون وجنده استغاثوا بالرب فبعث عمود سحاب بينهم فصار ظلاما على معسكر المصريين وضياء على بني إسرائيل حتى بسط موسى يده فوق البحر فأرسل الرب ريحا شرقية على البحر فرجع الماء إلى الوراء فيبست الأرض فاجتاز بنو إسرائيل، وتبعهم فرعون حتى إذا توسط فرعون وجنده البحر أمر الرب موسى بأن يبسط يده على البحر ليرتد الماء عليهم ففعل فهلكوا جميعا ٠

وقد ورد الحديث عن حادثة عبور البحر الأحمر في سفر الخروج ١٤ :٢١-٢٨ " ٢١ومَدَّ موسَى يَدَهُ علَى البحرِ، فأجـرَى الربُّ البحرَ بريحٍ شرقيَّةٍ شديدةٍ كُلَّ اللَّيلِ، وجَعَلَ البحرَ يابسَةً وانشَقَّ الماءُ.٢٢فدَخَلَ بَنو إسرائيلَ في وسطِ البحرِ علَى اليابسَةِ، والماءُ سورٌ لهُم عن يَمينِهِمْ وعَنْ يَسارِهِمْ.٢٣وتَبِعَهُمُ المِصريّونَ ودَخَلوا وراءَهُمْ. جميعُ خَيلِ فِرعَونَ ومَـركَباتِهِ وفُرسانِهِ إلَى وسطِ البحرِ.٢٤وكانَ في هَزيعِ الصُّبحِ أنَّ الربَّ أشرَفَ علَى عَسكَرِ المِصريّينَ في عَمودِ النّارِ والسَّحابِ، وأزعَجَ عَسكَرَ المِصريّينَ،٢٥وخَلَعَ بَكَرَ مَركَباتِهِمْ حتَّى ساقوها بثَقلَةٍ. فقالَ المِصريّونَ:"نَهرُبُ مِنْ إسرائيلَ، لأنَّ الربَّ يُقاتِلُ المِصريّينَ عنهُمْ".٢٦فقالَ الربُّ لموسَى:"مُدَّ يَدَكَ علَى البحرِ ليَرجِعَ الماءُ علَى المِصريّينَ، علَى مَركَباتِهِمْ وفُرسـانِهِمْ".٢٧فمَدَّ موسَى يَدَهُ علَى البحرِ فرَجَعَ البحرُ عِندَ إقبالِ الصُّبحِ إلَى حالِهِ الدّائمَةِ، والمِصريّونَ هارِبونَ إلَى لِقائـهِ. فدَفَعَ الربُّ المِصريّينَ في وسطِ البحرِ.٢٨فرَجَعَ الماءُ وغَطَّى مَركَباتِ وفُرسانَ جميعِ جَيشِ فِرعَونَ الذي دَخَلَ وراءَهُمْ في البحرِ. لم يَبقَ مِنهُمْ ولا واحِدٌ" ٠

وروايـة العهد القديم تختلف عما سبق بيانه فيما يتعلق بمعجزة فلق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام في الإسلام، وهناك العديد من المآخذ على رواية العهد القديم والتي منها ما يتعلق بالرب الذي يقسي قلب فرعون،ثم ربط المعجزة بحـوادث طبيعية من حاجتهم لمدة من الزمن لكي يقوم موسى عليه السلام بخرق العادة ليمد يده على البحر فيجري الـرب ريحا شرقية على البحر شديدة الليل كله؛ لكي يرجع الماء ويجف قاع البحر وهذه الرواية تجعل حادثة عبورهم إنمـا تـرجع لأحـداث طبيعية من إعاقة حركة فرعون وجنده، وإرسال ريحٍ شرقية ومد وجزر لمياه البحر فالمعجزة الواحدة عند اليهود في داخلها ذكر عدد من المعجزات المفسرة، وهذا يؤكد حقيقة اليهود بأنهم لا يؤمنون إلا بما هو مشاهد ومحسوس ٠

وفصل الخطاب في القرآن الكريم بشأن حقيقة تلك الخارقة التي حدثت بأمر الله تعالى الذي يقول للشيء كن فيكون٠

قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الشعراء: ٦١ – ٦٧

٦- معجزة تحويل مياه مارة المرة إلى مياه حلوة.

وهــذه ممــا انفــرد بذكرها العهد القديم وقد ورد ذكرها في سفر الخروج ١٥ :٢٢-٢٥ "٢٢ثُمَّ ارتَحَلَ موسَى بإسرائيلَ مِنْ بحرِ سوفَ وخرجوا إلَى بَرِّيَّةِ شور. فساروا ثَلاثَةَ أيّامٍ في البَرِّيَّةِ و لم يَجدوا ماءً.٢٣فجاءوا إلَى مارَّةَ، و لم يَقــدِروا أنْ يَــشرَبوا مــاءً مِــنْ مارَّةَ لأنَّهُ مُرٌّ. لذلكَ دُعيَ اسمُها "مارَّةَ". ٢٤فتَذَمَّرَ الشَّعبُ علَى موسَى قائلينَ:"ماذا نَشرَبُ؟". ٢٥فصَرَخَ إلَى الرَّبِّ. فأراهُ الرَّبُّ شَجَرَةً فطَرَحَها في الماءِ فصارَ الماءُ عَذبًا".

فــشعب إسرائيل سيئ الأدب مع موسى الكليم ويظهر ذلك من كثرة تذمرهم وأنهم ليس لديهم جلد وصبر على مشاق السفر لعدم وجود الماء الحلو العذب بعد أن ساروا ثلاثة أيام في الصحراء ،فموسى عليه السلام عندهم يصرخ للرب الذي يريه شجرة فيلقيها في الماء المر فيصير عذبا لشعب إسرائيل، والتأكيد على طرح شجرة في الماء المر ليصبح عذبا أنهم يتصورون المعجزة تجري بأسباب طبيعية فلا بد من ذكر سبب عندهم يفسر حدوث المعجزة عند أصحاب العهــد القديم كي تتقبل عقولهم الأمر-فربما تكون عندهم حلاوة الشجرة هي التي جعلت الماء المر عذبا- ،ولكن بلا فائدة تظهر من وراء حدوث تلك المعجزة سوى حرص شعب إسرائيل على ترفيه أنفسهم التي تأبى اتباع فرائض الله تعالى على الرغم من كثرة مشاهدتهم للمعجزات.

٧- معجزتا المن والسلوى .

وهما مما وافق العهد القديم بذكرهما ما جاء في القرآن الكريم كذكر الجراد والضفادع من الآيات التسع من معجزات موسى عليه السلام مع ضرورة الحذر من التسليم الكامل في تفاصيل حدوثهما المذكورة عند أهل الكتاب؛ لأن ذلك يحتاج للتمحيص والتروي في التثبت من تلك المرويات التي تفوح بكثير من المآثم .

ولا ضير في مثل هذا التوافق وإن كان بالاسم دون التفاصيل، لأن مثل هذه الأمور تلفت نظر المتأمل في العهد القديم إلى بقايا الحق التي لم تطمس معالمها بعد والتي تشهد بهيمنة كتاب الله تعالى على كل ما سبقه من كتاب .

وقد ورد ذكر هاتين المعجزتين في سفر الخروج ١٦ :١١-١٥"١١فكلَّمَ الرَّبُّ موسَى قائلاً:١٢"سمِعتُ تذَمُّرَ بَني إسرائيلَ. كلِّمهُمْ قائلاً: في العَشيَّةِ تأكُلونَ لَحمًا، وفي الصَّباحِ تشبَعونَ خُبزًا، وتعلَمونَ أنّي أنا الرَّبُّ إلهُكُمْ".١٣فكانَ في المساءِ أنَّ السَّلوَى صَعِدَتْ وغَطَّتِ المَحَلَّةَ. وفي الصَّباحِ كانَ سقيطُ النَّدَى حَوالَي المَحَلَّةِ.١٤ولَمّا ارتَفَعَ سقيطُ النَّدَى إذا علَى وجهِ البَرِّيَّةِ شَيءٌ دَقيقٌ مِثل قُشورٍ. دَقيقٌ كالجَليدِ علَى الأرضِ.١٥فلَمّا رأى بَنو إسرائيلَ قالوا بَعضُهُمْ لبَعضٍ:"مَنْ هو؟". لأنَّهُمْ لم يَعرِفوا ما هو. فقالَ لهُم موسَى:"هو الخُبزُ الذي أعطاكُمُ الرَّبُّ لتأكُلوا".

٨- معجزة ضرب الصخرة .

وقد جاء ذكر هذه المعجزة في سفر الخروج ١٧: ٤-٥ "٤فصَرَخَ موسَى إلَى الربِّ قائلاً:"ماذا أفعَلُ بهذا الشَّعب؟ بَعدَ قَليلٍ يَرجُمونَني". ٥فقالَ الربُّ لموسَى:"مُرَّ قُدّامَ الشَّعبِ، وخُذْ معكَ مِنْ شُيوخِ إسرائيلَ. وعَصاكَ التي ضَرَبتَ بها النَّهرَ خُذها في يَدكَ واذهَبْ.٦ها أنا أقِفُ أمامَكَ هناكَ علَى الصَّخرَةِ في حوريبَ، فتضرِبُ الصَّخرَةَ فيَخرُجُ مِنها ماءٌ ليَشرَبَ الشَّعبُ". ففَعَلَ موسَى هكذا أمامَ عُيونِ شُيوخِ إسرائيلَ" .

ومن الملاحظ على النص المتقدم أنه يتناقض مع معجزة عبور البحر الأحمر التي تقرر أنها كانت بأمر موسى بمد يده على البحر وهنا يذكر النص أنه ضرب النهر وليس البحر بعصاه فهل هو عبر النهر أم البحر ؟ .

ثم مـــا هـــو مذكور من نتيجة ضرب الصخرة بالعصا هو خروج الماء منها فقط، وليس اثنتا عشرة عينا، كما هو مذكور في القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾البقرة: ٦٠

٩-معجزة الحية النحاسية .

وهذه ورد ذكرها في سفر العدد ٢١ :٥-٩ "٥وتكلَّمَ الشَّعبُ علَى اللهِ وعلَى موسَى قائلينَ:"لماذا أصعَدتُمانا مِنْ مِصرَ لنَموتَ في البَرِّيَّةِ؟ لأنَّهُ لا خُبزَ ولا ماءَ، وقد كرِهَتْ أنفُسُنا الطَّعامَ السَّخيفَ".٦فأرسَلَ الربُّ علَى الشَّعبِ الحَيّاتِ المُحرِقَةَ، فلَدَغَتِ الشَّعبَ، فماتَ قَومٌ كثيرونَ مِنْ إسرائيلَ.٧فأتَى الشَّعبُ إلَى موسَى وقالوا:"قد أخطأنا إذ تكلَّمنا علَى الربِّ وعلَيكَ، فصَلِّ إلَى الربِّ ليَرفَعَ عَنّا الحَيّاتِ". فصَلَّى موسَى لأجلِ الشَّعبِ.٨فقالَ الربُّ لموسَى:"اصنَعْ لكَ حَيَّةً مُحرِقَةً وضَعها علَى رايَةٍ، فكُلُّ مَنْ لُدِغَ ونَظَرَ إليها يَحيا".٩فصَنَعَ موسَى حَيَّةً مِنْ نُحاسٍ ووَضَعَها علَى الرّايَةِ، فكانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إنسانًا ونَظَرَ إلَى حَيَّةِ النُّحاسِ يَحيا " .

وهـــذه المعجـــزة فيها تناقض ظاهر للعيان فالرب يرسل الحيات عقابا لهم على كلامهم على الله وعلى موسى ثم الـــشعب يعترف بخطئه وموسى يصلي لأجل الشعب، فيأمر الرب موسى بصناعة الحية، ويصنعها من نحاس ثم يضعها على راية وكل من لدغته حية ينظر إليها يحيا .

فالذي يحيا هو من كان ميتا؛ فكيف ينظر الميت للحية النحاسية حتى يحيا؟ فنتيجة هذه المعجزة المزعومة لا تتوافق مع مقـــدماتها، فلو كانت صحيحة لكانت الكلمة التي تدل على صحتها هي يبرأ أو يشفى بدل يحيا، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على كثرة سموم العابثين من كتاب اليهود المبثوثة في عهدهم القديم، والتي تظهر للعيان حقيقة التحريف الـــذي يحاولـــون التسلل من خلاله للمبالغة في تصويرهم كثرة عددهم حتى تتسلط عليهم الأفاعي فيموت قوم كثير مـــنهم، وهم في حقيقة الأمر يستحقون أكثر من ذلك جزاء عبثهم المتوارث، ومزج المعجزات بالأساطير ما أراها إلا صناعة يهودية بحتة نسجتها أقلامهم المسمومة التي تسبح في بحار الأساطير والأوهام والخرافات .

١٠- يوشع بن نون[509] .

يعتـبر يوشـع بن نون مكملا لعمل موسى عليه السلام في العهد القديم، ولكي يأخذ في عيون بني إسرائيل نفس القداسة التي كانت لموسى عليه الصلاة والسلام نقلوا عنه أنه قد تلقى بركة موسى عليه الصلاة والسلام من يده قبل مـوته ثم أحـدث معجزة مشابهة لمعجزة موسى عليه السلام فعبر نهر الأردن بنفس الطريقة التي عبروا فيها البحر مع موسى عليه الصلاة السلام[510] .

ففي سفر يوشع ٣: ٧-١٧ "٧فقالَ الربُّ لِيَشوعَ:"اليومَ أبتَدِئُ أُعَظِّمُكَ في أعيُنِ جميعِ إسرائيلَ لكَيْ يَعلَموا أنِّي كما كُـنتُ مع موسَى أكونُ معكَ.٨وأمّا أنتَ فأمُرِ الكهنةَ حامِلي تابوتِ العَهدِ قائلاً: عندما تأتونَ إلَى ضَفَّةِ مياهِ الأُردُنِّ تقفـونَ في الأُردُنِّ".٩فقالَ يَشوعُ لبَني إسرائيلَ: "تقَدَّموا إلَى هنا واسمَعوا كلامَ الربِّ إلهِكُمْ".١٠ثُمَّ قالَ يَشوعُ:"بهذا تعلَمـونَ أنَّ اللهَ الحَـيَّ في وسطِكُمْ، وطَردًا يَطرُدُ مِنْ أمامِكُمُ الكنعانيِّينَ والحِثِّيِّينَ والحِوِّيِّينَ والفِرِزِّيِّينَ والجِرجاشيِّينَ والأمـوريِّينَ واليَبوسـيِّينَ.١١هوذا تابوتُ عَهدِ سيِّدِ كُلِّ الأرضِ عابِرٌ أمامَكُمْ في الأُردُنِّ.١٢فالآنَ انتَخِبوا اثنَيْ عشَرَ رَجُلاً مِنْ أسباطِ إسرائيلَ، رَجُلاً واحِدًا مِنْ كُلِّ سِبطٍ.١٣ويكونُ حينَما تستَقِرُّ بُطونُ أقدامِ الكهنةِ حامِلي تابوتِ الربِّ سيِّدِ الأرضِ كُلِّها في مياهِ الأُردُنِّ، أنَّ مياهَ الأُردُنِّ، المياهَ المُنحَدِرَةَ مِنْ فوقُ، تنفَلِقُ وتقِفُ نَدًّا واحِدًا".١٤ولَمّا ارتَحَلَ الشَّعبُ مِنْ خيامِهِمْ لكَيْ يَعبُروا الأُردُنَّ، والكهنةُ حامِلو تابوتِ العَهدِ أمامَ الشَّعبِ،١٥فعِندَ إتيانِ حامِلي التّابوتِ إلَى الأُردُنِّ وانغِماسِ أرجُلِ الكهنةِ حامِلي التّابوتِ في ضَفَّةِ المياهِ، والأُردُنُّ مُمتَلِئٌ إلَى جميعِ شُطوطِهِ كُلَّ أيّامِ الحَصادِ،١٦وقَفَتِ المياهُ المُنحَدِرَةُ مِنْ فوقُ، وقامَتْ نَدًّا واحِدًا بَعيدًا جِدًّا عن "أدامَ" المدينةِ التي إلَى جانِبِ صَرتانَ، والمُنحَدِرَةُ إلَى بحرِ العَرَبَةِ "بحرِ المِلحِ" انقَطَعَتْ تمامًا، وعَبَرَ الشَّعبُ مُقابِلَ أريحا.١٧فوَقَفَ الكهنةُ حامِلو تابوتِ عَهدِ الربِّ علَى اليابِسَةِ في وسطِ الأُردُنِّ راسِخينَ، وجميعُ إسرائيلَ عابِرونَ علَى اليابِسَةِ حتَّى انتَهَى جميعُ الشَّعبِ مِنْ عُبورِ الأُردُنِّ".

وكذلك معجزة سقوط سور أريحا بعد الطواف به سبع مرات وهذا أشبه بإحداث زلزال اصطناعي حيث ورد خبرها في يوشـع ٦: ٢-٢٠ "٢فقـالَ الربُّ لِيَشوعَ:"انظُرْ. قد دَفَعتُ بيَدِكَ أريحا ومَلِكَها، جَبابِرَةَ البأسِ.٣تدورونَ دائرَةَ المديـنةِ، جميعُ رِجالِ الحَربِ. حَوْلَ المدينةِ مَرَّةً واحِدَةً. هكذا تفعَلونَ سِتَّةَ أيّامٍ.٤وسبعَةُ كهَنَةٍ يَحمِلونَ أبواقَ الهُتافِ الـسَّبعَةَ أمـامَ التّابوتِ. وفي اليومِ السّابِعِ تدورونَ دائرَةَ المدينةِ سبعَ مَرّاتٍ، والكهنةُ يَضرِبونَ بالأبواقِ.٥ويكونُ عِندَ امتِدادِ صوتِ قَرنِ الهُتافِ، عِندَ استِماعِكُمْ صوتَ البوقِ، أنَّ جميعَ الشَّعبِ يَهتِفُ هُتافًا عظيمًا، فيَسقُطُ سورُ المدينةِ في مَكانِهِ، ويَصعَدُ الشَّعبُ كُلُّ رَجُلٍ مع وجهِهِ".٦فدَعا يَشوعُ بنُ نونٍ الكهنةَ وقالَ لهُمْ:"احمِلوا تابوتَ العَهدِ. وليَحمِلْ سبعَةُ كهَنَةٍ سبعَةَ أبواقِ هُتافٍ أمامَ تابوتِ الربِّ".٧وقالوا للشَّعبِ:"اجتازوا ودوروا دائرَةَ المدينةِ، وليَجتَزِ المُتَجَرِّدُ أمامَ تابوتِ الربِّ".٨وكانَ كما قالَ يَشوعُ للشَّعبِ. اجتازَ السَّبعَةُ الكهنةُ حامِلينَ أبواقَ الهُتافِ السَّبعَةَ أمامَ الربِّ، وضَرَبوا بالأبواقِ. وتابوتُ عَهدِ الربِّ سائرٌ وراءَهُمْ،٩وكُلُّ مُتَجَرِّدٍ سائرٌ أمامَ الكهنةِ الضّارِبينَ بالأبواقِ. والسّاقَةُ سائرَةٌ وراءَ

---

[509] -انظر الساموك،أ.د سعدون محمود،مقارنة الأديان،عمان -الأردن،دار وائل للنشر والتوزيع،ط١ ،٢٠٠٤م،ص٣٣،و السقار،د.منقذ، هل العهد القديم كلمة الله،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص٩٦-٩٨ .

[510] - انظر ظاظا،دحسن ،الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه،دمشق-دار القلم،بيروت-دار العلوم،ط٢ ،١٩٨٧م، ص٣٢-٣٤ .

الـــتابوت. كانوا يَسيرونَ ويَضربونَ بالأبواق.١٠وأمَرَ يَشوعُ الشَّعبَ قائلاً:"لا تهتفوا ولا تُسَمِّعوا صوتَكُمْ، ولا تخرُجْ مِـــنْ أفواهِكُمْ كلمَةٌ حتَّى يومَ أقولُ لكُمْ: اهتفوا. فتهتِفونَ".١١فدارَ تابوتُ الربِّ حَوْلَ المدينة مَرَّةً واحدَةً. ثُمَّ دَخَلوا المَحلَّةَ وباتوا في المَحلَّة.١٢فبَكَّرَ يَشوعُ في الغَدِ، وحَمَلَ الكهنةُ تابوتَ الربِّ،١٣والسَّبعَةُ الكهنةُ الحاملونَ أبواقَ الهُتافِ السَّبعَةَ أمامَ تابوتِ الربِّ سائرونَ سيرًا وضاربونَ بالأبواقِ، والمُتجَرِّدونَ سائرونَ أمامَهُمْ، والسّاقَةُ سائرَةٌ وراءَ تابوتِ الـــربِّ. كانوا يَسيرونَ ويَضربونَ بالأبواق.١٤وداروا بالمدينة في اليومِ الثّاني مَرَّةً واحدَةً، ثُمَّ رَجَعوا إلَى المَحلَّة. هكذا فعَلوا سِتَّةَ أيّامٍ.١٥وكانَ في اليومِ السّابعِ أنَّهُم بَكَّروا عِندَ طُلوعِ الفَجرِ وداروا دائرَةَ المدينة علَى هذا المِنوالِ سبعَ مَرّاتٍ. في ذلـــكَ اليومِ فقط داروا دائرَةَ المدينة سبعَ مَرّاتٍ.١٦وكانَ في المَرَّةِ السّابعَة عندما ضَرَبَ الكهنةُ بالأبواقِ أنَّ يَشوعَ قالَ للشَّعبِ: "اهتفوا، لأنَّ الربَّ قد أعطاكُمُ المدينةَ.١٧فتكونُ المدينةُ وكُلُّ ما فيها مُحَرَّمًا للربِّ. راحابُ الزّانيَةُ فقط تحـــيا هي وكُلُّ مَنْ معها في البَيتِ، لأنَّها قد خَبّأتِ المُرسَلَينِ اللذَينِ أرسَلناهُما.١٨وأمّا أنتُم فاحتَرِزوا مِنَ الحَرامِ لئلا تُحَرَّموا، وتأخُذوا مِنَ الحَرامِ وتجعَلوا مَحَلَّةَ إسرائيلَ مُحَرَّمَةً وتُكَدِّروها.١٩وكُلُّ الفِضَّةِ والذَّهَبِ وآنيَةِ النُّحاسِ والحَديدِ تكونُ قُدسًا للربِّ وتدخُلُ في خِزانَةِ الربِّ".٢٠فهَتَفَ الشَّعبُ وضَرَبوا بالأبواقِ. وكانَ حينَ سمِعَ الشَّعبُ صوتَ البوقِ أنَّ الـــشَّعبَ هَـــتَفَ هُتافًا عظيمًا، فسَقَطَ السّورُ في مَكانِهِ، وصَعِدَ الشَّعبُ إلَى المدينةِ كُلُّ رَجُلٍ مع وجهِهِ، وأخَذوا المدينةَ".

ومعجزة وقوف الشمس له في كبد السماء لمدة يوم إضافي لتحقيق النصر وذلك في سفر يوشع ١٠ :١٢-١٤" ١٢ حينَئذٍ كلَّمَ يَشوعُ الربَّ، يومَ أسلَمَ الربُّ الأموريّينَ أمامَ بَني إسرائيلَ، وقالَ أمامَ عُيونِ إسرائيلَ:"يا شَمسُ دومي علَى جِبعونَ،ويا قَمَرُ علَى وادي أيَّلونَ".١٣فدامَتِ الشمسُ ووَقَفَ القَمَرُ حتَّى انتَقَمَ الشَّعبُ مِنْ أعدائه. أليس هذا مَكتوبًا في سِفرِ ياشَرَ؟ فوَقَفَتِ الشمسُ في كبدِ السماءِ ولم تعجَلْ للغُروبِ نَحوَ يومٍ كاملٍ١٤ولم يَكُنْ مِثلُ ذلكَ اليومِ قَبلهُ ولا بَعدَهُ سمِعَ فيهِ الربُّ صوتَ إنسانٍ، لأنَّ الربَّ حارَبَ عن إسرائيلَ" .

فهذا الشعب لا يمل من الحديث عن سرد الخوارق؛ لأنه أُمْلِ منها فخروجه كان بمعجزة وسيره في الصحراء احتاج لمعجزات وطعامه وشرابه يحتاج لمعجزات وانتصاره على الأعداء كذلك يحتاج لمعجزات ولو كانت تتعارض مع قوانين الفلك والأخلاق وغيرها، فالحديث عن الخارقة الأخيرة في العهد القديم كما يتصورها اليهود لو عرضت على علماء الفلـــك لرفضوها وسخروا منها؛ لأن الأرض تسبح وليست ثابتة فكيف تثبت الشمس في كبد السماء نحو يوم كامل إضافي لليوم السابق والأرض متحركة ؟ ثم لو سلم أنها ثبتت كما زعموا فهل موقع الشمس في كبد السماء لما يقارب اليومين مناسب للقتال وتحقيق النصر ؟ .

وهل من الأخلاق قتل الأبرياء من النساء والأطفال والحيوان وهدم الجماد من العمران وتكتب النجاة فقط لزانية؟ .

المطلب السادس: معجزة عصا هارون .

وهذه وردت في سفر العدد ١٧: ١- " ١وكلَّمَ الربُّ موسَى قائلاً:٢"كلِّمْ بَني إسرائيلَ وخُذْ مِنهُمْ عَصًا عَصًا لكُلِّ بَيتِ أبٍ مِنْ جميعِ رؤَسائهِمْ حَسَبَ بُيوتِ آبائهِمِ. اثنَتَيْ عشرَةَ عَصًا. واسمُ كُلِّ واحِدٍ تكتُبُهُ علَى عَصاهُ.٣واسمُ هارونَ تكتُبُهُ علَى عَصا لاوي، لأنَّ لرأسِ بَيتِ آبائهِمْ عَصًا واحِدَةً.٤وضَعها في خَيمَةِ الاجتِماعِ أمامَ الشَّهادَةِ حَيثُ أجتَمِعُ بكُمْ.٥فالرَّجُلُ الذي أختارُهُ تُفرِخُ عَصاهُ، فأُسَكِّنُ عَنِّي تذَمُّراتِ بَني إسرائيلَ التي يتذَمَّرونَها علَيكُما".٦فكلَّمَ موسَى بَني إسرائيلَ، فأعطاهُ جميعُ رؤَسائهِمْ عَصًا عَصًا لكُلِّ رَئيسٍ حَسَبَ بُيوتِ آبائهِمِ. اثنَتَيْ عشرَةَ عَصًا. وعَصا هارونَ بَينَ عِصيِّهِمْ.٧فوَضَعَ موسَى العِصيَّ أمامَ الرَّبِّ في خَيمَةِ الشَّهادَةِ.٨وفي الغَدِ دَخَلَ موسَى إلَى خَيمَةِ الشَّهادَةِ، وإذا عَصا هارونَ لبَيتِ لاوي قد أفرَخَتْ. أخرَجَتْ فُروخًا وأزهَرَتْ زَهرًا وأنضَجَتْ لوزًا.٩فأخرَجَ موسَى جميعَ العِصيِّ مِنْ أمامِ الرَّبِّ إلَى جميعِ بَني إسرائيلَ، فنَظَروا وأخَذَ كُلُّ واحِدٍ عَصاهُ.١٠وقالَ الرَّبُّ لموسَى:"رُدَّ عَصا هارونَ إلَى أمامِ الشَّهادَةِ لأجلِ الحِفظِ، عَلامَةً لبَني التَّمَرُّدِ، فتكُفَّ تذَمُّراتُهُمْ عَنِّي لكَيْ لا يَموتوا".

فهل كل تذمر من بني إسرائيل يكافأ بمعجزة ؟ ثم ألم يكن يعلم شعب إسرائيل أن عصا هارون قد جرى بها كثير من العجائب التي شاهدوها فكيف يتحدونها بعصيهم ؟ وهل هارون ترك النبوة لينافس قومه في الكهنوت لشخصه ولنسله من بعده ؟ .

المطلب السابع: معجزة يونان ·

ومما يتعلق بمعجزات يونان عند أهل الكتاب، أنه تأهب ليهرب من الرب الذي أمره بالذهاب إلى نينوى، فركب سفينة مبحرة من يافا وأرسل الله ريحا عاتية عليها،فاقترع أهل السفينة لكي يسكن البحر، فوقعت على يونان الذي أعد له الرب حوتا ليبتلعه ثم صلى يونان من جوف الحوت للرب فأمر الرب الحوت بقذفه للشاطئ،وقد أعد له يقطينة لتظله،وأرسل الرب دودة لتقرض اليقطينة في فجر اليوم التالي،ثم أرسل ريحا شرقية لتلفح يونان الذي أمره الرب ثانية بالذهاب إلى نينوى التي غضب يونان لنجاتها[511] ،وقد وردت هذه الأحداث في العهد القديم في كتاب يونان ١ :١٧:

" ١٧وأمّا الربُّ فأعَدَّ حوتًا عظيمًا ليَبتَلِعَ يونانَ. فكانَ يونانُ في جَوفِ الحوتِ ثَلاثَةَ أيّامٍ وثَلاثَ لَيالٍ" ·

وصلى يونان في بطن الحوت كتاب يونان ٢ :١-١٠" ١فصَلَّى يونانُ إلى الربِّ إلَهِهِ مِنْ جَوفِ الحوتِ،٢ وقالَ:"دَعَوتُ مِنْ ضيقي الربَّ، فاستَجابَني. صَرَختُ مِنْ جَوفِ الهاويَةِ، فسَمِعتَ صوتي.٣لأنَّكَ طَرَحتَني في العُمقِ في قَلبِ البِحارِ، فأحاطَ بي نهرٌ. جازَتْ فوقي جميعُ تيّاراتِكَ ولُجَجِكَ.٤فقُلتُ: قد طُرِدتُ مِنْ أمامِ عَينَيكَ. ولكنَّني أعودُ أنظُرُ إلَى هيكلِ قُدسِكَ.٥قد اكتَنَفَتني مياهٌ إلَى النَّفسِ. أحاطَ بي غَمرٌ. التَفَّ عُشبُ البحرِ برأسي.٦نَزَلتُ إلَى أسافِلِ الجِبالِ. مَغاليقُ الأرضِ علَيَّ إلَى الأبدِ. ثُمَّ أصعَدتَ مِنَ الوَهدَةِ حَياتي أيُّها الربُّ إلَهي.٧حينَ أعيَتْ فيَّ نَفسي ذَكَرتُ الربَّ، فجاءَتْ إلَيكَ صَلاتي إلَى هيكلِ قُدسِكَ.٨الذينَ يُراعونَ أباطيلَ كاذِبَةً يترُكونَ نِعمَتَهُمْ.٩أمّا أنا فبصوتِ الحَمدِ أذبَحُ لكَ، وأوفي بما نَذَرتُهُ. للربِّ الخَلاصُ".١٠وأمَرَ الربُّ الحوتَ فقَذَفَ يونانَ إلَى البَرِّ" . ..الخ

والذي ذكر في القرآن الكريم يونس عليه الصلاة والسلام وليس يونان، ولعل هذا من تصحيف الترجمة للعهد القديم ·

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ – ٨٨

وفي هذا القدر كفاية؛ لأنه سيأتي بإذن الله تعالى مزيد بيان لمعجزات الأنبياء في مبحث معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الإسلام ·

---

[511]-انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،تعريب شركة ماستر ميديا،القاهرة–مصر،١٩٩٧م،ص١٧٨٠ ·

المبحث الخامس: معجزات الأنبياء- عليهم السلام- في النصرانية

سبق أن أشرنا في مبحث النبوة عند النصارى أن لا أنبياء في الديانة النصرانية وإنما يوجد فيها تلاميذ لعيسى عليه السلام يسمون بالرسل أو القديسين والحديث عن معجزات الأنبياء عليهم السلام في النصرانية إنما يقصد منه لفت نظر القارئ الكريم لإيمان النصارى بكل أنبياء العهد القديم وما جرى على أيديهم من خوارق، فهم يقرون بالعهد القديم وبنبوة أنبياء العهد القديم ومعجزاتهم كذلك، ولكنهم يحاولون تفسيرها تفسيرا رمزيا يؤسس لمعتقداتهم في المسيح، ومع هذا يظهرون بعض الفروق بين معجزات العهد القديم التي لم تكن من وجهة نظرهم سوى معجزات متعلقة بالناموس تعلم قداسة الله الرهيبة وكراهيته للخطية وأغلبها مرتبطة بالنفس البشرية، وهي متصلة بالظواهر الخارجية لإظهار قوة الله في حين أن معجزات المسيح في مجملها كانت من أعمال النعمة والرحمة وفي أغلبها ترتبط بالجسد البشري، وهي تحمل مغزى روحيا أكثر عمقا وأقل صرامة من معجزات العهد القديم وتتم بسهولة ويسر [512] .

أما العهد الجديد فهو يعتبر امتدادا لمعجزات العهد القديم عند النصارى وفيه إشارات لبعض المعجزات التي ورد ذكرها في العهد القديم من أجل لفت أنظار النصارى للاعتبار منها مع أنه من الملاحظ على العهد الجديد أنه يسهب في ذكر معجزات المسيح عليه السلام وغالبها يتمحور حول قيامه بأعمال الشفاء التي غالبها فردي لكثير من المرضى،وينسب كذلك فعل الخوارق من بعد المسيح لتلاميذه الذين انطلقوا يعلمون تعاليم المسيح في القرى والمدن المجاورة لهم .

وتشير دائرة المعارف الكتابية إلى مواقع معجزات المسيح في الكتاب المقدس مرتبة حسب تاريخ حدوثها وهي[513]:

(١) تحويل الماء إلى خمر* (يو ٢ :١-١١) .

(٢) شفاء ابن خادم الملك في قانا الجليل (يو ٤ :٤٦-٥٤) .

(٣) شفاء الرجل المقعد عند بركة بيت حسدا (يو ٥ : ١-٩) .

(٤) صيد السمك الكثير في المرة الأولى (لو ٥ :١-١١) .

512- انظر لوكير،هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس ،القاهر-مصر،دار الثقافة، ط٣ ، ٢٠٠٣م، ص٥٢-٥٥ .

513- حبيب، الدكتور القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية، م٥ /ص ١٩٦-١٩٧ .

* لقد جاء في برنابا ما يناقض هذا الزعم في فصل٢/٧-١٠"فستلد العذراء ابنا وستدعونه يسوع وتمنع عنه الخمر والمسكر وكل لحم نجس لأنه قدوس من رحم أمه فإنه نبي من الله أرسل إلى شعب إسرائيل..." سعادة،د.خليل ترجمه من الإنكليزية،إنجيل برنابا،دراسة وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م، ص٥٥ .

(٥) شفاء الرجل الذي كان به روح نجس في مجمع كفر ناحوم (مر ١ :٢٣-٢٨ ،لو ٤ :٣١ —٣٦) .

(٦) شفاء حماة بطرس (مت ٨ :١٤و١٥ ، مرقس ١ : ٢٩-٣١ ، لو ٤ :٣٨ و٣٩) .

(٧) شفاء أبرص* (مت ٨ :٢-٤ ،مر ١ :٤٠ —٤٥ ، لو ٥ :١٢-١٦) .

(٨) شفاء رجل مفلوج (مت ٩ :٢-٨ ، مرقس ٢: ٣-١٢ ، لو ٥ : ١٨-٢٦) .

(٩) شفاء الرجل ذي اليد اليابسة (مت ١٢:٩-١٣ ، مرقس ٣ :١-٥ ، لو ٦ :٦-١٠) .

(١٠) شفاء غلام قائد المئة (مت ٨ :٥-١٣ ، لو ١٧ : ١-١٠) .

(١١) إقامة ابن أرملة يايين (لو ٧ :١١-١٥) .

(١٢) شفاء المجنون الأعمى والأخرس (مت ١٢ :٢٢، لو١١ :١٤) .

(١٣) إسكات العاصفة (مت ٨ :٢٣ —٢٧ ، مرقس ٤ :٣٥-٤١ ، لو ٨ :٢٢-٢٥) .

(١٤) شفاء مجنوني كورة الجدريين (مت ٨ : ٢٨ —٣٤ ، مرقس ٥ :١ —٢٠ ،لو ٨ :٢٦ —٢٩) .

(١٥) شفاء المرأة نازفة الدم (مت ٩ :٢٠-٢٢ ، مرقس ٥ : ٢٥ —٣٤، لو ٨ :٤٣ —٤٨).

(١٦) إقامة ابنة يايرس(مت ٩ :١٨و١٩ و٢٣-٢٦ ، مرقس ٥ : ٢٢-٢٤ و٣٥-٤٣،

لو ٨: ٤١و٤٢و٤٩ —٥٦) .

(١٧) شفاء الرجلين الأعميين (مت ٩ :٢٧-٣١) .

(١٨) شفاء الرجل الأخرس المجنون (مت ٩ :٣٢ و٣٣) .

(١٩) إشباع الخمسة الآلاف (مت ١٤ :١٤ —٢١ ، مرقس ٦ :٣٤ —٤٤، لو ٩ :١٢- ١٧ ، يو ٦ :٥-١٣) .

(٢٠) السير على الماء (مت ١٤ :٢٤ —٣٣ ، مرقس ٦ :٤٥ —٥٢ ، يو ٦ :١٦-٢١) .

(٢١) شفاء ابنة الأرملة الكنعانية (مت ١٥ :٢١-٢٨ ، مرقس ٧ :٢٤ —٣٠) .

---

* نحـــن نثـــبت معجزة شفاء المسيح عليه السلام لمرض البرص بإذن الله تعالى، ولكن لانقر النصارى على اختلافهم في نقل تفاصيل هذه المعجزة . انظر زاده،عبد الرحمن الباجه جي،الفارق بين المخلوق والخالق ،ص٦٥ .،كما أن في ذكر تفاصيل هذه المعجزة حرص المسيح علـــى كتمالها،ومـــصانعة ظاهرة من المسيح لليهود حيث اعترف بسلطة حقيقية لقدرة كهنة اليهود على إجراء الخوارق، وذلك جلي في مرقس ١: ٤٠-٤٤"٤٠فأتَى إليهِ أبرَصُ يَطلُبُ إليهِ جاثِيًا وقائلاً لهُ: "إنْ أرَدتَ تقدِرْ أنْ تُطَهِّرَني".٤١فتحَنَّنَ يَسوعُ ومَدَّ يَدَهُ ولَمَسَهُ وقالَ لهُ: "أُريدُ، فاطهُرْ!".٤٢فللوقتِ وهو يتكلَّمُ ذَهَبَ عنهُ البَرَصُ وطَهَرَ.٤٣فانتَهَرَهُ وأرسَلهُ للوقتِ،٤٤وقالَ لهُ: "انظُرْ، لا تقُلْ لأحَدٍ شَيئًا، بل اذهَبْ أرِ نَفسَكَ للكاهِنِ وقَدِّمْ عن تطهيرِكَ ما أمَرَ بهِ موسَى، شَهادَةً لهُم" .

(٢٢) شفاء الرجل الأصم الأقعد في المدن العشر (مرقس ٧ : ٣١-٣٧) .

(٢٣) إشباع الأربعة الآلاف (مت ١٥ :٣٢-٣٩ ، مرقس ٨: ١-٩) .

(٢٤) شفاء الرجل الأعمى في بيت صيدا (مرقس ٨ :٢٢-٢٦) .

(٢٥) شفاء الغلام المصاب بالصرع (مت ١٧ :١٤-١٨ ، مرقس ٩ :١٤-٢٩ ، لو ٩: ٣٨-٤٢) .

(٢٦) وجود الأستار لدفع الجزية ، في فم السمكة (مت ١٧ :٢٤-٢٧) .

(٢٧) شفاء الرجل المولود أعمى (يو ٩ :١-٧) .

(٢٨) شفاء المرأة المنحنية في يوم سبت (لو ١٣: ٢٠- ١٧) .

(٢٩) شفاء الرجل المصاب بالاستسقاء (لو ١٤ :١-٦) .

(٣٠) إقامة لعازر من الموت (يو ١١: ١٧-٤٤) .

(٣١) شفاء عشرة رجال برص (لو ١٧ :١١-١٩) .

(٣٢) شفاء بارتيماوس الأعمى (مت ٢٠: ٢٩-٣٤ ، مرقس ١٠ :٤٦- ٥٢ ، لو ١٨ :٣٥ —٤٣) .

(٣٣) لعنة شجرة التين* فيبست في الحال (مت ٢١ :١٨و١٩ ، مرقس ١١ :١٢) .

(٣٤) رد أُذن ملخس المقطوعة إلى موضعها (لو ٢٢ :٤٩-٥١ ، يو ١٨ :١٠) .

(٣٥) معجزة صيد السمك الكثير بعد القيامة (يو ٢١ :١-١١) .

ويلاحظ على ذكر المعجزات في العهد الجديد أن هناك تفاوتا في سردها ما بين أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وأن بعضها قد استفاض في الحديث عنها ،كمرقس وبعضها يورد أحيانا معجزات لم يتحدث عنها باقي الأناجيل[514] ، كيوحنا الذي انفرد بذكر شفاء الرجل المولود أعمى (يو ٩ :١-٧) ،و إقامة لعازر من الموت (يو ١١: ١٧-٤٤)٠

كمـــا أنه لم تجمع الأناجيل الأربعة إلا على ذكر معجزة واحدة فقط من بين كل معجزات المسيح التي ذكرت في العهد الجديد والتي لم تذكر في القرآن الكريم، وهي إشباع الخمسة الآلاف (مت ١٤ :١٤ —٢١ ، مرقس ٦ :٣٤ —

* لعـــن الشجرة بسبب الغضب لعدم وجود الثمر الذي يسكت الجوع يؤكد البشرية، وعدم كمال العلم، ولعن الشجرة بسبب الغضب يتـــنافى مـــع العـــصمة كـــذلك ٠ انظر الردود على هذه الخارقة التي ينسبها النصارى للمسيح في القرافي،الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،المستشار:توفيق علي وهبة،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م، ص١٣٤ ٠

514-انظر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،تعريب شركة ماستر ميديا،القاهرة-مصر،١٩٩٧م، ص ٢٢٥٨ ٠

٤٤، لــو ٩ :١٢- ١٧، يو ٦ :٥-١٣) . وهي تكررت عند متى ١٥: ٣٢-٣٨،ومرقس ٨ :١-٩ بعنوان يسوع يطعم أربعة آلاف فتكون قد ذكرت ست مرات في الأناجيل مع تفاوت في ذكر تفاصيل حدوثها بينهم ونحن نوردها لكي يقف المطالع لها على ما فيها من توافق أو تخالف ليقف على نموذج واحد من معجزات المسيح في الإنجيل التي لا إجماع على تفاصيلها بين كتاب الأناجيل،وموقع هذه الروايات كما جاءت في الأناجيل هي :

١- مت ١٤ :١٤ -٢١" ١٤فلَمّا خرجَ يَسوعُ أبصَرَ جَمعًا كثيرًا فـــتَحَنَّنَ علَيهِمْ وشَفَى مَرضاهُمْ.١٥ولَمّا صارَ
المساءُ تقَدَّمَ إليهِ تلاميذُهُ قائلينَ: "المَوضِعُ خَلاءٌ والوقتُ قد مَضَى. اصرِفِ الجُموعَ لكَيْ يَمضوا إلى القُرَى ويَبتاعوا لهُم
طَعامًــا".١٦فقــالَ لهُم يَسوعُ: "لا حاجَةَ لهُم أنْ يَمضوا. أعطوهُمْ أنتُم ليأكُلوا".١٧فقالوا لهُ: "ليس عِندَنا ههنا إلاّ
خَمــسَةُ أرغِفَةٍ وسَمَكَتانِ".١٨فقالَ: "ائتونــي بها إلى هنا".١٩فأمَرَ الجُموعَ أنْ يتَّكِئوا على العُشبِ. ثُمَّ أخَذَ الأرغِفَةَ
الخَمــسَةَ والسَّمَكَتَينِ، ورَفَعَ نَظَرَهُ نَحوَ السَّماءِ وبارَكَ وكسَّرَ وأعطَى الأرغِفَةَ للتلاميذِ، والتلاميذُ للجُموعِ.٢٠فأكَلَ
الجميعُ وشَبِعوا. ثُمَّ رَفَعوا ما فضَلَ مِنَ الكِسَرِ اثنَتَيْ عَشرَةَ قُفَّةً مَملوءةً.٢١والآكِلونَ كانوا نَحوَ خَمسَةِ آلافِ رَجُلٍ، ما
عَدا النّساءَ والأولادَ".

٢- مــرقس ٦ :٣٤ -٤٤ " ٣٤فلَمّا خرجَ يَسوعُ رأى جَمعًا كثيرًا، فتحَنَّنَ علَيهِمْ إذ كانوا كخِرافٍ لا راعيَ لها،
فابتَدأ يُعَلِّمُهُمْ كثيرًا.٣٥وبَعدَ ساعاتٍ كثيرَةٍ تقَدَّمَ إليهِ تلاميذُهُ قائلينَ: "المَوضِعُ خلاءٌ والوقتُ مَضَى.٣٦اصرِفهُمْ لكَيْ
يَمــضوا إلى الضّياعِ والقُرَى حَوالَينا ويَبتاعوا لهُم خُبزًا، لأنْ ليس عِندَهُمْ ما يأكُلونَ".٣٧فأجابَ وقالَ لهُم: "أعطوهُمْ
أنتُم ليأكُلوا". فقالوا لهُ: "أنَمضي ونَبتاعُ خُبزًا بمِئَتَيْ دينارٍ ونُعطيَهُمْ ليأكُلوا؟".٣٨فقالَ لهُم: "كمْ رَغيفًا عِندَكُمْ؟ اذهَبوا
وانظُــروا". ولَمّــا عَلِمــوا قالوا: "خَمسَةٌ وسَمَكَتانِ".٣٩فأمَرَهُمْ أنْ يَجعَلوا الجميعَ يتَّكِئونَ رِفاقًا رِفاقًا على العُشبِ
الأخــضَرِ.٤٠فاتَّكأوا صُفوفًا صُفوفًا: مِئَةً مِئَةً وخَمسينَ خَمسينَ.٤١فأخَذَ الأرغِفَةَ الخَمسَةَ والسَّمَكَتَينِ، ورَفَعَ نَظَرَهُ
نَحــوَ الــسَّماءِ، وبارَكَ ثُمَّ كسَّرَ الأرغِفَةَ، وأعطَى تلاميذَهُ ليُقَدِّموا إليهِمْ، وقَسَّمَ السَّمَكَتَينِ للجميعِ،٤٢فأكَلَ الجميعُ
وشَبِعوا.٤٣ثُمَّ رَفَعوا مِنَ الكِسَرِ اثنَتَيْ عَشرَةَ قُفَّةً مَملوءَةً، ومِنَ السَّمَكِ.٤٤وكانَ الّذينَ أكَلوا مِنَ الأرغِفَةِ نَحوَ خَمسَةِ
آلافِ رَجُلٍ".

٣- لو ٩ :١٢- ١٧ " ١٢فابتَدأ النَّهارُ يَميلُ. فتقَدَّمَ الاثنا عشَرَ وقالوا لهُ: "اصرِفِ الجَمعَ ليَذهَبوا إلى القُرَى والضّياعِ
حَوالَينا فيَبيتوا ويَجدوا طَعامًا، لأنَّنا ههنا في مَوضِعٍ خلاءٍ".١٣فقالَ لهُم: "أعطوهُمْ أنتُم ليأكُلوا". فقالوا: "ليس عِندَنا
أكثَــرُ مِنْ خَمسَةِ أرغِفَةٍ وسَمَكَتَينِ، إلاّ أنْ نَذهَبَ ونَبتاعَ طَعامًا لهذا الشَّعبِ كُلِّه".١٤لأنَّهُمْ كانوا نَحوَ خَمسَةِ آلافِ
رَجُــلٍ. فقالَ لتلاميذِهِ: "أتكِئوهُمْ فِرَقًا خَمسينَ خَمسينَ".١٥ففعَلوا هكذا، وأتكأوا الجميعَ.١٦فأخَذَ الأرغِفَةَ الخَمسَةَ
والسَّمَكَتَينِ، ورَفَعَ نَظَرَهُ نَحوَ السَّماءِ وبارَكَهُنَّ، ثُمَّ كسَّرَ وأعطَى التَّلاميذَ ليُقَدِّموا للجَمعِ.١٧فأكَلوا وشَبِعوا جميعًا. ثُمَّ
رُفِعَ ما فضَلَ عنهُمْ مِنَ الكِسَرِ اثنَتا عَشرَةَ قُفَّةً".

٤- يــو ٦ :٥-١٤" ٥فرَفَعَ يَسوعُ عَينَيهِ ونَظَرَ أنَّ جَمعًا كثيرًا مُقبِلٌ إليهِ، فقالَ لفيلُبُّسَ: "مِنْ أين نَبتاعُ خُبزًا ليأكُلَ
هــؤلاءِ؟"٦وإنَّمــا قالَ هذا ليَمتَحِنَهُ، لأنَّهُ هو عَلِمَ ما هو مُزمِعٌ أنْ يَفعَلَ.٧أجابَهُ فيلُبُّسُ: "لا يَكفيهِمْ خُبزٌ بمِئَتَيْ دينارٍ
لــيأخُذَ كُلُّ واحِدٍ مِنهُمْ شَيئًا يَسيرًا".٨قالَ لهُ واحِدٌ مِنْ تلاميذِهِ، وهو أندَراوُسُ أخو سِمعانَ بُطرُسَ:٩"هنا غُلامٌ معهُ
خَمــسَةُ أرغِفَةِ شَعيرٍ وسَمَكَتانِ، ولكن ما هذا لمِثلِ هؤلاءِ؟"١٠فقالَ يَسوعُ: "اجعَلوا النّاسَ يتَّكِئونَ". وكانَ في المَكانِ
عُــشبٌ كــثيرٌ، فاتَّكــأ الرِّجالُ وعَدَدُهُمْ نَحوُ خَمسَةِ آلافٍ.١١وأخَذَ يَسوعُ الأرغِفَةَ وشَكَرَ، ووَزَّعَ على التلاميذِ،

والتلاميذُ أعطَوْا المُتَّكئينَ. وكذلكَ مِنَ السَّمَكَتَين بقَدرِ ما شاءوا.١٢فلَمّا شَبِعوا، قالَ لتلاميذه: "اجمَعوا الكِسَرَ الفاضِلَةَ لكَـيْ لا يَـضيعَ شَيءٌ".١٣فجَمَعوا ومَلأُوا اثنَتَيْ عَشرَةَ قُفَّةً مِنَ الكِسَرِ، مِنْ خَمسَةِ أرغِفَةِ الشَّعيرِ، الّتي فضَلَتْ عن الآكِلينَ.١٤فلَمّا رأَى النّاسُ الآيَةَ الّتي صَنَعَها يَسوعُ قالوا: "إنَّ هذا هو بالحَقيقَةِ النَّبيُّ الآتي إلى العالَمِ!".

فهذه العبارة: إنَّ هذا هو بالحَقيقَةِ النَّبيُّ الآتي إلى العالَمِ، تقطع بشكل لا يقبل النقاش حول حقيقة الأثر المترتب على مشاهدة تلك المعجزة وهو الإقرار بنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام من قبل الجموع التي شاهدت تلك الخارقة .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يونس: ٣٢

٥- متى ١٥: ٣٢-٣٨ " ٣٢وأمّا يَسوعُ فدَعا تلاميذَهُ وقالَ: "إنّي أُشفِقُ على الجَمعِ، لأنَّ الآنَ لهُم ثَلاثَةَ أيّامٍ يَمكُثونَ مَعـي وليس لهُم ما يأكُلونَ. ولَستُ أُريدُ أنْ أصرِفَهُمْ صائمينَ لئلاَّ يُخَوِّروا في الطَّريقِ".٣٣فقالَ لهُ تلاميذُهُ: "مِنْ أينَ لَـنا في البَـرِّيَّةِ خُبزٌ بهذا المِقدارِ، حتَّى يُشبِعَ جَمعًا هذا عَدَدُهُ؟".٣٤فقالَ لهُم يَسوعُ: "كمْ عِندَكُمْ مِنَ الخُبزِ؟". فقالوا: "سبعَةٌ وقَليلٌ مِنْ صِغارِ السَّمَكِ".٣٥فأمَرَ الجُموعَ أنْ يتَّكِئوا على الأرضِ،٣٦وأخَذَ السَّبعَ خُبزاتٍ والسَّمَكَ، وشَكَرَ وكسَّرَ وأعطَى تلاميذَهُ، والتلاميذُ أعطَوْا الجَمعَ.٣٧فأكَلَ الجميعُ وشَبِعوا. ثُمَّ رَفَعوا ما فضَلَ مِنَ الكِسَرِ سبعَةَ سِلالٍ مَملوءَةٍ،٣٨والآكِلونَ كانوا أربَعَةَ آلافِ رَجُلٍ ما عَدا النِّساءَ والأولادَ".

٦- مرقس ٨ :١-٩ " ١في تِلكَ الأيّامِ إذ كانَ الجَمعُ كثيرًا جِدًّا، ولم يَكُنْ لهُم ما يأكُلونَ، دَعا يَسوعُ تلاميذَهُ وقالَ لهُـم:٢"إنّي أُشفِقُ على الجَمعِ، لأنَّ الآنَ لهُم ثَلاثَةَ أيّامٍ يَمكُثونَ مَعي وليس لهُم ما يأكُلونَ. ٣وإنْ صَرَفتُهُمْ إلى بُيوتِهِمْ صائمينَ يَخوَرّونَ في الطَّريقِ، لأنَّ قَومًا مِنهُمْ جاءوا مِنْ بَعيدٍ".٤فأجابَهُ تلاميذُهُ: "مِنْ أينَ يستطيعُ أحَدٌ أنْ يُشبِعَ هؤُلاءِ خُبزًا هنا في البَرِّيَّةِ؟".٥فسألهُمْ: "كمْ عِندَكُمْ مِنَ الخُبزِ؟". فقالوا: "سبعَةٌ".٦فأمَرَ الجَمعَ أنْ يتَّكِئوا على الأرضِ، وأخَذَ السَّبعَ خُبزاتٍ وشَكَرَ وكسَّرَ وأعطَى تلاميذَهُ ليُقَدِّموا، فقَدَّموا إلى الجَمعِ.٧وكانَ معهُمْ قَليلٌ مِنْ صِغارِ السَّمَكِ، فبارَكَ وقـالَ أنْ يُقَدِّمـوا هذِهِ أيضًا.٨فأكَلوا وشَبِعوا. ثُمَّ رَفَعوا فضلاتِ الكِسَرِ: سبعَةَ سِلالٍ.٩وكانَ الآكِلونَ نَحوَ أربَعَةِ آلافٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ".

ثم أنه مع كثرة نقل الأناجيل لمعجزات المسيح عليه السلام إلا أنها تذكر رفضه طلب بعضهم إجراء معجزة من السماء، فقد ورد ذلك في لوقا ١١: ١٦-١٧ " ١٦وآخَرونَ طَلَبوا مِنهُ آيَةً مِنَ السَّماءِ يُجَرِّبونَهُ.١٧فعَلِمَ أفكارَهُمْ، وقالَ لهُم: "كُلُّ مَملكَةٍ مُنقَسِمَةٍ على ذاتِها تخرَبُ، وبَيتٍ مُنقَسِمٍ على بَيتٍ يَسقُطُ" .

وهذا مغاير لما قرره القرآن الكريم من نزول المائدة* من السماء كمعجزة لعيسى عليه الصلاة والسلام بناء على طلب الحـــواريين، وهـــذه المعجـــزة لم تشر إليها الأناجيل أصلا لا من قريب أو من بعيد وينصب جل اهتمامها على ربط معجزاته عليه السلام بما هو متعلق بآلام البشر وظروف معيشتهم.

---

* يـــرى الأستاذ الدكتور المشرف على هذه الرسالة أن اسم مدينة مأدبا يشير إلى مكان نزول معجزة مائدة المسيح عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم للأسباب والقرائن الآتية :

١-سؤال الحواريين لنزول المائدة كان بعد إيمانهم بالمسيح عليه السلام، وهم مجتمعون معه عليه السلام .

٢-بعد المكان عن مساكن الحواريين، والحاجة للطعام دفع بالحواريين للإجماع على طلب المائدة، وتقديم طلب الأكل منها كأول تعليل للمقصد من طلبهم للمعجزة يدعم ذلك والله أعلم .

٣-توقيت المعجزة جاء بعد اكتمال عدد الحواريين الذين عايشوا ظروف مطاردة اليهود، والرومان للمسيح عليه السلام .

٤-تحكـــي هذه المعجزة عن جانب الاطمئنان عن الأمل المنشود من مستقبل دعوة المسيح بعد أن أصر اليهود على طلب المسيح، فجرت هـــذه المعجـــزة في خلوتهم مع المسيح في مكان بعيد عن بؤرة الصراع في ذلك الزمان، وبعيد عن الأماكن التي اشتهر تواجد المسيح عليه السلام فيها، فكانت معجزة المائدة بمثابة تكريم رباني لتضحياتهم التي ستتواصل من بعد رفع المسيح عليه السلام .

٥-تخـــصيص البابا بندكتوس السادس عشر مدينة مأدبا بزيارة خاصة في أثناء رحلته البابوية لمواقع الحج المسيحي بتاريخ ٢٠٠٩/٥/٩ م، حـــيث أرسى حجر أساس جامعة مأدبا الأهلية التي ستعتبر من أكبر الصروح العلمية، فهذا يؤكد مدى قدسية المكان بالنسبة للنصارى مما يـــدلل ذلـــك علـــى الإقرار العملي منهم على تصديق ما سكتوا عنه من شأن معجزة المائدة، وفي هذا تأكيد على النهج الهاشمي الرشيد الوسطي الذي يقدم أرقى، وأروع نموذج لصور التعايش الإسلامي مع الآخر الذي تميزت به المملكة الأردنية الهاشمية في هذا الزمان.

٦-تحظـــى مديـــنة مأدبا بثلاثة مواقع من خمسة لطريق الحج المسيحي، وهي المغطس، وجبل نيبو(مقام النبي موسى عليه السلام)، وجبل مكاور(حيث قطع رأس القديس يوحنا المعمدان) النبي يحيى عليه السلام .

٧-وجود أقدم خارطة فسيفساء في التاريخ في المدينة، بالإضافة إلى وجود كنيسة تحمل اسم الرسل فيها .

انظـــر جـــريدة العرب اليوم العدد ٤٣٣٣، السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٠هـــ الموافق ٩ أيار ٢٠٠٩م عنوان البابا يزور مأدبا اليوم ، والدملوجي،فاروق،تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة،ص٥٢٨ –٥٣٩ .

مـــع العلـــم بأن المشهور أن مدينة مأدبا تقوم على موقع مدينة ميدبا المؤابية، ويعني اسمها بلغة المؤابيين((مياه الراحة)) إشارة إلى برك ماء كانـــت حولها من الشمال والجنوب والشرق–وهذا يدعم الحجج السابقة حيث إن جهة الغرب التي يفترض أن تكون هي الجهة التي أتى منها المسيح عليه السلام، ومن معه لمأدبا خالية من برك الماء فربما ساعد اتجاه مسيرهم من أجل الوصول إلى المدينة على طلب معجزة نزول مائدة من السماء بعينها لا غيرها والله تعالى أعلم –، وقيل:إن اسمها يعني الأرض الخصبة،كما قيل:إن مأدبا من لفظ سامي مركب من مادا وتعني مياه وبيا وتعني فاكهة . www.hutteensc.com ، بتاريخ ٢٠٠٩/٥/٢٠م .

وصـــدق الله العظيم حيث حفظ ذكر هذه المعجزة في كتابه العزيز ضمن حوار جرى بين الحواريين، والمسيح عليه السلام ينطق بالتوحيد الخالص(اللهم ربنا) على لسان المسيح عليه السلام، وهو يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى حيث قَالَ تَعَالَى:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ – ١١٥ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾
المائدة: ١١٥

كما أنه من الملاحظ على توقيت معجزات المسيح عليه السلام إجراء سبع معجزات منها في يوم السبت والتي هي:

١- شفاء الرجل الذي كان به روح نجس في مجمع كفر ناحوم (مر ١ :٢٣-٢٨ ،لو ٤ :٣١ -٣٦)

٢- شفاء حماة بطرس (مت ٨ :١٤و١٥ ، مرقس ١ : ٢٩-٣١ ، لو ٤ :٣٨ و٣٩)

٣- شفاء الرجل المقعد عند بركة بيت حسدا (يو ٥ : ١-٩)

٤- شفاء الرجل ذي اليد اليابسة (مت ٩:١٢-١٣ ، مرقس ٣ :١-٥ ، لو ٦ :٦-١٠)

٥- شفاء المرأة المنحنية في يوم سبت* (لو ١٣: ٢٠- ١٧)

٦- شفاء الرجل المصاب بالاستسقاء** (لو ١٤ :١-٦)

٧- شفاء الرجل المولود أعمى (يو ٩ :١-٧)

ويذهب النصارى إلى تعليل سبب حصول المعجزات على يد المسيح في يوم السبت، وأمام اليهود في مجامعهم إلى أن الرؤساء الدينيين اليهود كانوا يضيفون عبر القرون القاعدة تلو القاعدة إلى شريعة الله ،فمثلا في سفر الخروج ٢٠ :١٠-١١"١٠وأمَّـا اليومُ السَّابعُ ففيهِ سبتٌ للربِّ إلهِكَ. لا تصنَعْ عَمَلاً مّا أنتَ وابنُكَ وابنتُكَ وعَبدُكَ وأمَتُكَ وبَهيمَتُكَ ونَـزيلُكَ الذي داخِلَ أبوابِكَ. ١١لأنَّ في ستَّةِ أيّامٍ صَنَعَ الربُّ السماءَ والأرضَ والبحرَ وكُلَّ مافيها، واستَراحَ في اليومِ السّابعِ. لذلكَ بارَكَ الربُّ يومَ السَّبتِ وقَدَّسَهُ".
إلا أن اليهود أضافوا إلى ذلك قائلين:"لا يمكن أن تصنع شفاء في السبت؛ لأنه عمل" .

ولكن يسوع شفى سبعة أشخاص في يوم السبت،وبذلك كان يحث الرؤساء الدينيين أن يعيدوا النظر في القواعد التي وضعوها ليعرفوا القصد الحقيقي،وهو تمجيد الله بمساعدة المحتاجين من وجهة نظر النصارى[515] .

فالمـسيح مـن خلال المعجزات التي أجراها في يوم السبت لم يقدم التضحيات، وإنما كانت تحصل تلك المعجزات بدافع الرحمة والعطف على بني إسرائيل الذين تحول السبت عندهم إلى يوم سجن وتعب وملل بدل الراحة، ولم يعلن

---

* يزعم اليهود:" أن المسيح كان من العلماء، لا من الأنبياء،وأنه كان يطبب المرضى بالأدوية،ويوهم أن الانتفاع إنما حصل لهم بدعائه" المغربي، السموأل بن يحي، بذل المجهود في إفحام اليهود، ص٩٩-١٠٠ .

** مرض الاستسقاء: هو مرض ينتج عن تراكم غير طبيعي للسوائل في أنسجة الجسم وتجاويفه . التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص ٢١٢٤ .

515- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،تعريب شركة ماستر ميديا، القاهرة-مصر،١٩٩٧م،ص٢١٢١ .

عيسى عليه السلام بصراحة أنه ألغى يوم السبت فهو مصحح ومقرر في آن واحد، ولم يظهر لأتباعه إلغاء السبت، ولو ضمنا من خلال تلك المعجزات التي أجراها أمام بني إسرائيل في هياكلهم[516] .

ومن الملاحظ أيضا على معجزات عيسى عليه السلام في النصرانية التي أجريت في يوم السبت أن فيها نوعا من الإثارة لبني إسرائيل،وفي ذلك إذكاء لنار العداوة والبغضاء مما يسهل في إعطائهم الذريعة لمواجهة دعوته والتصدي له مع أن معجزاته عليه السلام التي أجراها في يوم السبت ترتبط بأعمال الشفاء التي يراد منها كسر طقوس السبت عند اليهود في الخفاء ،ولهذه الأفعال سعى مجمع اليهود للتخلص من المسيح عليه الصلاة والسلام بعد تكراره لفعل تلك المعجزات في يوم سبتهم، وهذه النتيجة الطبيعية المتوقعة من تحديه المتكرر لهم في مجامعهم .

ففي لوقا٦: ٦- ١١" ٦وفي سبتٍ آخَرَ دَخَلَ المَجمَعَ وصارَ يُعَلّمُ. وكانَ هناكَ رَجُلٌ يَدُهُ اليُمنَى يابسَةٌ،٧وكانَ الكتبةُ والفَرّيسيّونَ يُراقِبونَهُ هل يَشفي في السَّبتِ، لكَيْ يَجدوا علَيهِ شكايَةً.٨أمّا هو فعَلِمَ أفكارَهُمْ، وقالَ للرَّجُلِ الّذي يَدُهُ يابسَةٌ: "قُمْ وقِفْ في الوَسطِ". فقامَ ووَقَفَ.٩ثُمَّ قالَ لهُم يَسوعُ: "أسألُكُمْ شَيئًا: هل يَحِلُّ في السَّبتِ فِعلُ الخَيرِ أو فِعلُ الــشَّرّ؟ تخليصُ نَفسٍ أو إهلاكُها؟".١٠ثُمَّ نَظَرَ حَولهُ إلى جميعِهِمْ وقالَ للرَّجُلِ: "مُدَّ يَدَكَ". ففَعَلَ هكذا. فعادَتْ يَدُهُ صَحيحَةً كالأُخرَى.١١فامتَلأوا حُمقًا وصاروا يتكالَمونَ فيما بَينَهُمْ ماذا يَفعَلونَ بيَسوعَ" .

هذا بالإضافة إلى المعجزات المتعلقة بشخص المسيح نفسه[517] - كما يعتقد النصارى في المسيح أنه الرب والعياذ بالله تعالى من كفرهم- .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ مريم: ٨٨ - ٩٣

ثم مـــن حيث ولادته من عذراء[518] ، وقيامته من الأموات ، وصعوده إلى السماء ؛ فقد وُلد حسب الجسد من نسل إبراهيم، من نسل داود، ولكن من عذراء لم تعرف رجلاً (لو ١ : ٢٦ –٣٧) . وقد أقيم من الأموات أناس من قبل[519]، ولكن ليموتوا ثانية، أما هو فقام و " لا يسود عليه الموت " (رو ٦ :٩) ، بل " هو حي في كل حين " (عب ٧ :٢٥) . " وبعـــدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايا النصارى جلس في يمين العظمة في الأعالي " (عب ١ :٣) ، على

---

[516] - داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس ترجمة فهمي شمّا،مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق،من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر . الطبعة الأولى،١٩٨٥م، ص ٢٤٧ بتصرف .

[517] -انظر لأبي زيد، للأرشمندريت بطرس،مرشد الوعاظ والكتاب إلى كنوز آيات الكتاب، ج٢/ص٣٣٣-٣٤١ .

[518] - انظر التنير، محمد طاهر،العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، بيروت-لبنان، الناشر غير معروف، بيروت في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠هـــ، ص٧٤-٧٧ .

[519] - انظر التنير، محمد طاهر،العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص١٠٦-١١٤ .

أساس هذه القيامة المجيدة عند النصارى تستقر كل حقائق الإيمان (انظر ١ كو ١٥ :١٧) ، فهي الدليل القاطع على نصرته الحاسمة على الخطية والموت فقد " أُسلم من أجل خطايانا-النصارى- وأُقيم لأجل تبريرنا " (رو ٤ : ٢٥). كما هو معتقد النصارى الذين غلوا في شخص المسيح عليه السلام[520] .

وهـــم يرون أن ما ذكر من معجزات المسيح عليه السلام في العهد الجديد ما هو إلا عينات تمثل عددا أكبر بكثير من تلك التي سجلت في عهدهم الجديد[521] .

ومن الملاحظ توسع النصارى بالحديث عن معجزات شفاء عديدة للمسيح عليه السلام، وكان الهدف منها عندهم هو المكافأة على إيمان المرضى حتى غدا شعارهم" إيمانُكَ قد شَفاكَ"[522]. ، والتي غالبها يعالج فيها حالة خاصة لشخص ما دون النظر إلى لفت أنظار المشاهدين لها إلى ضرورة التفكر بحالهم، وما هو الواجب عليهم تجاه تلك المعجزات التي شاهدوها،ولذا نجد في كثير من الأحيان حسب مرويات العهد الجديد أن سعي الناس في طلب المسيح، والتعرف عليه كـــان ينحـــصر في سعيهم للتخلص من مصيبة ألمت بهم ثم ينصرفون بعد ذلك ،وكأنه أشبه بعيادة طبية متنقلة همها استقصاء جميع الحالات المرضية[523] حتى سرى أثر تلك المرويات إلى بعض كتب التفسير،فنجد مثلا عبارات: "روي أنـــه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه الصلاة والسلام"[524] في حين نجد حديث القرآن الكريم عن معجزات شفاء أمرض محددة عجز الطب القديم والحديث عن علاجها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ آل عمران: ٤٩

[520] - انظر عبد الملك، ،قاموس الكتاب المقدس، ص٨٦٥-٨٦٩،وأنس ،علم اللاهوت النظامي، ص٢٩٧-٢٩٩ .

[521] - لوكير،هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس ،القاهر-مصر،دار الثقافة، ط٣ ، ٢٠٠٣م،ص١٨٦ .

[522] -وهو بكامل روايته في لوقا ١٨: ٣٥-٤٣ "٣٥ولَمّا اقتَرَبَ مِنْ أريحا كانَ أعمَى جالِسًا على الطَّريقِ يَستَعطي.٣٦فلَمّا سمِعَ الجَمعَ مُجـــتازًا سألَ: "ما عَسَى أنْ يكونَ هذا؟".٣٧فأخبَروهُ أنَّ يَسوعَ النّاصِريَّ مُجتازٌ.٣٨فصَرَخَ قائلاً: "يا يَسوعُ ابنَ داوُدَ، ارحَمني!".٣٩فانتَهَرَهُ المُتَقَدِّمونَ ليَسكُتَ، أمّا هو فصَرَخَ أكثَرَ كثيرًا: "يا ابنَ داوُدَ، ارحَمني!".٤٠فوَقَفَ يَسوعُ وأمَرَ أنْ يُقَدَّمَ إليهِ. ولَمّا اقتَرَبَ سألهُ٤١ قـــائلاً: "ماذا تُريدُ أنْ أفعَلَ بكَ؟". فقالَ: "يا سيِّدُ، أنْ أُبصِرَ!".٤٢فقالَ لهُ يَسوعُ: "أبصِرْ. إيمانُكَ قد شَفاكَ".٤٣وفي الحالِ أبصَرَ، وتبِعَهُ وهـــو يُمَجِّدُ اللهَ. وجميعُ الشَّعبِ إذ رأَوْا سبَّحوا اللهَ"، وتكرر مثله معجزات شفاء في لوقا٨ :٤٨، ومتى٩ :٢٢ ،ومرقس٥ :٣٤ ،ومرقس١٠: ٥٢ .

[523] -انظر زاده،عبد الرحمن الباجه جي،الفارق بين المخلوق والخالق ،ص٨٩ .

[524] - البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد،تفسير البيضاوي المسمى أنوار التتريل وأسرار التأويل،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، م١/ص١٦٠ .

كما أننا لا نلمس عند النصارى الحديث عن محاولات المسيح عليه السلام لكتمانه لأمر كثير من معجزاته التي قصد منها التخفيف من آلام المؤمنين برسالته مع أن المعجزة مبنية على التحدي، والاشتهار، وأنه يعقبها شكر على نعماء الله تعالى بل نجدهم يحرصون على تفريغ المعجزات من محتواها الحقيقي من خلال وضعهم لعنوان بكورة معجزات المسيح في النصرانية معجزة تحويل الماء إلى خمر [525]، فمنذ متى كان السكارى يُحاجون بالمعجزات؟ .

ومـــن ذلك لعنه شجرة التين فيبست في الحال (مت ٢١ :١٨و١٩ ، مرقس ١١ :١٢)، التي تبرهن على تناقض النصارى بشأن نظرتهم للمعجزات فلماذا لم يشبع المسيح نفسه من شجرة التين، وهو الذي أشبع خمسة آلاف بقدرته الذاتيه على حسب زعم النصارى ثم ماهي الخطيئة التي اقترفتها تلك الشجرة؟ ، ومنها شفاء ابنة الأرملة الكنعانية (مت ١٥ :٢١-٢٨ ، مرقس ٧ :٢٤ —٣٠) التي فيها من جوانب التكبر والاحتقار للآخر من الرضا بالسجود عند القدمين ما لا يمكن نسبته لنبي قط بالإضافة لتشبيه الأمم بالكلاب، وهو لمز بالنجاسة لبقية الأمم غير النصارى، كما يظهر فيها فضل استدرار التلاميذ لعطف المسيح، وغلبة حجة المرأة الكنعانية حيث جاء في مت ١٥ :٢١-٢٨ "٢١ثُمَّ خرجَ يَسوعُ مِنْ هناكَ وانصَرَفَ إلى نَواحي صورَ وصَيداءَ.٢٢وإذا امرأةٌ كنعانيَّةٌ خارجَةٌ مِنْ تلكَ التُّخومِ صَرَخَتْ إليهِ قائلَــةً: "ارحَمني، يا سيِّدُ، يا ابنَ داوُدَ! ابنَتي مَجنونَةٌ جدًّا".٢٣فلم يُجبها بكَلِمَة. فتقدَّمَ تلاميذُهُ وطَلَبوا إليه قائلينَ: "اصرِفها، لأنَّها تصيحُ وراءَنا!".٢٤فأجابَ وقالَ: "لم أُرسَلْ إلاَّ إلى خِرافِ بَيتِ إسرائيلَ الضّالَّة".٢٥فأتَتْ وسجَدَتْ لهُ قائلَةً: "يا سيِّدُ، أعنّي!"٢٦فأجابَ وقالَ: "ليس حَسَنًا أنْ يؤخَذَ خُبزُ البَنينَ ويُطرَحَ للكِلاب".٢٧فقالَتْ: "نَعَمْ، يا سيِّدُ! والكِلابُ أيضًا تأكُلُ مِنَ الفُتاتِ الَّذي يَسقُطُ مِنْ مائدَةِ أربابِها!".٢٨حينَئذٍ أجابَ يَسوعُ وقالَ لها: "يا امرأةُ، عظِــيمٌ إيمانُكِ! ليَكُنْ لكِ كما تُريدينَ". فشُفيَت ابنَتُها مِنْ تلكَ السّاعَة" ، وفي مرقس ٧ :٢٤ —٣٠"٢٤ثُمَّ قامَ مِنْ هناكَ ومَضَى إلى تُخومِ صورَ وصَيداءَ، ودَخَلَ بَيتًا وهو يُريدُ أنْ لا يَعلَمَ أحَدٌ، فلم يَقدِرْ أنْ يَختَفيَ،٢٥لأنَّ امرأةً كانَ بابنَتِها روحٌ نَجِسٌ سمِعَتْ به، فأتَتْ وخَرَّتْ عِندَ قَدَمَيه.٢٦وكانَتْ المَرأةُ أُمَميَّةً، وفي جنسِها فينيقيَّةً سوريَّةً. فسألَتهُ أنْ يُخــرِجَ الشَّيطانَ مِنِ ابنَتِها.٢٧وأمّا يَسوعُ فقالَ لها: "دَعي البَنينَ أوّلاً يَشبَعونَ، لأنَّهُ ليس حَسَنًا أنْ يؤخَذَ خُبزُ البَنينَ ويُطرَحَ للكِلاب".٢٨فأجابَتْ وقالَتْ لهُ: "نَعَمْ، ياسيِّدُ! والكِلابُ أيضًا تحتَ المائدَةِ تأكُلُ مِنْ فُتاتِ البَنينَ!".٢٩فقالَ لهــا: "لأجــلِ هذِهِ الكَلِمَةِ، اذهَبي. قد خرجَ الشَّيطانُ مِنِ ابنَتِكِ".٣٠فذَهَبَتْ إلى بَيتِها ووَجَدَتِ الشَّيطانَ قد خرجَ، والابنَةَ مَطروحَةً على الفِراشِ" .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه يحتاج من يأتي بالمعجزات عند النصارى إلى التعميد حتى أن النصارى يعتقدون أن يوحنا المعمـــدان قـــد مهد الطريق لمعجزات المسيح بتعميده له- ولنا هنا أن نترك سؤلا لكي يجيب عليه النصارى بروية إن اســتطاعوا إلى ذلك سبيلا هل يوحنا أعلى رتبة من المسيح حتى يقرر من هو المسيح؟- ففي متى ٣: ١٦"فلَمّا اعتَمَدَ يَسوعُ صَعِدَ للوقتِ مِنَ الماءِ، وإذا السَّماواتُ قد انفَتَحَتْ لهُ، فرأى روحَ اللهِ نازِلاً مِثلَ حَمامَةٍ وآتيًا علَيهِ "،وذلك لأن التعمـــيد عـــندهم يعتبر أساسا للأنبياء والقديسين المعصومين أو صانعي المعجزات، فصنع المعجزات والإتيان بخوارق

[525]- انظــر عبد الوهاب، مهندس أحمد،النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام،القاهرة-مصر،مكتبة وهبه،ط١ ،١٩٧٩م، ص ١٠٦-١٠٧، زاده،عبد الرحمن الباجه حي،الفارق بين المخلوق والخالق ،ص١٣٠ .

العـــادات يكلف به حتى غير الأنبياء من القديسين ليصبحوا مؤمنين مما يدفع بهم للاعتقاد بأنهم أكثر صلاحا من بني دينهم؛ ليستأثروا عليهم أو ينتحلوا لأنفسهم مركز الرعاية على الآخرين[526] .

في حين أن التعميد عند الرسل في النصرانية كان يتم باسم المسيح، وليس بالماء كما كان يفعل يوحنا، ففي أعمال الرســـل ١٩: ٤-٧ " ٤فقالَ بولُسُ: "إنَّ يوحَنَّا عَمَّدَ بِمَعموديَّةِ التَّوبَةِ، قائلاً للشَّعبِ أنْ يؤمِنوا بالَّذي يأتي بَعدَهُ، أيْ بالمَـــسيحِ يَسوعَ". ٥فلَمَّا سمِعوا اعتَمَدوا باسمِ الرَّبِّ يَسوعَ. ٦ولَمَّا وضَعَ بولُسُ يَدَيهِ علَيهِمْ حَلَّ الرّوحُ القُدُسُ علَيهِمْ، فطَفِقوا يتكَلَّمونَ بلُغاتٍ ويتنَبّأونَ. ٧وكانَ جميعُ الرِّجالِ نَحوَ اثنَيْ عشَرَ" .

وهناك مثل عند النصارى يقول:"إن القديس الذي لا يجري معجزات فالذين يحجون إلي ضريحه قليلون"[527] .

ويـــسجل النـــصارى في عهدهم الجديد معجزات للرسل من بعد المسيح عليه السلام، وخصوصا في سفر أعمال الرسل، وتمتاز المعجزات التي ينسبونها لرسلهم بأنها يتم فيها التصريح بأسماء الذين جرت لهم معجزات مع الرسل، وإن كانـــت غالبها تتم بشكل ثنائي بين شخص وأحد رسل النصارى، وأكثر الذين وقعت على أيديهم فعل الخوارق من رسل النصارى هما : بطرس و بولس .

ويرى النصارى أن يسوع هو الذي منح تلاميذه القدرة على فعل الخوارق لكي تستمر مسيرة التعليم من بعده فهو يكـــون أشبه بمن قدم أوراق اعتماد إلهية لتلاميذه فالرب عندهم صعد للسماء –نعوذ بالله تعالى من كفرهم– ، ونزل روح القدس، وخرجت الكنيسة من بعد ذلك على أثر معجزات أعمال الرسل[528] .

ومن تلك الخوارق التي تنسب للرسل عند النصارى في عهدهم الجديد في سفر أعمال الرسل ما يلي :

١- بطرس يشفي الشحاذ الأعرج ٣ :١- ١٢" ١ وصَعِدَ بُطرُسُ ويوحَنَّا مَعًا إلى الهَيكَلِ في ساعَةِ الصَّلاةِ التّاسعَةِ. ٢ وكانَ رَجُلٌ أعرَجُ مِنْ بَطنِ أُمِّهِ يُحمَلُ، كانوا يَضَعونَهُ كُلَّ يومٍ عِندَ بابِ الهَيكَلِ الّذي يُقالُ لهُ "الجَميلُ" ليَسألَ صَدَقَةً مِـــنَ الّذينَ يَدخُلونَ الهَيكَلَ. ٣فهذا لَمّا رأى بُطرُسَ ويوحَنَّا مُزمِعَينِ أنْ يَدخُلا الهَيكَلَ، سألَ لياخُذَ صَدَقَةً. ٤فتفَرَّسَ فيهِ بُطـــرُسُ مـــع يوحَنَّا، وقالَ: "انظُرْ إلَينا!" ٥فلاحَظَهُما مُنتَظِرًا أنْ ياخُذَ مِنهُما شَيئًا. ٦فقالَ بُطرُسُ: "ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَـــبٌ، ولكن الّذي لي فإيّاهُ أُعطيكَ: باسمِ يَسوعَ المَسيحِ النّاصريِّ قُمْ وامشِ!". ٧وأمسَكَهُ بيَدِهِ اليُمنَى وأقامَهُ، ففي الحـــالِ تشَدَّدَتْ رِجلاهُ وكعباهُ، ٨فوَثَبَ ووَقَفَ وصارَ يَمشي، ودَخَلَ معهُما إلى الهَيكَلِ وهو يَمشي ويَطفُرُ ويُسَبِّـــحُ اللهَ. ٩وأبـــصَرَهُ جميعُ الشَّعبِ وهو يَمشي ويُسَبِّـــحُ اللهَ. ١٠وعَرَفوهُ أنَّهُ هو الّذي كانَ يَجلِسُ لأجلِ الصَّدَقَةِ على بابِ الهَـــيكَلِ الجَمـــيلِ، فامتَلأوا دَهشَةً وحَيرَةً مِمّا حَدَثَ لهُ. ١١وبَينَما كانَ الرَّجُلُ الأعرَجُ الّذي شُفيَ مُتَمَسِّكًا ببُطرُسَ

---

[526]- انظر داود، البروفسور عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ص٢٠٢ ،وفتاح،د.عرفان عبد الحميد،النصرانية،ص١١٨-١٢٠ .

[527]- لوكير،هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس، القاهرة-مصر، دار الثقافة، ط٣ ، ٢٠٠٣م،ص٢٢١ .

[528]- لوكير،هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس ،ص٢٩٨-٣٠١ بتصرف .

ويوحَـنّا، تراكَضَ إليهِمْ جميعُ الشَّعبِ إلى الرِّواقِ الّذي يُقالُ لهُ "رِواقُ سُلَيمانَ" وهُم مُندَهِشونَ.١٢فلَمّا رأى بُطرُسُ ذلِـكَ أجابَ الشَّعبَ: "أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ، ما بالُكُمْ تتعَجَّبونَ مِنْ هذا؟ ولماذا تشخَصونَ إلَينا، كأنَّنا بقوَّتِنا أو تقوانا قد جَعَلنا هذا يَمشي؟" .

فهذا إقرار منه: كأنَّنا بقوَّتنا أو تقوانا قد جَعَلنا هذا يَمشي فهو لا يملك الشفاء وما حدث على فرض صحته فهو من باب الكرامات التي حصلت له وليس أكثر من ذلك .

٢- موت حنانيا وسفيرة عقابا لكذبهما بين يدي بطرس على الله تعالى ٥ : ١-١٢ ١ورَجُلٌ اسْمُهُ حَنانيّا، وامرأتُهُ سَفيرَةُ، باعَ مُلكًا٢واختَلَسَ مِنَ الثَّمَنِ، وامرأتُهُ لها خَبَرُ ذلكَ، وأتَى بجُزءٍ ووَضَعَهُ عِندَ أرجُلِ الرُّسُلِ.٣فقالَ بُطرُسُ: "يا حَنانيّا، لماذا مَلأ الشَّيطانُ قَلبَكَ لتَكذِبَ على الرّوحِ القُدُسِ وتختَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الحَقلِ؟٤أليس وهو باقٍ كانَ يَبقَى لكَ؟ ولَمّا بيعَ، ألَمْ يَكُنْ في سُلطانِكَ؟ فما بالُكَ وضَعتَ في قَلبِكَ هذا الأمرَ؟ أنتَ لم تكذِبْ علَى النّاسِ بل علَى اللهِ".٥فلَمّا سمِـعَ حَنانـيّا هـذا الكَلامَ وقَعَ وماتَ. وصارَ خَوفٌ عظيمٌ علَى جميعِ الّذينَ سمِعوا بذلكَ.٦فنَهَضَ الأحداثُ ولَفّوهُ وحَمَلوهُ خارِجًا ودَفَنوهُ.٧ثُمَّ حَدَثَ بَعدَ مُدَّةِ نَحوِ ثَلاثِ ساعاتٍ، أنَّ امرأتَهُ دَخَلَتْ، وليس لها خَبَرُ ما جَرَى.٨فأجابَها بُطرُسُ: "قولي لي: أبهذا المِقدارِ بعتُما الحَقلَ؟". فقالَتْ: "نَعَمْ، بهذا المِقدارِ".٩فقالَ لها بُطرُسُ: "ما بالُكُما اتَّفَقتُما علَى تجرِبَةِ روحِ الرَّبِّ؟ هوذا أرجُلُ الّذينَ دَفَنوا رَجُلكِ علَى البابِ، وسيَحمِلونَكِ خارِجًا".١٠فوَقَعَتْ في الحالِ عِندَ رِجلَيهِ وماتَـتْ. فدَخَلَ الشَّبابُ ووَجَدوها مَيتَةً، فحَمَلوها خارِجًا ودَفَنوها بجانِبِ رَجُلِها.١١فصارَ خَوفٌ عظيمٌ علَى جميعِ الكَنيسَةِ وعلَى جميعِ الّذينَ سمِعوا بذلكَ.١٢وجَرَتْ علَى أيدي الرُّسُلِ آياتٌ وعَجائبُ كثيرَةٌ في الشَّعبِ" .

فهذه إن صحت فهي تكون من باب الدعاء المستجاب من الله تعالى، ثم ما فائدة التأكيد على كثرة الآيات والعجائب دون بيان تفاصيلها والحكمة منها ؟ .

٣- ظـل بطرس يشفي المرضى٥: ١٣-١٦ "١٣وأمّا الآخَرونَ فلم يَكُنْ أحَدٌ مِنهُمْ يَجسُرُ أنْ يَلتَصِقَ بهِمْ، لكن كانَ الـشَّعبُ يُعَظِّمُهُـمْ.١٤وكانَ مؤمِنونَ يَنضَمّونَ للرَّبِّ أكثَرَ، جَماهيرُ مِنْ رِجالٍ ونِساءٍ،١٥حتَّى إنَّهُم كانوا يَحمِلونَ المَرضَـى خارِجًا في الشَّوارِعِ ويَضَعونَهُمْ علَى فُرُشٍ وأسِرَّةٍ، حتَّى إذا جاءَ بُطرُسُ يُخَيِّمُ ولو ظِلُّهُ علَى أحَدٍ مِنهُمْ.١٦ واجتَمَعَ جُمهورُ المُدُنِ المُحيطَةِ إلَى أورُشَليمَ حامِلينَ مَرضَى ومُعَذَّبينَ مِنْ أرواحٍ نَجِسَةٍ، وكانوا يُبرأونَ جميعُهُمْ" .

فالشفاء بالظل أمر لم ينسبه النصارى للمسيح عليه السلام فكيف يزعمون ذلك لمن هو دونه في عهدهم الجديد ؟ .

٤- شفاء بطرس لإينياس ٩: ٣٢-٣٥" ٣٢وحَدَثَ أنَّ بُطرُسَ وهو يَجتازُ بالجميعِ، نَزَلَ أيضًا إلَى القِدّيسينَ السّاكِنينَ في لُدَّةَ،٣٣فوَجَدَ هناكَ إنسانًا اسمُهُ إينياسُ مُضطَجِعًا علَى سريرٍ مُنذُ ثَماني سِنينَ، وكانَ مَفلوجًا.٣٤فقالَ لهُ بُطرُسُ: "يا إينِـياسُ، يَشفيكَ يَسوعُ المَسيحُ. قُمْ وافرُشْ لنَفسِكَ!". فقامَ للوقتِ.٣٥ورآهُ جميعُ السّاكِنينَ في لُدَّةَ وسارونَ، الّذينَ رَجَعوا إلَى الرَّبِّ" .

فهذا إن صح فهو من باب الكرامات لفضل متابعته للمسيح عليه السلام مع القطع بأن يسوع لا يشفي بذاته .

٥- إقامـة بطـرس لطابيثا بعد موتها٩: ٣٦-٤٢" ٣٦وكانَ في يافا تلميذَةٌ اسمُها طابيثا، الّذي ترجَمَتُهُ غَزالَةُ. هذهِ كانَـتْ مُمتَلِـئَةً أعمالاً صالِحَةً وإحساناتٍ كانَتْ تعمَلُها.٣٧وحَدَثَ في تِلكَ الأيّامِ أنَّها مَرِضَتْ وماتَتْ، فغَسَّلوها ووَضَـعوها في عِلّيَّةٍ.٣٨وإذ كانَتْ لُدَّةُ قريبَةً مِنْ يافا، وسمِعَ التلاميذُ أنَّ بُطرُسَ فيها، أرسَلوا رَجُلَينِ يَطلُبانِ إليهِ أنْ لا يتوانَـى عن أنْ يَجتازَ إليهِمْ.٣٩فقامَ بُطرُسُ وجاءَ معهُما. فلَمّا وصَلَ صَعِدوا بهِ إلَى العِلّيَّةِ، فوَقَفَتْ لَدَيهِ جميعُ الأرامِلِ

يَبكِينَ ويُرِينَ أقمِصَةً وثيابًا مِمّا كانَتْ تعمَلُ غَزالَةُ وهي معهُنَّ. ٤٠فأخرَجَ بُطرُسُ الجميعَ خارجًا، وجَثا على رُكبَتَيهِ وصَلَّى، ثُمَّ التَفَتَ إلى الجَسَدِ وقالَ: "يا طابيثا، قومي!". ففَتَحَتْ عَينَيها. ولَمّا أبصَرَتْ بُطرُسَ جَلَسَتْ، ٤١فناوَلَها يَدَهُ وأقامَها. ثُمَّ نادَى القِدّيسينَ والأرامِلَ وأحضَرَها حَيَّةً. ٤٢فصارَ ذلكَ مَعلومًا في يافا كُلِّها، فآمَنَ كثيرونَ بالرَّبِّ".

وهـــذا مـــن باب الدعاء المصحوب بالصلاة إن صح، وليس في ذلك دلالة على قدرة الرسل في النصرانية على إجراء المعجزات كما يعتقد النصارى، ثم كيف تنقل هذه التفاصيل، وبطرس لوحده مع جسد طابيثا في العلية، والأصل في المعجزة الظهور أمام أعين المشاهدين لها من الناس وليس طردهم والتخفي عنهم كما فعل بطرس ؟! .

٦-إنقـــاذ بطرس بيد ملاك١٢ :٦- ١١" ٦ولَمّا كانَ هيرودُسُ مُزمِعًا أنْ يُقَدِّمَهُ، كانَ بُطرُسُ في تلكَ اللَّيلَةِ نائمًا بَينَ عَسكَرِيَّينِ مَربوطًا بسِلسِلَـــتَينِ، وكانَ قُدّامَ البابِ حُرّاسٌ يَحرُسونَ السِّجنَ. ٧وإذا مَلاكُ الرَّبِّ أقبَلَ، ونورٌ أضاءَ في البَـــيتِ، فضَرَبَ جَنبَ بُطرُسَ وأيقَظَهُ قائلاً: "قُمْ عاجِلاً". فسَقَطَتِ السِّلسِلَـــتانِ مِنْ يَدَيهِ. ٨وقالَ لهُ المَلاكُ: "تمَنطَقْ والـــبَسْ نَعلَيكَ". ففَعَلَ هكذا. فقالَ لهُ: "البَسْ رِداءَكَ واتبَعني". ٩فخرجَ يتبَعُهُ. وكانَ لا يَعلَمُ أنَّ الّذي جَرَى بواسِطَةِ المَـــلاكِ هـــو حَقيقيٌّ، بل يَظُنُّ أنَّهُ يَنظُرُ رؤيا. ١٠فجازا المَحرَسَ الأوَّلَ والثّانيَ، وأتَيا إلى بابِ الحَديدِ الّذي يؤَدّي إلى المَدينـــةِ، فانفَتَحَ لهُما مِنْ ذاتِهِ، فخرجا وتقَدَّما زُقاقًا واحِدًا، وللوقتِ فارَقَهُ المَلاكُ. ١١فقالَ بُطرُسُ، وهو قد رَجَعَ إلى نَفسِهِ: "الآنَ عَلِمتُ يَقينًا أنَّ الرَّبَّ أرسَلَ مَلاكَهُ وأنقَذَني مِنْ يَدِ هيرودُسَ، ومِنْ كُلِّ انتِظارِ شَعبِ اليَهودِ".

فهذا دليل أبلج على افتقار التلاميذ في النصرانية وحاجتهم لمن ينجدهم في المآزق فهم كباقي البشر .

٧- عَلـــيمٌ الـــسّاحِرُ ١٣: ٦-١٤" ٦ولَمّا اجتازا الجَزيرَةَ إلى بافوسَ، وجَدا رَجُلاً ساحِرًا نَبيًّا كذّابًا يَهوديًّا اسمُهُ باريَشوعُ، ٧كانَ مع الوالي سرجيوسَ بولُسَ، وهو رَجُلٌ فهيمٌ. فهذا دَعا بَرنابا وشاوُلَ والتَمَسَ أنْ يَسمَعَ كلِمَةَ اللهِ. ٨فقاوَمَهُما عَليمٌ السّاحِرُ، لأنْ هكذا يُترجَمُ اسمُهُ، طالِبًا أنْ يُفسِدَ الواليَ عن الإيمانِ. ٩وأمّا شاوُلُ، الّذي هو بولُسُ أيضًا، فامتَلأَ مِنَ الرّوحِ القُدُسِ وشَخَصَ إليهِ، ١٠وقالَ: "أيُّها المُمتَلِئُ كُلَّ غِشٍّ وكُلَّ خُبثٍ! يا ابنَ إبليسَ! يا عَدوَّ كُلِّ بِرٍّ! ألا تـــزالُ تُفسِدُ سُبُلَ اللهِ المُستَقيمَةَ؟ ١١فالآنَ هوذا يَدُ الرَّبِّ علَيكَ، فتكونُ أعمَى لا تُبصِرُ الشَّمسَ إلى حينٍ". ففي الحالِ سقَطَ علَيهِ ضَبابٌ وظُلمَةٌ، فجَعَلَ يَدورُ مُلتَمِسًا مَنْ يَقودُهُ بيَدِهِ. ١٢فالوالي حينَئذٍ لَمّا رأى ما جَرَى، آمَنَ مُندَهِشًا مِنْ تعليمِ الرَّبِّ. ١٣ثُمَّ أقلَعَ مِنْ بافوسَ بولُسُ ومَنْ معهُ وأتَوْا إلى بَرجَةِ بَمفيليَّةَ. وأمّا يوحَنّا ففارَقَهُمْ ورَجَعَ إلى أورُشَليمَ. ١٤وأمّا هُم فجازوا مِنْ بَرجَةَ وأتَوْا إلى أنطاكيَةِ بيسيديَّةَ، ودَخَلوا المَجمَعَ يومَ السَّبتِ وجَلَسوا".

وهو إن صح فهو من قبيل الدعاء المستجاب من الله تعالى ليس إلا .

٨-شـــفاء المُقعَدِ بصرخة بولس ١٤: ٨-١٠" ٨وكانَ يَجلِسُ في لِستِرَةَ رَجُلٌ عاجِزُ الرِّجلَينِ مُقعَدٌ مِنْ بَطنِ أُمِّهِ، ولم يَمشِ قَطُّ. ٩هذا كانَ يَسمَعُ بولُسَ يتكَلَّمُ، فشَخَصَ إليهِ، وإذ رأى أنَّ لهُ إيمانًا ليُشفَى، ١٠قالَ بصوتٍ عظيمٍ: "قُمْ على رِجلَيكَ مُنتَصِبًا!". فوثَبَ وصارَ يَمشي".

ولنا أن نقول أين كانت صرخة بولس حينما رجمه اليهود حتى كاد أن يشرف على الهلاك .

ورَجم بولس في سفر أعمال الرسل ١٤: ١٩" ١٩ثُمَّ أتَى يَهودٌ مِنْ أنطاكيَةَ وإيقونيَةَ وأقنَعوا الجُموعَ، فرَجَموا بولُسَ وجَرّوهُ خارِجَ المدينةِ، ظانّينَ أنَّهُ قد ماتَ ".

٩-شفاء بولس جاريَةً بِها روحُ عِرافَةٍ ١٦: ١٦-١٨" ١٦ وحَدَثَ بَينَما كُنّا ذاهِبينَ إلى الصَّلاةِ، أنَّ جاريَةً بها روحُ عِـــرافَةٍ استَقبَلَتنا. وكانَتْ تُكسِبُ مَواليَها مَكسَبًا كثيرًا بعِرافَتِها. ١٧هذِهِ اتَّبَعَتْ بولُسَ وإيّانا وصَرَخَتْ قائلَةً: "هؤلاءِ

النّاسُ هُم عَبيدُ اللهِ العَليّ، الّذينَ يُنادونَ لكُم بطريقِ الخَلاصِ".١٨وكانَتْ تفعَلُ هذا أيّامًا كثيرَةً. فضَجِرَ بولُسُ والتَفَتَ إلى الرّوحِ وقالَ: "أنا آمُرُكَ باسمِ يَسوعَ المَسيحِ أنْ تخرُجَ منها!".

١٠- زَلـــزَلَةٌ عظيمَةٌ على يدي بولس وسيلا ١٦: ٢٥ ٢٥ونَحوَ نِصفِ اللّيلِ كانَ بولُسُ وسيلا يُصَلّيانِ ويُسَبِّحانِ اللهَ، والمَسجونونَ يَسمَعونَهُما.٢٦فحَدَثَ بَغتَةً زَلزَلَةٌ عظيمَةٌ حتّى تزَعزَعَتْ أساساتُ السِّجنِ، فانفَتَحَتْ في الحالِ الأبوابُ كُلُّها، وانفَكَّتْ قُيودُ الجميعِ".

١١- بـــولس و أفتيخوس ٢٠: ٩-١٢ " ٩وكانَ شابٌّ اسمُهُ أفتيخوسُ جالسًا في الطّاقَةِ مُتَثَقّلاً بنَومٍ عَميقٍ. وإذ كانَ بـــولُسُ يُخاطِبُ خطابًا طَويلاً، غَلَبَ علَيهِ النَّومُ فسَقَطَ مِنَ الطَّبَقَةِ الثّالِثَةِ إلى أسفَلُ، وحُمِلَ مَيِّتًا.١٠فنَزَلَ بولُسُ ووَقَعَ علَــيهِ واعتَنَقَهُ قائلاً: "لا تضطَرِبوا! لأنَّ نَفسَهُ فيهِ!".١١ثُمَّ صَعِدَ وكسَّرَ خُبزًا وأكلَ وتكَلَّمَ كثيرًا إلى الفَجرِ. وهكذا خرجَ.١٢وأتَوْا بالفَتَى حَيًّا، وتعَزَّوْا تعزيَةً لَيسَتْ بقَليلَة ".

١٢- تـــوبة شاول وتغير حياته ٩ : ١٧-١٨ " ... ١٧فمَضَى حَنانيّا ودَخَلَ البَيتَ ووَضَعَ علَيهِ يَدَيهِ وقالَ: "أيُّها الأخُ شاوُلُ، قد أرسَلَني الرَّبُّ يَسوعُ الّذي ظَهَرَ لكَ في الطَّريقِ الّذي جِئتَ فيهِ، لكَيْ تُبصِرَ وتمتَلِئَ مِنَ الرّوحِ القُدُسِ". ١٨فللوقتِ وقَعَ مِنْ عَينَيهِ شَيءٌ كأنَّهُ قُشورٌ، فأبصَرَ في الحالِ" .

فهذه القضية تعتبر مثار تساؤل وتبعث للشك والارتياب حول حقيقة شخصية شاول الذي أصبح يعرف فيما بعد ببولس[529] الذي كانت مقدمات حياته -كما هو مقرر عند النصارى- شدة البغض والعداء للنصرانية ثم تحول بعدها لأكثر شخصية تنسب إليها فعل الخوارق من بعد المسيح في النصرانية بل وتنسب إليه ما لم تنسبه للمسيح عليه السلام مع أنه لم يشاهد المسيح ولم يسبق له أن تعلم المسيحية من أحد، وفي ذلك غاية الغلو والبعد عن إصابة وجه الحق في تلك الشخصية التي تحفل بكثير من المفاجئات، كما هو مدون في العهد الجديد فمن ذلك حديثهم المزعوم عن مَناديلَ أو مـــآزِرَ بـــولس الخارقة للعادة ففي أعمال الرسل ١٩: ١١-١٢".١١وكانَ اللهُ يَصنَعُ على يَدَيْ بولُسَ قوّاتٍ غَيرَ المُعـــتادَةِ،١٢حتّى كانَ يؤتَى عن جَسَدِهِ بمَناديلَ أو مآزِرَ إلى المَرضَى، فتزولُ عنهُمُ الأمراضُ، وتخرُجُ الأرواحُ الشِّرّيرَةُ مِنهُمْ ".

فهذه الرواية تضع اليد على مزج الخرافة بالحقيقة فيما يتعلق بالخوارق التي تنسب في العهد الجديد لبولس هذا حيث إنما تقرر زوال الأمراض وخروج الأرواح الشريرة من المرضى، فهل بولس كان من المشعوذين الذين يؤمنون بالأرواح

[529]-انظـــر الغـــزالي،أبو حامد،الـــرد الجمـــيل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل،تقديم وتحقيق وتعليق د.محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة-مـــصر،مكتبة الزهـــراء،ط٢ ،١٩٩٠م ،ص٦٠-٦٥ ،و الـــساموك،أ.د سعدون محمود،مقارنة الأديان،عمان -الأردن،دار وائل للنشر والـــتوزيع،ط١ ،٢٠٠٤م،ص٥٣-٥٥، وشـــلبي ،المسيحية،ص١٢٥-١٢٩، ومن الباحثين من يرى أن بولس هو الذي أضاف للنصرانيه عبادة المسيح،انظر عبدالله،عبد السلام محمد،هل الكتاب المقدس معصوم؟،القاهرة-مصر،مكتبة النافذه،ط١ ،٢٠٠٧م، ص١٢٩ .

الـــشريرة أم أنه كسحرة زمانهم حتى يكون ما يلامس جسده من المناديل والمآزر بهذه المرتبة من خرق العادة التي لم تنسب في الأناجيل لمن هو أعلى منه رتبة وهو المسيح عليه السلام،ولعل هذه الروايات الخارقة للعادة عن شخص بولس في العهد الجديد تمثل ردة فعل لحقيقة ما يجري على الساحة في ذلك الوقت من نسبة فعل الخوارق للسحرة في زمانهم التي يسمونها قوة الله فمن ذلك في أعمال الرسل قصة سيمون الساحر ٨: ٩- ١٣ " ٩وكانَ قَبلاً في المدينةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سيمونُ، يَستَعمِلُ السِّحرَ ويُدهِشُ شَعبَ السّامِرَةِ، قائلاً إنَّهُ شَيءٌ عظيمٌ! ١٠وكانَ الجميعُ يتبَعونَهُ مِنَ الصَّغيرِ إلى الكَبيرِ قـــائلينَ: "هذا هو قوَّةُ اللهِ العظيمَةُ". ١١وكانوا يتبَعونَهُ لكَونِهِمْ قد اندَهَشوا زَمانًا طَويلاً بسِحرِهِ. ١٢ولكن لَمّا صَدَّقوا فيلُبُّسَ وهو يُبَشِّرُ بالأُمورِ المُختَصَّةِ بملكوتِ اللهِ وباسمِ يَسوعَ المَسيحِ، اعتَمَدوا رِجالاً ونِساءً. ١٣وسيمونُ أيضًا نَفسُهُ آمَنَ. ولَمّا اعتَمَدَ كانَ يُلازِمُ فيلُبُّسَ، وإذ رأى آيات وقوّات عظيمَةً تُجرَى اندَهَشَ " .

١٣- فتح ملاك الرب أبواب السجن لإنقاذ الرسل٥: ١٧-١٩ " ١٧فقامَ رَئيسُ الكهنةِ وجميعُ الّذينَ معهُ، الّذينَ هُم شـــيعَةُ الصَّدّوقيّينَ، وامتَلأوا غَيرَةً، ١٨فألقَوْا أيديَهُمْ على الرُّسُلِ ووَضَعوهُمْ في حَبسِ العامَّةِ. ١٩ولكنَّ مَلاكَ الرَّبِّ في اللَّيلِ فتحَ أبوابَ السّجنِ وأخرَجَهُمْ وقالَ: ٢٠"اذهَبوا قِفوا وكلِّموا الشَّعبَ في الهَيكلِ بجميعِ كلامِ هذِهِ الحياةِ".

فأين معجزات الرسل وهم جماعة حتى يتدخل ملاك الرب لفتح أبواب السجن بالليل لإخراجهم، فهل الخوارق تجرى هنا سرا ومن أعلمهم أنهم يشاهدون ملاك الرب في ظلمة السجن، فلا بد من تصويب المفاهيم بشأن حقيقة الرسل في النصرانية وأنهم بشر لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا وإن كان منهم من حظي بصحبة المسيح عليه السلام.

١٤- اختـــيار ســـبعة لمساعدة الرسل منهم استِفانوسُ ٦: ٨وأمّا استِفانوسُ فإذ كانَ مَملوًّا إيمانًا وقوَّةً، كانَ يَصنَعُ عَجائـــبَ وآيـــاتٍ عظيمَةً في الشَّعبِ". و هذا يؤكد ما سبق تقريره من بشرية الرسل في النصرانية، وأنهم بحاجة لمن يناصرهم في تبليغ الدين ثم لم يذكر العهد الجديد تفصيل تلك الآيات التي نسبت لاستِفانوس .

١٥- فيلُــبُّسُ ٨ :٥-٧ " ٥فانحَدَرَ فيلُبُّسُ إلى مدينةٍ مِنَ السّامرَةِ وكانَ يَكرِزُ لهُم بالمَسيحِ.٦وكانَ الجُموعُ يُصغونَ بنَفسٍ واحِدَةٍ إلى ما يقولُهُ فيلُبُّسُ عِندَ استِماعِهِمْ ونَظَرِهِمُ الآياتِ الّتي صَنَعَها،٧لأنَّ كثيرينَ مِنَ الّذينَ بهِمْ أرواحٌ نَجِسَةٌ كانَتْ تخرُجُ صارِخَةً بصوتٍ عظيمٍ. وكثيرونَ مِنَ المَفلوجينَ والعُرجِ شُفوا".

فمـــن الملاحـــظ من خلال الأمثلة المتقدمة الذكر أن النصارى يتوسعون في إطلاقهم لفظ المعجزات التي يسمونها عجائـــب، وآيات، وقوات حتى تنسب عندهم لغير المسيح عليه السلام من قديسين وتلاميذ وغيرهم ،فهم لا يسيرون على نهج دقيق في فهمهم لخوارق العادات وضبط قيودها المعتبرة أو تقسيماتها أولمن تجري على أيديهم أو حتى للنتائج الـــتي تترتب على ظهورها، وهذا نابع من تصورهم القاصر من أن هناك أكثر من مصدر يمكنه فعل الخارقة والإتيان بها،كمـــا تقـــدم عـــند الحديث عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند النصارى لذلك تولد هذا الاضطراب العجيب في كلامهم عن خوارق العادات وخصوصيتها .

وربمـــا يكـــون لسريان الأثر الوثني تأثير مباشر على تشويه معتقدات النصارى حيث أسقط جانب كبير من تلك المعـــتقدات الوثنـــية علـــى فهم النصارى لمبحث الخوارق، فلعل معتقد قدرة الأرواح النجسة على فعل الأمراض في الأجساد عند النصارى يدلل بوضوح على مدى الخلل المتأصل لديهم؛فلذلك تراهم ينظرون إلى مهمة الرسل ومن يقع علـــيهم اختيار الرسل إنما تنصب على إخراج الأرواح النجسة من أجساد المرضى فتخرج صارخة بصوت عظيم على حد زعم النصارى في عهدهم الجديد. فيلُبُّسُ ٨ : ٧ "٧لأنَّ كثيرينَ مِنَ الّذينَ بهِمْ أرواحٌ نَجِسَةٌ كانَتْ تخرُجُ صارِخَةً بصوتٍ عظيمٍ".

المبحث السادس: أثر خوارق العادات على دعوة الأنبياء عليهم السلام.

إن عذوبة الحياة الدينية الحقيقية تكمن في التزام الفهم الدقيق والصحيح لما نزل به الوحي الإلهي على قلوب المرسلين عليهم السلام بلا أدنى مخالفة ظاهرة أو خفية، ومن ثم صدق الاتباع والتطبيق حتى الممات .

ومن هنا فإن محاولة البشر لمخالفة صريح نص الوحي بالجحود أو بإحداث خلل في الفهم أو التطبيق يولد معتقداً جديداً يسعى لتحفيف ينبوع الفهم السديد لنص الوحي الإلهي لتظهر بوادر الانحراف العقدي الحاصل من هوى بعض النفوس البشرية التي تند عن هدي رب العالمين.

ومن أجل ذلك كان الوحي يتتابع بغية إصلاح الخلل الحاصل من الأفراد والأمم؛ لأن الدين وضع إلهي معصوم أصالة عن الخطأ، والتحريف يطرأ عليه بسبب التفريط في حفظه أو إساءة فهمه .

ومن هنا فالواجب على أتباع الأنبياء السابقين كان وما زال يستدعي مبادرتهم لتقبل الإصلاح قبل فوات الأوان، مع أنه غالبا ما يطول الحوار والجدال معهم لعلهم ينقادون لأصالة الوحي الرباني، وفي ذلك رحمة من رب العالمين ظاهرة للعيان، ولاسيما أن دعوات المرسلين إليهم يصاحبها براهين تدعم صدق حججهم فيما يبلغونه لهم وهي معجزات خارقة للعادة فيها فصل الخطاب ومناسبة لطبيعة مستوى فهم كل أمة من الأمم ولما اشتهرت به من صناعة بما يكفل دفع الشبهات والشكوك الواهية التي علقت في الأذهان والعقول الساذجة، فتتجلى في النهاية معالم الهداية بأنصع صورها، فلا يبقى للنفوس المؤمنة المطمئنة مطلب سوى الثبات على العقيدة الربانية التي لا مجال للتفريط فيها فهي الوحي الإلهي المعصوم المؤيد بالمعجزات .

ولهذا جاء الكتاب العزيز ليؤكد حقيقة الغلبة لرسل الله تعالى على الدوام مع شدة الصدود والعناد الذي يواجهونه من أهل الكفر، ولكن قوة الله تعالى العزيز القهار هي الغالبة دائما وأبدا[530] .

قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ المجادلة: ٢١ .

ولقد تقدم بيان مصير الأمم التي كفرت بآيات ربها ولم تؤمن بخالقها مع كثرة المعجزات التي عاينوها والتي انقضت وتعرضت للنسيان في غالبها إلا ما سجله الكتاب العزيز منها في معرض ذكر العظة، والعبرة من أخبار السابقين من

530-انظر ابن تيمية، أحمد، النبوات، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ص٤٠-٤٣ .

الأمم[531] ،فقد آل مصير الكافرين من قوم نوح عليه السلام إلى الغرق بالطوفان ،و تم إهلاك كفرة عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام بالريح الصرصر العاتية، وهلك طغاة ثمود قوم صالح عليه السلام بالعذاب بالصيحة، وهلك الخاسرون من قوم شعيب عليه السلام بعذاب يوم الظلة، وهلك أهل الإسراف في فعل السيئات من قوم لوط عليه السلام بقلب قراهم وإمطارهم بحجارة من سجيل منضود، وهلك فرعون المتكبر الجبار وجنده بالغرق في البحر[532] .

فمعجزات الأنبياء ذات أثر واضح مؤثر يبرهن على وجوب اتباع دعوات الأنبياء عليهم السلام ولسان حالها ينطق بغضب الله تعالى على الذين يسخرون من أنبيائه المرسلين، ولهذا يمحق الله تعالى الكافرين بعد قيام الحجة عليهم وعدم امتثالهم لأمر الله تعالى في مآلها . قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٥

و في دعاء نوح عليه السلام بعد مسيرة ألف سنة إلا خمسين عاما في الدعوة إلى الله تعالى بعد أن أيقن بهلاك الكافرين ونجاة المؤمنين ما يؤكد على قبح جريمة الكفر التي تتصادم بشكل مباشر مع دعوة الحق التي يبلغها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم.

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾
نوح: ٢٦ — ٢٨

وفي ذلك عبرة لأولي الألباب ليرهبوا من الكفر ومخاطره الحقيقية التي تفقد الإنسان نعمة الأمان في الدنيا والآخرة .

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ يوسف: ١١١

والله العزيز الرحيم حينما يطوي صفحة الكفر من قوم يترك العبرة التي ينبغي أن لا يغفل عنها عقلاء البشر حتى لا يتكرر العقاب الإلهي كلما تكرر العصيان، ولهذا عقب على نهاية قصة القوم المهلكين من قوم صالح عليه السلام الذين عقروا الناقة بقوله تعالى : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٧ — ١٥٩

---

[531]–انظر محمود،عبد الحليم،دلائل النبوة"ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم"،القاهرة–مصر،موسسة دار الشعب،ط غير معروفة، ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م، ص١٤١ .

[532]–انظر ابن تيمية،دلائل النبوة معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته من النقل والعقل،تحقيق وتعليق محمود النيجيري،القاهرة–مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م، ص٣١٣–٣١٥ .

وكذلك ما يلزم من أخذ العبرة من نجاة بدن فرعون الذي هو آية ربانية تدل على قبح نهاية الكفر وأهله .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ (٩٢) ﴾ يونس: ٩٢

ولكــن الطامة الكبرى أن الذين شاهدوا تلك المعجزة الربانية عيانا وهي ما حصلت إلا بعد أن جاوزوا البحر بمعجزة ربانية لتكتب لهم النجاة، ومن ثم يغرق فرعون وجنده، فمع هذه النعمة والمنة إلا أنهم كانوا هم أكثر الناس عنادا وبعدا عن دين الله تعالى حيث سارعوا في عبادتهم لعجلهم الذهبي الذي صنعته الأيدي الوثنية اليهودية بعد مسيرة خطوات معــدودات مــن موقــع المعجزة بلا أدنى ذرة من الاعتبار أو خجل من نقمة الجبار، مع أن نبيهم الكليم يناجي ربه وهارون يزجرهم عن جريمتهم البشعة تلك، ولكن لا استجابة من قوم تأصل الانحراف في نفوسهم التي ألفت الغواية وجانبت الهداية .

وعلــى الرغم من تتابع وتكرار مشاهدتهم للمعجزات فقد أعلنوا في النهاية التمرد على أوامر الله تعالى علانية بلا حــياء من رسل الله تعالى، فكان عقابهم من جنس عملهم أن كتب الله تعالى عليهم التيه في الأرض أربعين سنة جزاء وفاقا لقوم أسرفوا في عنادهم وجبنهم حتى تخاذلوا عن التماس هدفهم المنشود مع أن المطلوب هو مجرد دخول الباب وترك الأمر لرب العالمين، فلا أسف على أمة عقيمة الإحساس جعلت من التيه عن أوامر الله تعالى عقيدة لها فتاهت .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٦) ﴾ المائدة: ٢٤ – ٢٦

فالــيهود ركــنوا إلى المعجزات فكل فعل أو قول أو حركة أو حتى فهم عبارة غدا يتطلب معجزة؛ لأنهم عشقوا العبودية الفرعونية في قلوبهم فعاشوا في حدود شهواتهم وأحلامهم التي لم تتعد حدود ما كانوا يأكلونه في أرض مصر من عدس وبصل، ولو على حساب ترك أطيب الطعام فيما هو نازل عليهم من معجزات المن والسلوى*، ولذلك لم

---

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ البقرة: ٦١

تظهر يوما ما حرارة الإيمان في نفوسهم مع توالي بعثة الأنبياء والمرسلين إليهم حتى رفع عنهم الاختيار وتقلدته خير أمة أخرجت للناس الأمة الخاتمة أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [533] .

فمـــن الأثـــر الواضـــح لخوارق العادات على دعوة الأنبياء عليهم السلام أن الخوارق تدعم حجج الأنبياء وتقطع بصدقهم فلا مجال أمام الخلق سوى اتباع الحق الذي بعث به الأنبياء عليهم السلام؛ لأنه من الظلم البين محاولة إنكار الحـــق مـــع وجود المعجزات التي يتعين لزوم التصديق والتسليم لأمر الله تعالى بعد ظهورها على أيدي الأنبياء عليهم السلام، ولهذا كان يتم استئصال المكذبين بعد جحودهم آيات رب العالمين وإتباعهم اللعنة في الدنيا مع ما يستحقونه مـــن عـــذاب الآخرة الذي لم تذكر به معجزات أهل الكتاب وإنما تمحورت حول محور الانتقام والنعيم الدنيوي مع إغفـــال التذكير بمشاهد يوم القيامة والاستعداد ليوم المعاد الذي استبدلوه بالتباكي على أرض الميعاد لتبرير استباحتهم للدماء والأموال والأعراض المعصومة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ غافر: ٥٢

إن مسيرة الكفر مهما طال أمدها فهي إلى زوال، ولن تضر الله تعالى ولا عباده المرسلين ولا من اتبعهم بإحسان من عباد الله تعالى المؤمنين، وإنما ضرر الكفر يعود على أهله، وأن ما يحصل لهم من نعم ظاهرة في الدنيا إنما هي من باب الإملاء والاستدراج لهم حتى يوافوا مصيرهم المحتوم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾
الأعراف: ١٨٢ – ١٨٣

ومن المؤكد أن حسن العاقبة لعباد الله تعالى المتقين، الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا بما أتى به الرسل عليهم السلام، وبما ظهر على أيديهم من المعجزات البينات، فأخلصوا دينهم لله تعالى حتى كانت لهم الكرامة بالنجاة من عذاب الله تعـــالى الـــذي نـــزل بالكافرين، فهم أهل الولاية لرب العالمين، ولهم السعادة بالتأسي بنصر الله تعالى المبين لأوليائه المستـــضعفين الذين يتمسكون بمسيرة الإيمان على مر الزمان فيمكن الله تعالى لهم في الأرض لثباتهم على دين الله تعالى وصبرهم على أذى الكافرين الذين لا مولى لهم [534] .

[533]–انظر الجبوري، التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود، ص١٩٣-١٩٤ .

[534]– انظر ابن تيمية،دلائل النبوة معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته من النقل والعقل، ص١٦-٢٠ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ۞ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١ ﴾ محمد: ٧ – ١١

ومن رحمة الله تعالى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم أنه رفع عنهم عذاب الاستئصال الذي نزل بالمكذبين من الأمم السابقة وفتح لهم باب التوبة والرحمة، ومن هنا كانت معجزة القرآن الكريم العالمية تحمل التحدي المستمر وهي تخاطب القلوب والعقول معا بيسر وهدوء مما يجعل لكل متدبر فرصة الإمهال ليتسنى له التفكر والتأمل حتى تنقطع أنفاس الشكوك والشبهات في كل زمان ومكان، وتحيا بذور الإيمان بالله تعالى،ولا سيما أن القرآن الكريم قد تضمن من الشرائع والأحكام ما لا يمكن تحصيله بعلم مكتسب وإنما سبيله الوحيد هو التسليم بتلقيه من الوحي المعصوم[535] .

وإذا ما سرى إلى النفوس حب العيش على أثر سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولزوم الاستغفار حظيت بصمام الأمان من عذاب الله تعالى وشدة بطشه الذي هو سنته سبحانه وتعالى العادلة مع المكذبين لأنبيائه السابقين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝٣٣ ﴾ الأنفال: ٣٣

ولما ختمت النبوة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان تنوع المعجزات التي ظهرت على يديه بمثابة تكريم له ولأمته من بعده،وهذا دليل على مزيد التشريف والتكريم وشدة الاعتناء والاهتمام بشأنه والاحتفال بأمر نبوته، فناسب كثرة معجزاته وتنوعها على غير مثال سابق ختم النبوة بشخصه الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم[536] .

في حين نجد أن المعجزات التي قدمها عيسى عليه السلام لم تشكل أمانا لشخص عيسى عليه السلام من وجهة نظر النصارى أنفسهم حيث يزعمون أنه قد قدم نفسه على خشبة ليصلب -بين يدي ألد الأعداء، الذين جاء ليصحح عقائدهم التي أتى عليها صدأ الوثنية- بلا أدنى مدافعة عن نفسه بحجة أنه يكفر الخطايا .

فكانت معجزات عيسى عليه السلام التي لم يقدرها اليهود حق قدرها بمثابة دعوات لم تفلح في نهاية الأمر في انتزاع الغلو الحرفي من أحبار اليهود لفهم كثير من نصوص التوراة،، كما أنها اتخذت ذريعة إلى غلو النصارى في شخص

---

[535]-انظر ابن رشد،مناهج الأدلة في عقائد الملة،تقديم وتحقيق د.محمود قاسم،القاهرة-مصر،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٢ ،١٩٦٤م ، ص٢١٧، وشلبي،د. أحمد،الإسلام، القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية،ط١٢ ،١٩٩٧م، ص١٢١-١٢٢ .

[536]-انظر السفاريني،محمد بن أحمد،لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي-الرياض-المملكة العربية السعودية،دار الخاني،ط٣ ،١٤١١هـ-١٩٩١م،ج٢/ص٢٩٠ .

المسيح عليه السلام حيث أصعدوه إلى درجة الألوهية مع أنها تقطع بشكل جلي بأنه نبي أكرمه الله تعالى بالرسالة كسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام [537] ،

فالمعجزات التي أجراها عيسى عليه السلام أمام مجامع اليهود كانت تشكل محاولات هادفة لتفسير التوراة بمعنى روحي جديد ليعيد التوازن لأذهان اليهود في فهمهم لما أوحاه الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام، ولكن على ما يبدو أن النتائج كانت تثير حفيظة يهود عصره مما حدا بهم للمسارعة في التخطيط للقضاء على دعوته قبل فوات الأوان[538] ،

ولقد تولد معتقد عند النصارى يدل على مدى حيرتهم واضطرابهم في عجزهم المستمر والمتواصل عن إمكانية تقديم تفسير منصف ومعتدل عن مسيحهم يقنع عقول كثير من النصارى الذين يحاولون فهم حقيقة المسيح بلا ارتياب أو غلو في شخصه الكريم ،

ذلك المعتقد هو محاولة ربط أحداث مجيء المسيح في الزمن الأخير بأحداث خارقة من وحي خيال النصارى فهم يعتقدون بأن المسيح:

١-سيأتي ثانية بشكل منظور وبصوت هتاف قوي ،

٢-سيصدر صوت من أحد الملائكة لا يخطئه أحد ،

٣-سيسمع صوت بوق عال لم يسمع مثله من قبل ،

٤-الأموات في المسيح سيقومون من قبورهم(بمعنى الذين يموتون على عقيدة الصليب) ،

٥-المؤمنون الأحياء سيخطفون في السحب لملاقاة المسيح ،

وهذه أساطير تتناقض بعضها مع بعض ولا دليل عليها ومما يؤكد ذلك اختلاف النصارى أنفسهم حول الأحداث التي ستسبق مجيء المسيح ثانية[539] ،

ولعل مما يوحي لفهم السر الذي يجعل النصارى يسرفون في إطلاق الأساطير على حساب أنها من المعجزات والخوارق هو محاولة تهربهم من سطوة المواجهة لغلوهم في المسيح عليه السلام، فسلاحهم الفعال هو التوسع في مفهوم

---

[537]-انظر داود،الأب عبد الأحد الأشوري العراقي،الإنجيل والصليب،قدم له وعلق عليه محمد علي سلامة،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة، ط١ ،٢٠٠٤م، ص١٠٣-١٠٧ ،

[538]-انظر داود، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس،ص١٣٩ ، والدملوجي،فاروق،تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة،ص٥٢٨ ،

[539]-التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،ص٢٥٧٩ ،

الخـــوارق ليتـــسنى لهم تخدير الجماهير التي تقف حائرة أمام تلك الروايات التي لا دليل عليها إلا وحي خيال كتاب النصارى ٠

فقد نسجوا من وحي خيالهم الشيء الكثير من الخوارق والتي منها ما سبق بيانه من أحداث مجيء المسيح وغيره وما زعموا حدوثه بعد موت المسيح، كما يعتقدونه في عهدهم الجديد من خرق ستار بيت الأصنام، وانكساف الشمس من الساعة السادسة لغاية التاسعة، وبُعثرت قبور وخرج منها الكثير من القديسين ا[540] ٠

فالنـــصارى تمـــادوا في الإســـراف بنسبة الخوارق للمسيح وجعلوه النقطة المركزية التي حولها يدورون في كل ما يزعمون، فهم يعتقدون زيادة على قدرة المسيح الذاتية[541] على فعل الخوارق أنه قد أفضى بالقدرة لتلاميذه على إتيان الخـــوارق وقـــد جدد منحها لهم بعد قيامه من الأموات وصعوده إلى السماء على حسب زعم النصارى، كما أنهم يعتقدون أنه أورث الكنيسة القدرة على فعل الخوارق،ولكن أين هذا الزعم من واقع الحال؛ فكنائس النصارى مجتمعة لو أقامت الصلوات المتوالية لما استطاعت مثلا أن تذهب مرضا يصاب به أحد عامة الناس فضلا عن خاصتهم، ولو أنها تملـــك ذلك حقيقة لتوجه إليها الخلق لطلب الشفاء بدل المكوث على أسرة المستشفيات زمنا طويلا أملا في حصول الشفاء[542] ٠

فدعـــوة الشفاء الحقيقي تكون بإسلام الوجه إلى الله تعالى والكفر بالطاغوت، والحرص على اتباع المعجزة الباقية المحفوظة من التغيير والتبديل والتحريف، فبذلك تكون الحياة الأبدية التي لا سلطان لظلمات الكفر عليها ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٢

لقـــد أسست المعجزة الخالدة ذات الأثر العملي لكل أسباب بقاء العبرة من الدعوات الخيرة التي تناثرت في مسيرة الدعوات الصادقة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن آدم عليه السلام حتى ختم النبوة بسيد الأولين والآخرين نبينا

540-انظر الصادقي، عقائدنا،ص٤٧١-٤٧٢ ،و عبد القادر،د.محمد ممتاز،ترجمة ودراسة تحليلية،مخطوطات البحر الميت،القاهرة-مصر،العالمية للكتب والنشر،ط١ ،٢٠٠٦م،ص٥٨-٥٩ ٠

541-انظر القرافي، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،ص١٤٩ ٠

542-انظر شلبي،د. أحمد، المسيحية،القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٢م،ص٦٦-٦٧ ٠

محمـــد صـــلى الله عليه وسلم، فهي دعوات أجمعت على الإخلاص في الدعوة إلى التوحيد، وجمعت ما بين الترغيب والترهيب، وهي تعلي من قدر الأخلاق الحميدة، وهي توجه الأنظار لضرورة الاعتبار من مصير الأمم السابقة[543] .

فمملكة الإيمان بالله تعالى توجت برفدها بينبوع إلهي فياض معجز لا ينقطع مدده ولا يحصى أثره ببركته حظي النبي محمـــد صـــلى الله عليه سلم المربي بكثرة الأتباع والأنصار الذين يوحدون الله تعالى ظاهرا وباطنا ليلا ونهارا سيرهم وســـريرتهم طويت على محبة الوهاب باتباع هدي نبيه عليه الصلاة والسلام، فهم الذين سيردون بإذن الله تعالى على حوضه[544] الشريف المتصل بنهر الكوثر في الجنة، أما من يبغض دعوته وينكر معجزته، فذكره منقطع وأثره إلى الزوال وهذه حقيقة وليست أسطورة[545] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ الكوثر: ١ – ٣ .

ولقد أخذ الله تعالى الميثاق على جميع الأنبياء عليهم الصلاة السلام على وجوب متابعة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام ونصرته فيما لو أدركوه وهم أحياء؛ فمن باب أولى أن يبادر أتباع الأنبياء والمرسلين من بعدهم إلى متابعته ونصرة دينه عليه الصلاة والسلام أسوة بأنبيائهم ، فهذه معجزته الخالدة قد نطقت بذلك بأحسن بيان، فهل من مدكر؟[546] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١﴾ آل عمران: ٨١

إن معجـــزة القرآن الكريم بلا ريب تعتبر منهج حياة شامل تواكب النمو المعرفي لدى الإنسان، وتلبي حاجاته، فما من يوم ينشق فجره إلا ويدلي بشهادة جديدة على حقيقة نبه إليها الكتاب العزيز المعجز غفل عنها عقل البشر المخلوق مدةً من الزمن، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم، والحمد لله رب العالمين .

---

[543]-انظر الباش،القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، ج٢/ص١٦٦-١٦٧ .

[544]-انظـــر الكلام في الحوض عند، الأشعري،علي بن إسماعيل،الإبانة عن أصول الديانة،بيروت-لبنان،دار ابن حزم،ط١ ،١٤٢٤هـــ-٢٠٠٣م،ص١٠٣ .

[545]-انظر ثابت،مصطفى،القرآن معجزة الإسلام،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ،ص٢٨-٢٩ .

[546]-انظـــر الأصبهاني،أبو نعيم،دلائل النبوة،حققه د.محمد رواس قلعجي-عبد البر عباس،بيروت-لبنان ،دار النفائس،ط١ ،١٤١٩هـــ-١٩٩٩م،ج١/ص٤٦ .

الفصل الخامس
تقييم وموازنات

تمهيد:

المبحث الأول: موقف المسلم من أنبياء بني إسرائيل

المبحث الثاني: الفارق بين النبوة عند المسلمين والنبوة عند اليهود

المبحث الثالث: تقييم لمفهوم النبوة عند النصارى

المبحث الرابع: تقييم للعصمة بين اليهودية والنصرانية والإسلام

المبحث الخامس: تقييم لخوارق العادات وأنواعها بين اليهودية والنصرانية والإسلام

المطلب الأول: الإرهاص

المطلب الثاني: المعجزة

المطلب الثالث: الكرامة

المبحث السادس: تقييم وموازنات لمصدر خوارق العادات وخصوصيتها

المطلب الأول: تقييم لمصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند المسلمين

المطلب الثاني: تقييم لمصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود

المطلب الثالث: تقييم لمصدر العجائب وخصوصيتها عند النصارى

المبحث السابع: تقييم وموازنات لبعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في اليهودية والنصرانية والإسلام

المطلب الأول: معجزات لوط ويونس عليهما الصلاة والسلام

المطلب الثاني: معجزات سليمان عليه الصلاة والسلام

المبحث الثامن : موازنات بين القرآن الكريم المعجز وبين الكتاب المقدس المتداول في هذه الأيام .

تمهيد:

في هـــذا الفصل فصل التقييم والموازنات سيتم بإذن الله تعالى تسليط الضوء على تقييم ما يقتضي التقييم والمقارنة إن كـــان له قدر من اشتراك ذكر بين اليهودية والنصرانية والإسلام ليكون للدراسة إسهام في رسم المحاور الأساسية التي سُلكت حيال فهم خوارق العادات في اليهودية والنصرانية والإسلام مما يساعد ذلك على بلورة السبل الكفيلة لضرورة مراجعة القيود والضوابط التي تحدد المعالم الحقيقية لكل نوع من أنواع خوارق العادات فلا يلتبس فهم خارقة بغيرها مـــن الخوارق، وبالأخص في اليهودية والنصرانية لقصور الجهود الممحصة في هذا الميدان من أهل كلتا الديانتين، فلهم بعلمـــاء الإسلام قدوة تساند هممهم إن هم صدقوا في طلب بحث محايد يعيد تقييم النصوص التي تتحدث عن خوارق العادات في العهدين القديم والجديد بما يدفع الغلو الحاصل في الفهم لدى النصارى، ويقطف الثمرة الحقيقية من خوارق العـــادات الـــتي توالت على أيدي أنبياء بني إسرائيل لعلهم يسيرون على منهجية متزنة توصد الأبواب أمام كثير من التحـــريفات والتغـــييرات التي نسجها وحي خيال من دون نصوص الوحي من وحي الذاكرة المتأثرة بما عايشت من معتقدات وثنية التي امتزجت ببقايا الحق المذكور في عقول بعض كُتَّاب بَعُدَ عهدهم عن عصر نزول الوحي، ولم يتواتر لهم نقل تلك النصوص بالسند المتصل لأنبيائهم عليهم الصلاة السلام .

ولعـــل الفصول السابقة من هذه الرسالة تسهم في فتح آفاق جديدة لدراسات لاحقة للخوارق في العهدين تتقصى المغـــزى الحقيقي من وراء إجراء الخوارق من خلال الاحتكام إلى ضوابط تستقى من قرائن أحوال إجراء كل خارقة، ومـــن ظهرت على يديه، والنتائج والآثار التي ترتبت على ظهورها، وهذا ما تمس إليه الحاجة في اليهودية والنصرانية لتتجلى حقيقة الألوهية والنبوة لاتباع كلتا الديانتين بما يدفع الأوهام البشرية التي توارثوها، فيستقيم النظر إلى حقيقة خوارق العادات بما يؤكد حقيقة المخلوق، ومدى ضعفه وحاجته لخالقه في كل حين، وينزه الخالق جل وعلا عن كل مثلية للأشياء .

ولـــذا سنتحدث بعون الله تعالى وتوفيقه عن: موقف المسلم من أنبياء بني إسرائيل، و الفارق بين النبوة عند المسلمين والنبوة عند اليهود،و تقييم للنبوة عند النصارى، وللعصمة بين اليهودية والنصرانية والإسلام،ولخوارق العادات وأنواعها بـــين الـــيهودية والنصرانية والإسلام، ولموازنات لمصدر خوارق العادات وخصوصيتها في الإسلام، ولمصدر العجائب وخصوصيتها في اليهودية والنصرانية و تقييم وموازنات لبعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وموازنات بين القرآن الكريم المعجز وبين الكتاب المقدس المتداول في هذه الأيام .

والله عز وجل هو الموفق لما يحبه ويرضاه وبه نستعين .

المبحث الأول: موقف المسلم من أنبياء بني إسرائيل

يتحدد موقف المسلم من الأنبياء عليهم السلام في الأمور آلاتية:

١-أنبياء ورد ذكرهم في القرآن والتوراة معا بالاسم والصفة، فالمسلم يؤمن بهم بصفتهم المذكورة في القرآن وينكر تماما الصفات التي تنتقص من قدرهم التي نسبها إليهم اليهود في توراتهم،وهم :آدم، إدريس (أخنوخ)، نوح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، داود، سليمان، إلياس(إيليا) ، أيوب، وشعيب(يثرون)، يونس(يونان) عليهم الصلاة والسلام ٠

٢- أنبياء ورد ذكرهم في التوراة وهم:إرميا، إشعياء، دانيال، حزقيال، وصموئيل[547]٠

ولم يرد ذكرهم في القرآن، ونحن نفوض أمرهم إلى الله تعالى ولا نصدق أهل الكتاب ولا نكذبهم فيهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَءُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ و ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦ " [548] ٠

ونحن نؤمن بأن الله تعالى قد أرسل رسلا وأنبياء لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم، وهذا ما نبه إليه القرآن الكريم، ولكن لا نثبت النبوة لأحد إلا بدليل من الكتاب أو السنة المطهرة[549] ٠

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ ﴾

النساء: ١٦٤ – ١٦٥

٣-أنبياء لم يرد ذكرهم في التوراة وورد ذكرهم في القرآن وأنكر اليهود نبوتهم وهم:

صالح ، هود، عيسى عليهم السلام، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم صلى الله عليهم وسلم نؤمن بهم جميعا ونكذب أهل الكتاب في إنكارهم لنبوتهم[550] ٠

---

[547]-انظر شلبي، د. أحمد، اليهودية، القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٩٧م،ص١٦٧-١٧٢ ٠

[548]- رواه البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، اليمامة – بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، ج٦/ص٢٧٤٢ / رقم الحديث ٧١٠٣ ٠

[549]- الأشقر، د.عمر سليمان، الرسل والرسالات،الكويت،مكتبة الفلاح،ط٣ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م،ص٢٦ ٠

[550]- انظر صالح، د. سعد الدين السيد،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ص٣٤٣،والباش، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة- دمشق، الطبعة الثانية،٢٠٠٢م، ج٢ /ص١٢٣ ولكنه خالف في اعتبار نبوة بعض الأنبياء عند اليهود الذين لم تصرح التوراة بنبوتهم بشكل مباشر مع ورود ذكر لهم في التوراة وهم: إسماعيل،لوط،ويونس عليهم السلام ٠

المبحث الثاني : الفارق بين النبوة عند المسلمين والنبوة عند اليهود ٠

تعد النبوة في الإسلام تكليفا ربانيا غير مكتسبة، وهي مسؤولية كبرى لا يقوم بأعبائها إلا الصفوة المختارة من البشر يختارهم المولى ويصطفيهم لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وهذا ما أكدته الآيات الكريمة بشكل قاطع٠

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ الحج: ٧٥

والإسلام يوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام قَالَ تَعَالَى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٥

فالمسمون على يقين من لزوم العصمة للأنبياء عليهم السلام وما ينسب لهم من أخطاء فهي من باب خلاف الأولى ولا يقرون عليها حيث يأتي الوحي مصححا لها ٠

من الأمور التي يمكن من خلالها أن يظهر الفارق بين النبوة عند المسلمين والنبوة عند اليهود ما يلي:

١-النـــبوة في اليهودية للنسل وهي تنتقل من نبي إلى نبي بالبركة والبكورية ويمكن الخداع في ذلك كما سبق بيانه من ادعاء العهد القديم ذلك ليعقوب عليه السلام؛ لأنها إحدى هبات الإله لجماعة بني إسرائيل التي لم تتخلص من الوثنية على الرغم من كثرة تتابع بعثة الأنبياء فيهم ٠

بينما النبوة عند المسلمين اصطفاء وهي منتهية بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم فلا نبي بعده حيث ختم الله تعالى ببعثته النبيين والمرسلين الذين بعثوا قبله٠

٢-التاريخ الذي يقدمه العهد القديم للأنبياء عليهم السلام هو تاريخ خاص باليهود وحدهم مع اختلاف أزمنة بعثتهم فهم يختصون بالحديث عن أرض المعاد وبالجنس اليهودي وباللغة العبرية٠

بينما السيرة التي يقدمها الإسلام للأنبياء عليهم السلام فهي سيرة عامة لكل الأنبياء والمرسلين على اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم وأجناسهم ولغاتهم ٠

٣-أســـفار العهد القديم تناولت قصص الأنبياء بصورة مفردة متسلسلة ومترابطة الحوادث، كما تفعل كتب التاريخ ولهدف تأريخي بحت٠

بينما في الإسلام تعرض مواطن العبرة والعظة من قصص الأنبياء وحتى لو كانت القصة متسلسلة الأحداث كقصة يوســف عليه السلام، كما يبرز الجانب الدعوي من جهد الأنبياء عليهم السلام بشكل مستفيض في كتاب الله تعالى وكذا الكشف عن جوانب الانحراف في الأمم وبيان سبل إصلاحها .

أضف إلى ذلك إسقاط العهد القديم لذكر نبوة أنبياء ورد ذكرهم في القرآن الكريم كهود وصالح عليهما الصلاة والسلام، فمثلا يجد المتتبع لقصة هود عليه الصلاة والسلام مع قومه عاد في القرآن الكريم جملة من أساليب الدعوة إلى الله تعالى منها ما يلي:

أ-عــدم مقابلة الإساءة بالإساءة فهو يهضم حق نفسه ويتلطف مع قومه بالتي هي أحسن ويظهر ذلك في رده على رميهم له بالسفاهة .

ب-لفت نظر قومه إلى نعم الله تعالى عليهم وحرصه على ترغيبهم في الإيمان وأنه لا يبتغي أجرا منهم على دعوته .

ج- إلزامهم بالحجة بتحديه لهم عندما اتهموه بالجنون لاعتقادهم أن الحجارة تضر وتنفع، فهو لم يستسلم أمام خصومه وإن كانوا كثر؛ لأنه على الحق المبين[551] .

ولكــن أساليب دعوة الأنبياء إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة مغيب ذكرها في اليهودية حتى لكثير من الأنبياء الذين ورد لهم ذكر في نصوص العهد القديم .

كمـــا ينبغي الفصل بين ما يعرضه العهد القديم من سيرة الأنبياء، وبين ما قرره القرآن الكريم بحق المرسلين عليهم الـــسلام حتى إن تشابهت بعض أسماء الأنبياء بين العهد القديم والقرآن الكريم، فصفات موسى عليه السلام في التوراة تتمثل في القيادة الحربية لبني إسرائيل ليمثل بطلا قوميا خاصا بهم ، وهذا ما لا يقره القرآن الكريم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٨

(وديفيد)في التوراة قاطع الطريق والملك الظالم هو غير داود الذي ذكرت سيرته العطرة في القرآن الكريم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص: ١٧ - ٢٠

551- انظر النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء، ص٧٧-٧٨ .

٤- النبوة في الإسلام هي تكليف إلهي لمهام محددة، وليست تعليما دينيا خاصا يتحدث باسم الميثاق أو العهد مع الإله ويخبر عنه وعن خفايا مقاصده وعن الأمور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن والأقدار[552].

٥-ومن الأمور التي يمكن أن نميز بها النبوة في الإسلام من خلال النظر في وجهة خوارق العادات أن النبوة في الإسلام ثبتت في معجزة معنوية-معجزة القرآن الكريم- وهي باقية مشاهدة متلوة ومسموعة وهي عامة للإنس والجن وفيها وقع التحدي ولا يزال إلى قيام الساعة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

البقرة: ٢٣ - ٢٤

بينما ثبتت نبوة كل من تقدم من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بمعجزات مادية انقضت في حدود زمانها ولم يُعْنَ بها إلا الذين اختصت بهم، ولقد حصل منها الكثير للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بحيث إنها تنوعت فيها معالم الأدلة لتيسير سبل الهداية للخلق، لا للانتقام وإبادة الآخرين.

٦-للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام صفات ضرورية في الإسلام فهم يتصفون بالذكورة وهم الأمناء على تبليغ دين الله تعالى الذين لا يقترفون الكبائر والتي أخطرها الإشراك بالله تعالى، وهم يتصفون كذلك برجاحة العقل وكمال الضبط والعدالة وعلو الهمة، مع أنهم بشر يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق، وهم متبعون لما يوحى لهم[553].

بينما النبوة في اليهودية مراتب تعتمد على خيال الأنبياء وقدراتهم العقلية على التنبؤ، ويتكيف الوحي عندهم على حسب مزاج الأنبياء من فرح وغضب وغير ذلك مما يوحي بقصور نظرتهم للأنبياء على حدود قياسها على المنامات البشرية التي تؤثر على النفوس إيجابا أو سلبا، فلا رواية متصلة للأنبياء عند اليهود عن الوحي الإلهي تفيد اليقين تم نقلها بسند متصل عن أنبيائهم إلى عهد تدوين عهدهم القديم.

و لفظة نبي في العبراني لا أصل لاشتقاقها في اللغة العبرية، وهناك أكثر من رأي لمحاولة إثبات أصل اشتقاقها، والنبوة في الفكر اليهودي لفظة متأخرة الظهور حسب ما جاء في سفر صموئيل الأول٩:٩ "٩سابِقًا في إسرائيلَ هكذا كانَ يقولُ الرَّجُلُ عِندَ ذَهابِهِ لِيَسألَ اللهَ:"هَلُمَّ نَذهَبْ إلَى الرّائي". لأنَّ النَّبيَّ اليومَ كانَ يُدعَى سابِقًا الرّائيَ".

552- انظر المسيري، عبد الوهاب محمد،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، ص١١٥-١١٧.

553-انظر البوطي،محمد سعيد رمضان،كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق،دمشق-سوريا،دار الفكر،ط٩، ١٤١١هـ-١٩٩٢م، ص٢٠٢-٢٠٥.

بينما القرآن الكريم يثبت النبوة بالمعنى الصحيح بشكل صريح لموسى عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ مريم: ٥١

وأحيانا يأتي التعبير عن النبي برجل الله في اليهودية، كما في ١ملوك ٢٤ "٢٤فقالَتِ المَرأةُ لإيليّا: "هذا الوقتَ عَلِمتُ أنَّكَ رَجُلُ اللهِ، وأنَّ كلامَ الربِّ في فمكَ حَقٌّ".

وفي هـذا النص السابق تأكيد على لزوم الوحي لكل ما يبلغه النبي(رَجُلُ اللهِ)عن ربه في اليهودية: "كلامَ الربِّ في فمِكَ حَقٌّ" .

وهذا ما يؤكده الإسلام في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ – ٤ .

المبحث الثالث: تقييم لمفهوم النبوة عند النصارى .

ومع أن النصارى يؤمنون بأنبياء بني إسرائيل وإنجيلهم يذكر بعض العبر من سيرهم و لم يسردها سردا تاريخيا كما هو الحال في التوراة إلا أنهم جعلوا من أقوالهم في التوراة ما يخدم التنبوات بشأن المسيح عليه السلام، وأنه سيأتي بصفتيه الإلهية والبشرية، وهم ينسبون المسيح بنسب بشري ينتهي لإبراهيم عليه السلام، فالتوراة تعتبر في نظرهم امتدادا سابقا للمسيح عليه السلام، ولذلك تشكل مفهوما مشوشا للنبوة في النصرانية .

وفي ذلك إسراف وغلو من النصارى في فهمهم للنبوة حيث زعموا أنها تحمل الكلمة التي تصنع المعجزات، والكلمة الحية هي التي تعين وتحدد وقت حصول الحادث في ميعاده المحدد له .

فهذا الكلام يرفضه القرآن الكريم بشكل جذري حيث يقرر أن المعجزات لا تكون إلا بإذن الله تعالى وحده لا شريك له يجريها على أيدي الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم من الخلق .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ الرعد: ٣٨ .

المبحث الرابع: تقييم للعصمة بين اليهودية والنصرانية والإسلام

لم يُقم العهد القديم أي ضابط للعصمة سواء كان لنبي مرسل أم غير مرسل ولا أدل على ذلك من نسبة الزنا للوط عليه السلام بابنتيه التي يتورع عن ذكرها أفجر الخلق، ولكنها حفظت في توراة اليهود لتشهد على قبح إفكهم وشناعة جرمهم، ولو كان لديهم ذرة من حياء لما وجدت في عهدهم القديم حتى الآن .

وذلك في سفر التكوين١٩: ٣١-٣٨ ما نصه:" ٣١وقالَتِ البِكرُ للصَّغيرَةِ:"أبونا قد شاخَ، وليس في الأرضِ رَجُلٌ لِيَدخُلَ علَينا كعادَةِ كُلِّ الأرضِ.٣٢هَلُمَّ نَسقي أبانا خمرًا ونَضطَجِعُ معهُ، فنُحيي مِنْ أبينا نَسلاً".٣٣فسَقَتا أباهُما خمرًا في تلكَ اللَّيلَةِ، ودَخَلَتِ البِكرُ واضطَجَعَتْ مع أبيها، ولم يَعلَمْ باضطِجاعِها ولا بقيامِها.٣٤وحَدَثَ في الغَدِ أنَّ البِكرَ قالَتْ للصَّغيرَةِ:"إنِّي قد اضطَجَعتُ البارِحَةَ مع أبي. نَسقيهِ خمرًا اللَّيلَةَ أيضًا فادخُلي اضطَجِعي معهُ، فنُحييَ مِنْ أبينا نَسلاً".٣٥فسَقَتا أباهُما خمرًا في تلكَ اللَّيلَةِ أيضًا، وقامَتِ الصَّغيرَةُ واضطَجَعَتْ معهُ، ولم يَعلَمْ باضطِجاعِها ولا بقيامِها، ٣٦فحَبِلَتِ ابنتا لوطٍ مِنْ أبيهِما.٣٧فوَلَدَتِ البِكرُ ابنًا ودَعَتِ اسمَهُ "موآبَ"، وهو أبو الموآبيِّينَ إلَى اليومِ.٣٨والصَّغيرَةُ أيضًا ولَدَتِ ابنًا ودَعَتِ اسمَهُ "بنْ عَمِّي"، وهو أبو بَني عَمّونَ إلَى اليومِ" .

وبالنسبة للنصرانية لا يوجد فيها أنبياء، وإنما فيها ما يسمى بالقديسين، وهم يعتبرون عند النصارى رسل المسيح عليه السلام فبولص رسول، ويوحنا رسول، ومتى رسول، وهم تجري على أيديهم بعض الخوارق في معتقد النصارى . والأناجيل تتصادم بنصوص قاطعة مع عصمة الأنبياء عليهم السلام إذ تعتبر كل من أتوا قبل المسيح عليه السلام من النبيين والمرسلين (وحاشاهم) إنما هم سراق ولصوص بلا استثناء .

فقد ورد في يوحنا ١٠: ٧ "٧فقالَ لهُم يَسوعُ أيضًا: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لكُم: إنِّي أنا بابُ الخِرافِ.٨جميعُ الّذينَ أتَوْا قَبلي هُم سُرّاقٌ ولُصوصٌ" .

وبذلك يصور هذا الإنجيل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بصفات تتعارض مع عصمة الأنبياء والمرسلين وحاشاهم أن يكونوا سراقا ولصوصا فهم أطهر الخلق وأزكاهم معدنا، وما نسبه النصارى للأنبياء عليهم السلام في إنجيلهم هذا نقطع بأنه مفترى؛ لأنه في الإسلام يتعارض مع النقل والعقل، فقد أنصف القرآن الكريم القول في المرسلين المصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ المائدة: ٧٥

أما في الإسلام فالنبي معصوم له صحابة من البشر ، وهم إن ظهرت لهم بعض الخوارق فهي كرامات وليست معجزات كما يزعم النصارى، والخوارق يظهرها الله تعالى على أيدي الأولياء من المسلمين كدليل على صدق متابعتهم للنبي، وهي لا تمنح بقوة من ذات النبي كما يزعم النصارى بالنسبة لرسلهم .

والعصمة في الإسلام تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من عباده رسلا واختارهم لتبليغ أوامره واجتناب نواهيه لمن بعثوا فيهم، ونزههم عن فعل السيئات، وعصمهم عن المعاصي صغيرها وكبيرها، وحلاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والتفاني في الحق وحسن أدائه، وهم إن تفاوتوا في الفضل والمترلة إلا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحي والصلة بالله تعالى .

ولو لم يكونوا كما أراد الله تعالى لهم لسقطت هيبتهم من القلوب، ولصغر شأنهم في أعين الناس .

ومن لوازم العصمة في الإسلام أن ما يحصل من أخطاء بشرية من الأنبياء والمرسلين قبل النبوة لا يتنافى مع العصمة فهي تؤكد بشرية الرسل عليهم السلام؛ كما أن العصمة لا تشترط للنبي إلا بعد ثبوت النبوة له [554]، و أن معاصي الأنبياء لا تورث للذرية من بعدهم فيظهر بذلك زيف زعم النصارى بالنسبة لوراثة البشرية للخطيئة الناتجة عن أكل آدم عليه السلام من الشجرة؛ فهي معصية خاصة به وحده عليه السلام فعلها ناسيا وقد تاب الله تعالى عليه منها بل واجتباه أيضا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ طه: ١٢١ - ١٢٢

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٤

[554]– انظر ابن حمير، تتريه الأنبياء، ص ١٠٠ .

المطلب الأول: الإرهاص

لا نلمس ما يشير للإرهاص كنوع من أنواع خوارق العادات عند اليهود أو النصارى؛ فلذلك يعد الكلام عن هذا النوع من الخوارق أصيل ذكره في الإسلام حيث لم يشر إليه قبلهم أحد من الأمم مع العلم أنه يمكن أن نلمس مثلا في العهد القديم بعض أحداث ذكرت تمثل إرهاصات فيها شيء من الموافقة لما هو عند المسلمين، ومن ذلك نجاة نبي الله موسى عليه السلام من الغرق في اليم حيث ورد في خروج١ :١- ١٠" ١وذَهَبَ رَجُلٌ مِنْ بَيتِ لاوي وأخَذَ بنتَ لاوي،٢فحَبِلَتِ المَرأةُ ووَلَدَت ابنًا. ولَمّا رأتهُ أنَّهُ حَسَنٌ، خَبّأتهُ ثَلاثَةَ أشهُرٍ.٣ولَمّا لم يُمكِنها أنْ تُخَبِّئَهُ بَعدُ، أخَذَتْ لهُ سفَطًا مِنَ البَرديِّ وطَلَتهُ بالحُمَرِ والزِّفتِ، ووَضَعَتِ الوَلَدَ فيهِ، ووَضَعَتهُ بَينَ الحَلفاءِ علَى حافَةِ النَّهرِ.٤ووَقَفَتْ أُختُهُ مِنْ بَعيدٍ لتَعرِفَ ماذا يُفعَلُ بهِ.٥فنَزَلَت ابنَةُ فِرعَونَ إلَى النَّهرِ لتَغتَسِلَ، وكانتْ جَواريها ماشياتٍ علَى جانِبِ النَّهرِ. فرأتِ السَّفَطَ بَينَ الحَلفاءِ، فأرسَلَتْ أمَتَها وأخَذَتهُ.٦ولَمّا فتحَتهُ رأتِ الوَلَدَ، وإذا هو صَبيٌّ يَبكي. فرَقَّتْ لهُ وقالَتْ:"هذا مِنْ أولادِ العِبرانيِّينَ".٧فقالَتْ أُختُهُ لابنَةِ فِرعَونَ:"هل أذهَبُ وأدعو لكِ امرأةً مُرضِعَةً مِنَ العِبرانيّاتِ لتُرضِعَ لكِ الوَلَدَ؟".٨ فقالَتْ لها ابنَةُ فِرعَونَ: "اذهَبي". فذَهَبَتِ الفَتاةُ ودَعَتْ أُمَّ الوَلَدِ.٩فقالَتْ لها ابنَةُ فِرعَونَ:"اذهَبي بهذا الوَلَدِ وأرضِعيهِ لي وأنا أُعطي أُجرَتَكِ". فأخَذَتِ المَرأةُ الوَلَدَ وأرضَعَتهُ.١٠ولَمّا كبِرَ الوَلَدُ جاءَتْ بهِ إلَى ابنَةِ فِرعَونَ فصارَ لها ابنًا، ودَعَتِ اسمَهُ "موسَى" وقالَتْ:"إنّي انتَشَلتُهُ مِنَ الماءِ".

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ طه: ٣٨ – ٤٠

فهذه الأحداث تمثل لإرهاصات نبوية تتعلق بنبي الله تعالى موسى عليه السلام توافقت في جوانب من تفاصيلها مع ما هـو مذكور في القرآن الكريم ، وإن كان اليهود لا يصطلحون على تسميتها بالإرهاص كما هو مصطلح عليه عند المسلمين .

المطلب الثاني: المعجزة

في الإسلام تختص المعجزة بالنبي بعد تكليفه بالنبوة يظهرها الله تعالى على يديه بإذنه عز وجل كدليل من الأدلة على صـــدق نبوته وصحة رسالته، ولا يشاركه فيها أحد من الخلق مهما كانت منزلته فضلا عن أن يستقل بالقدرة على إجرائها وحده من ذاته .

أمـــا اليهود لا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن الغاية والمقصد الحقيقي من وراء إجراء المعجزة كي لا يظهر التفسير الصحيح لمفهوم الخارق للعادة الذي يقيم عليهم الحجة ويلزمهم بالاستقامة على أمر الله تعالى .

ونحن لا نوافق النصارى على معتقدهم في المعجزة؛ لأن المعجزة ترتبط بإذن الله تعالى وأمره أي بالإرداة الإلهية، وليس بالقـــوة المتسلطة على الطبيعة كما يزعم النصارى، كما أن المعجزة خارقة للعادة وليس لها مصادمة مع الطبيعة؛ لأن الطبـــيعة لا تؤثر بالأشياء من تلقاء ذاتها فهي خلق من جملة خلق الله تعالى يصرفها كيف يشاء، وهي مسبحة عابدة لمبدعها الله عز وجل .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤٤

والـــثابت من نواميس الكون عندما يُخرق بمعجزة تثبت صدق نبوة نبي مرسل من عند الله تعالى يكون للمعجزة من القـــيود والـــضوابط وقرائن الأحوال التي تخرجها عن كل ما يسمى بخارق للعادة، وبالتالي لا تتعدى المعجزة حدود الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى سواهم من البشر ولو كانوا قديسين أو غيرهم .

المطلب الثالث: الكرامة

فقد أجرى الله تعالى على أيدي بعض عباده خوارق للعادة، وتكون تلك الأمور إكراما لصلاحهم وقوة إيمانهم أو سدا لحاجتهم،كالحاجة للطعام والشراب والأمن والتخلص من ضر الأعداء، وقد يعطيهم المولى تلك الكرامات نصرة لدينه ولرفعة كلمته وغلبتها .

ومن ذلك الفاكهة التي كان يجدها زكريا عليه السلام عند مريم عليها السلام مما قصه القرآن الكريم .

والكرامة كنوع من أنواع خوارق العادات لا حديث لليهود والنصارى عنها بشكل مستقل؛ ولذلك بالإمكان تفسير بعـــض المعجزات عندهم بأنها كرامات من وجهة نظر المسلمين كونها لم تقع على أيدي أنبياء ومرسلين من عند الله تعالى، ومن ذلك مثلا ما يلي:

١- خـــلاص شـــدرخ وميشخ وعبدنغو من اتون النار، ورد خبر ذلك في سفر دانيال: ٣: ١٤-٣٠ "١٤فأجابَ
نَبوخَذنَصَّرُ وقالَ لهُم:"تعَمُّدًا يا شَدرَخُ وميشَخُ وعَبدَنَغوَ لا تعبُدونَ آلِهَتي ولا تسجُدونَ لِتمثالِ الذَّهَبِ الذي نَصَبتُ!
١٥فإنْ كُنتُمُ الآنَ مُستَعِدِّينَ عندما تسمَعونَ صوتَ القَرنِ والنّايِ والعودِ والرباب والسِّنطيرِ والمِزمارِ وكُلِّ أنواعِ العَزفِ
إلَى أنْ تخِرّوا وتسجُدوا للتِّمثالِ الذي عَمِلتُهُ. وإنْ لم تسجُدوا ففي تِلكَ السّاعَةِ تُلقَونَ في وسَطِ أتونِ النّارِ المُتَّقِدَةِ. ومَنْ
هـــو الإلَهُ الذي يُنقِذُكُمْ مِنْ يَدَيَّ؟".١٦فأجابَ شَدرَخُ وميشَخُ وعَبدَنَغوَ وقالوا للمَلِكِ:"يا نَبوخَذنَصَّرُ، لا يَلزَمُنا أنْ
نُجيـــبَكَ عن هذا الأمرِ.١٧هوذا يوجَدُ إلَهنا الذي نَعبُدُهُ يستطيعُ أنْ يُنَجّيَنا مِنْ أتونِ النّارِ المُتَّقِدَةِ، وأنْ يُنقِذَنا مِنْ يَدِكَ
أيُّها المَلِكُ.١٨وإلا فليَكُنْ مَعلومًا لكَ أيُّها المَلِكُ، أنَّنا لا نَعبُدُ آلِهَتَكَ ولا نَسجُدُ لِتمثالِ الذَّهَبِ الذي نَصَبتَهُ".١٩حينَئذٍ
امتَلأَ نَبوخَذنَصَّرُ غَيظًا وتغَيَّرَ مَنظَرُ وجهِهِ علَى شَدرَخَ وميشَخَ وعَبدَنَغوَ، فأجابَ وأمَرَ بأنْ يَحموا الأتونَ سبعَةَ أضعافٍ
أكثَرَ مِمّا كانَ مُعتادًا أنْ يُحمَى.٢٠وأمَرَ جَبابِرَةَ القوَّةِ في جَيشِهِ بأنْ يوثِقوا شَدرَخَ وميشَخَ وعَبدَنَغوَ ويُلقوهُمْ في أتونِ
النّارِ المُتَّقِدَةِ.٢١ثُمَّ أوثِقَ هؤلاءِ الرِّجالُ في سراويلِهِمْ وأقمِصَتِهِمْ وأرديَتِهِمْ ولباسِهِمْ وأُلقوا في وسَطِ أتونِ النّارِ المُتَّقِدَةِ.
٢٢ومِـــنْ حَـــيثُ إنَّ كلِمَةَ المَلِكِ شَديدَةٌ والأتونَ قد حَميَ جِدًّا، قَتَلَ لهيبُ النّارِ الرِّجالَ الذينَ رَفَعوا شَدرَخَ وميشَخَ
وعَـــبدَنَغوَ.٢٣وهؤلاءِ الثَّلاثَةُ الرِّجالِ، شَدرَخُ وميشَخُ وعَبدَنَغوَ، سقَطوا موثَقينَ في وسَطِ أتونِ النّارِ المُتَّقِدَةِ.٢٤حينَئذٍ
تحَيَّرَ نَبوخَذنَصَّرُ المَلِكُ وقامَ مُسرِعًا فأجابَ وقالَ لمُشيريهِ:"ألَمْ نُلقِ ثَلاثَةَ رِجالٍ موثَقينَ في وسَطِ النّارِ؟" فأجابوا وقالوا
للمَلِكِ:"صَحيحٌ أيُّها المَلِكُ".٢٥أجابَ وقالَ:"ها أنا ناظِرٌ أربَعَةَ رِجالٍ مَحلولينَ يتَمَشَّونَ في وسَطِ النّارِ وما بهِمْ ضَرَرٌ،
ومَنظَرُ الرّابِعِ شَبيهٌ بابنِ الآلِهَةِ".٢٦ثُمَّ اقتَرَبَ نَبوخَذنَصَّرُ إلَى بابِ أتونِ النّارِ المُتَّقِدَةِ وأجابَ، فقالَ:"يا شَدرَخُ وميشَخُ
وعَبدَنَغو، يا عَبيدَ اللهِ العَليِّ، اخرُجوا وتعالَوا". فخرجَ شَدرَخُ وميشَخُ وعَبدَنَغو مِنْ وسَطِ النّارِ.٢٧فاجتَمَعَتِ المَرازِبَةُ
والشِّحَنُ والوُلاةُ ومُشيرو المَلِكِ ورأوا هؤلاءِ الرِّجالَ الذينَ لم تكُنْ للنّارِ قوَّةٌ علَى أجسامِهِمْ، وشَعرَةٌ مِنْ رؤوسِهِمْ لم
تحتَـــرِقْ، وسَـــراويلُهُمْ لم تتغَيَّرْ، ورائحَةُ النّارِ لم تأتِ علَيهِمْ.٢٨فأجابَ نَبوخَذنَصَّرُ وقالَ:"تبارَكَ إلَهُ شَدرَخَ وميشَخَ
وعَـــبدَنَغوَ، الذي أرسَلَ مَلاكَهُ وأنقَذَ عَبيدَهُ الذينَ اتَّكَلوا علَيهِ وغَيَّروا كلِمَةَ المَلِكِ وأسلَموا أجسادَهُمْ لكَيلا يَعبُدوا أو
يَسجُدوا لإلَهٍ غَيرِ إلَهِهِمْ.٢٩فمِنّي قد صَدَرَ أمرٌ بأنَّ كُلَّ شَعبٍ وأُمَّةٍ ولسانٍ يتَكَلَّمونَ بالسّوءِ علَى إلَهِ شَدرَخَ وميشَخَ

وعَـــبدَنَغوَ، فإنَّهُمْ يُصَيَّرونَ إربًا إربًا، وتُجعَلُ بُيوتُهُمْ مَزبَلَةً، إذ ليس إلَهٌ آخَرُ يستطيعُ أنْ يُنَجِّيَ هكذا".٣٠حينَئذٍ قَدَّمَ المَلِكُ شَدرَخَ وميشَخَ وعَبدَنَغوَ في وِلايَةِ بابِلَ" .

فهذه إن صحت فهي بكل تأكيد كرامة لأهل الصلاح والله تعالى أعلم .

٢- بطرس يشفي الشحاذ الأعرج ٣ :١- ١٢" ١ وصَعِدَ بُطرُسُ ويوحَنَّا مَعًا إلى الهَيكَلِ في ساعَةِ الصَّلاةِ التّاسِعَةِ.٢ وكانَ رَجُلٌ أعرَجُ مِنْ بَطنِ أُمِّهِ يُحمَلُ، كانوا يَضَعونَهُ كُلَّ يومٍ عِندَ بابِ الهَيكَلِ الّذي يُقالُ لهُ "الجَميلُ" ليَسألَ صَدَقَةً مِـــنَ الّذينَ يَدخُلونَ الهَيكَلَ.٣فهذا لَمّا رأى بُطرُسَ ويوحَنّا مُزمِعَينِ أنْ يَدخُلا الهَيكَلَ، سألَ ليأخُذَ صَدَقَةً.٤فتفَرَّسَ فيهِ بُطـــرُسُ مَـــع يوحَنّا، وقالَ: "انظُرْ إلَينا!"٥فلاحَظَهُما مُنتَظِرًا أنْ يأخُذَ مِنهُما شَيئًا.٦فقالَ بُطرُسُ: "ليس لي فِضَّةٌ ولا ذَهَـــبٌ، ولكن الّذي لي فإيّاهُ أُعطيكَ: باسمِ يَسوعَ المَسيحِ النّاصِريِّ قُمْ وامشِ!".٧وأمسَكَهُ بيَدِهِ اليُمنَى وأقامَهُ، ففي الحـــالِ تشَدَّدَتْ رِجلاهُ وكعباهُ،٨فوَثَبَ ووَقَفَ وصارَ يَمشي، ودَخَلَ معهُما إلى الهَيكَلِ وهو يَمشي ويَطفُرُ ويُسَبِّـــحُ اللهَ.٩وأبـــصَرَهُ جميعُ الشَّعبِ وهو يَمشي ويُسَبِّـــحُ اللهَ.١٠وعَرَفوهُ أنَّهُ هو الّذي كانَ يَجلِسُ لأجلِ الصَّدَقَةِ على بابِ الهَـــيكَلِ الجَمـــيلِ، فامتَلأوا دَهشَةً وحَيرَةً مِمّا حَدَثَ لهُ.١١وبَينَما كانَ الرَّجُلُ الأعرَجُ الّذي شُفيَ مُتَمَسِّكًا ببُطرُسَ ويوحَـــنّا، تراكَضَ إليهِمْ جميعُ الشَّعبِ إلى الرِّواقِ الّذي يُقالُ لهُ "رِواقُ سُلَيمانَ" وهُم مُندَهِشونَ.١٢فلَمّا رأى بُطرُسُ ذلـــكَ أجابَ الشَّعبَ: "أيُّها الرِّجالُ الإسرائيليّونَ، ما بالُكُمْ تتعَجَّبونَ مِنْ هذا؟ ولماذا تشخَصونَ إلَينا، كأنَّنا بقوَّتِنا أو تقوانا قد جَعَلنا هذا يَمشي؟" .

فعلى الرغم من بعض المخالفات الصريحة التي تحملها القصة كقوله: "باسمِ يَسوعَ المَسيحِ النّاصِريِّ قُمْ وامشِ" لكنها تحمل إقرارا صريحا بعدم رد ما حصل لقوة ذاتية" كأنَّنا بقوَّتِنا أو تقوانا قد جَعَلنا هذا يَمشي"، فهو لا يملك الشفاء وما حـــدث على فرض صحته فيمكن حمله على أنه من باب الكرامات التي حصلت له وليس أكثر من ذلك والله تعالى أعلم .

المبحث السادس: تقييم لمصدر خوارق العادات وخصوصيتها

المطلب الأول: تقييم لمصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند المسلمين

جاء صريح الآيات الكريمة ليبين للناس أن مصدر خوارق العادات إنما ينحصر في كونها من عند الله تعالى، فلا قدرة لأحـــد من الخلق على إجراء الخارقة؛ لأنه قد تقرر بأن الآيات لا تظهر إلا بإذن الله تعالى وحده لا شريك له وبأمره تعالى وهذا ما أكدته الآيات الكريمة .

قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٩

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٠

وبـــذلك يكون الإسلام قد رفع الحصانة عن معتقدات الأمم السابقة المتعلقة بمصدر خوارق العادات وخصوصيتها التي زعمت نسبة شيء من الخوارق لقدرات البشر الذاتية .

والخوارق في الإسلام مختصة بما هو:

١-مقدمات تؤسس لنبوة نبي اختصه الله تعالى بالنبوة وهي ما تسمى عندها بالإرهاصات .

٢- وبمـــا يكـــون معجزات وهي تعتبر دليل على وحدانية الله تعالى، وعلى صدق صحة نبوة الأنبياء عليهم السلام وصدق ما أتوا به من عند الله تعالى؛ وبذلك تقام الحجة على من بعثوا فيهم .

٣-وقد يخص الله تعالى بالخارقة بعض أوليائه من أهل التقوى والإيمان فتكون كرامة لهم من الله تعالى .

٤-وقد يخص المولى عز وجل بالخارقة بعض العوام تخليصا لهم من شدة و هي ما تسمى بالمعونة .

٥-وإما أن تكون الخارقة لأجل بيان كذب من ادعى النبوة من المتنبئين وهذه ما تسمى بالإهانة.

٦- وإما أن يخص الله تعالى بالخارقة من ادعى الألوهية لبيان عظيم فريته وسوء عاقبته وهو ما يسمى بالاستدراج.

وأمر الخوارق في الإسلام يتصل بعلم الغيب الذي اختص بعلمه الله تعالى فلا يطلع عليه أحد إلا بأمر الله تعالى وإذنه عز وجل.

المطلب الثاني: تقييم لمصدر العجائب وخصوصيتها عند اليهود

الحــديث عن مصدر خوارق العادات وخصوصيتها عند اليهود اتخذ محاور أربعة وهي: الخوارق التي مصدرها الله تعــالى نفسه، الخوارق التي تجريها الملائكة،الخوارق التي تظهر على أيدي الأنبياء وأهل الصلاح،والخوارق التي تجريها قوى الشر .

وقد توسع أهل الكتاب في اطلاق لفظ المعجزة على الخلق والإبداع للمخلوقات؛ فللمعجزة قيودها وشرائطها التي تميزها عن غيرها من الخوارق والآيات الكونية وأمور الخلق للأشياء من عدم هي مختصة بالخلاق العليم بديع السموات والأرض وما بينهما الله رب العالمين .

إن اليهود بأمس الحاجة إلى منهجية شاملة تضبط المعايير المعتبرة لخوارق العادات في اليهودية بحيث لا تخرج عن الــضوابط المعتبرة عند المحققين من أهل العلم، وعندها تخضع تلك الروايات التي يدعون فيها ثبوت أمر خارق للعادة لتمحيص دقيق فتتجلى خصوصية كل رواية ومدى صلاحيتها لأن توصف بأنها تثبت خارقة أم لا .

لأنه إذا جاز أن يأتي نبي كاذب بالمعجزات وأمكن أن يكذب النبي الصادق فيما ينذر به وأمكن أن يعمل السحرة مثل شيء من آيات نبي فقد امتزج الحق بالباطل و لم يكن إلى تمييز أحدهما من الآخر طريق أصلاً وهذا إفساد الحقائق وإبطال موجب الحق وتكذيب الحواس[555] .

والمعجزة في اليهودية لم تختص بالرجال وحدهم بل تعدتهم حتى للنساء فمن ذلك:

١- معجــزة بئر هاجر في تكوين ٢١: ١٤-٢١ "١٤فبَكَّرَ إبراهيمُ صباحًا وأخَذَ خُبزًا وقِربَةَ ماءٍ وأعطاهُما لهاجَرَ، واضِــعًا إيّاهُما علَى كتِفِها، والوَلَدَ، وصَرَفَها. فمَضَتْ وتاهَتْ في بَرِّيَّةِ بئرِ سبعٍ.١٥ولَمّا فرَغَ الماءُ مِنَ القِربَةِ طَرَحَتِ الــوَلَدَ تحــتَ إحدَى الأشجارِ،١٦ومَضَتْ وجَلَسَتْ مُقابِلهُ بَعيدًا نَحوَ رَميَةِ قَوسٍ، لأنَّها قالَتْ:"لاأنظُرُ موتَ الوَلَدِ". فجَلَسَتْ مُقابِلهُ ورَفَعَتْ صوتَها وبَكَتْ.١٧فسَمِعَ اللهُ صوتَ الغُلامِ، ونادَى مَلاكُ اللهِ هاجَرَ مِنَ السماءِ وقالَ لها:"ما لكِ ياهاجَرُ؟ لا تخافي، لأنَّ اللهَ قد سمِعَ لصوتِ الغُلامِ حَيثُ هو.١٨قومي احمِلي الغُلامَ وشُدّي يَدَكِ بهِ، لأنّي سأجعَلُهُ أُمَّةً عظيمَةً".١٩وفَتَحَ اللهُ عَينَيها فأبصَرَتْ بئرَ ماءٍ، فذَهَبَتْ ومَلأتِ القِربَةَ ماءً وسقَتِ الغُلامَ.٢٠وكانَ اللهُ مع الغُلامِ فكبِرَ، وسكَنَ في البَرِّيَّةِ، وكانَ يَنمو راميَ قَوسٍ.٢١وسكَنَ في بَرِّيَّةِ فارانَ، وأخَذَتْ لهُ أُمُّهُ زَوجَةً مِنْ أرضِ مِصرَ" .
فهذه من قبيل الكرامة لهاجر أو الإرهاص لنبوة إسماعيل لا غير والله تعالى أعلم .

٢- معجــزة حبل سارة في تكوين ١٧: ١٥-١٩"١٥وقالَ اللهُ لإبراهيمَ:"ساراي امرأتُكَ لا تدعو اسمَها ساراي، بل اسمُهــا ســارَةُ.١٦وأُبارِكُها وأُعطيكَ أيضًا مِنها ابنًا. أُبارِكُها فتكونُ أُمَمًا، ومُلوكُ شُعوبٍ مِنها يكونونَ".١٧فسَقَطَ

---

[555]- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل،ج١/ص٢٩٥ .

إبراهيمُ علَى وجهِهِ وضَحِكَ، وقالَ في قَلبِهِ:"هل يولَدُ لابنِ مِئَةِ سنَةٍ؟ وهَلْ تلِدُ سارَةُ وهي بنتُ تِسعينَ سنَةً؟".١٨وقالَ إبــراهيمُ للهِ:"لَــيتَ إسماعيلَ يَعيشُ أمامَكَ!".١٩فقالَ اللهُ:"بَلْ سارَةُ امرأتُكَ تلِدُ لكَ ابنًا وتدعو اسمَهُ إسحاقَ. وأُقيمُ عَهدي معهُ عَهدًا أبديًّا لنَسلِهِ مِنْ بَعدِهِ" .

و١٨: ١٠-١٤"١٠فقالَ :"إنّي أرجِعُ إلَيكَ نَحوَ زَمانِ الحياةِ ويكونُ لسارَةَ امرأتِكَ ابنٌ". وكانَتْ سارَةُ سامِعَةً في بابِ الخَيمَةِ وهو وراءَهُ.١١وكانَ إبراهيمُ وسارَةُ شَيخَينِ مُتَقَدِّمَينِ في الأيّامِ، وقد انقَطَعَ أنْ يكونَ لسارَةَ عادَةٌ كالنِّساءِ. ١٢فضَحِكَتْ سارَةُ في باطِنِها قائلَةً: "أبَعدَ فنائي يكونُ لي تنَعُّمٌ، وسيِّدي قد شاخَ؟".١٣فقالَ الرَّبُّ لإبراهيمَ:"لماذا ضَحِكَتْ سارَةُ قائلَةً: أفَبالحَقيقَةِ ألِدُ وأنا قد شِختُ؟١٤هَلْ يَستَحيلُ علَى الرَّبِّ شَيءٌ؟ في الميعادِ أرجِعُ إلَيكَ نَحوَ زَمانِ الحياةِ ويكونُ لسارَةَ ابنٌ".

و٢١: ١-٨ "١وافــتَقَدَ الرَّبُّ سارَةَ كما قالَ، وفَعَلَ الرَّبُّ لسارَةَ كما تكلَّمَ.٢فحَبِلَتْ سارَةُ ووَلَدَتْ لإبراهيمَ ابنًا في شَيخوخَتِهِ، في الوقتِ الّذي تكلَّمَ اللهُ عنهُ.٣ودَعا إبراهيمُ اسمَ ابنِهِ المَولودِ لهُ، الّذي ولَدَتهُ لهُ سارَةُ "إسحاقَ".٤وخَتَنَ إبــراهيمُ إسحاقَ ابنَهُ وهو ابنُ ثَمانيَةِ أيّامٍ كما أمَرَهُ اللهُ.٥وكانَ إبراهيمُ ابنَ مِئَةِ سنَةٍ حينَ وُلِدَ لهُ إسحاقُ ابنُهُ٦وقالَتْ ســارَةُ:"قــد صَنَعَ إلَيَّ اللهُ ضِحكًا. كُلُّ مَنْ يَسمَعُ يَضحَكُ لي".٧وقالَتْ:"مَنْ قالَ لإبراهيمَ: سارَةُ تُرضِعُ بَنينَ؟ حتَّى ولَدتُ ابنًا في شَيخوخَتِهِ!".٨فكبِرَ الوَلَدُ وفُطِمَ. وصَنَعَ إبراهيمُ وليمَةً عظيمَةً يومَ فِطامِ إسحاقَ".

فهذه لا تسمى معجزة في الإسلام ولكن يطلق عليها بشرى أو كرامة لسارة ليس إلا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ هود: ٧١

٣- ومعجــزة برص مريم أخت هارون وموسى التي تدعى أول نبية في بني إسرائيل خروج ١٥: ٢٠ " ٢٠فأخَذَتْ مَريَمُ النَّبيَّةُ أُختُ هارونَ الدُّفَّ بيَدِها، وخرجَتْ جميعُ النِّساءِ وراءَها بدُفوفٍ ورَقصٍ".

وفي عــدد ١٢: ٩-١٥ "٩فحَميَ غَضَبُ الرَّبِّ علَيهِما ومَضَى.١٠فلَمّا ارتَفَعَتِ السَّحابَةُ عن الخَيمَةِ إذا مَريَمُ بَرصاءُ كالثَّلجِ. فالتَفَتَ هارونُ إلَى مَريَمَ وإذا هي بَرصاءُ.١١فقالَ هارونُ لموسَى:"أسألُكَ ياسيِّدي، لا تجعَلْ علَينا الخَطيَّةَ الّتي حَمِقــنا وأخطأنــا بها.١٢فلا تكُنْ كالمَيتِ الّذي يكونُ عِندَ خُروجِهِ مِنْ رَحِمِ أُمِّهِ قد أُكِلَ نِصفُ لَحمِهِ".١٣فصَرَخَ موسَــى إلَى الرَّبِّ قائلاً:"اللَّهُمَّ اشفِها".١٤فقالَ الرَّبُّ لموسَى:"ولو بَصَقَ أبوها بَصقًا في وجهِها، أما كانَتْ تخجَلُ سبعَةَ أيّامٍ؟ تُحجَزُ سبعَةَ أيّامٍ خارِجَ المَحَلَّةِ، وبَعدَ ذلكَ تُرجَعُ".١٥فحُجِزَتْ مَريَمُ خارِجَ المَحَلَّةِ سبعَةَ أيّامٍ، ولم يَرتَحِلِ الشَّعبُ حتَّى أُرجِعَتْ مَريَمُ " .

فالنساء الراقصات يؤهلن لتلقي النبوة ويمنحن المعجزات على حسب نصوص العهد القديم السابقة .

كما أن مصدر الخارقة غالبا ما يرتبط بسبب طبيعي في اليهودية من عصا أو رماد أو ريح أو غير ذلك ويختص بإهلاك المعادين لليهود، وغالبا ما يتم المبالغة في إدخال عنصر المعجزات في الحروب لينعم اليهود بالراحة بعد ذلك .

فمـــن ذلـــك معجزة البحر الأحمر حيث الريح الشرقية بعد صرخة الشعب المختار أمام الرب، وتعطل العجلات عن مـــسيرها في خروج ١٤ : ٢١ –٢٥ "٢١ومَدَّ موسَى يَدَهُ علَى البحرِ، فأجرَى الربُّ البحرَ بريحٍ شَرقيَّةٍ شَديدَةٍ كُلَّ اللَّيلِ، وجَعَلَ البحرَ يابِسَةً وانشَقَّ الماءُ.٢٢فدَخَلَ بَنو إسرائيلَ في وسطِ البحرِ علَى اليابِسَةِ، والماءُ سورٌ لهُم عن يَمينِهِمْ وعَنْ يَسارِهِمْ.٢٣وتَبِعَهُمُ المِصريّونَ ودَخَلوا وراءَهُمْ. جميعُ خَيلِ فِرعَونَ ومَركَباتِهِ وفُرسانِهِ إلَى وسطِ البحرِ.٢٤وكانَ في هَـــزيعِ الصُّبحِ أنَّ الربَّ أشرَفَ علَى عَسكَرِ المِصريِّينَ في عَمودِ النّارِ والسَّحابِ، وأزعَجَ عَسكَرَ المِصريِّينَ،٢٥وخَلَعَ بَكَرَ مَركَباتِهِمْ حتَّى ساقوها بثَقلَةٍ.

وكأن المعجزة عند اليهود لا تكتمل إلا بمساندة الأسباب الطبيعية لها من يد وريح وتعطل عجلات ؛ لأنها تدور حول ما هو مادي محسوس فلا بد من تفسيرها بأسباب طبيعية ليتمكن اليهود من فهمها بمعزل عن اليقين على الله تعالى .

ومـــن الخـــوارق التي يجعل اليهود مصدرها يستند إلى أسباب ظاهرة ما يعتقدونه من نسبة الخوارق لشمشون الذي يـــستمد قوته من شعر رأسه على الرغم من اعترافهم بسوء أخلاقه حيث يقرون بصلته بالبغايا، وهذه الشخصية مثار استفهام كبير فنهايتها تناقض بدايتها حيث تبدأ القصة ببشرى ملاك لأمه العقار بولادته، وتنزل النار على ذبيحة والده كعلامة على قبوله–وفي ذلك ربط لحصول المعجزات بما يقدم على المذابح اليهودية من قرابين– مع مصاحبة النذر بعدم شرب الخمر والمسكر وأي طعام نجس من قبل أبويه حتى يكون مولده وعدم قص الشعر للصبي ، فيكون المولود أداة لإنقـــاذ إسرائيل من هوانها وذلها الذي طال أمده في عصر القضاة، وتبدأ حكايته الخارقة بمقتله لأسد بيده بلا سلاح، وتحـــل علـــيه روح الله في بعض الأحيان -كما يعتقد اليهود- فيقتل ثلاثين رجلا بلا سلاح، ويمسك بثلاثمائة ثعلب ويضرم النار فيها ليحرق بذلك حقول أهل فلسطين؛ لأنهم حرقوا زوجته مع أبيها فينتقم لهما بذلك كما وينسب إليه العديد من الخوارق كمعجزة ضرب الرجال ساقا على فخذ وبلا سلاح معه، ومعجزة فك القيود التي كبل بها من قبل أعـــداءه، ومعجزة قتله ألف من الناس بلحي حمارا،ونزعه باب مدينة غزة وحمله لمسافة بعيدة، إلا أنه يقع في الأسر وتقلع عيناه بسبب قص شعره من قبل زانية! فشعره عند اليهود هو سر قوته العجيبة تلك حتى ظهرت على يديه تلك المعجـــزات حسب معتقد اليهود، ثم يدعوا الله في هيكل داجون لتعود له قوته من جديد لينتقم لنفسه فيهدم الهيكل لينتحر هو ويموت معه ثلاثة آلاف من الفلسطينيين ! .

فهـــل المعجزات عند اليهود تظهر على يدي أصحاب المعاصي ولو كان زانيا!، ثم هل الانتقام الشخصي يكون على
حساب المعجزات؟ فهذا من الهذيان المستقى من وحي الأسطورة اليهودية بكل تأكيد؛ لأن المعجزة لا تجري إلا على
أيــدي الأنبيــاء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وبإذن الله تعالى وغير ذلك يخرج عن دائرة المعجزة بكل تأكيد .
وتفاصــيل ذلك الخبر بتمامه ورد في سفر القضاة ١٣: ١- ٢٥ "١ثُمَّ عادَ بَنو إسرائيلَ يَعمَلونَ الشَّرَّ في عَينَيِ الربِّ،
فَـدَفَعَهُمُ الربُّ لِيَدِ الفِلسطينيِّينَ أربَعينَ سنَةً.٢وكانَ رَجُلٌ مِنْ صُرعَةَ مِنْ عَشيرَةِ الدّانيِّينَ اسمُهُ مَنوحُ، وامرأتُهُ عاقِرٌ لم
تلِـدْ.٣فتَراءَى مَلاكُ الربِّ للمَرأةِ وقالَ لها:"ها أنتِ عاقِرٌ لم تلِدي، ولكِنَّكِ تحبَلينَ وتلِدينَ ابنًا.٤والآنَ فاحذَري ولا
تشرَبي خمرًا ولا مُسكِرًا، ولا تأكُلي شَيئًا نَجِسًا.٥فها إنَّكِ تحبَلينَ وتلِدينَ ابنًا، ولا يَعلُ موسَى رأسَهُ، لأنَّ الصَّبيَّ يكونُ
نَذيـرًا للهِ مِنَ البَطنِ، وهو يَبدأُ يُخَلِّصُ إسرائيلَ مِنْ يَدِ الفِلسطينيِّينَ".٦فدَخَلَتِ المَرأةُ وكلَّمَتْ رَجُلها قائلَةً:"جاءَ إلَيَّ
رَجُلُ اللهِ، ومَنظَرُهُ كمَنظَرِ مَلاكِ اللهِ، مُرهِبٌ جدًّا. ولم أسألهُ: مِنْ أين هو، ولا هو أخبَرَني عن اسمِه.٧وقالَ لي:ها أنتِ
تحبَلينَ وتلِدينَ ابنًا. والآنَ فلا تشرَبي خمرًا ولا مُسكِرًا، ولا تأكُلي شَيئًا نَجِسًا، لأنَّ الصَّبيَّ يكونُ نَذيرًا للهِ مِنَ البَطنِ إلَى
يـومِ موتِه".٨فصَلَّى مَنوحُ إلَى الربِّ وقالَ:"أسألُكَ ياسَيِّدي أنْ يأتيَ أيضًا إلَينا رَجُلُ اللهِ الذي أرسَلتَهُ، ويُعَلِّمَنا: ماذا
نَعمَـلُ للصَّبيِّ الذي يولَدُ؟".٩فسَمِعَ اللهُ لصوتِ مَنوحَ، فجاءَ مَلاكُ اللهِ أيضًا إلَى المَرأةِ وهي جالِسَةٌ في الحَقلِ، ومَنوحُ
رَجُلُهـا ليس معها.١٠فأسرَعَتِ المَرأةُ ورَكَضَتْ وأخبَرَتْ رَجُلهاوقالَتْ لهُ:"هوذا قد تراءَى لِيَ الرَّجُلُ الذي جاءَ إلَيَّ
ذلِـكَ اليـومَ".١١فقـامَ مَنوحُ وسارَ وراءَ امرأتِهِ وجاءَ إلَى الرَّجُلِ، وقالَ لهُ:"أأنتَ الرَّجُلُ الذي تكلَّمَ مع المَرأةِ؟".
فقالَ:"أنا هو".١٢فقالَ مَنوحُ:"عِندَ مَجيءِ كلامِكَ، ماذا يكونُ حُكمُ الصَّبيِّ ومُعامَلَتُهُ؟".١٣فقالَ مَلاكُ الربِّ لمَنوحَ:
"مِـنْ كُلِّ ما قُلتُ للمَرأةِ فلتحتَفِظْ.١٤مِنْ كُلِّ ما يَخرُجُ مِنْ جَفنَةِ الخمرِ لا تأكُلْ، وخمرًا ومُسكِرًا لا تشرَبْ، وكُلَّ
نَجِسٍ لا تأكُلْ. لتَحذَرْ مِنْ كُلِّ ما أوصَيتُها".١٥فقالَ مَنوحُ لمَلاكِ الربِّ:"دَعنا نُعَوِّقكَ ونَعمَلْ لكَ جَديَ مِعزًى".١٦
فقالَ مَلاكُ الربِّ لمَنوحَ:"ولو عَوَّقتَني لا آكُلُ مِنْ خُبزِكَ، وإنْ عَمِلتَ مُحرَقَةً فللربِّ أصعِدها". لأنَّ مَنوحَ لم يَعلَمْ أنَّهُ
مَلاكُ الربِّ.١٧فقالَ مَنوحُ لمَلاكِ الربِّ:"ما اسمُكَ حتَّى إذا جاءَ كلامُكَ نُكرِمُكَ؟".١٨فقالَ لهُ مَلاكُ الربِّ:"لماذا تسألُ
عـن اسمي وهو عَجيبٌ؟".١٩فأخَذَ مَنوحُ جَديَ المِعزَى والتَّقدِمَةَ وأصعَدَهُما علَى الصَّخرَةِ للربِّ. فعَمِلَ عَمَلاً عَجيبًا
ومَـنوحُ وامرأتُهُ يَنظُرانِ.٢٠فكانَ عِندَ صُعودِ اللَّهيبِ عن المَذبَحِ نَحوَ السماءِ، أنَّ مَلاكَ الربِّ صَعِدَ في لهيبِ المَذبَحِ،
ومَنوحُ وامرأتُهُ يَنظُرانِ. فسَقَطا علَى وجهَيهِما إلَى الأرضِ.٢١ولَمْ يَعُدْ مَلاكُ الربِّ يتَراءَى لمَنوحَ وامرأتِهِ. حينَئذٍ عَرَفَ
مَـنوحُ أنَّهُ مَلاكُ الربِّ.٢٢فقالَ مَنوحُ لامرأتِهِ: "نَموتُ موتًا لأنَّنا قد رأينا اللهَ".٢٣فقالَتْ لهُ امرأتُهُ:"لو أرادَ الربُّ أنْ
يُميتَـنا، لَمـا أخَذَ مِنْ يَدِنا مُحرَقَةً وتقدِمَةً، ولَما أرانا كُلَّ هذِه، ولَما كانَ في مِثلِ هذا الوقتِ أسمَعَنا مِثلَ هذِه".٢٤
فـوَلَدَتِ المَرأةُ ابنًا ودَعَتِ اسمَهُ شَمشونَ. فكبِرَ الصَّبيُّ وبارَكَهُ الربُّ.٢٥وابتَدأ روحُ الربِّ يُحَرِّكُهُ في مَحَلَّةِ دانٍ بَينَ
صُرعَةَ وأشتأولَ"
و١٤: ١- ٢٠ "١ونَـزَلَ شَمـشونُ إلَى تِمنَةَ، ورأى امرأةً في تِمنَةَ مِنْ بَناتِ الفِلسطينيِّينَ.٢فصَعِدَ وأخبَرَ أباهُ وأُمَّهُ
وقـالَ:"قـد رأيتُ امرأةً في تِمنَةَ مِنْ بَناتِ الفِلسطينيِّينَ، فالآنَ خُذاها لِيَ امرأةً".٣فقالَ لهُ أبوهُ وأُمُّهُ:"أليس في بَناتِ
إخوَتِكَ وفي كُلِّ شَعبي امرأةٌ حتَّى أنَّكَ ذاهِبٌ لتأخُذَ امرأةً مِنَ الفِلسطينيِّينَ الغُلفِ؟". فقالَ شَمشونُ لأبيه:"إيّاها خُذْ لي
لأنَّهـا حَسُنَتْ في عَينَيَّ".٤ولَمْ يَعلَمْ أبوهُ وأُمُّهُ أنَّ ذلكَ مِنَ الربِّ، لأنَّهُ كانَ يَطلُبُ عِلَّةً علَى الفِلسطينيِّينَ. وفي ذلكَ
الـوقتِ كانَ الفِلسطينيّونَ مُتَسَلِّطينَ علَى إسرائيلَ.٥فنَزَلَ شَمشونُ وأبوهُ وأُمُّهُ إلَى تِمنَةَ، وأتَوْا إلَى كُرومِ تِمنَةَ. وإذا
بشِبلِ أسَدٍ يُزَمجِرُ للقائه.٦فحَلَّ علَيهِ روحُ الربِّ، فشَقَّهُ كشَقِّ الجَديِ، وليس في يَدِهِ شَيءٌ. ولم يُخبِرْ أباهُ وأُمَّهُ بما فعَلَ.
٧فنَـزَلَ وكلَّمَ المَرأةَ فحَسُنَتْ في عَينَيْ شَمشونَ.٨ولَمّا رَجَعَ بَعدَ أيّامٍ لكَيْ يأخُذَها، مالَ لكَيْ يَرَى رِمَّةَ الأسَدِ، وإذا

دَبرٌ مِنَ النَّحلِ في جَوْفِ الأسَدِ مع عَسَلٍ.٩فاشتارَ منهُ علَى كفَّيهِ، وكانَ يَمشي ويأكُلُ، وذَهَبَ إلَى أبيهِ وأُمِّهِ
وأعطاهُما فأكلا، ولم يُخبِرهُما أنَّهُ مِنْ جَوْفِ الأسَدِ اشتارَ العَسَلَ.١٠ونَزَلَ أبوهُ إلَى المَرأةِ، فعَمِلَ هناكَ شَمشونُ
ولِيمَةً، لأنَّهُ هكذا كانَ يَفعَلُ الفِتيانُ.١١فلَمّا رأوْهُ أحضَروا ثَلاثينَ مِنَ الأصحابِ، فكانوا معهُ.١٢فقالَ لهُم
شَمشونُ:"لأُحاجِيَنَّكُمْ أُحجيَّةً، فإذا حَلَلتُموها لي في سبعَةِ أيّامِ الوَليمَةِ وأصَبتُموها، أُعطيكُمْ ثَلاثينَ قَميصًا وثَلاثينَ حُلَّةَ
ثيابٍ.١٣وإنْ لم تقدِروا أنْ تحُلّوها لي، تُعطوني أنتُم ثَلاثينَ قَميصًا وثَلاثينَ حُلَّةَ ثيابٍ". فقالوا لهُ:"حاجِ أُحجيَّتَكَ
فنَسمَعَها".١٤فقالَ لهُم: "مِنَ الآكِلِ خرجَ أُكلٌ، ومِنَ الجافي خرجَتْ حَلاوَةٌ". فلم يستطيعوا أنْ يَحُلّوا الأُحجيَّةَ في
ثَلاثَةِ أيّامٍ.١٥وكانَ في اليومِ السّابِعِ أنَّهُم قالوا لامرأةِ شَمشونَ:"تَمَلَّقي رَجُلَكِ لكَيْ يُظهِرَ لنا الأُحجيَّةَ، لئلا نُحرِقَكِ
وبَيتَ أبيكِ بنارٍ. ألِتَسلُبونا دَعَوْتُمونا أمْ لا؟".١٦فبَكَتِ امرأةُ شَمشونَ لَدَيهِ وقالَتْ:"إنَّما كرِهتَني ولا تُحِبُّني. قد
حاجَيتَ بَني شَعبي أُحجيَّةً وإيّايَ لم تُخبِرْ". فقالَ لها:"هوذا أبي وأُمّي لم أُخبِرهُما، فهل إيّاكِ أُخبِرُ؟".١٧فبَكَتْ لَدَيهِ
السَّبعَةَ الأيّامِ التي فيها كانَتْ لهُمُ الوَليمَةُ. وكانَ في اليومِ السّابِعِ أنَّهُ أخبَرَها لأنَّها ضايَقَتهُ، فأظهَرَتِ الأُحجيَّةَ لبَني
شَعبِها.١٨فقالَ لهُ رِجالُ المدينةِ في اليومِ السّابِعِ قَبلَ غُروبِ الشمسِ: "أيُّ شَيءٍ أحلَى مِنَ العَسَلِ، وما أجفَى مِنَ
الأسَدِ؟".فقالَ لهُم:"لو لم تحرُثوا علَى عِجلَتي، لَما وجَدتُمْ أُحجيَّتي".١٩وحَلَّ علَيهِ روحُ الربِّ فنَزَلَ إلَى أشقَلونَ
وقَتَلَ منهُمْ ثَلاثينَ رَجُلاً، وأخَذَ سلَبَهُمْ وأعطَى الحُلَلَ لمُظهِري الأُحجيَّةِ. وحَميَ غَضَبُهُ وصَعِدَ إلَى بَيتِ أبيهِ.٢٠فصارَتِ
امرأةُ شَمشونَ لصاحِبِهِ الذي كانَ يُصاحِبُهُ".

و١٥: ١- "١وكانَ بَعدَ مُدَّةٍ في أيّامِ حَصادِ الحِنطَةِ، أنَّ شَمشونَ افتَقَدَ امرأتَهُ بجَدي مِعزًى.٢وقالَ:"أدخُلُ إلَى امرأتي
إلَى حُجرَتِها". ولكنَّ أباها لم يَدَعهُ أنْ يَدخُلَ. وقالَ أبوها:"إنّي قُلتُ: إنَّكَ قد كرِهتَها فأعطَيتُها لصاحِبِكَ. ألَيسَتْ
أُختُها الصَّغيرَةُ أحسَنَ منها؟ فلتَكُنْ لكَ عِوَضًا عنها".٣فقالَ لهُم شَمشونُ:"إنّي بَريءٌ الآنَ مِنَ الفِلِسطينيّينَ إذا عَمِلتُ
بهِمْ شَرًّا".٤وذَهَبَ شَمشونُ وأمسَكَ ثَلاثَ مِئَةِ ابنِ آوَى، وأخَذَ مَشاعِلَ وجَعَلَ ذَنَبًا إلَى ذَنَبٍ، ووَضَعَ مَشعَلاً بَينَ كُلِّ
ذَنَبَينِ في الوَسَطِ،٥ثُمَّ أضرَمَ المَشاعِلَ نارًا وأطلَقَها بَينَ زُروعِ الفِلِسطينيّينَ، فأحرَقَ الأكداسَ والزَّرعَ وكُرومَ الزَّيتونِ.٦
فقالَ الفِلِسطينيّونَ:"مَنْ فعَلَ هذا؟". فقالوا:"شَمشونُ صِهرُ التِّمنيِّ، لأنَّهُ أخَذَ امرأتَهُ وأعطاها لصاحِبِهِ". فصَعِدَ
الفِلِسطينيّونَ وأحرَقوها وأباها بالنّارِ.٧فقالَ لهُم شَمشونُ: "ولو فعَلتُمْ هذا فإنّي أنتَقِمُ مِنكُمْ، وبَعدُ أكُفُّ".٨وضَرَبَهُمْ
ساقًا علَى فخِذٍ ضَربًا عظيمًا. ثُمَّ نَزَلَ وأقامَ في شَقِّ صَخرَةِ عيطَمَ.٩وصَعِدَ الفِلِسطينيّونَ ونَزَلوا في يَهوذا وتفَرَّقوا في
لَحيٍ.١٠فقالَ رِجالُ يَهوذا:"لماذا صَعِدتُمْ علَينا؟". فقالوا: "صَعِدنا لكَيْ نوثِقَ شَمشونَ لنَفعَلَ بهِ كما فعَلَ بنا".١١فنَزَلَ
ثَلاثَةُ آلافِ رَجُلٍ مِنْ يَهوذا إلَى شَقِّ صَخرَةِ عيطَمَ، وقالوا لشَمشونَ: "أما عَلِمتَ أنَّ الفِلِسطينيّينَ مُتَسَلِّطونَ علَينا؟
فماذا فعَلتَ بنا؟". فقالَ لهُم: "كما فعَلوا بي هكذا فعَلتُ بهِمْ".١٢فقالوا لهُ:"نَزَلنا لكَيْ نوثِقَكَ ونُسَلِّمَكَ إلَى يَدِ
الفِلِسطينيّينَ". فقالَ لهُم شَمشونُ: "احلِفوا لي أنَّكُمْ أنتُم لا تقَعونَ علَيَّ".١٣فكلَّموهُ قائلينَ:"كلاّ. ولكنَّنا نوثِقُكَ
ونُسَلِّمُكَ إلَى يَدِهِمْ، وقَتلاً لا نَقتُلُكَ". فأوثَقوهُ بحَبلَينِ جديدَينِ وأصعَدوهُ مِنَ الصَّخرَةِ.١٤ولَمّا جاءَ إلَى لَحيٍ، صاحَ
الفِلِسطينيّونَ للقائهِ. فحَلَّ علَيهِ روحُ الربِّ، فكانَ الحَبلانِ اللذانِ علَى ذِراعَيهِ ككَتّانٍ أُحرِقَ بالنّارِ، فانحَلَّ الوِثاقُ عن
يَدَيهِ.١٥ووَجَدَ لَحيَ حِمارٍ طَريًّا، فمَدَّ يَدَهُ وأخَذَهُ وضَرَبَ بهِ ألفَ رَجُلٍ.١٦فقالَ شَمشونُ: "بلَحيِ حِمارٍ كومَةً
كومَتَينِ. بلَحيِ حِمارٍ قَتَلتُ ألفَ رَجُلٍ".١٧ولَمّا فرَغَ مِنَ الكلامِ رَمَى اللَّحيَ مِنْ يَدِهِ، ودَعا ذلكَ المَكانَ "رَمَتَ
لَحيٍ".١٨ثُمَّ عَطِشَ جِدًّا فدَعا الربَّ وقالَ:"إنَّكَ قد جَعَلتَ بيَدِ عَبدِكَ هذا الخَلاصَ العظيمَ، والآنَ أموتُ مِنَ العَطَشِ
وأسقُطُ بيَدِ الغُلفِ".١٩فشَقَّ اللهُ الكِفَّةَ التي في لَحيٍ، فخرجَ منها ماءٌ، فشَرِبَ ورَجَعَتْ روحُهُ فانتَعَشَ. لذلكَ دَعا اسمَهُ
"عَينَ هَقّوري" التي في لَحيٍ إلَى هذا اليومِ.٢٠وقَضَى لإسرائيلَ في أيّامِ الفِلِسطينيّينَ عِشرينَ سنَةً" .

و١٦: ١- ٣١ "١ثُمَّ ذَهَبَ شَمشونُ إلَى غَزَّةَ، ورأى هناكَ امرأةً زانيَةً فدَخَلَ إليها.٢فقيلَ للغَزِّيِّينَ:"قد أتَى شَمشونُ
إلَى هنا". فأحاطوا بهِ وكَمَنوا لهُ اللَّيلَ كُلَّهُ عِندَ بابِ المدينة. فهَدأوا اللَّيلَ كُلَّهُ قائلين:"عِندَ ضَوْءِ الصَّباحِ نَقتُلُهُ".٣
فاضطَجَعَ شَمشونُ إلَى نِصفِ اللَّيلِ، ثُمَّ قامَ في نِصفِ اللَّيلِ وأخَذَ مِصراعَيْ بابِ المدينةِ والقائمَتَينِ وقَلَعَهُما مع
العارِضَةِ، ووَضَعَها علَى كَتِفَيهِ وصَعِدَ بها إلَى رأسِ الجَبَلِ الذي مُقابِلَ حَبرونَ.٤وكانَ بَعدَ ذلكَ أنَّهُ أحَبَّ امرأةً في
وادي سورَقَ اسمُها دَليلَةُ.٥فصَعِدَ إليها أقطابُ الفلسطينيِّينَ وقالوا لها:"تَمَلَّقيهِ وانظُري بماذا قوَّتُهُ العظيمَةُ، وبماذا نتمَكَّنُ
مِنهُ لكَيْ نوثِقَهُ لإذلالِهِ، فنُعطيَكِ كُلُّ واحِدٍ ألفًا ومِئَةَ شاقِلِ فِضَّةٍ".٦فقالَتْ دَليلَةُ لشَمشونَ: "أخبِرني بماذا قوَّتُكَ
العظيمَةُ؟ وبماذا توثَقُ لإذلالِكَ؟".٧فقالَ لها شَمشونُ:"إذا أوثَقوني بسَبعَةِ أوتارٍ طَرِيَّةٍ لم تجِفَّ، أضعُفُ وأصيرُ كواحِدٍ
مِنَ الناسِ".٨فأصعَدَ لها أقطابُ الفلسطينيِّينَ سبعَةَ أوتارٍ طَرِيَّةٍ لم تجِفَّ، فأوثَقَتهُ بها،٩والكَمينُ لابِثٌ عِندَها في الحُجرَةِ.
فقالَتْ لهُ:"الفلسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ". فقَطَعَ الأوتارَ كما يُقطَعُ فتيلُ المُشاقَةِ إذا شَمَّ النّارَ، ولم تُعلَمْ قوَّتُهُ.١٠
فقالَتْ دَليلَةُ لشَمشونَ:"ها قد خَتَلتَني وكلَّمتَني بالكَذِبِ، فأخبِرني الآنَ بماذا توثَقُ؟".١١فقالَ لها:"إذا أوثَقوني بحِبالٍ
جديدَةٍ لم تُستَعمَلْ، أضعُفُ وأصيرُ كواحِدٍ مِنَ الناسِ".١٢فأخَذَتْ دَليلَةُ حِبالاً جديدَةً وأوثَقَتهُ بها، وقالَتْ لهُ:
"الفلسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ". والكَمينُ لابِثٌ في الحُجرَةِ. فقَطَعَها عن ذِراعَيهِ كخَيطٍ.١٣فقالَتْ دَليلَةُ
لشَمشونَ:"حتَّى الآنَ خَتَلتَني وكلَّمتَني بالكَذِبِ، فأخبِرني بماذا توثَقُ؟". فقالَ لها:"إذا ضَفَرتِ سبعَ خُصَلِ رأسي مع
السَّدَى".١٤فمَكَّنَتها بالوَتَدِ. وقالَتْ لهُ:"الفلسطينيّونَ علَيكَ ياشَمشونُ". فانتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ وقَلَعَ وتدَ النَّسيجِ والسَّدَى.
١٥فقالَتْ لهُ:"كيفَ تقولُ أُحِبُّكِ، وقَلبُكَ ليس مَعي؟ هوذا ثَلاثُ مَرّاتٍ قد خَتَلتَني ولم تُخبِرني بماذا قوَّتُكَ العظيمَةُ".
١٦ولَمّا كانَتْ تُضايِقُهُ بكلامِها كُلَّ يومٍ وألَحَّتْ علَيهِ، ضاقَتْ نَفسُهُ إلَى الموتِ،١٧فكَشَفَ لها كُلَّ قلبِهِ، وقالَ لها:"لم
يَعلُ موسَى رأسي لأنّي نَذيرُ اللهِ مِنْ بَطنِ أُمّي، فإنْ حُلِقتُ تُفارِقُني قوَّتي وأضعُفُ وأصيرُ كأحَدِ النّاسِ".١٨ولَمّا رأتْ
دَليلَةُ أنَّهُ قد أخبَرَها بكُلِّ ما بقَلبِهِ، أرسَلَتْ فدَعَتْ أقطابَ الفلسطينيِّينَ وقالَت:"اصعَدوا هذِهِ المَرَّةَ فإنَّهُ قد كشَفَ لي
كُلَّ قَلبِهِ". فصَعِدَ إليها أقطابُ الفلسطينيِّينَ وأصعَدوا الفِضَّةَ بيَدِهِمْ.١٩وأنامَتهُ علَى رُكبَتَيها ودَعَتْ رَجُلاً وحَلَقَتْ سبعَ
خُصَلِ رأسهِ، وابتَدأتْ بإذلالِهِ، وفارَقَتهُ قوَّتُهُ.٢٠وقالَت: "الفلسطينيّونَ علَيكَ يا شَمشونُ". فانتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ
وقالَ:"أخرُجُ حَسَبَ كُلِّ مَرَّةٍ وأنتَفِضُ". ولم يَعلَمْ أنَّ الرَّبَّ قد فارَقَهُ.٢١فأخَذَهُ الفلسطينيّونَ وقَلَعوا عَينَيهِ، ونَزَلوا بهِ
إلَى غَزَّةَ وأوثَقوهُ بسَلاسِلِ نُحاسٍ. وكانَ يَطحَنُ في بَيتِ السِّجنِ.٢٢وابتَدأ شَعرُ رأسِهِ يَنبُتُ بَعدَ أنْ حُلِقَ.٢٣وأمّا
أقطابُ الفلسطينيِّينَ فاجتَمَعوا ليَذبَحوا ذَبيحَةً عظيمَةً لداجونَ إلَهِهِمْ ويَفرَحوا، وقالوا: "قد دَفَعَ إلَهُنا ليَدِنا شَمشونَ
عَدوَّنا".٢٤ولَمّا رآهُ الشَّعبُ مَجَّدوا إلَهَهُمْ، لأنَّهُمْ قالوا: "قد دَفَعَ إلَهُنا ليَدِنا عَدوَّنا الذي خَرَّبَ أرضَنا وكثَّرَ قَتلانا".
٢٥وكانَ لَمّا طابَتْ قُلوبُهُمْ أنَّهُم قالوا:"ادعوا شَمشونَ ليَلعَبَ لنا". فدَعَوْا شَمشونَ مِنْ بَيتِ السِّجنِ، فلَعِبَ أمامَهُمْ.
وأوقَفوهُ بَينَ الأعمِدَةِ.٢٦فقالَ شَمشونُ للغُلامِ الماسِكِ بيَدِهِ:"دَعني ألمِسِ الأعمِدَةَ التي البَيتُ قائمٌ علَيها لأستَنِدَ علَيها".
٢٧وكانَ البَيتُ مَملوءًا رِجالاً ونِساءً، وكانَ هناكَ جميعُ أقطابِ الفلسطينيِّينَ، وعلَى السَّطحِ نَحوُ ثَلاثَةِ آلافِ رَجُلٍ
وامرأةٍ يَنظُرونَ لعِبَ شَمشونَ.٢٨فدَعا شَمشونُ الرَّبَّ وقالَ: "يا سيِّدي الرَّبُّ، اذكُرني وشَدِّدني يا اللهُ هذِهِ المَرَّةَ فقط،
فأنتَقِمَ نَقمَةً واحِدَةً عن عَينَيَّ مِنَ الفلسطينيِّينَ".٢٩وقَبَضَ شَمشونُ علَى العَمودَينِ المُتَوَسِّطَينِ اللَّذَينِ كانَ البَيتُ قائمًا
علَيهِما، واستَنَدَ علَيهِما الواحِدِ بيَمينِهِ والآخَرِ بيَسارِهِ.٣٠وقالَ شَمشونُ:"لتَمُتْ نَفسي مع الفلسطينيِّينَ". وانحَنَى بقوَّةٍ
فسَقَطَ البَيتُ علَى الأقطابِ وعلَى كُلِّ الشَّعبِ الذي فيهِ، فكانَ الموتَى الذينَ أماتَهُمْ في موتِهِ، أكثَرَ مِنَ الذينَ أماتَهُمْ في
حَياتِهِ.٣١فنَزَلَ إخوَتُهُ وكُلُّ بَيتِ أبيهِ وحَمَلوهُ وصَعِدوا بهِ ودَفَنوهُ بَينَ صُرعَةَ وأشتأولَ، في قَبرِ مَنوحَ أبيهِ. وهو قَضَى
لإسرائيلَ عِشرينَ سنَةً" .

فالانـــتحار هو نهاية شمشون اليهود فأين قوته الخارقة لماذا لم تنجه هذه المرة؟ فهذا نموذج -على الرغم من طوله- تم عرضـــه ليقف كل مطالع على جانب من الإسراف في المعجزات التي يؤمن بها اليهود في عهدهم القديم حتى الآن مع أنهم يرجعونها لأسباب طبيعية ظاهرة استمداد القوة من شعر الرأس!، وهذا قطعا لا صلة له بالمعجزة ٠

فخوارق العادات عند اليهود يتم فيها غالبا إقحام تصورات الرواة الشخصية؛ لأنها قد انقضت أصول أخبارها واقتصرت مشاهدتها على أهل زمانها و لم يوجد منها شيء الآن بخلاف ما هو الحال عند المسلمين التي تقسم المعجزات عندهم إلى مادية حفظ ذكرها، ومعنوية باقية ومتلوة إلى قيام الساعة٠

المطلب الثاني: تقييم لمصدر العجائب وخصوصيتها عند النصارى

لقد تعددت مصادر خوارق العادات في المسيحية، كما هو الحال في اليهودية، ولكن ظهرت مصادر أخرى لم تكن مذكورة في اليهودية والتي هي:

مـــا يجـــريه الله بنفسه، والتي أجراها الروح القدس، والتي مصدرها المسيح(مع الانتباه إلى أن لفظ الله في المسيحية يقصد به الآب والابن وروح القدس)،والتي أجراها الملائكة،والتي أجراها عبيد الله،والمعجزات التي مصدرها قوات الشر من الشيطان، والأنبياء الكذبة، والسحرة المصريون،وأهل العرافة،والسحرة .

ولفـــظ الروح القدس عند النصارى لا يقطع بدلالته على معين هل هو: روح الله كما هو في العهد القديم أم أقنوم مـــن أقانيم النصارى الثلاث أم هو مستقل عنها أو هو من الملائكة أو هو الذي يحل على التلاميذ بعد المسيح أو هو مجرد قوة .

والمسيح عند النصارى مع أنه لديه قدرة ذاتية على فعل الخوارق[556] ،فهو أيضا يمنح القدرة كذلك لغيره من تلاميذه [557] ليـــستطيعوا القـــيام بمهـــام إخراج الأرواح النجسة من البشر وشفاء المرضى وكل الضعفة، وكأن المعجزات في النـــصرانية تـــدور في فلـــك الغلـــو بشخص المسيح عليه السلام، وزعم الإيمان الذي لا يستند إلى الأخذ بالأسباب والمسببات؛ فغالبا ما يسند فعل الخوارق إلى مصدر إيماني مبهم بلا قيود ولا ضوابط عند النصارى(إيمانك قد شفاك)، وفي هـــذا منتهى التواكل ورفض للأخذ بالأسباب التي تنبعث من الحرص على طاعة الله تعالى وحسن ولايته ظاهرا وباطنا .

مـــع أن الظاهر من نصوص العهد الجديد قد تكرر فيها رفض المسيح طلب إجراء المعجزات المادية كدليل على صدقه لمن طلب منه ذلك، وفي ذلك إن صح تعليم وإرشاد للعابثين؛ فمعجزات المسيح عليه السلام محصورة العدد ومتنوعة ولم تتمحور حول أعمال الشفاء الثنائي كما هو مشهور في روايات العهد الجديد، فهي في حقيقة الأمر تهدف لمعالجة الخلـــل العقائـــدي المتفشي ببني إسرائيل آنذاك من خلال تحديهم بمعجزات تدفعهم للإيمان بالغيب والبعث فيستقيم معـــتقدهم في الألوهـــية والنـــبوة واليوم الآخر حيث جاء في متى ١٢: ٣٨-٣٩ "٣٨حِينَئِذٍ أَجابَ قَوْمٌ مِنَ الكَتَبةِ

[556]- لقد جاء في برنابا ما يناقض هذا الزعم حيث أجاب المسيح عليه السلام بصريح العبارة البرص الذين قالوا له أعطنا صحة في فصل ١٦/١٩ بقوله:"الا ترون أني إنسان نظيركم" سعادة،د.خليل ترجمه من الإنكليزية،إنجيل برنابا،دراسة وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م،ص٦٩ . فإنجيل برنابا مع عدم اعتراف النصارى به لكنه يسجل شهادة ضدهم .

[557]-انظر حومير،حاك والياني، سامي، دائرة المعارف المسيحية-المسيح ابن مريم،بيروت-لبنان،دار الكلمة،ط غير معروفة،١٩٦٦م ، ص٧٣-٨٧ .

والفَرّيسيّينَ قائلينَ: "يا مُعَلِّمُ، نُريدُ أنْ نَرَى مِنكَ آيةً".٣٩فأجابَ وقالَ لَهُم: "جيلٌ شِرّيرٌ وفاسِقٌ يَطلُبُ آيةً، ولا تُعطَى لهُ آيةٌ إلا آيةَ يونانَ النَّبيّ"،

و١٦: ١-٤ "١وجــاءَ إليهِ الفَرّيسيّونَ والصَّدّوقيّونَ ليُجَرِّبوهُ، فســألوهُ أنْ يُرِيَهُمْ آيــةً مِــنَ السَّماءِ.٢فــأجــابَ وقالَ لَهُم: "إذا كانَ المساءُ قُلتُمْ: صَحوٌ لأنَّ السَّماءَ مُحمَرَّةٌ.٣وفي الصَّباحِ: اليومَ شِتاءٌ لأنَّ السَّماءَ مُحمَرَّةٌ بعُــبوسةٍ.يا مُــراؤونَ! تعرِفونَ أنْ تُمَيِّزوا وجهَ السَّماءِ، وأمّا عَلاماتُ الأزمِنَةِ فلا تستَطيعونَ!٤جيلٌ شِرّيرٌ فاسِقٌ يَلتَمِسُ آيةً، ولا تُعطَى لهُ آيةٌ إلا آيةَ يونانَ النَّبيّ". ثُمَّ تَرَكَهُمْ ومَضَى".

وفي لوقا ١١: "٢٩وفيما كانَ الجُموعُ مُزدَحِمينَ، ابتَدأَ يقولُ: "هذا الجيلُ شِرّيرٌ. يَطلُبُ آيةً، ولا تُعطَى لهُ آيةٌ إلا آيةَ يونانَ".

وفي تقديري أن حصر المعجزة بمعجزة يونس عليه السلام حسب النصوص الآنفة الذكر يمثل قاسما مشتركا بين اليهودية والنــصرانية والإسلام فهذه شهادة حق تفض النزاع بشأن حقيقة المعجزة ولمن تظهر على يديه؛ فيونس عليه الصلاة والسلام نبي بإجماع اليهودية والنصرانية والإسلام، ومعجزته التي أجراها الله تعالى على يديه وهي قذفه من بطن الحوت حــيا بعدما ابتلعه الحوت مدة من الزمن أمر مجمع عليه كذلك بين اليهودية والنصرانية والإسلام، فتكون بذلك دليل صــدق نــبوته لمن بعثه الله تعالى إليهم حينما شاهدوه حيا بعدما علموا أنه أكله الحوت؛ فآمنوا بنوته وهذا هو شأن المعجزة، فهذه كلمة سواء بشأن المعجزة حريٌ بها أن تكون الفيصل فيما هو يعد من المعجزات .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الصافات: ١٣٩ - ١٤٨

وفي يــونان ١: ١٥-١٧ "١٥ثُــمَّ أخَذوا يونانَ وطَرَحوهُ في البحرِ، فوَقَفَ البحرُ عن هَيَجانِه.١٦فخافَ الرِّجالُ مِنَ الربِّ خَوفًا عظيمًا، وذَبَحوا ذَبيحَةً للربِّ ونَذَروا نُذورًا.١٧وأمّا الربُّ فأعَدَّ حوتًا عظيمًا ليَبتَلِعَ يونانَ. فكانَ يونانُ في جَوفِ الحوتِ ثَلاثَةَ أيّامٍ وثَلاثَ لَيالٍ" .

فمن المؤكد أن مدخل الخلل في فهم اليهود والنصارى لخوارق العادات يكمن في افتقارهم إلى مرجعية شاملة تستند لوحــي محفــوظ تجلي حقيقة القيود المعتبرة لكل خارقة من خوارق العادات فلا تلتبس خارقة بغيرها من الخوارق . ولهــذا جمــح بهم التصور العقلي القاصر المتأثر بحدود زمانه ومكانه ومشاهداته ليخضع الخوارق لمقاييسه، وتصوراته المشوشة ؛ وبذلك تَجَذَّرَ الانحراف العقائدي لدى اليهود والنصارى .

المطلب الأول: معجزات لوط ويونس عليهما الصلاة والسلام.

وقـد جاء حديث العهد القديم عن معجزات لوط ويونس عليهما الصلاة والسلام شبه متطابق مع ما هو مقرر في الإسلام، وهذا يؤكد أن غالبا ما يأتي الحديث عن معجزات أنبياء من غير أنبياء بني إسرائيل بشكل متقارب مع ما هو ثابـت ومقـرر في الإسلام،وهذا يوحي بسلامة تناقل النص من التحريف بشكل نسبي لمحايدة صاحب المعجزة فلا مـصلحة للغلو بشخصه،كما هو الحال مع معجزة انتقال أخنوخ (إدريس عليه الصلاة والسلام)، فهذه نماذج يمكن الـيهود والنصارى أن يردوا فهمهم في معجزات أنبيائهم إليهما حتى يرجع شيء من التوازن لسلامة نظرهم لخوارق العادات إن ابتغوا إلى ذلك سبيلا .

فمعجـزة يـونس عليه السلام تمثل قاسما مشتركا بين اليهودية والنصرانية والإسلام حيث أنها يعترف بها أهل الأديان الـثلاثة مع اختلاف بسيط في ذكر بعض تفاصيلها بين ما هو مقرر في الإسلام وبين ما جاء في رواية العهد القديم، وهـي في الإسلام تبين أن الله تعالى أرسله إلى أهل نينوى- تقع قريبا من نهر دجلة، تجاه مدينة الموصل- ليردهم إلى عـبادة الله تعالى، وذلك بعد أن دخلت فيهم عبادة الأوثان، فلم يستجيبوا له، فأوعدهم بالعذاب في يوم معلوم إن لم يتوبوا إلى الله تعالى .

وظن أنه قد أنهى مهمته في التبليغ وخرج مغاضبا من إعراضهم وعدم استجابتهم لأمر الله تعالى قبل حلول أمر الله تعـالى فيهم ،فلما رأى قومه بوادر نزول العذاب قد اقتربت فزعوا إلى الله تعالى، وندموا وتابوا إلى الله تعالى فنفعهم ذلك عند الله تعالى ورفع عنهم العذاب لما علم من صدق توبتهم، فعادوا موحدين لله تعالى رب العالمين.

أما يونس عليه الصلاة والسلام فقد ركب السفينة التي هاج بها البحر وماج، فقال أهل السفينة أن فينا مذنبا فدعوا للاقتراع مرارا وفي كل مرة يقع السهم على يونس عليه الصلاة والسلام، فألقوه في البحر -حتى يسكن عنهم غضب الرب-، فالتقمه الحوت وهو مليم ولم يصب منه لحما ولم يهشم له عظما وسار فيه في عباب البحر حيا فدعا يونس الله عز وجل، وهو يسبح ويستغفر الله تعالى لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ - ٨٨

فاستجاب الله تعالى له،ونجاه من الغم، ثم قذفه الحوت بأمر الله تعالى على ساحل البحر وهو سقيم، وأنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين تقيه الحر وتحفظه من أذى الحشرات وتكون له غذاء، فعلم عليه الصلاة والسلام أن ما أصابه هو تأديب له على فعله خلاف الأولى فلا بد من الثبات على أمر الدعوة إلى الله تعالى، وأن الله تعالى قد نجاه بمعجزة خارقة للعادة ؛ لأنه تعرف إلى الله تعالى في رخائه فأنقذه الله تعالى مما ابتلاه فيه في وقت شدته.

وقد سماه الله تعالى ذا النون أي بمعنى صاحب الحوت، ثم بعثه الله تعالى إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا بالله تعالى.

المطلب الثاني: معجزات سليمان عليه الصلاة والسلام

ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم للنبي الملك سليمان عليه الصلاة والسلام ما يلي:

١-ادراكه كلام النمل.

٢-علم منطق الطير.

٣-تسخير الله تعالى الريح له عليه الصلاة والسلام.

٤-أن الله تعالى أسال له عين القطر.

٥-تسخير الجن للعمل بين يديه.

فهذا الملك كله هيأه الله تعالى لسليمان عليه الصلاة والسلام، وأباح له التصرف فيه على الوجه الذي يريده، وله كذلك القرب من الله تعالى وحسن المآب في جنان الخلود.

ولكن داود وسليمان في اليهودية من ملوك بني إسرائيل ولا تصريح حقيقي بنبوتهما في العهد القديم،فيقدم داود على أساس أنه بطل يقتل أسد ودب، ثم يقتل جليات بحجر* وذلك في صموئيل الأول ١٧: ٣٤-٥١ "٣٤فقالَ داوُدُ لشاوُلَ:"كانَ عَبدُكَ يَرعَى لأبيهِ غَنَمًا، فجاءَ أسَدٌ مع دُبٍّ وأخَذَ شاةً مِنَ القَطيعِ،٣٥فخرجتُ وراءَهُ وقَتَلتُهُ وأنقَذتُها مِنْ فيهِ، ولَمّا قامَ علَيَّ أمسَكتُهُ مِنْ ذَقنِهِ وضَرَبتُهُ فقَتَلتُهُ.٣٦قَتَلَ عَبدُكَ الأسَدَ والدُّبَّ جميعًا. وهذا الفِلِسطينيُّ الأغلَفُ يكونُ كواحِدٍ منهُما، لأنَّهُ قد عَيَّرَ صُفوفَ اللهِ الحَيِّ".٣٧وقالَ داوُدُ:"الربُّ الذي أنقَذَني مِنْ يَدِ الأسَدِ ومِنْ يَدِ الدُّبِّ هو يُنقِذُني مِنْ يَدِ هذا الفِلِسطينيِّ". فقالَ شاوُلُ لداوُدَ:"اذهَبْ وليَكُنِ الربُّ معكَ".٣٨وألبَسَ شاوُلُ داوُدَ ثيابَهُ، وجَعَلَ خوذَةً مِنْ نُحاسٍ علَى رأسِهِ، وألبَسَهُ دِرعًا.٣٩فتَقَلَّدَ داوُدُ بسَيفِهِ فوقَ ثيابِهِ وعَزَمَ أنْ يَمشيَ، لأنَّهُ لم يَكُنْ قد جَرَّبَ. فقالَ داوُدُ لشاوُلَ:"لا أقدِرُ أنْ أمشيَ بهذِهِ، لأنّي لم أُجَرِّبها". ونَزَعَها داوُدُ عنهُ.٤٠وأخَذَ عَصاهُ بيَدِهِ، وانتَخَبَ لهُ

---

*- في الإسلام قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ البقرة: ٢٥١

خَمسَةَ حجارَةٍ مُلسٍ مِنَ الوادي وجَعَلها في كِنفِ الرُّعاةِ الذي لهُ، أيْ في الجِرابِ، ومِقلاعَهُ بيَدِهِ وتقَدَّمَ نَحوَ الفِلسطينيِّ.٤١وذَهَبَ الفِلسطينيُّ ذاهِبًا واقتَرَبَ إلَى داوُدَ والرَّجُلُ حامِلُ التُّرسِ أمامَهُ.٤٢ولَمّا نَظَرَ الفِلسطينيُّ ورأى داوُدَ استَحقَرَهُ لأنَّهُ كانَ غُلامًا وأشقَرَ جَميلَ المَنظَرِ.٤٣فقالَ الفِلسطينيُّ لداوُدَ:"ألَعَلّي أنا كلبٌ حتَّى أنَّكَ تأتي إلَيَّ بعِصيٍّ؟". ولَعَنَ الفِلسطينيُّ داوُدَ بآلِهَتِه.٤٤وقالَ الفِلسطينيُّ لداوُدَ:"تعالَ إلَيَّ فأُعطيَ لَحمَكَ لطُيورِ السماءِ ووُحوشِ البَرّيَّةِ".٤٥فقالَ داوُدُ للفِلسطينيِّ: "أنتَ تأتي إلَيَّ بسَيفٍ وبرُمحٍ وبتُرسٍ، وأنا آتي إلَيكَ باسمِ رَبِّ الجُنودِ إلَهِ صُفوفِ إسرائيلَ الذينَ عَيَّرتَهُمْ.٤٦هذا اليومَ يَحبِسُكَ الرَّبُّ في يَدي، فأقتُلُكَ وأقطَعُ رأسَكَ. وأُعطي جُثَثَ جَيشِ الفِلسطينيّينَ هذا اليومَ لطُيورِ السماءِ وحَيَوانات الأرضِ، فتعلَمُ كُلُّ الأرضِ أنَّهُ يوجَدُ إلَهٌ لإسرائيلَ.٤٧وتعلَمُ هذهِ الجَماعَةُ كُلُّها أنَّهُ ليس بسَيفٍ ولا برُمحٍ يُخَلِّصُ الرَّبُّ، لأنَّ الحَربَ للرَّبِّ وهو يَدفَعُكُمْ ليَدِنا".٤٨وكانَ لَمّا قامَ الفِلسطينيُّ وذَهَبَ وتقَدَّمَ للِقاءِ داودَ أنَّ داوُدَ أسرَعَ ورَكَضَ نَحوَ الصَّفِّ للِقاءِ الفِلسطينيِّ.٤٩ومَدَّ داوُدُ يَدَهُ إلَى الكِنفِ وأخَذَ مِنهُ حَجَرًا ورَماهُ بالمِقلاعِ، وضَرَبَ الفِلسطينيَّ في جَبهَتِهِ، فارتَزَّ الحَجَرُ في جَبهَتِهِ، وسقَطَ علَى وجهِهِ إلَى الأرضِ.٥٠فتمَكَّنَ داوُدُ مِنَ الفِلسطينيِّ بالمِقلاعِ والحَجَرِ، وضَرَبَ الفِلسطينيَّ وقَتَلهُ. ولم يَكُنْ سيفٌ بيَدِ داوُدَ.٥١فرَكَضَ داوُدُ ووقَفَ علَى الفِلسطينيِّ وأخَذَ سيفَهُ واختَرَطَهُ مِنْ غِمدِهِ وقَتَلهُ وقَطَعَ بهِ رأسَهُ. فلَمّا رأى الفِلسطينيّونَ أنَّ جَبّارَهُمْ قد ماتَ هَرَبوا".

ثم يصبح داود الموسيقي والشاعر ملكا على عرش إسرائيل لمدة أربعين عاما بعد وفاة كل من صموئيل وشاول .

ثم يبتلى بالشيخوخة حيث جاء في ملوك الأول ١ : ١-٣ "١وشاخَ المَلِكُ داوُدُ. تقَدَّمَ في الأيّامِ. وكانوا يُدَثِّرونَهُ بالثّيابِ فلم يَدفأْ.٢فقالَ لهُ عَبيدُهُ:"ليُفَتِّشوا لسيِّدِنا المَلِكِ علَى فتاةٍ عَذراءَ، فلتَقِفْ أمامَ المَلِكِ ولتَكُنْ لهُ حاضِنَةً ولتَضطَجِعْ في حِضنِكَ فيَدفأَ سيِّدُنا المَلِكُ".٣ففَتَّشوا علَى فتاةٍ جَميلَةٍ في جميعِ تُخومِ إسرائيلَ، فوَجَدوا أبيشَجَ الشّونَميَّةَ، فجاءوا بها إلَى المَلِكِ.٤وكانَتِ الفَتاةُ جَميلَةً جِدًّا، فكانَتْ حاضِنَةَ المَلِكِ".

ثم تكون وصايا داود لسليمان وذلك في ملوك الأول٢: ١-٥ " ١ولَمّا قَرُبَتْ أيّامُ وفاةِ داوُدَ أوصَى سُلَيمانَ ابنَهُ قائلاً: ٢"أنا ذاهِبٌ في طَريقِ الأرضِ كُلِّها، فتشَدَّدْ وكُنْ رَجُلاً.٣احفَظْ شَعائرَ الرَّبِّ إلَهِكَ، إذ تسيرُ في طُرُقِهِ، وتحفَظُ فرائضَهُ، وصاياهُ وأحكامَهُ وشَهاداتِهِ، كما هو مَكتوبٌ في شَريعَةِ موسَى، لكَيْ تُفلِحَ في كُلِّ ما تفعَلُ وحَيثُما توَجَّهتَ. ٤لكي يُقيمَ الرَّبُّ كلامَهُ الذي تكلَّمَ بهِ عَنّي قائلاً:إذا حَفِظَ بَنوكَ طريقَهُمْ وسلكوا أمامي بالأمانَةِ مِنْ كُلِّ قُلوبِهِمْ وكُلِّ أنفُسِهِمْ، قالَ لا يُعدَمُ لكَ رَجُلٌ عن كُرسيِّ إسرائيلَ".

وسليمان العهد القديم هو صهر فرعون وذلك في ملوك الأول ٣:١ " ١وصاهَرَ سُلَيمانُ فِرعَونَ مَلِكَ مِصرَ، وأخَذَ بنتَ فِرعَونَ وأتَى بها إلَى مدينةِ داوُدَ إلَى أنْ أكمَلَ بناءَ بَيتِهِ وبَيتِ الرَّبِّ وسورِ أورُشَليمَ حَوالَيها "، وله حكمة عظيمة مسرف في أمور البناء والنساء تأتيه ملكة سبأ زائرة راغبة في حكمته محملة بالهدايا الوفيرة التي قبلها منها سليمان ولا ذكر لدعوتها للتوحيد أو خبر عرشها حيث جاء في ملوك الأول ١٠: ١-١٣" ١وسمِعَتْ مَلِكَةُ سبا بخَبَرِ سُلَيمانَ لمَجدِ الرَّبِّ، فأتَتْ لتَمتَحِنَهُ بمَسائلَ.٢فأتَتْ إلَى أورُشَليمَ بمَوكِبٍ عظيمٍ جِدًّا، بجِمالٍ حامِلَةٍ أطيابًا وذَهَبًا كثيرًا جِدًّا وحِجارَةً كريمَةً. وأتَتْ إلَى سُلَيمانَ وكلَّمَتهُ بكُلِّ ما كانَ بقَلبِها.٣فأخبَرَها سُلَيمانُ بكُلِّ كلامِها. لم يَكُنْ أمرٌ مَخفيًّا عن المَلِكِ لم يُخبِرها بهِ.٤فلَمّا رأتْ مَلِكَةُ سبا كُلَّ حِكمَةِ سُلَيمانَ، والبَيتَ الذي بَناهُ،٥وطَعامَ مائدَتِهِ، ومَجلِسَ عَبيدِهِ، ومَوقِفَ خُدّامِهِ ومَلابِسَهُمْ، وسُقاتَهُ، ومُحرَقاتِهِ التي كانَ يُصعِدُها في بَيتِ الرَّبِّ، لم يَبقَ فيها روحٌ بَعدُ.٦فقالَتْ للمَلِكِ:"صَحيحًا كانَ الخَبَرُ الذي سمِعتُهُ في أرضي عن أُمورِكَ وعَنْ حِكمَتِكَ.٧ولَمْ أُصَدِّقِ الأخبارَ حتَّى جِئتُ وأبصَرَتْ عَيناي، فهوذا النِّصفُ لم أُخبَرْ بهِ. زِدتَ حِكمَةً وصَلاحًا علَى الخَبَرِ الذي سمِعتُهُ.٨طوبَى لرِجالِكَ وطوبَى لعَبيدِكَ هؤُلاءِ الواقِفينَ أمامَكَ دائمًا السّامِعينَ حِكمَتَك.٩ليَكُنْ مُبارَكًا الرَّبُّ إلَهُكَ الذي سُرَّ بكَ وجَعَلكَ علَى كُرسيِّ

إسرائيلَ. لأنّ الربَّ أحبَّ إسرائيلَ إلَى الأبدِ جعَلكَ مَلكًا، لتُجريَ حُكمًا وبرًّا". ١٠وأعطَت المَلكَ مئةً وعشرينَ وزنَةَ ذهَـــب وأطـــيابًا كثيرَةً جدًّا وحجارَةً كريمَةً. لم يأتِ بَعدُ مثلُ ذلكَ الطِّيبِ في الكَثرَةِ، الذي أعطَتهُ مَلكَةُ سبا للمَلكِ سُليمانَ. ١١وكذا سُفُنُ حيرامَ التي حَمَلَتْ ذَهَبًا مِنْ أوفيرَ، أتَتْ مِنْ أوفيرَ بخَشَبِ الصَّنْدَلِ كثيرًا جدًّا وبحجارَةٍ كريمَةٍ. ١٢فعَمِلَ سُليمانُ خَشَبَ الصَّنْدَلِ دَرابَزينًا لبيتِ الربِّ وبَيتِ المَلكِ، وأعوادًا ورَبابًا للمُغَنِّينَ. لم يأتِ ولم يُرَ مِثلُ خَشَبِ الصَّنْدَلِ ذلكَ إلَى هذا اليومِ. ١٣وأعطَى المَلكُ سُليمانُ لَملكَةِ سبا كُلَّ مُشتَهاها الذي طَلَبَتْ، عَدا ما أعطاها إيّاهُ حَسَبَ كرَمِ المَلكِ سُليمانَ. فانصَرَفَتْ وذَهَبَتْ إلَى أرضِها هي وعَبيدُها".

فأين هذا مما قصه القرآن الكريم عن نبي الله تعالى سليمان عليه السلام .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النمل: ٢٨ - ٤٤

فخـــبر معجزات داود وسليمان عليما الصلاة والسلام المحفوظ بتفاصيله الدقيقة في كتاب الله تعالى العزيز يقدم الدليل القاطع على مدى جناية العهد القديم على أنبياء الله تعالى ومعجزاتهم حيث شوه معالم النبوة وبراهينها فصبغها العهد القديم بالحرص على طلب الملك القائم على شهوات النفس البشرية المرتبطة بحدود المادة الفانية .

مـــع أن الرب يتجلى لسليمان مرتين ليحذره من عبادة غيره! حسب زعم العهد القديم ولكن بلا جدوى وذلك في ملوك الأول ١١ :٦-١٢ " ٦وعَمِلَ سُليمانُ الشَّرَّ في عَينَيِ الربِّ، ولم يتبعِ الربَّ تمامًا كداوُدَ أبيه. ٧حينئذٍ بَنَى سُليمانُ مُرتَفَعَةً لكَموشَ رِجسِ الموآبيِّينَ علَى الجَبَلِ الذي تُجاهَ أورُشَليمَ، ولمولكَ رِجسِ بَني عَمّونَ. ٨وهكذا فعَلَ لجميعِ نِسائهِ الغَريباتِ اللواتي كُنَّ يوقِدنَ ويَذبَحنَ لآلِهَتِهِنَّ. ٩فغَضِبَ الربُّ علَى سُليمانَ لأنَّ قَلبَهُ مالَ عن الربِّ إلهِ إسرائيلَ الذي تـــراءَى لـــهُ مَـــرَّتَينِ، ١٠وأوصاهُ في هذا الأمرِ أنْ لا يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخرَى، فلم يَحفَظْ ما أوصَى بهِ الربُّ. ١١فقالَ الربُّ لـــسُلَيمانَ: "مِـــنْ أجلِ أنَّ ذلكَ عِندَكَ، ولم تحفَظْ عَهدي وفَرائضيَ التي أوصَيتُكَ بها، فإنّي أُمَزِّقُ المَملكَةَ عنكَ تمزيقًا وأُعطيها لعَبدِكَ" .

سبحانك هذا بهتان عظيم ! لقد شهد القرآن الكريم على سمو منزلة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام بما يدفع كل فرية ألصقها بهما كُتاب العهد القديم .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾
النمل: ١٥ - ١٦

ولقد تولى القرآن الكريم مهمة تسليط الضوء على الانحرافات العقدية التي استقرت عند طوائف اليهود والنصارى فشتت جمعهم، وفضح الكتاب العزيز أمرهم بالتي هي أحسن حتى لا تبقى لهم حجة أو شبهة بشأن صدق كل حرف من كتاب الله تعالى المعجز الذي تكفل الله تعالى بحفظه و لم يكل حفظه لذاكرة البشر المسرفة في الخيال والنسيان .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٤ - ١٥٥

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ المائدة: ١٣ .

ومن المآخذ التي يمكن لأهل الإسلام تسجيلها على عرض سير المرسلين عند اليهود في عهدهم القديم ما يلي[558] :

١-إغفال ذكر دعوات الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم إلى ضرورة توحيد الله تعالى وحسن عبادته إلا في بعض الأحوال الخاصة بأشخاص بعض اليهود .

٢- عدم التورع من ذكر الكثير من الإساءات التي تمس كرامة الأنبياء عليهم السلام .

٣- التصريح بالجرأة على الله تعالى وعظمته، وحصر مهمة الإله بالانتقام من الأعداء، والحرص على ترفيه شعب الله المختار .

٤- خلو سيرة الأنبياء عليهم السلام في اليهودية من نبذ عبادة الأصنام وحرصهم على محاربتها لا سيما سيرة خليل الله تعالى إبراهيم عليه السلام الذي شهد له القرآن الكريم منذ فتوته وهو يحطم الأصنام بيده حتى ألقي في النار بسبب تحطيمه لها .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ
لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

الأنبياء: ٥١ - ٧٠

٥- لا ذكـــر لأثر معجزات ودعوة الأنبياء في غير بني إسرائيل من الأمم الفرعونية والوثنية؛ لأنها أمور حكر على بني إسرائيل، ونفعها يخص بني إسرائيل(الشعب المختار) وحدهم دون غيرهم من الأمم.

---

[558]-انظر الصادقي، عقائدنا، ص٤٥٠ -٤٥٣ .

المبحث الثامن: موازنات بين القرآن الكريم المعجز وبين الكتاب المقدس المتداول في هذه الأيام ٠

حينما نقارن بين القرآن الكريم المعجز والكتاب المقدس المتداول في هذه الأيام نجد الحقائق الآتية:

١-القرآن الكريم وحي مستقل بلفظه ومعناه ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ يس: ٦٩

أمـــا الكتاب المقدس فهو ترجمة لنصوص مفقودة من كتب العهدين نقلت مشافهة مع الجهل بلغة الأصل، واختلاف عبارات المترجمين حسب حدود فهمهم البشري القاصر ٠

٢-إن ألفاظ القرآن الكريم لا تقبل الزيادة ولا النقصان فهي وحي ثابت منقول بالتواتر ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ الحجر: ٩

في حين نجد أن الكتاب المقدس يمكن للمجمع أن يحذف منه أو يزيد عليه عبارات يراها تناسب ما يستجد من وقائع معاصرة ٠

٣- القرآن الكريم لا يناقض المسلمات العقلية والمكتشفات العلمية ٠

فالقرآن الكريم كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد ٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ فصلت: ٤١ – ٤٢ ٠

بينما الكتاب المقدس غني بالكثير من المتناقضات مع بدهيات العقل والمسلمات العلمية وغير ذلك٠

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ المائدة: ٦٨

إن معجـــزة القرآن الكريم بلا ريب تعتبر منهج حياة شامل تواكب النمو المعرفي لدى الإنسان فما من يوم ينشق فجره إلا ويدلي بشهادة جديدة على حقيقة نبه إليها الكتاب العزيز المعجز، ولكن غفل عنها عقل البشر المخلوق فيما مضى من الزمان ٠

أنعم وأكرم بتلك المعجزة الربانية الخالدة الناطقة بذكر الله تعالى إلى قيام الساعة التي يشعشع نور هدايتها في قلب كل مؤمن برب العالمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾
الزمر: ٢٣

وهي معجزة ميسرة لا كلفة فيها ذات أثر بليغ لمن كان له قلب يعقل معانيها التي لا تنفد أبدا .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧

فهي معجزة مهيمنة على عقول البشر وقلوبهم وجميع حواسهم الظاهرة والباطنة إلى قيام الساعة .

وفوق كل ذي علم عليم، والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة

الحمـــد لله رب العـــالمين أيد عباده المرسلين بمعجزات بينات حفظ ذكر أكثرها في كتابه المحفوظ إلى يوم الدين، ووهب للأمة الخاتمة بركة عبرها وحكمها، وأكرم نبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم بأزكى البينات المادية والمعنوية لهدايـــة الأمم، ورحمة بالعالمين، فأرجو من الله تعالى كما رجا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى أن يكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة اللهم آمين، وبعد :

فقـــد أسست الدراسة الموضوعية المقارنة بين اليهودية والنصرانية والإسلام لموضوع خوارق العادات للوقوف على بقايـــا المعالم الحقيقية لمباحث الألوهية والنبوة التي بلّغها الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في اليهودية والنصرانية حيث ظهـــر أثـــر الانحراف العقدي المرتكز على المغالطة في تصوير حقيقة مصدر الخوارق بما يخدم المعتقدات التي ألصقت بالجوانب العقدية لمسائل الألوهية والنبوة لأتباع كلتا الديانتين مما تولد عن ذلك تشوهات حقيقية انعكست سلبا على معتقدات أتباع اليهودية والنصرانية ما زالت آثارها قائمة حتى الآن، وفي عجزهم عن تقديم تفسير صحيح لمدلول كل ما ورد من نصوص تناقلوها في العهدين فيما يتعلق بالخوارق في كثير من الأحيان .

أما في الإسلام فقد أكسب الله تعالى معتقدات الأمة الخاتمة مناعة ذاتية مستمدة من نصوص الوحي المحفوظ بشقيه كـــتاب عزيز، وسنة نبوية مطهرة حيث عصم الله تعالى هذه الأمة من كل التشوهات العقدية التي غرقت فيها الأمم الـــسابقة بسبب تفريطها في حفظ الوحي الإلهي المناط بها حفظه، وكلما تعرضت الأمة الخاتمة للمحن كلما ازدادت صلابة وثباتا وشدة تماسك، وتمحور على صلابة عقيدتها، وهذا هو سر بقائها وحفظها من الزوال في حين يتجه غيرها إلى ضياع وزوال ولو طال به الزمان إلى حين.

لـــذا فمـــن المحال أن يستطيع اليهود والنصارى تقديم تفسير واضح منطقي متكامل يجلي حقيقة المقصود بخوارق العـــادات وغاياتهـــا بمعزل عن الإسلام، والسر في ذلك هو الخداع الحاصل في معتقدات اليهود والنصارى فيما يتعلق بالألوهـــية والنـــبوة، ومتطلباتهما حيث تم الوقوف على كثير من نصوص العهدين التي تظهر العتاب الشديد وتنسب الجهـــل لإلـــه أتباع العهد القديم الذي اختص برعاية مصالحهم على الرغم من بشاعة معاصيهم، فضلا عن الهذيان المتراكم تجاه أنبياء العهد القديم، ومن أورد لهم ذكراً كُتّاب العهد القديم بصورة يخجل من ذكرها أفجر الخلق.

والعهـــد الجديد يستقي منه النصارى تضارب تصوراتهم للإله ضمن ثلاثة أقانيم هي: الآب والابن وروح القدس بالإضافة إلى معتقد النصارى في قدرة المسيح الذاتية على فعل الخوارق التي منحها لتلاميذه من بعده، ونظرتهم لامتلاك الكنيسة القدرة على فعل الخوارق حتى في هذا الزمان .

لذلك تجلت رحمة الله تعالى في الرسالة الخاتمة لتنبذ كل الخرافات والأساطير التي ألصقت بخوارق العادات، وتبقي علـــى سلامة المقصد من ظهور الخارقة التي تظهر بأمر الله تعالى وإذنه عز وجل فلا سبيل لأي زعم أن يتجاوز هذه العقيدة البينة التي قومت كل اعوجاج عقلي تسلل لمعتقدات البشر بشأن خوارق العادات .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨

فالخــــوارق التي تم بيانها منها ما هو إرهاص مؤسس لقرب ظهور نبي، ومنها ما هو معجزة تبرهن على صدق نبوة نبي، ومنها ما هو كرامة لولي متابع لنبي، ومنها ما هو معونة لعوام الناس في شدة ألمت بهم، ومنها ما هو إهانة لكذاب مدعي نبوة، ومنها ما هو استدراج لكافر مدع للألوهية، ولكل نوع منها من القيود والضوابط ما يميزه عن غيره من الخوارق، فضلا عن الشواهد التي سجلها التاريخ لنماذج متعددة لكل نوع منها حيث تطابق الواقع مع ما هو مقرر في الإسلام بشأن الخوارق، فلا مجال لساحر أو مشعوذ أن يدلس على الخلق حيله وأباطيله التي تستند لأسباب طبيعية قد يخفى أمرها على من لا دراية له بها بعض الوقت، ولكن يذهب العجب بمعرفة السبب .

لقد سعت هذه الدراسة لإنصاف جهد الأنبياء والمرسلين في أمر الدعوة إلى الله تعالى، ومدى حرصهم على هداية أقوامهم، وتبليغهم دين الإسلام حتى لا يقع محذور الاستئصال لأقوامهم حتى كانت الرسالة الخاتمة التي تممت مكارم الدعوات الخاصة بدعوة عامة لكافة الخلق مستخلصة من معجزة خالدة تهدي للتي هي أقوم بإذن الله تعالى ورحمته .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم أنتفع به حيا، وميتا، وحسنة أقرؤها في كتابي بين يدي رب العالمين في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم، والحمد لله رب العالمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ – ٨٩ .

ملخص لأهم نتائج الرسالة

١- النبوة اصطفاء من الله تعالى، وليست وراثة ومراتب كما يعتقد اليهود، ومعتقد علماء اليهود بما زعمه الفلاسفة في تفسير سبب حصول المعجزات بأنها تحصل بسبب خاصية في نفس النبي يجعل المعجزة من الأمور المكتسبة، وبذلك يتساوى النبي مع غيره عند اليهود، وكفى بذلك ضلالة .

٢- القول بعصمة الأنبياء والمرسلين كما هو مقرر في الإسلام يُدَّعم جانب التصديق بالمعجزات التي يظهرها الله تعالى على أيدي الأسوة الحسنة من البشر، وما نسبه اليهود والنصارى للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أوصاف تخل بعصمتهم عليهم الصلاة والسلام هي من وضع نقلة كتاب اليهود والنصارى بكل تأكيد .

٣- القول بالارتباط العادي بين العلة والمعلول هو القول الذي يتوافق مع القول بإمكانية حدوث خوارق العادات، فكل شيء يحدث في مستقر العادة بالضرورة والمشاهدة، والباب مفتوح أمام القدرة والمشيئة الإلهية لكي تخرق العادات؛ وبذلك يظهر خطأ تطبيق العلاقة الضرورية اللازمة بين العلة والمعلول على خوارق العادات؛ لأن ذلك يودي إلى القول باستحالة المعجزات .

٤-منهج علماء الكلام المسلمين في بيان أنواع خوارق العادات هو المنهج الصحيح والسليم لتوافقه مع مقتضيات العقل والفطرة؛ ولأنه يدعم جانبي الإيمان والتقوى، وبتطبيقه نتخلص من المعتقدات الخاطئة التي لا تقوم على الحجة والبرهان فيما هو متعلق بخوارق العادات .

٥- بقايا البشارات في العهدين تُمثل شهادة حق ملزمة لأهل الكتاب على ضرورة السعي لاستقبال صاحب المعجزة الخالدة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه ولزوم اتباعه قبل غيرهم من الأمم؛ لأنهم أدرى وأخبر بأدلة صدق الأنبياء وأوصافهم، ولا سيما التي بقيت محفوظة لدى بعضهم .

٦- القرآن الكريم وحي إلهي معصوم يُشكل المرجعَ الفصل لكثير من أخبار معجزات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، في حين لا يمكن التسليم بتفاصيل كثير من الروايات المتعلقة بخوارق العادات وغيرها في العهدين القديم والجديد .

٧-كـــرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى لا الارتياض والمجاهدة، وهي لا تتعارض مع المعجزات، وهي تُبرهن على صـــدق متابعة الولي للنبي، مع ضرورة الارتباط بالأخذ بالأسباب و والحرص على طلب الاستقامة فهي تدفع للعمل بطاعة الله تعالى؛ لأنها مبنية على الستر والحرص على كتمانها .

٨- المعونة دليل على سعة رحمة الله تعالى فلا يترك عباده المؤمنين في وقت البلاء والشدة والمحنة بلا نصرة وعون منه عز وجل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ (٥١) ﴾ غافر: ٥١

٩- الـــسحر لا يعـــد مـــن خوارق العادات، ولا يظهر ذلك بشكل جلي إلا من خلال مقارنته مع أنواع خوارق العادات؛ فبضدها تتميز الأشياء .

١٠- إن الـــيهود والنصارى في وقتنا الحاضر بحاجة إلى منهجية شاملة تعيد تقييم نصوص العهدين التي تتحدث عن خـــوارق العـــادات؛ لكي تضبط المعايير المعتبرة لخوارق العادات في اليهودية والنصرانية بحيث لا تخرج عن الضوابط المعتبرة التي تستند إلى مرجعية الوحي الإلهي المعصوم عند المحققين من علماء الإسلام .

١١- مـــدخل الخلـــل في فهم اليهود والنصارى للخوارق يكمن في افتقارهم إلى مرجعية شاملة تجلي حقيقة القيود المعتبرة لكل خارقة من خوارق العادات حتى لا تلتبس بغيرها، ولا سيما في أمر توسعهم في إدخال ما هو ليس بمعجزة مع المعجزات من بشارة وإرهاص وكرامة وغير ذلك ، وهذا إسهاب في الإفراط منهم، ولهذا جمح بهم التصور العقلي المتأثر بحدود زمانه ومكانه ومشاهداته ليخضع الخوارق لمقاييسه وتصوراته القاصرة في ظل قصور نصوص العهدين عن كبح جماح الغلو العقلي في اليهودية والنصرانية، فظهرت هذه المعتقدات العقيمة التي تمازج بين مفاهيم خوارق العادات بما يخدم معتقدات اليهود والنصارى في الألوهية والنبوة .

١٢- اعتقاد النصارى بقدرة المسيح الذاتية على فعل الخوارق وإنه يستطيع منحها غيره من البشر اعتقاد غير صحيح؛ لأنهم غفلوا عن دوره الحقيقي فيها فهو يتوجه بخالص الدعاء إلى الله تعالى ويعلن التضرع و يتوجه بالصلاة لله تعالى، وما حصل له من خوارق إنما جرى بإذن الله تعالى، وهذا ثابت بنص القرآن الكريم، وبنصوص الأناجيل،كما إن جميع من ظهرت على أيديهم الخوارق من الأنبياء والمرسلين أجمعوا على أنهم بشر والمعجزة يظهرها الله تعالى بإذنه وحده لا

شـــريك له عز وجل، وما يكون من ثناء وتبرك لأتباع الأنبياء عليهم السلام لا يمتلك أتباعهم بسببه العصمة أوالقدرة على فعل الخوارق ٠

١٣- الإســـلام هو الدين الوحيد الذي صرح بإن مصدر الخوارق أنها من عند الله تعالى وبإذنه، وهي مختصة بما هو إرهـــاص يؤسس لقرب مبعث نبي، أو معجزة لنبي، أو كرامة لولي، أو معونة لعوام الناس، أو إهانة لكذاب في دعواه للنبوة، أو استدراج لمدع للألوهية ٠

١٤- ذِكْرُ القرآن الكريم لمعجزات الأنبياء والمرسلين السابقين حفظها من الضياع والتحريف والتبديل، وفي ذلك حفظ للـــصورة الحقيقية للمعجزات ولجهد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في مدى إخلاصهم وتضحياتهم وحرصهم على دعـــوة أقـــوامهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته عز وجل، والكتاب الكريم هو الذي حفظ العبرة والعظة من مشاهد الأحداث المقترنة بخوارق العادات ليقدمها بصورة حية تلامس قلوب وعقول المتدبرين لآيات الكتاب العزيز ٠

١٥- وقوع المعجزات المادية مرتبط بزمن وفئة من الناس، وهي منتهية الوقوع في الإسلام بعد وفاة نبينا محمد صلى الله علـــيه وسلم، وهذا يبرهن على عدم صحة زعم النصارى باستمرارية ظهور المعجزات على أيدي غير الأنبياء حتى هذا الزمان ٠

١٦- القـــرآن الكريم معجزة معنوية محفوظة باقية وكافية، وهو منهج حياة متكاملة فيه سعادة الدارين، وهو الميزان الدقيق الذي توزن به عقائد السابق واللاحق من الأمم؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد ٠

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤٢ ٠

فلله الحجة البالغة، وهو أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين ٠

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الكتاب المقدس نسخة إلكترونية، بيروت- لبنان ،إصدار جمعية الكتاب المقدس ،ترجمة البستاني وفانديك،٢٠٠٧م

٣- أبو الرُّب ،سند فضيل أحمد،المعجزة-دراسة عقائدية،رسالة ماجستير،كلية الدراسات الفقهية والقانونية-قسم العقيدة،المفرق-الأردن،جامعة آل البيت، ١٩٩٨م .

٤- أبو دقيقة ، الشيخ محمود، القول السديد في علم التوحيد،تحقيق وتعليق أ.د.عوض الله جاد حجازي،دار نشر غير معروفة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

٥- أبو زهرة ، محمد ،المعجزة الكبرى القرآن نزوله-كتابته-جمعه-إعجازه-جدله-علومه-تفسيره-حكم الغناء به،دار الفكر العربي،ط غير معروفة،١٩٧٠م .

٦- أبو زهرة ،محمد،محاضرات في النصرانية تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم وفي مجامعهم المقدسة وفرقهم،القاهرة-مصر،دار الفكر العربي،ط غير معروفة،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

٧- أبو زيد ، الأرشمندريت بطرس،مرشد الوعاظ والكتاب إلى كنوز آيات الكتاب،مطبعة القديس بولس في حريصا،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

٨- أرسطو طاليس، الكون والفساد، نقله للعربية أحمد لطفي السيد،دار النشر غير معروفة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

٩- الأزهري ،محمد بن أحمد،تهذيب اللغة،القاهرة -مصر،الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط غير معروفة،١٣٨٤هـ-١٩٦٤م .

١٠- الأشعري ، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين،بيروت-لبنان، المكتبة العصرية ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م .

١١- الأشعري ،علي بن إسماعيل،الإبانة عن أصول الديانة،بيروت-لبنان،دار ابن حزم،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

١٢- الأشقر ،د.عمر سليمان،الرسل والرسالات،الكويت،مكتبة الفلاح،ط٣ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

١٣- الأصبهاني ، أبو نعيم،دلائل النبوة،حققه د.محمد رواس قلعجي وعبد البر عباس،بيروت -لبنان،دار النفائس،ط٤، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .

١٤- أنس ، القس جيمس،علم اللاهوت النظامي،راجعه ونقحه وأضاف إليه الدكتور القس منيس عبد النور،القاهرة- مصر،الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

١٥- الإيجي ، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف في علم الكلام،مع شرح للمحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت سنة٨١٦ه،مع حاشيتين جليلتين عليه أحدهما لعبد الحكيم السيالكوتي والثانية للمولى حسن جلبي بن محمد شاه الفناري، القاهرة-مصر،مطبعة السعادة،ط١ ،١٣٢٥هـ-١٩٠٧م .

١٦- آل كاشف الغطاء،محمد الحسين،عقائد الشيعة المسمى أصل الشيعة وأصولها،تقديم د.حسن حنفي،الإمام الأكبر محمود شلتوت،د.محمد رشيد رضا،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م .

١٧- الآمدي ، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم، غاية المرام في علم الكلام،القاهرة-مصر،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،ط غير معروفة،١٩٧١م .

١٨- الآمدي ، علي بن محمد بن سالم المعروف بسيف الدين ، أبكار الأفكار في أصول الدين،حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أحمد فريد المزيدي،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

١٩- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح، اعتنى به صبحي رمضان شحادة،عمان-الأردن،دار البيت العتيق الإسلامية،ط١ ،١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

٢٠- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ،دلائل النبوة معجزات محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته من النقل والعقل،تحقيق وتعليق محمود النيجيري،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م .

٢١- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،تحقيق وتعليق د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر د.حمدان محمد الحمدان، الرياض-المملكة العربية السعودية، دار العاصمة،النشرة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٢٢- ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم، ت٧٢٨هـ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم وساعده ابنه محمد، الرياض-المملكة العربية السعودية، دار عالم الكتب الرياض، ١٩٩١م .

٢٣- ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم،المعجزة وكرامات الأولياء،دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٢٤- ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم ،النبوات،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط٢ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

٢٥- ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم ،مجموع الفتاوى،الرياض -المملكة العربية السعودية،دار عالم الكتب،ط غير معروفة،١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٢٦- ابن تيمية ،أحمد بن عبد الحليم ،معارج الوصول،القاهرة-مصر،المطبعة العامرة الشرقية،ط١ ،١٣٢٣ه .

٢٧- ابن حجر ،أحمد بن علي،فتح الباري بشرح صحيح البخاري،بيروت-لبنان،دار إحياء التراث العربي،ط٢ ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥ .

٢٨- ابن حزم ،علي بن أحمد،رسائل ابن حزم الأندلسي،تحقيق إحسان عباس،بيروت-لبنان،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١ ،١٩٨٣م .

٢٩- ابن حزم ، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي،القاهرة-مصر، المكتبة التوفيقية، ط غير معروفة ، ٢٠٠٣م .

٣٠- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد،مقدمة ابن خلدون،بيروت-لبنان،دار الجيل،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

٣١- ابن حمير،علي بن أحمد السبتي،تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء،تحقيق د.أحمد عبد الجليل الزُّبيي،بيروت-لبنان،دار ابن حزم،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

٣٢- ابن رشد ،أبو الوليد محمد،تهافت التهافت،تحقيق د.سليمان دنيا، القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ،سنة النشر غير معروفة .

٣٣- ابن رشد ،مناهج الأدلة في عقائد الملة،تقديم وتحقيق د.محمود قاسم،القاهرة-مصر،مكتبة الأنجلو المصرية،ط٢ ، ١٩٦٤م .

٣٤- ابن زكريا ، أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ، معجم مقاييس اللغة،بتحقيق وضبط،عبد السلام محمد هارون، بيروت- لبنان ،دار الجيل ،الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٣٥- ابن سينا ، الإشارات والتنبيهات،تحقيق د.سليمان دنيا،القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ،سنة النشر غير معروفة.

٣٦- ابن عاشور ،محمد الطاهر،تفسير التحرير والتنوير،تونس،الدار التونسية للنشر،ط غير معروفة، سنة النشر غير معروفة .

٣٧- ابن قدامة ،عبدالله بن أحمد ت٦٣٠هـ، المغني،تحقيق وتعليق محمد سالم محيسن-وشعبان محمد إسماعيل،بيروت- لبنان،دارإحياء التراث العربي،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة.

٣٨- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت-لبنان، دار المعرفة،ط٢ ،١٩٧٥م .

٣٩- ابن قيم الجوزية ، محمد،، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،خرج أحاديثه أحمد بن شعبان ابن أحمد،القاهرة-مصر،مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م .

٤٠- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع،تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط الثانية ،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

٤١- ابن كثير ، إسماعيل، قصص الأنبياء. اعتنى به محمود بن الجميل، محتوية على تعليقات الشيخ محمد ناصر الدين الألباني،القاهرة-مصر،مكتبة الصفا، الطبعة الأولى،٢٠٠١م .

٤٢- ابن كمونة ، سعد بن منصور ت٦٨٣هـ،تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام،القاهرة- مصر،توزيع دار الأنصار،ط غير معروفة،سنة نشر غير معروفة .

٤٣- ابن كمونة ،سعد بن منصور،الجديد في الحكمة،دراسة وتحقيق حميد مرعيد الكبيسي،بغداد-العراق،مطبعة جامعة بغداد،ط غير معروفه،١٤٠٣هـ-١٩٨٢م .

٤٤- ابن منظور، محمد بن كرم،لسان العرب،بيروت-لبنان،دار صادر،ط١ ،سنة النشر غير معروفه .

٤٥- ابن ميمون ، موسى ١١٣٥-١٢٠٥م، دلالة الحائرين،تقديم حسين آتاي،القاهرة-مصر،مكتبة الثقافة الدينية،سنة النشر غير معروفه .

٤٦- الباجوري ، إبراهيم ، شرح جوهرة التوحيد،نسقه وخرج أحاديثه محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان،راجعه وقدم له فضيلة الأستاذ عبد الكريم الرفاعي،المدخل والتقسيم والتعليق والتصحيح د.محمد سمير الشاوي وعلاء الدين الحموي وأ. ندى الصباغ،سوريا،دار العصماء،ط -جديده منقحه،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م .

٤٧- البار ، محمد علي، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم دراسة مقارنه،دار القلم دمشق-الدار الشاميه-بيروت ،ط١ ،١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٤٨- الباش ،حسن،العقيدة النصرانية بين القرآن والأناجيل،دمشق سوريا،دار قتيبة،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٤٩- الباش ، حسن، القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان؟، دار قتيبة- دمشق، الطبعة الثانية،٢٠٠٢م .

٥٠- الباقلاني ، محمد بن الطيب ت سنة ٤٠٣هـ ،إعجاز القرآن،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٧هـ- ١٩٩٦م .

٥١- الباقلاني ، محمد بن الطيب، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، بيروت-لبنان، المكتبة الشرقية ساحة النجمة، منشورات جامعة الحكمة في بغداد،عني بتصحيحه ونشره الآب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي،ط غير معروفة ، ١٩٥٨م .
٥٢- الباقلاني ،محمد بن الطيب،تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر،مؤسسة الكتب الثقافية،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .
٥٣- باقودا ، يحيى بن يوسف ،الهداية إلى فرائض القلوب،ليدن-ألمانيا،طبع أول مرة بالمطبعة البريلية في ليدن-ألمانيا، ١٩٠٧-١٩١٣م .
٥٤- البخاري ، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا، اليمامة — بيروت، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م .
٥٥- بدوي ،د. عبد الرحمن،منطق أرسطو،القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية مطبعة دار الكتب المصريه،ط غير معروفة،١٩٤٩م .
٥٦- بدوي، د. عبد الرحمن،مذاهب الإسلاميين،بيروت-لبنان،دار العلم للملايين،ط١ ،١٩٦٦م .
٥٧- البزدوي ،محمد، أصول الدين،تحقيق د.هانز بيترلنس ضبطه وعلق عليه د.أحمد حجازي السقا،القاهرة-مصر،المكتبه الأزهرية للتراث،ط غير معروفة،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .
٥٨- البغدادي ،عبد القاهر بن طاهر، أصول الدين،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط٣ ،١٤٠١هـ-١٩٨١م .
٥٩- البغدادي ،عبد القاهر بن طاهر،الفرق بين الفرق،حقق أصوله وفصله وضبط مشكله وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد،القاهرة-مصر،دار الطلائع،ط غير معروفة،٢٠٠٥م .
٦٠- البغوي ، الحسين بن مسعود،معالم التنزيل،حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية — سليمان مسلم الحرش، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م .
٦١- البلتاجي ،محمد الأنور أحمد،محمد صلى الله عليه وسلم الخلق الكامل. والرحمة المهداة قبسات نورانية.. ومعجزات حسية،القاهرة-مصر،مكتبة وهبة،ط١ ،١٤١٤هـ-١٩٩٣م .
٦٢- البوطي ،محمد سعيد رمضان،كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق،دمشق-سوريا،دار الفكر،ط٩ ،١٤١١هـ-١٩٩٢م .
٦٣- البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ت٧٩١هـ، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية ،الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٦٤- بوكاي ،موريس،القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة،دراسة وتقديم خالد محمد عبده،الجيزة-مصر،مكتبة النافذة،الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م .
٦٥- البيهقي ،أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
٦٦- البيهقي ، أحمد بن الحسين ،شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
٦٧- التفتازاني ،سعد الدين مسعود بن عمر،شرح العقائد النسفية، تحقيق وتعليق محمد عدنان درويش راجعه فضيلة الشيخ أديب الكلاس، دار النشر غير معروفة،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

٦٨- التفتازاني ، مسعود بن عمر بن عبد الله ، شرح المقاصد،تحقيق وتعليق مع مقدمه في علم الكلام للدكتور عبد الرحمن عميره تصدير فضيلة الشيخ صالح موسى شرف،بيروت-لبنان،ط١ ،١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٦٩- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس،تعريب شركة ماستر ميديا،القاهرة-مصر،١٩٩٧م .

٧٠-التنير، محمد طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، بيروت-لبنان، الناشر غير معروف، بيروت في ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠هـ .

٧١- التهانوي ،محمد علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،تقديم واشراف ومراجعة د.رفيق العجم،تحقيق د.علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبدالله الخالدي،الترجمة الأجنبية د.جورج زيناني،بيروت-لبنان،مكتبة لبنان ناشرون،ط١ ،١٩٩٦م .

٧٢- ثابت ،مصطفى،القرآن معجزة الإسلام،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م .

٧٣- الجبوري ،حامد عيدان حمد،التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،٢٠٠٧م .

٧٤- الجرجاني ،علي بن محمد ت٨١٦ه، التعريفات،تحقيق وزيادة د.محمد عبد الرحمن المرعشي،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط٢ ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

٧٥- الجرجاني ، علي بن محمد،شرح المواقف،ضبطه وصححه محمود عمر الدمياطي،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

٧٦-جومير ، جاك واليافي، سامي، دائرة المعارف المسيحية-المسيح ابن مريم،بيروت-لبنان،دار الكلمة،ط غير معروفة، ١٩٦٦م .

٧٧-الجويني ،عبد الملك بن عبدالله بن يوسف، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد،تحقيق أسعد تيم،مؤسسة الكتب الثقافية،ط١ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٧٨- الجويني ، عبد الملك بن عبدالله بن يوسف(٤١٩-٤٧٨هـ)، الشامل في أصول الدين،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م .

٧٩- الجويني ، عبد الملك ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية،تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، القاهرة-مصر،المكتبة الأزهرية للتراث،ط غير معروفة،١٤١٢هـ-١٩٩٢م .

٨٠- الجـويني ، عـبد الملك أبو المعالي إمام الحرمين (٤١٩هـ-٤٧٨هـ)، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة،تقديم وتحقيق الدكتورة فوقيه حسين محمود راجع التحقيق الدكتور محمود الخضري،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة. الطبعة الأولى،١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .

٨١- الحامدي، إسماعيل بن موسى بن عثمان،حواش على شرح الكبرى للسنوسي،القاهرة-مصر،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الأولى،١٩٣٦م .

٨٢- حبيب ، د. القس صموئيل وآخرون،دائرة المعارف الكتابية،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط١ ،١٩٩٠م .

٨٣- حمد ، د. حسين علي،قاموس المذاهب والأديان،بيروت-لبنان،دار الجيل،ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٨٤- الحميضي ، عبد الرحمن إبراهيم ، خوارق العادات في القرآن الكريم، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٩٨٢م .

٨٥- الحنفي ، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي، الطبعة التاسعة،١٩٨٨م.

٨٦- دائرة المعارف الإسلامية للناشئين ،القاهرة-مصر،القاهرة للصحافة والترجمة والنشر،ط غير معروفة،١٩٨٢م .
٨٧- داود ، الأب عبد الأحد الأشوري العراقي،الإنجيل والصليب،قدم له وعلق عليه محمد علي سلامة،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٤م .
٨٨- داود ، عبد الأحد، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شمّا،مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق ،من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر . الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٨٩- دراز ، د. محمد عبدالله،النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن،دار القلم،ط٣ ،١٩٨٨م .
٩٠- الدسوقي ، الشيخ محمد ، حاشية الدسوقي على أم البراهين،لمؤلفها محمد السنوسي،طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ،١٣٨٠هـ-١٩٦٠م .
٩١- الدملوجي ، فاروق،تاريخ الأديان الألوهية وتاريخ الآلهة،بيروت-لبنان،الأهلية للنشر والتوزيع،ط غير معروفة، ٢٠٠٤م .
٩٢-الدوري ، قحطان عبد الرحمن، العقيدة الإسلامية ومذاهبها، عمان- الأردن، دار العلوم، ط١ ،٢٠٠٧م .
٩٣- الدوري ، قحطان عبد الرحمن ورشدي محمد عليان ،أصول الدين الإسلامي،عمان-الأردن،دار الفكر،ط١ ، ١٩٩٦م .
٩٤- دي بور ، الأستاذ ت.ج ، تاريخ الفلسفة في الإسلام،نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ،القاهرة-مصر،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،ط٤ ،١٩٥٧م .
٩٥ - الذهبي ،محمد بن أحمد،سير أعلام النبلاء،بيروت-لبنان،مؤسسة الرسالة،ط٩ ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
٩٦- الرازي ،محمد بن أبي بكر،مختار الصحاح ،تحقيق محمود خاطر،بيروت - لبنان،مكتبة لبنان ناشرون،طبعة جديدة،١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
٩٧- الرازي ، محمد بن عمر،الأربعين في أصول الدين،تحقيق وتعليق د.أحمد حجازي السقا،بيروت-لبنان،دار الجيل،ط ١ ،٢٠٠٤م .
٩٨- الرازي ،محمد بن عمر بن الحسين،التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
٩٩- الرازي ، محمد بن عمر، المباحث المشرقية،طهران-إيران،مكتبة الأسد،ط غير معروفة،١٩٦٦م .
١٠٠- الرازي ، محمد بن عمر (٥٤٤-٦٠٦هـ/ ١١٤٨-١٢٠٩م)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين،القاهرة-مصر،المطبعة الحسينية،ط١ ،سنة النشر غير معروفة .
١٠١- الرازي ، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين (٥٤٤- ت ٦٠٦هـ) ،المطالب العالية من العلم الإلهي وهو المسمى في لسان اليونانيين"باثولوجيا"وفي لسان المسلمين علم الكلام أو الفلسفة الإسلامية، تحقيق د.أحمد حجازي السقا،بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى،١٩٨٧م .
١٠٢- الرازي ، محمد بن عمر،معالم أصول الدين،ضبط وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح ود.سامي عفيفي حجازي،القاهرة-مصر،مركز التراث للنشر،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م .
١٠٣- رضا ،محمد رشيد،الوحي المحمدي،بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي،ط١٠ ،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .
١٠٤- الريس ،علي،تحريف مخطوطات الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م .

١٠٥- زاده ،عبد الرحمن الباجه جي،الفارق بين المخلوق والخالق -نقد الأناجيل-،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١، ٢٠٠٦م ٠

١٠٦- الزبن ،محمد فاروق،المسيحية والإسلام والاستشراق،دمشق-سوريا،دار الفكر،ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ٠

١٠٧- الزَّبيدي ،محمد مرتضى الحسيني،تاج العروس من جوهرة القاموس،بيروت -لبنان،دار الجيل،ط غير معروفة، ١٣٦٥هـ-١٩٧٥م ٠

١٠٨- الزرقاني ،محمد عبد الباقي،شرح العلامة الزرقاني المتوفي سنة ١١٢٢ه على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني المتوفي سنة ٩٢٣ه،ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م ٠

١٠٩- الزرقاني ،محمد عبد العظيم،مناهل العرفان في علوم القرآن،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م ٠

١١٠- الزركشي ، محمد بن عبد الله ،البرهان في علوم القرآن، ،بيروت-لبنان،دار المعرفة،الطبعة الثانية،١٩٧٢م ٠

١١١- الزركلي ، خير الدين،الأعلام،بيروت-لبنان،دار العلم للملايين،ط١٠ ،١٩٩٢م ٠

١١٢- الزمخشري،محمود بن عمر،الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،بيروت-لبنان،دار الكتب العلمية،ط١ ،١٤١٥هـ-١٩٩٥م ٠

١١٣- الزيني ، د محمد عبد الرحيم،مشكلة الفيض عند فلاسفة الإسلام: الفصل السادس النبوة والفيض،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،سنة النشر غير معروفه٠

١١٤- الساموك ،أ.دسعدون محمود،في مقارنة الأديان المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن دراسة أكاديمية،عمان-الأردن،دار وائل للنشر،ط١، ٢٠٠٦م ٠

١١٥- الساموك ،أ.د سعدون محمود،مقارنة الأديان،عمان -الأردن،دار وائل للنشر والتوزيع،ط١ ،٢٠٠٤م ٠

١١٦- الساموك،أ.د سعدون محمود،موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة الجزء الثاني العقائد،عمان -الأردن،دار المناهج،ط١ ، ٢٠٠٢م ٠

١١٧- سبينوزا ،رسالة في اللاهوت والسياسة،ترجمة وتقديم د.حسن حنفي،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط٣ ، ٢٠٠٥م ٠

١١٨- السحمراني ،أ.د،أسعد،اليهودية عقيدة وشريعة،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط١ ،١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ٠

١١٩-سعادة ،د.خليل ترجمه من الإنكليزية،إنجيل برنابا،دراسة وتحقيق د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ٠

١٢٠- السفاريني ،محمد بن أحمد،لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية،بيروت-لبنان،المكتب الإسلامي-الرياض-المملكة العربية السعودية،دار الخاني،ط٣ ،١٤١١هـ-١٩٩١م

١٢١- السقا ،د.أحمد حجازي،هيكل سليمان عند المسلمين وأهل الكتاب، القاهرة-مصر،مكتبة النافذة ،ط١ ، ٢٠٠٨م٠

١٢٢- السقار،د.منقذ،هل العهد القديم كلمة الله،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م ٠

١٢٣- الشامي ،د.رشاد، موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية،القاهرة-مصر،المكتب المصري،ط غير معروفة، ٢٠٠٢م .
١٢٤- الشعراني ،عبد الوهاب،اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر،القاهرة-مصر،المطبعة الميمنية،ط غير معروفة، ١٣٠٦هـ .
١٢٥- شلبي ،د. أحمد،الإسلام، القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية،ط١٢ ،١٩٩٧م .
١٢٦- شلبي ،د. أحمد،المسيحية،القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١١، ٢٠٠٢م .
١٢٧- شلبي ،د. أحمد،اليهودية، القاهرة-مصر،مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٩٧م .
١٢٨- شلتوت ،محمود،الإسلام عقيدة وشريعة،القاهرة-مصر،دار الشروق،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .
١٢٩- الشهاوي ،مجدي محمد،دراسة تحليلية عن: خوارق العادات المعجزة-الكرامة-السحر،دمياط-مصر،مكتبة القرآن،ط غير معروفة،١٩٩١م .
١٣٠- الشهرستاني ، محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد،الملل والنحل تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، بيروت- لبنان، دار الفكر ،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .
١٣١- الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير،القاهرة-مصر،دار الحديث،ط١ ،١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
١٣٢- الصابوني ،محمد علي،روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن،دمشق-سوريا،دار القلم،ط٢ ، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .
١٣٣- الصابوني ، محمد علي،النبوة والأنبياء،دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعواتهم وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر،بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة،والجدة والتحقيق،عالم الكتب،ط١ ،١٩٨٥م.
١٣٤- الصادقي ، د .محمد،عقائدنا،بيروت-لبنان،دار الصادق،ط١ ،١٣٧٢هـ-١٩٧٢م .
١٣٥- صالح ، د. سعد الدين السيد ،العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية،القاهرة -مصر،مكتبة التابعين،الطبعة الثانية،١٤١٦هـ-١٩٩٦م .
١٣٦ - صليبا ، د.جميل ، المعجم الفلسفي،بيروت-لبنان،دار الكتاب اللبناني،ط١ ،١٩٧٣م .
١٣٧- الطائي ،كمال الدين،رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة،بغداد-العراق، رئاسة ديوان الأوقاف-مطبعة سلمان الأعظمي،ط غير معروفة،١٣٩٢هـ-١٩٧٢م .
١٣٨- طبّاره ، عفيف عبد الفتاح،مع الأنبياء في القرآن الكريم قصص ودروس وعبر من حياتهم، بيروت-لبنان، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ١٩٨٥م .
١٣٩- طبّاره ،عفيف عبد الفتاح،اليهود في القرآن تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث الحاضرة مع قصص أنبياء الله تعالى إبراهيم ويوسف وموسى عليهم الصلاة والسلام،راجعه خليل سكر،وحسين يوسف غزال،بيروت-لبنان،دار العلم للملايين،ط٢ ،١٣٨٦هـ-١٩٦٦م .
١٤٠- الطباطبائي ،محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن،بيروت-لبنان،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،ط١ ، ١٤١١هـ-١٩٩١م .

١٤١- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، جامع البيان في تأويل القرآن، ، الناشر مؤسسة الرسالة،تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى،٢٠٠٠ م.

١٤٢- طنطاوي ، د.محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، الناشر المؤلف وساعدت جامعة البصرة على نشره،طبع على نفقة جامعة الأزهر، الطبعة الأولى،١٣٨٨هـ- ١٩٦٨ م .

١٤٣- الطهطاوي ، محمد عزت إسماعيل،النصرانية والإسلام عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة،الناشر غير معروف،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة.

١٤٤- طهماز،عبد الحميد محمود،المعجزة والإعجاز في سورة النمل،دمشق-سوريا،دار القلم -بيروت-لبنان،دار المنارة،ط١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٤٥- الطيب ، د.أحمد، مباحث العلة والمعلول من كتاب المواقف للإيجي،القاهرة-مصر،دار الطباعة المحمدية الأزهر،ط ١ ،١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .

١٤٦- ظاظا ،دحسن ،الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه،دمشق-دار القلم،بيروت-دار العلوم،ط٢ ،١٩٨٧م .

١٤٧- عامري ،سامي،محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة عند النصارى واليهود والهندوس والصابئة والبوذيين والمجوس،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٧م .

١٤٨- عباس ، د.فضل حسن عباس وسناء فضل حسن ، إعجاز القرآن الكريم،عمان-الأردن،ط غير معروفة، ١٩٩١م .

١٤٩- عبد القادر،د.محمد ممتاز،ترجمة ودراسة تحليلية،مخطوطات البحر الميت،القاهرة-مصر،العالمية للكتب والنشر، ط١ ، ٢٠٠٦م .

١٥٠- عبد المجيد ، د.محمد بدر،اليهودية،كلية الآداب-جامعة عين شمس،سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية يصدرها مركز الدراسات الشرقية-جامعة القاهرة تحت اشراف أ.د محمد خليفه حسن ورعاية أ.د نجيب الهلالي جوهر رئيس جامعة القاهرة ورئيس مجلس إدارة المركز وأ.د أمير إمام ناصف نائب رئيس الجامعة ونائب رئيس مجلس إدارة المركز.

١٥١- عبد المحسن ، عبد الراضي بن محمد،منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى دراسة علمية من خلال جهود الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى،القاهرة-مصر،الفاروق الحديثة للطباعة والنشر،ط١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٥٢- عبد الملك ، د. بطرس وآخرون،قاموس الكتاب المقدس ،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط٩ ،سنة النشر غير معروفة.

١٥٣- عبد الوهاب ، مهندس أحمد،النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام،القاهرة-مصر،مكتبة وهبه،ط١ ، ١٩٧٩م .

١٥٤- عبدالله ،عبد السلام محمد،هل الكتاب المقدس معصوم؟،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٧م .

١٥٥- عبده،محمد،الأعمال الكاملة،تحقيق وتعليق د. محمد عمارة،بيروت-لبنان،دار الشروق،ط١ ، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

١٥٦- عتر ، حسن ضياء الدين،المعجزة الخالدة عظمة معجزات القرآن-شهادة العالم بإعجاز القرآن-دراسة أسلوبه البياني-إعجازه العلمي والتشريعي والخلقي-آثاره في اللغة والأدب-نقض مزاعم المستشرقين،جميع الحقوق محفوظة للمؤلف،الطبعة الثانية، ١٩٨٩م .

١٥٧- عتر ، د. حسن ضياء الدين ، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن-افتقار الإنسانية إلى الرسل-ظاهرة الوحي وبراهينه-معالم نبوته-دلائل نبوته العقلية، بيروت- لبنان ،دار البشائر الإسلامية،الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

١٥٨ - العدوي ، الشيخ أحمد بن محمد الشهير بالدردير ت١٢٠١هـ،شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، تحقيق وتعليق عبد السلام عبد الهادي شنار،دمشق-سوريا،دار البيروتي،ط١ ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م .

١٥٩- عرموش ، أحمد راتب وآخرون، موسوعة الأديان(الميسرة)،بيروت-لبنان،دار النفائس، ط٣ ،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

١٦٠- عزيز ، الدكتور القس فهيم،علم التفسير،القاهرة-مصر،دار الثقافة المسيحية،ط غير معروفة،سنة نشر غير معروفة.

١٦١- العقاد ، عباس محمود ، إبراهيم أبو الأنبياء، دار الهلال ، ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

١٦٢- الغزالي ،أبو حامد محمد،الاقتصاد في الاعتقاد،قدم له وعلق عليه وشرحه الدكتور علي بو ملحم،بيروت-لبنان،دار ومكتبة الهلال،ط١ ،١٩٩٣م .

١٦٣- الغزالي ،أبو حامد محمد ، تهافت الفلاسفة،دمشق-سوريا،دار التقوى،ط١ ،٢٠٠٦م .

١٦٤- الغزالي ، أبو حامد،الرد الجميل لألهية عيسى بصريح الإنجيل،تقديم وتحقيق وتعليق د.محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة-مصر،مكتبة الزهراء،ط٢ ،١٩٩٠م .

١٦٥- الغزالي، أبو حامد محمد، مقاصد الفلاسفة،تحقيق د.سليمان دنيا،القاهرة-مصر،دار المعارف،ط٢ ، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م .

١٦٦- الغزالي ، أبو حامد محمد،منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم، تحقيق د سليمان دنيا،القاهرة-مصر،دار المعارف،ط غير معروفه،١٩٦١م .

١٦٧- الغندور ،نبيل أنسي،نقله عن العبرية،المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية،القاهرة -مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٧م .

١٦٨- فتاح ، د.عرفان،عبد الحميد ، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية،عمان-الأردن،دار البشير،بيروت-لبنان،مؤسسة الرسالة،ط٣ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

١٦٩- فتاح ،د.عرفان عبد الحميد،النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها،عمان-الأردن،دار عمار،ط١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

١٧٠- فتاح ، عرفان عبد الحميد،اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عمان-الأردن،دار عمار، ط١ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

١٧١- الفرت ،محمد أبو الغيط،وحمد رواس قلعجي،العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة،الكويت، دار البحوث العلمية،ط١ ،١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

١٧٢- فودة ،سعيد عبد اللطيف،تهذيب شرح السنوسية أم البراهين،عمان-الأردن،دار الرازي،ط٢ ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٧٣- الفيروزآبادي ،مجد الدين محمد بن يعقوب،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،تحقيق الأستاذ محمد علي النجار،القاهرة-مصر،الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي،الكتاب الرابع،١٣٨٣هـ .

١٧٤ - فوس ، جرهاردوش، علم اللاهوت الكتابي،ترجمة عزت زكي،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط غير معروفة، سنة النشر غير معروفة .

١٧٥- قاضي القضاة ، عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة،تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان، القاهرة-مصر، مكتبة وهبه، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦م.

١٧٦- قاضي القضاة ،عبد الجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل،تحقيق د.محمود الخضيري ود.محمود قاسم،القاهرة-مصر،المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر الدار المصرية للتأليف والترجمة،ط غير معروفة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م .

١٧٧- القدسي ،كمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن أبي شريف ت٩٠٦هـ ، المسامرة بشرح المسايرة وعليه شرحان جليلان أحدهما تأليف الشيخ قاسم بن قطلوبغا ت٨٧٩هـ،والآخر"نتائج المذاكرة،بتحقيق مباحث المسايرة"تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد مفتش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر، مطبعة السعادة مصر،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

١٧٨ - القرافي ،الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،المستشار:توفيق علي وهبة،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦م .

١٧٩- القرافي ،أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية،تحقيق وتقديم د.أحمد عبد الرحيم السايح،القاهرة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٦ .

١٨٠- القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن،تحقيق الدكتور محمد الحفناوي،القاهرة-مصر، دار الحديث ،الطبعة الأولى،١٩٩٤م.

١٨١- القشيري ، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

١٨٢- القطان ،مناع،مباحث في علوم القرآن،بيروت-لبنان،مؤسسة الرسالة،ط٢١ ،١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

١٨٣- قطب ، سيد، في ظلال القرآن،بيروت-لبنان،دار إحياء التراث العربي،ط٥ ،١٩٦٧ .

١٨٤- الكلبي ، محمد بن أحمد بن جزيّ،التسهيل لعلوم التنزيل،بيروت-لبنان،دار الكتاب العربي،ط٤ ،١٩٨٣م .

١٨٥- لوكير،هربرت ،كل المعجزات في الكتاب المقدس، ترجمة ادوارد وديع عبد المسيح، القاهر-مصر،دار الثقافة، ط٣ ، ٢٠٠٣م .

١٨٦- ماكدويل ، جوش،وبارت لارسون،حقيقة لاهوت يسوع المسيح،ترجمة سمير الشوملي،دار النشر غير معروفة، ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة .

١٨٧- الماوردي ،علي بن محمد،أعلام النبوة،ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه،الشيخ خالد عبد الرحمن العك، بيروت-لبنان،دار النفائس،ط١٩٩٤،١م ٠

١٨٨- محمود ،عبد الحليم،دلائل النبوة"ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم"،القاهرة-مصر،مؤسسة دار الشعب،ط غير معروفة،١٤٠٥هـ-١٩٨٤م ٠

١٨٩- مراد ، د.مصطفى،معجزات الرسول ألف معجزة من معجزات الرسول،الأزهر-القاهرة،دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م ٠

١٩٠- مُسْلِم ، د.مصطفى ، مباحث في إعجاز القرآن، جده-السعودية، دار المنارة، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م ٠

١٩١- المسيري ، عبد الوهاب محمد،موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد، القاهرة-مصر، دار الشروق،ط١ ،١٩٩٩م ٠

١٩٢- مصطفى ،إبراهيم،وآخرون،المعجم الوسيط،استانبول-تركيا،دار الدعوة،ط غير معروفة،١٩٨٩م ٠

١٩٣- المغربي ، السموأل بن يحي،بذل المجهود في إفحام اليهود،دراسة وتحقيق د.أحمد حجازي أحمد السقا،الجيزة-مصر،مكتبة النافذة،ط١ ،٢٠٠٥م ٠

١٩٤- مكي ، حسين عبد الرحيم ، مذكرات التوحيد لطلبة الخامسة الثانوي،القاهرة-مصر،مطبعة حجازي،ط٤ ، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م ٠

١٩٥- الملاح ،نديم،العقائد الإسلامية،القدس-فلسطين،مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية،ط غير معروفة، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م ٠

١٩٦- ملكاوي ،محمد أحمد محمد عبد القادر خليل،عقيدة التوحيد في القرآن الكريم،الرياض-المملكة العربية السعودية،دار ابن تيمية للنشر،ط٢ ،١٤١٢هـ-١٩٩٢م ٠

١٩٧- المهدي ، د. حسين محمود أحمد،الأنبياء والملأ دراسة مقارنة من خلال القرآن الكريم والعهدين الجديد والقديم،مراجعة وتقديم أ.د محمد حافظ الشريدة، طولكرم-فلسطين،شركة ابن خلدون للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ٠

١٩٨- الموسوعة العربية العالمية،الرياض،المملكة العربية السعودية،مؤسسة أعمال الموسوعية للنشر والتوزيع،ط١ ، ١٩٩٦م ٠

١٩٩- الموصلي ،سامي أحمد،الظواهر الخارقة بين الدين والباراسيكولوجيا،بيروت-لبنان،دار النفائس،ط١ ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ٠

٢٠٠- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية وأسسها ،دمشق-سوريا، دار القلم ، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م ٠

٢٠١- النبهاني ،يوسف بن إسماعيل،حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين،حلب-سوريا،مكتبة دار الفلاح،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة ٠

٢٠٢- النجار، عبد الوهاب، قصص الأنبياء،بيروت-لبنان،دار الجيل،ط غير معروفة،سنة النشر غير معروفة ٠

٢٠٣- الندوي،محمد ولي الله، نبوءات الرسول ما تحقق منها وما يتحقق،قدم له سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي، القاهرة-مصر،دار السلام،ط٨ ،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ٠

٢٠٤- النسفي ، الإمام أبو معين ت٥٠٨هـ ، التمهيد في أصول الدين،تحقيق وتعليق وتقديم الدكتور عبد الحيّ قابيل،القاهرة-مصر،دار الثقافة ،١٩٨٧م٠

٢٠٥- النسفي ، الإمام أبو معين ت٥٠٨هـ ،التمهيد لقواعد التوحيد،دراسة وتحقيق د.حبيب الله حسن أحمد .تقديم د.محمد ربيع محمد جوهري،القاهرة-مصر، دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى،١٩٨٦م ٠

٢٠٦- النشار ، د٠علي سامي ،مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، بيروت-لبنان،دار النهضة العربية،ط غير معروفة،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ٠

٢٠٧- نعناعه،د رمزي،الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير،دمشق-سوريا ،دار القلم،وبيروت -لبنان،دار الضياء، ط ١ ،١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ٠

٢٠٨- نعيم ،القس محسن،نبوات ورؤى النبوات في الكتاب المقدس بين التحقيق والرسالة دراسة في النصوص النبوية والرؤية في الكتاب المقدس،القاهرة-مصر،دار الثقافة،ط١ ،٢٠٠٥م ٠

٢٠٩- النووي ،محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف،صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي ت سنة ٦٧٦هـ المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف الشيخ خليل مأمون شيحا،بيروت-لبنان،دار المعرفة،ط٤ ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٢١٠- الهندي ،رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانويّ، إظهار لحق،دراسة وتحقيق وتعليق د.محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي،القاهرة-مصر،دار الحديث،ط٣ ،١٩٩٤م ٠

٢١١- الهندي ،رحمة لله بن خليل الرحمن الكيرانويّ،مختصر كتاب إظهار الحق،اختصار وتدقيق حقق الكتاب د.محمد أحمد ملكاوي،الرياض-المملكة العربية السعودية،وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وكالة شؤون المطبوعات والنشر،ط غير معروفة،١٤١٦هـ-١٩٩٥م ٠

٢١٢- ولفنسون ،د.إسرائيل،تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، القاهرة-مصر،مكتبة النافذة، ط١ ، ٢٠٠٦م ٠

٢١٣- يكن ، فتحي ،حكم الإسلام في السحر ومشتقاته،بيروت-لبنان،مؤسسة الرسالة، ط٦ ،١٤١٤هـ-١٩٩٤م ٠

- **المواقع الإلكترونية ٠**

1-www.albishara.org ،الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية مادة عجيبة، تاريخ ٢٠٠٩/٦/١١ ٠

2- www.hutteensc.com ، بتاريخ ٢٠٠٩/٥/٢٠م ٠

- **الصحف ٠**

١-جريدة العرب اليوم العدد ٤٣٣٣، السبت ١٤ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ الموافق ٩ أيار ٢٠٠٩م عنوان البابا يزور مأدبا اليوم ٠

تم بحمد الله تعالى، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ٠